رنا أبو ظهر الرفاعي
د . محمد قبيسي

الإرهاب الصهيوني والسلام العربي

بين الشهادة والإبادة



مؤسسة الرحاب الحديثة

الإرهاب الصهيوني
والسلام العربي

بين الشهادة والإبادة

رنا أبو ظهر الرفاعي

د. محمد قبيسي

الإرهاب الصهيوني والسلام العربي

بين الشهادة والإبادة

مؤسسة الرحاب الحديثة

عنوان الكتاب

الإرهاب الصهيوني والسلام العربي

بين الشهادة والإبادة

تأليف

رنا أبو ظهر الرفاعي

د. محمد قبيسي

الناشر

مؤسسة الرحاب الحديثة

هاتف: ٠٣/٣٥٩٧٨٨

فاكس: ٠١/٣٠٧٧٠٧

ص. ب ١١/٣٨٤٧

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى ٢٠٠٣

الإهداء

إلى العيون الحزينة

في أرجاء الوطن العربي

المتطلّعة إلى الأمن والسلام

إلى أرواح الشهداء..

أطفال الحجارة

إلى حاملي غصن الزيتون

والبندقية

إلى أصحاب القضية

ويقظة الأمة العربية

نهدي هذا الكتاب

كلمة شكر

إلى الذين اقتحموا خطوط النار ليلَ نهار بحثاً عن الحقيقة في دموع الأطفال والنساء، أولئك الذين خاطبوا الحصار والدمار فسجّلوا الخبر... وسطروا الكلمة ممزوجة بالعرق والدم والقهر..

إلى أولئك الذين كانوا الأعين التي بها نرى والآذان التي بها نسمع، إلى المناضلين بالصورة والقلم بمواجهة الدبابة والمدفع، رجال الإعلام والصحف ووكالات الأنباء.. العربية والعالمية.. ومحطات التلفزة الذين نذروا حياتهم في سبيل الحقيقة ، الذين لولاهم ما حُبِّرت مادة هذا الكتاب ولا وُثِّقت نصوصه.. إليهم.. لأننا لا نجد أحقّ منهم بالامتنان والتقدير.. نقدّم خالص الشكر.. وفاءً لهم وتقديراً منّا لجهودهم وتضحياتهم

رنا أبو ظهر الرفاعي　　　　د. محمد قبيسي

توطئة

يوماً بعد يوم تتصاعد حدة المواجهات الفلسطينية-الإسرائيلية حتى تحوّلت إلى حرب منظمة تقودها قوات الاحتلال الصهيوني مخلّفة وراءها مئات القتلى وآلاف الجرحى في صفوف الفلسطينيين غالبيتهم من الأطفال والنساء والعجّز، فضلاً عن عمليات التدمير الشاملة التي أصابت المدن والقرى والمخيّمات.

كل ذلك على مرأى ومسمع الدول الكبرى وخصوصاً الولايات المتحدة التي، ومنذ سنين طويلة، تدّعي رعايتها لمفاوضات السلام في الشرق الأوسط، بينما هي في الخفاء تعمل على ضرب الشعب الفلسطيني وحصار السلطة وقيادتها أملاً بالمزيد من التنازلات والقضاء على الانتفاضة، التي بصمودها ومواجهاتها وتضحياتها، باتت تشكّل التهديد الأقوى للكيان الصهيوني، وربما تؤدي إلى حرب عربية-إسرائيلية جديدة ومفتوحة على كل الاحتمالات في حال أصرّت كل من واشنطن وتل أبيب على مواقفهما العدائية، وظلت العواصم الأوروبية على مبادراتها المائعة العاجزة عن وقف حمامات الدم في الوسط الفلسطيني الذي يصرّ بدوره، بفعل الإرادة والصمود كما بقوة الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة، على إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس.

أمام هذا الواقع كان التدخّل الأميركي بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١..

هذا التدخل الأميركي المتعجّل الذي تمّ في إبّان المواجهات وعلى المستويات العليا كافة (على لسان الرئيس بوش ومستشارته

للأمن القومي كونديليزا رايس ووزير الخارجية كولن باول) للضغط على إسرائيل لسحب جيش الاحتلال من مناطق السلطة الفلسطينية، لم يكن حباً بالفلسطينيين ولا خشية سقوط المزيد من الضحايا منهم تحت دبابات شارون ولا خوفاً من الرأي العام العالمي الساخط على واشنطن، ولا من العرب بالطبع (آخر من تحسب لهم واشنطن وتل أبيب أي حساب) وإنّما لإنقاذ الضباط والجنود الإسرائيليين الذين كانوا يتساقطون في جنين ومناطق أخرى في فلسطين، وأيضاً لغرض في نفس يعقوب، وخوفاً من العار الذي بات يهدّد بانفجار في كل مكان.

وعلى مدى أشهر انضم آلاف الشهداء ومن جميع الأعمار إلى قائمة خسائر الانتفاضة التي توشك أن تتحوّل إلى فتيل لانفجار عام في المنطقة قد يقلب الموازين وقد يصحّح المعادلات القائمة، وقد يقود بالمقابل إلى توسيع الاحتلال والاستيطان وقوائم التحالفات التي تصبّ في غير صالح العرب، إذ لم تتوقف آلة الموت الإسرائيلية عن ممارسة أسلوب القتل بدماء باردة بالبنادق وعن قرب على الأرض، وبالصواريخ والقذائف من الدبابات والمدافع وطائرات إف ١٦ والأباتشي من السماء. تمّ هذا ويتواصل الآن دون رادع لا عربي ولا دولي ولا خوف ولو لثوان من احتمال اندلاع حرب عربية في المنطقة، أو صدور إنذار دولي لها على غرار ما حصل في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ .

لقد ولّى عصر الحروب وتصوّرت إسرائيل أنّ النخوة العربية ماتت، وأنه لم يعد في القاموس الدولي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانطفاء الحرب الباردة، مفاهيم أو مصطلحات تفاهم

عالمي أو توازن قوى يسمح بثنيها أو ردعها عن المضيّ في غيّها.

فهل حقًّا ماتت النخوة العربية كما تصوّرتها إسرائيل الإرهابية؟

لا شك أنّ المنطقة العربية، بحكوماتها وشعوبها، تواجه أزمة وجود باتت تعد الأكثر خطورة ومصيرية من نوعها منذ نصف قرن ونيّف. فقد وضع الهجوم العسكري الشامل، الذي شنّته القوات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية، والأهداف الاستراتيجية والسياسية الكبرى التي عقدت إسرائيل العزم على تحقيقها، من خلال هذا الهجوم، الحكومات والشعوب العربية أمام معضلة حقيقية، لا يبدو أنّ أياً من هذه الحكومات قد تمكّنت حتى اليوم من التوصّل إلى الوسائل المطلوبة للردّ عليها والخروج من مأزقها. وأساس هذه المعضلة يكمن في جوهر بالغ البساطة من حيث مفاعيله وأبعاده، لكنه يتسم في المقابل وفي الوقت نفسه بقدر كبير من التعقيد في انعكاساته والأساليب التي لا بد منها لمواجهته.

فمنذ أن قرّرت الدول العربية، وبإجماع عام تقريباً، اعتماد شعار السلام كخيار استراتيجي ثابت لا تراجع عنه، أصبح هذا الشعار عملياً الخيار الوحيد الذي فضّل العرب التمسّك به والعمل من خلاله على حساب جميع الخيارات والبدائل الأخرى، التي كان من الممكن الاحتفاظ بها، أو حتى مجرد التفكير باللجوء إليها، ولو من وجهة نظرية فقط.

وهذا الواقع أثبتته بوضوح أحداث فلسطين التي أظهرت العجز العربي الكامل عن القيام بأي خطوات عملية ذات تأثير

سياسي أو اقتصادي أو استراتيجي في مواجهة العدوان الإسرائيلي الشامل الذي نفذته حكومة شارون ضد الفلسطينيين. كما أنه سيكون مرشحاً للإثبات من جديد، في حال اتساع نطاق الصراع ليشمل جبهات أخرى محتملة، حيث تبدو الأمور متجهة نحو مزيد من التصعيد خلال المرحلة المقبلة.

إن الحكومات العربية، رغبة في السلام، كانت حريصة بشكل ملفت للنظر على التقيّد بقواعد اللعبة وعلى تجنّب الإقدام على أي خطوات، ولو رمزية ومعنوية، من شأنها أن تُفسّر كإجراءات عدائية واضحة ضد إسرائيل، أو ضد الدول التي تدعمها وتؤيدها، وتحديداً الولايات المتحدة، وعلى العكس من ذلك اتّسمت ردود الفعل العربية الرسمية بقدر مثير للدهشة من الاتزان والعقلانية إلى حدّ فاق التوقّعات! ويبدو واضحاً تماماً اليوم أنّ الهمّ العربي الرئيسي حيال الواقع المؤلم الذي وصلت إليه الأوضاع في الأراضي الفلسطينية نتيجة الإرهاب الصهيوني ظلّ مرتكزاً في الدرجة الأولى على محاولة احتواء هذا الواقع وعدم السماح له بالانزلاق نحو مواجهة إقليمية شاملة!

ومرّة جديدة يرفع العرب راية السلام في وجه الإرهاب الإسرائيلي علماً بأنّ مثل هذا السلام العربي لن يُقابل إلاّ بالمزيد من العنف والصلف الإسرائيليين بمواجهة الشعوب العربية المغلوبة على أمرها.

العلاقات الأميركية - الإسرائيلية

عند قراءة نصّ القرارين اللذين أصدرهما مجلسا الكونغرس الأميركي بأغلبية كبيرة، دفاعاً عن شارون، نكاد نجد أنفسنا في صف الدفاع عن الرئيس بوش «المسكين» وسط هذه الطغمة من السياسيين «المفترسين» الذين فقدوا كل وازع من ضمير أو أخلاق، أو حتى من أي إحساس بانتمائهم الأميركي كما يفترض بهم، كونهم يمثّلون الشعب الأميركي وليس اليهود والشعب الإسرائيلي.

لو جرى التصويت على هذين القرارين في كنيست إسرائيل ذاتها لواجها انتقادات أكثر مما حصل في «كنيست» الكابيتول!

وصية المؤسس الأول لأميركا وحكم الصهاينة هناك

جاء في خطاب «بنيامين فراكلين» أحد مؤسسي الاستقلال الأميركي في المجلس التأسيسي الأميركي عام ١٧٨٩ : «أيها السادة : لا تظنوا أن أميركا نجت من الأخطار بمجرد أنها نالت استقلالها ، فهي ما زالت مهدّدة بخطر جسيم لا يقل خطورة عن الاستعمار . . وهذا الخطر سوف يأتينا من جراء تكاثر عدد اليهود في بلادنا ، وسيصيبنا ما أصاب البلاد الأوروبية التي تساهلت مع اليهود وتركتهم يستوطنون في أراضيها . . إذ أن اليهود بمجرد تمركزهم في تلك البلاد عمدوا إلى القضاء على تقاليد ومعتقدات أهلها ، وقتلوا معنويات شبابها بفضل سموم الإباحية واللاأخلاقية التي نفثوها فيهم ، ثم أفقدوهم الجرأة على العمل ، بما استنبطوه من الحيل لمنافستهم على كسب لقمة عيشهم ، وبالتالي سيطروا على اقتصاديات البلاد وهيمنوا على مقدّراتها المالية ، فأذلّوا أهلها وأخضعوهم لمشيئتهم ، ومن ثم أصبحوا

سادة عليهم مع أنهم يرفضون الاختلاط بالشعوب التي يعايشونها ، حتى بعد أن كتموا أنفاسها ، فهم يدخلون كل دولة بصفة دخلاء مساكين ، ولا يلبثون أن يمسكوا بزمام مقدراتها ، ومن ثم يتعالون على أهلها وينعمون بخيراتها دون أن يجرؤ أحد على صدهم . ومع كل هذا جعلوا التذمر شعارهم حيثما وجدوا ، التشكك ديدنهم ، فهم يزعمون أنهم مضطهدون طالما كانوا مشردين . . . ويطالبون بالعودة إلى فلسطين ، مع أنهم لو أمروا بالعودة إليها لما عاد جميعهم ولظل الكثيرون حيث هم . . أتعلمون أيها السادة لماذا؟ لأنهم أبالسة الجحيم وخفافيش الليل ومصاصو دماء الشعوب . . فلا يمكنهم أن يعيشوا مع بعضهم البعض لأنهم لن يجدوا فيما بينهم من يمتصون دمه ، ولهذا يفضلون البقاء مع الشعوب الشريفة التي تجهل أساليبهم الشيطانية ليثابروا على امتصاص دماء أبنائها ولينهبوا من خيراتها ، وللأسباب التي أوضحتها لمجلسكم الموقر ، أتوسّل إليكم أيها السادة ، أن تسارعوا إلى اتخاذ هذا القرار وتطردوا هذه الطغمة الفاجرة من البلاد قبل فوات الأوان ضناً بمصلحة الأمة وأجيالها القادمة ، وإلاّ سترون بعد قرن واحد أنهم أخطر مما تفكرون ، وستجدونهم وقد سيطروا على الدولة والأمة ، ودمروا ما جنيناه بدمائنا وسلبونا حريتنا ، وقضوا على مجتمعنا ، وثقوا بأنهم لن يرحموا أحفادنا . . بل سيجعلونهم عبيداً في خدمتهم ، بينما هم يقبعون خلف مكاتبهم يتندّرون بسرور بالغ بغبائنا ويسخرون من جهلنا وغرورنا .

أيها السادة : لا تظنّوا أنّ اليهود سيقبلون يوماً بالانصهار ببوتقتكم أو الاندماج في مجتمعكم . . فهم من طينة غير طينتنا ويختلفون عنا في كل شيء .

وأخيراً أهيب بكم أن تقولوا كلمتكم الأخيرة وتقرروا طرد اليهود من البلاد ، وإن أبيتم فثقوا أن الأجيال المقبلة ستلاحقكم بلعناتها وهي تئن تحت

أقدام اليهود . .

وبعد ، وبسبب عدم تنفيذ وصية المؤسس الأميركي بنيامين فرانكلين ، استطاع من سماهم بالطغمة الفاجرة تسخير مؤسسات أميركا السياسية والأمنية والاقتصادية لخدمة المصالح الإسرائيلية ، إذ استطاعت هذه الطغمة الفاجرة الوصول إلى مواقع اتخاذ القرار الأميركي .



عن جريدة الغارديان البريطانية

بوش وإسرائيل بين عامي ١٩٩١ و٢٠٠٢

نحو عشر سنوات مرّت منذ أجبر جورج بوش الأب إسحق شامير على أن يقرّر ما هو الأهم بالنسبة إليه : مصلحة المستوطنات في المناطق ، أم مصلحة الاقتصاد والمجتمع الإسرائيلي برمّته . وقد قرّر شامير ردّ طلب بوش تجميد المستوطنات ، فجمّد الرئيس تمويل القروض بمبلغ عشر مليارات دولار لتمويل الهجرة من رابطة الشعوب في أوروبا الشرقية . وفي عائلة بوش ومحيطها يعتقدون بأن هذه القضية كلّفته الولاية الثانية . أمّا اليوم ، ففي جلوسه قبالة شارون ، فإنه سيكون الآن دور بوش الابن في أن يقرّر إذا كان سيعرض للخطر مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط أم المراهنة على الولاية الثانية .

وكأنّ شيئاً لم يحصل في العقد الأخير ، فعلى جدول الأعمال الإسرائيلي - الأميركي يوجد مرة أخرى الاختيار بين توسيع المستوطنات في

المناطق وبين الضمانات لترميم الاقتصاد والمجتمع الإسرائيلي برمّته . وإذا كان هذا لا يكفي ، فهذه المرة أيضاً تبرز في الخلفية حرب بوش - صدام ومعها النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني الذي يعرقل تأييد دول الخليج للأميركيين . والفارق الأبرز هو أن «المعارض» في حينه ، شارون ، عارض المؤتمر الدولي في مدريد ، والذي عقد في نهاية حرب الخليج ، أمّا اليوم فرئيس الوزراء شارون هو الذي يستبق الضربة الأميركية على العراق بالمؤتمر .

وتفيد التقارير الرسمية من واشنطن بأنّ بوش ، مثل شارون ، يحتاج إلى هذا المؤتمر مثلما يحتاج إلى وجع الرأس . فكلاهما يمقتان ياسر عرفات ، وكلاهما يضطران إلى المناورة بين الضغوط الأمنية - الاقتصادية وبين الاضطرابات السياسية - الحزبية . فبوش يريد أن ينتزع من شارون الحد الأدنى اللازم الذي يرضي دول الخليج ، كي توفّر مع مرور الوقت القواعد لقوة الاجتياح للعراق ولا تلعب بسلاح النفط . أمّا الفشل في وجه صدام والارتفاع في أسعار الوقود فيمكنه أن يحسم مصير ولايته الثانية بقدر لا يقل عما يمكن أن يحسمه الصدام مع إسرائيل .

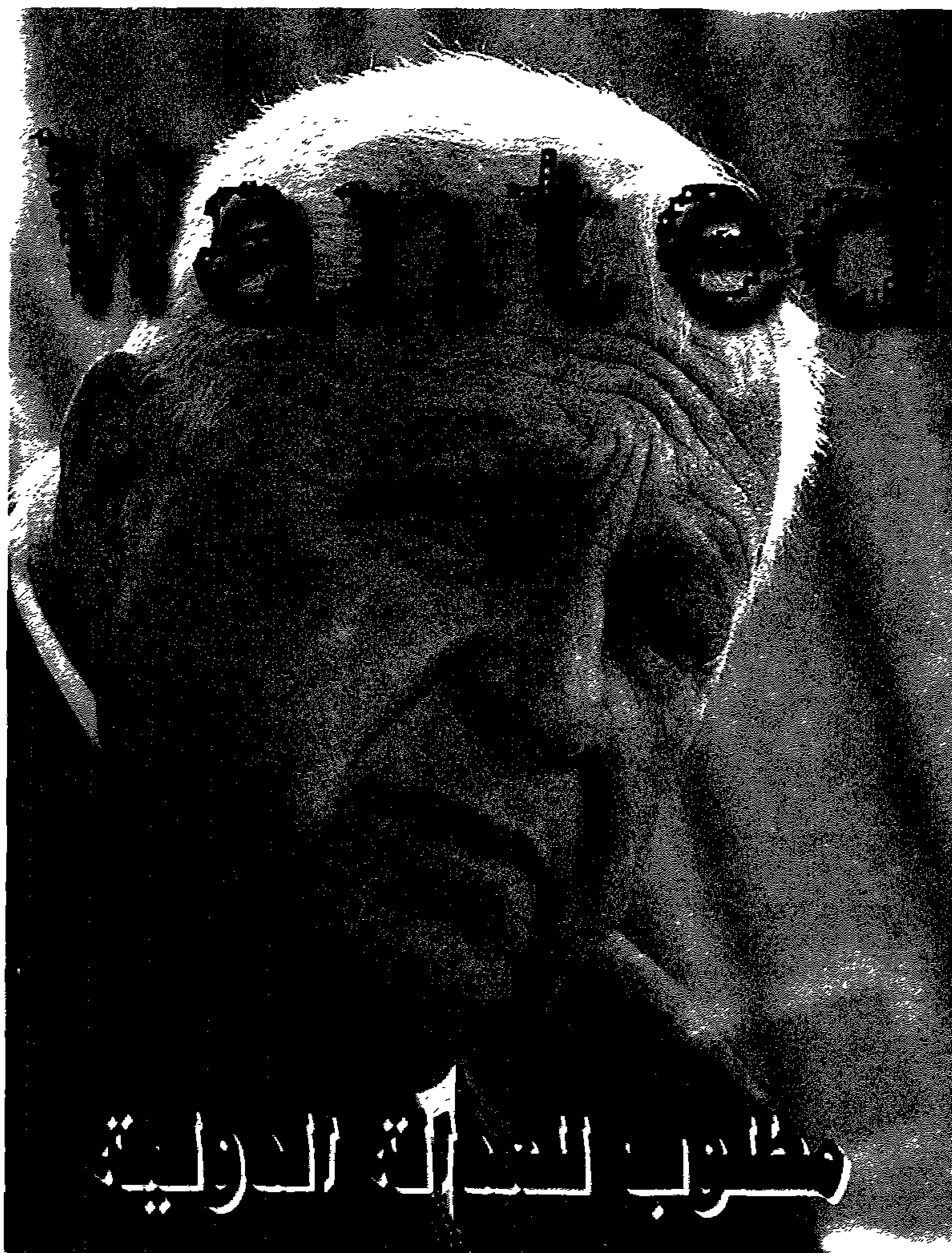
وقد أوضح ولي العهد السعودي الأمير عبد الله لبوش بأن العرب شبعوا احتفالات واتفاقات وتصريحات ومؤتمرات ، وشدّد على أنه إذا أراد الرئيس الانتقال من الأقوال إلى الأفعال في الخليج ، فإن عليه أن يتأكد من أنّ صديقه شارون ، الذي أسماه «رجل سلام» ، سينتقل هو الآخر من الأقوال إلى الأفعال . وعليه فإن خطة المؤتمر الإقليمي والتسوية الإقليمية بعيدة المدى الخاصة بشارون لا تثيران حماسة الأميركيين ، فهم لا يعتقدون أن تزاوج عرفات - شارون يمكنه أن يولد أكثر من هدوء مؤقت .

بوش مستعد لأن يستبدل كل العناوين الرئيسة المكررة عن المؤتمرات والمخططات بخطوات متواضعة على الأرض ، تستند إلى اتفاقات قائمة وإلى

تصريحات قديمة . ولا تتضمّن اللائحة الأميركية بالتالي تنازلات إقليمية ، وليس فيها على نحو مفهوم بذاته أي ذكر لحل وسط في القدس. ، أو لمشكلة اللاجئين ، وستعد زيارة شارون نجاحاً في نظر البيت الأبيض ، إذا تعهّد فقط بتنفيذ المرحلة المقبلة من تقرير ميتشل كما تعهّد من قبل . والتقرير يحدد بصراحة بأنّه تدريجيّاً مع تصفية بنى الإرهاب - وهي المهمة التي نفذتها إسرائيل في هذه الأثناء ، كما هو معروف ، بقواها الذاتية - فإن عليها تجميد المستوطنات .

وفي الإدارة الأميركية واعون بالطبع للصراع الذي يديره شارون ضد معارضي الدولة الفلسطينية في أوساط قيادة الليكود . ولو كان الأمر منوطاً بهم ، لكان الأميركيون يسرّون للتنازل عن الالتزام بالدولة الفلسطينية لعشر سنوات أخرى مقابل خطة لحل مستوطنة أو مستوطنتين في المناطق بعد عشرة أيام . ولكن في البيت الأبيض أيضاً لا يلتقطون أنفاسهم ترقّباً لموافقة شارون على إخلاء نتساريم ، الأمر الذي يعده ، حسب أقواله ، بمثابة الموافقة على إخلاء تل أبيب .

قدامى المسؤولين في وزارة الخارجية الأميركية يتذكّرون بشوق كيف أن وزير الخارجية ، جيمس بيكر ، أقنع بوش الأب وضع السياسة الداخلية جانباً في صالح المصالح الاستراتيجية الكامنة في المسيرة السلمية في الشرق الأوسط . ومنذئذ برزت عشرات المستوطنات الجديدة ، وقتل مئات المواطنين ، وانتهت آلاف ساعات الوساطة بالمذكرات . فما العجب في أن الابن لا يسارع إلى السير في أعقاب أبيه؟


Wanted
مطلوب للعدالة الدولية

يهود أميركا يؤيدون إسرائيل وينقسمون حول شارون

كانت صالة الرقص غاصّة بالحاضرين الذين بلغ عددهم ١٤٠٠ ينتمون إلى منظمة «أصدقاء قوات الدفاع الإسرائيلية» ، وحينما أقسم عمدة القدس ، إيهود أولميرت ، في خطابه ، بتدمير «الإرهاب الفلسطيني» لاقى تصفيقاً عاصفاً .

لكنّ رجل الأعمال رونالد إيديلستاين ، الذي تبرعت أسرته بـ ٨٨ ألف دولار لتحقيق هذا الهدف ، ردّ معلقاً على قسم أولميرت : «أنا مقتنع جداً بأنّ علينا عدم التراجع» ، ثم أضاف ساخراً : «بسبب سفاسف بعض القيم الأخلاقية ، التي لا يمتلك زملاؤنا العرب أياً منها» .

من جانب آخر ، يقف رونالد ماتالو ، حاخام المعبد التقدمي في غرب مانهاتن ، منقسماً بين موقفين متعارضين : دعمه الطويل الأمد لحقوق الإنسان الفلسطيني ودعمه لإسرائيل حينما تكون تحت الحصار ، يقول

ماتالو :« هناك فراغ واضح في موقع اليسار» ، وكان هذا الحاخام قد تنصّل من إعلان نشر في صحيفة أميركية أشاد بالجنود الإسرائيليين المنشقين في الضفة الغربية لرفضهم تنفيذ الأوامر والمشاركة في تحقيق «احتلال وحشي» .

يمكن اعتبار هذه الفترة عسيرة ومضطربة بالنسبة إلى اليهود الأميركيين الذين ظلوا لفترة طويلة منقسمين تجاه الطريق المناسب الذي يجب اتباعه لتحقيق السلام في الشرق الأوسط . مع ذلك وضع الكثيرون منهم خلافاتهم الإيديولوجية جانباً ، خلال أسابيع المعارك ، وشاركوا علنياً في دعم إسرائيل ، وهم ما زالوا مستمرين في خلافاتهم حول كيفية الوصول إلى حل طويل الأمد .

ويقول الكثيرون من القياديين اليهود في أميركا ، إن حالة الطوارئ التي تعيشها إسرائيل حالياً وتصاعد «معاداة السامية» ، عالمياً ، قد وحّدا اليهود بطريقة لم تعرف منذ حربي ٦٧ و٧٣ ، مع ذلك فهم يعترفون بأن الخلافات العميقة الموجودة بين اليسار واليمين لا يمكن كبتها بشكل دائم ، وهذا ما يجعل الطائفة اليهودية الأميركية عاجزة عن تحديد الطريق الذي يجب اتباعه مستقبلاً .

ويعتبر صمويل فريدمان ، الصحافي ومؤلف كتاب «يهودي في مواجهة يهودي . . الصراع من أجل كسب الروح اليهودية الأميركية ، أنها لحظة حاسمة بالنسبة إلى اليهود ، لكنه حذّر من أن النزاع الفلسفي في أميركا حول إسرائيل ومستقبلها يعكس توتّراً طويل الأمد : «فمن جانب ، هناك شعور عام بين اليهود بحاجتهم إلى احترام حقوق الإنسان والعمل من أجل تحقيق السلام ، لكن من جانب آخر ، هناك تشبث بالروح القبلية ، الشعور بأننا الآن محاصرون ، وأن ليس هناك في العالم من يحبنا ، لذلك فإنه وقت يتطلب التعاضد» . فيما هذه المشاعر ظلت تتحرك إلى الأمام وإلى الوراء ،



لكنها الآن تتركز حول الموقف القبلي وهذا ما تجلى بأفضل صوره في المسيرات التي جرت في بداية المواجهات ، بواشنطن ، وجلبت أكثر من ١٥٠ ألف متظاهر ، واستطاعت أن تحتل عناوين الصحف الكبرى ، إضافة إلى ذلك شارك الآلاف بمسيرات مماثلة جرت في شيكاغو ونيويورك وديترويت ومدن أخرى .

وفي وقت لاحق بعث مركز سايمون ويزنتال في لوس أنجليس ، بـ ٦٠٠ ألف كتيب تدعو إلى العمل وترفع شعار «إسرائيل تحارب من أجل الحفاظ على حياتها» ، ويدعو اليهود الأميركيين إلى الاتصال بالوجوه القيادية لحكومات ولاياتهم المحلية وبالمؤسسات الإعلامية على المستوى العالمي .

وإذا كان أغلبية اليهود قد وضعوا الخلافات القديمة بينهم جانباً ، ووقفوا جنباً إلى جنب ، فإن البعض عبّروا عن شكوكهم بطبيعة الرسالة

التي يحملها هذا التآزر . فكثير من الذين شاركوا في مسيرة واشنطن ، صدمتهم كلمات نائب وزير الدفاع الأميركي ، بول وولفيتز ، أحد عناصر الصقور في الإدارة الأميركية ، حينما قال إنه مع إنشاء دولة فلسطينية ، وإن هناك أبرياء فلسطينيين يعانون من الوضع الحالي ، وهذا ما أثار صرخات الاستنكار ضده بين المتظاهرين .

هذا التصادم دفع الزعماء اليهود البارزين إلى التخفيف من آثار ردود الفعل التي ظهرت في تلك المسيرة ، إذ زعموا أن هناك سوء فهم لما قاله وولفيتز ، أو أن عباراته كانت مفككة ، مع ذلك ، فإن بعض اليهود الأميركيين ، يعتقدون أن هذا الدعم لإسرائيل لا يعني تأييداً طويل الأمد لسياسة آرييل شارون العسكرية .

لكن الشكوك بموقف موحّد ولمدى طويل منتشرة بين العديد من الجماعات اليهودية ، وقال رجل الأعمال من بروكلين ، فيكتور ناي ، الذي يصف نفسه بأنه مساند قوي لإسرائيل : « لدي أصدقاء أميركيون كانوا معتدلين سابقاً حول تحقيق السلم عبر المفاوضات ، لكنهم الآن يفكرون بهذه الطريقة : وجودنا كله معرض للخطر ، لذلك علينا أن ندمّرهم (الفلسطينيين) جميعاً» . لكنه استدرك : « أعرف أشخاصاً آخرين ، لا يكفون عن الاستفسار : إذا واصلنا قصف العرب ، فكيف يمكننا أن نتوقع تحقيق سلم معهم؟» .

ويرى الكثير من القياديين اليهود أن الدعوة إلى التوحد أدّت إلى إسكات الصوت المنتقد لشارون داخل الولايات المتحدة ، ووجّهت انتقادات شديدة للحاخام مايكل ليرنر ، من سان فرنسيسكو ، المؤسس لمجلة «تيكون» التقدمية ، لنشره إعلاناً مثيراً للجدل في جريدة «نيويورك تايمز» ويقول مايكل ليرنر ، إن قناعاته الأساسية المتضمنة دعم إسرائيل ونقد «الإرهاب» الفلسطيني ، تم تحريفها من قبل منتقديه . لكن الشيء المهم بالنسبة إليه هو

تسلمه رسائل إلكترونية تعكس القلق بين بعض اليهود من نبذهم في حالة توجيه أي نقد لأعمال شارون .

ويوجّه ليرنر أصابع الاتهام نحو بعض الزعماء اليهود الذين خلقوا «مناخاً ماكارثياً جديداً» ، ووفق ذلك ينظر إلى كل «من يطرح أسئلة كخائن» .

وبالنسبة إلى البعض تحمل هذه المشكلة عمقاً فلسفياً ، إذ يقول دانييل سوكاتش ، المدير التنفيذي للتحالف اليهودي التقدمي في جنوب كاليفورنيا ، إن ٤٠٠ شخص اجتمعوا مؤخراً بإشراف منظمته تحت شعار كيف يمكن دعم إسرائيل دون أن تؤيد هجماتها العسكرية؟

في الوقت نفسه هناك تنامي الشعور بين اليهود التقدميين المتقدين لإسرائيل من أن الرئيس عرفات قد خيب ظنونهم به . ويقول آرثر هيرزبيرغ ، أحد القياديين اليهود البارزين : «أعترف أنني كنت واحداً من الداعمين لتحقيق السلام مع الفلسطينيين ، لكن أصبح واضحاً لمن ينتمون إلى اليسار أن عرفات غير معنيّ بإنهاء النزاع الدموي» .

وإذا كان هيرزبيرغ لا يخفي دعمه المطلق لإسرائيل ، فإنه في الوقت نفسه غير مستعد لأن يخدع من قبل شارون «أنا لا أُساند احتلالاً طويل الأمد للأراضي الفلسطينية ، لأن ذلك لا يمكن تبريره أخلاقياً» .

لكنّ الزعماء اليمينيين يطرحون مسائل أخلاقية أخرى ، حينما يصرّون على عدم تماثل ما يقوم به الجنود الإسرائيليون مع المهاجمين الانتحاريين الفلسطينيين . ويقول الحاخام آفي وايس : «شاهدنا طائرات تصطدم بمركز التجارة العالمي وتقتل الآلاف ، ولم تبق سوى خطوة صغيرة واحدة كي يقوم البعض بلف أجسادهم بالمتفجرات والمجيء إلى المدن الأميركية . . على إسرائيل أن تدافع عن نفسها مثلما تفعل أميركا» .

ومع تصاعد حدة النقاش ، يرى المراقبون أن ما يجري في الولايات

المتحدة بين اليهود مشابه للوضع داخل إسرائيل ، إذ ما زال الناشطون اليمينيون واليساريون في إسرائيل مختلفين فيما بينهم ، على الرغم من توحّدهم بمشاعر الخوف والحذر .

مع ذلك يظل هناك اختلاف واحد : فالأكثرية في إسرائيل اليوم تساند الحل الوسط الذي يجمع بين تحقيق السلام والاستعداد لتحمل أي أعباء للحرب ، حسب غولدبيرغ ، محرر جريدة «إلى الأمام» الشعبية التي تصدر في نيويورك ، منذ سنة ١٩٨٩ ، الذي يرى أن امتلاك القوة مع الاستعداد لتحقيق السلم ، هو السياسة التي تستوجب انسحاب القوات الإسرائيلية إلى خط يمكن الدفاع عنه ، وعلى إسرائيل أن تعد نفسها لمنع هجمات مستقبلية باستخدام الأسلاك الشائكة ونشر قوات كثيفة عازلة .

ويقول غولدبيرغ : « أنت لا تسمع كثيراً من الأميركيين اليهود عن فكرة الانفصال ، على الرغم من أنها مقبولة بشكل واسع وسط المؤسسة الحاكمة في إسرائيل . . وأنا أعتقد أن حذف هذه الفكرة داخل أميركا قد أفقر النقاش ، ويمكن القول إن الكثيرين من الأميركيين لم يتسلموا كل ما هو مطروح (في إسرائيل)» . ولعلهم شاهدوا أكثر مما يجب من صور مرعبة ، جعلتهم يغرقون ثانية في نقاش جديد حول الشرق الأوسط ، ومثلما يقول داي ، فإن اليهود الأميركيين منقسمون فيما بينهم حتى مع مساندتهم لدولة إسرائيل .

ويضيف داي : « إذا قام مهاجم انتحاري بعملية في بروكلين وقتل أطفالاً هنا ، فأنا سأغضب بشدة ، مثل أي واحد آخر ، لكنني كيهودي ، أشعر بالاستغراب لعدم التمكن من حل المشكلة لو جلس عرفات وشارون الواحد مع الآخر وأظهر كل منهما لجليسه صور أحفاده ، كيف سيكون بإمكانهما أن يقوما بقتلهم؟ نحن جميعاً بشر» .

سياسة إدارة بوش!

ولد الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأميركي جورج بوش يوم الخميس في ٤/ ٤/ ٢٠٠٢ ، والذي اختتم به صراعه الطويل للبقاء بعيداً عن نزاع الشرق الأوسط ، في مؤتمر تلفزيوني عقد في الصباح السابق مع كبار مساعديه لشؤون السياسة الخارجية وصائغي خطاباته . وكانت المناقشات داخل الإدارة قد بدأت منذ الخميس قبل ٤/ ٤ لتؤدي بعد ٧ أيام إلى تحول في الموقف الأميركي .

وتفحّص بوش ، في غرفة العمليات في البيت الأبيض ، مسودة أولية للخطاب سطراً بعد آخر ، مع نائبه ديك تشيني ، ووزير خارجيته كولن باول ، ومستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس ، ومساعدها ستيفن هادلي ، والمستشارة الصحافية كارين هيوز ، ومدير مجموعة كتابة

الخطابات مايكل غيرسون . وعكست لجنة كتابة الخطابات رفيعة المستوى ، والاستثنائية المهمة الدقيقة المطروحة : تهدئة العالم العربي عبر المطالبة بكبح جماح إسرائيل دون أن تبدو هناك مساومة على خيار بوش القاضي بعدم الهوادة مع من يسميهم «الإرهابيون» .

وكانت المشاورات مكثفة : « لا أريد أن أذهب إلى هذا المدى» . قال بوش ، وهو يتفحّص مسودة معينة ، وفقاً لمسؤول كبير في الإدارة . وكان تشيني معارضاً للالتزام إلى حد كبير بشأن مبادرة الشرق الأوسط ، وقال في مرحلة معينة :« دعونا نترك خياراتنا مفتوحة» .

ودفع نائب الرئيس الأمور مراراً وتكراراً باتجاه يجعله واثقاً من أن الخطاب يصوغ المبادرة باعتبارها متوافقة مع توجهات بوش المضادة للإرهاب . وقد خلق ذلك إشارات مباشرة إلى حاجة سورية إلى التصرف وفق تعهدها بمكافحة الإرهاب بشكل صريح ، وإشارات إلى دور إيران والعراق في النزاع ، وبالتالي ربط القضية بالمهمة الأميركية الأوسع ، كما طوّروا أيضاً لهجة خطابية كانت صارمة جداً باتجاه الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات .

وكانت النتيجة خطاباً يحذر إسرائيل ويحثها على الانسحاب من الضفة الغربية المحتلة ، ولكنه صيغ بلغة شديدة في توجيه اللوم للفلسطينيين ، وقال شخص مطلع على نشوء وتطور الخطاب : « إنه بدأ كمحاولة للوصول إلى العرب ، وإيقاف النقد ، واتجه نحو رسالة قاسية إلى عرفات» .

واستمرت المحادثات حيث كانت رايس وباول وهادلي وغيرسون في غداء عمل في مكتب رايس ، وفي الساعة السابعة مساءً أخذت رايس الخطاب إلى بوش ، الذي كان يعمل في مكتب الإقامة . وفي الساعتين التاليتين اقترح ، بالهاتف ، إجراء بعض التغييرات ، بما في ذلك دعوة

الإسرائيليين الذين يعملون في نقاط التفتيش باستخدام «الحنو» وهي كلمة مفضلة عند بوش . كما أضاف التعبير الدارج حول «إبقاء» تحذير الدول التي تسعى إلى توسيع النزاع .

وتعكس تلك الرواية للمفاوضات المعقدة حول خطاب بوش ، التي قدمها مسؤولون في الإدارة ، وأشخاص مؤتمنون تحدثوا معهم ، الرهانات العالية التي تضمّنتها خطوة بوش لإنهاء ١٥ شهراً من المعارضة للمشاركة الأميركية في أوضاع المنطقة .

وطرح بوش ومستشاروه الذين تباينت آراؤهم «مبادرة سلام الشرق الأوسط ، بعد أن توصلوا إلى أن العنف الأخير يمكن أن يدمر عقوداً من جهود إقامة أساس للسلام في المنطقة» ، وفقاً لما قاله مسؤولون في الإدارة .

قبل أيام من الخطاب جلس الرئيس وباول في لقاء خاص بالمكتب البيضاوي لمناقشة ذهاب باول إلى المنطقة بقصد التهدئة ، وتوصل الرجلان إلى حد كبير إلى أن تردد الولايات المتحدة في المشاركة قد أبطلته نداءات من الأنظمة العربية المعتدلة في الأردن ومصر ، خشية أن تؤدي الاضطرابات الشعبية إلى تقويض اتفاقيات السلام مع إسرائيل .

وأدى ذلك الإدراك ، والخشية من حدوث حريق إقليمي ، إلى ٤٨ ساعة من المفاوضات بين مساعدي بوش حول كيفية إصدار نداء يدعو إلى كبح جماح إسرائيل من دون أن يتعارض ذلك مع خيار الرئيس في الوقوف بحزم ضد ما يسميه «الإرهاب» . وظلت تفاصيل الخطاب في تغير مستمر ، ومن الواضح ، الآن ، أن الصمت من جانب البيت الأبيض كان يعود ، في جزء منه ، إلى أن بوش لم يكن قد قرر ما يقوله ، ناهيكم عن كيفية قول ذلك .

بعد ذلك انتهت المشاورات في خطاب بوش حيث «بلغ الأمر حده» ، وهو ما أكمل ، في الجوهر ، تحولاً في السياسة الأميركية ، بدأ قبل

ثمانية أيام من ذلك ، بتفجير في عيد الفصح في إسرائيل . وقال مسؤول كبير في الإدارة : « إن الأشياء المقلقة هنا هي أن أسس السلام في الشرق الأوسط تتقوّض » . ووصف المسؤول الأوضاع بالوصول إلى ذروتها ، مشيراً إلى أن «أحد أسس السلام هو أن هناك عدداً من الأنظمة العربية التي لديها اتفاقيات سلام مع إسرائيل ، وتواجه هذه الأنظمة توتراً حقيقياً .

ورغم أن الإدارة قالت منذ البداية إن على الإسرائيليين والفلسطينيين التوصل إلى السلام وفق شروطهما وجداولهما الزمنية ، فقد استنتجت أن النزاع المستمر ، والتلميحات بالتدخل من جانب إيران وسورية ، يمكن أن تعوق الحملة الأميركية المضادة للإرهاب . وقال أحد كبار مساعدي بوش : «كان هناك بعض القلق بشأن القدرة على الاستمرار في إنجاز الأشياء الصعبة التي نقوم بها» .

وقدّم بوش خطابه كـ «جهاز قطع الكهرباء» لتهدئة الغضب العربي الذي أوقع الفوضى ، لا بجيران إسرائيل ، أي الأردن ومصر ، وإنما بدول الخليج مثل البحرين والكويت وقطر ، وكذلك آفاق مبادرة السلام التي قادتها المملكة العربية السعودية وأقرها الزعماء العرب .

وفي صباح الأربعاء قبل يوم الخطاب كان بوش يشعر بالتفاؤل ، فقد أبلغته رايس بتحقيق تقدم من جانب المبعوث الخاص أنتوني زيني في الشرق الأوسط ، بما في ذلك موافقة رئيس الوزراء آريل شارون على عدم الإصرار على سبعة أيام من دون عنف قبل أن تبدأ المحادثات السياسية .

بحلول ليلة الأربعاء – الخميس تمزق تفاؤل الصباح بتفجير انتحاري أودى بحياة ٢٦ شخصاً كانوا جالسين احتفاءً بعيد الفصح في مدينة نتانيا الإسرائيلية الساحلية . وعقدت رايس مؤتمراً عبر وسائل الاتصالات في تلك الليلة ، وتوصل المستشارون «إلى أن انعطافاً قد حدث مما يتطلب عملاً جديداً» ، وفقاً لما قاله أحد كبار مساعدي بوش .

ويوم الجمعة سرعان ما أصبح مغزى التفجير على التوازن الدقيق في المنطقة واضحاً ، حيث بدأت إسرائيل تحريك قوات هائلة نحو مدن الضفة الغربية ، مبتدئة بمحاصرة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في مكاتبه بمدينة رام الله . وعقد اجتماع ثان لمجلس الأمن القومي الأميركي في وقت قرر فيه بعض مساعدي بوش أن على باول أن يتوجه إلى الشرق الأوسط .

وواصلت مجموعة عمل لقاءاتها سعياً إلى إيجاد سبل لإعطاء قوة دفع أكبر لمبادرة ولي العهد السعودي الأمير عبد الله .

وبتزايد الاحتجاجات الإقليمية والدولية على أعمال إسرائيل العسكرية في الأراضي المحتلة ، تحدث بوش عن حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها . وعلى الرغم من أن ذلك الحديث تعرض إلى انتقاد كثيرين في مختلف أنحاء العالم باعتباره دعماً واضحاً لإسرائيل ، فإن مساعدي بوش دافعوا عن الملاحظات لأنها أعطت الانتقاد الذي وجهه إلى إسرائيل مصداقية أكبر .

وظل باول ورايس وهادلي ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد يعملون إلى وقت متأخر من أجل إعداد خطة . وبحلول الوقت الذي كان بوش في طريقه إلى بنسلفانيا في الصباح التالي ، اتخذ قراراً نهائياً بإرسال باول .

وقال مسؤولون في الإدارة ودبلوماسيون إن أفعال بوش لم تكن مرتبطة بضغط داخلي أو أوروبي عليه لـ« المشاركة في الشرق الأوسط بقدر ما كانت مرتبطة بمخاوف من أن الغضب العربي يعرض للخطر الأنظمة المعتدلة وجهود تحقيق السلام التي ظلت تبذل منذ عهد إدارة الرئيس الأسبق جيمي كارتر . وقال مسؤول كبير في إدارة بوش :«إننا نرى مستوى متصاعداً من العنف يمكن أن يمتد إلى ما هو أبعد من المنطقة الحالية ، ونرى وضعاً متدهوراً بالنسبة إلى بعض أفضل أصدقائنا في المنطقة ، ولكن ما هو أكثر أهمية هو أن هذا الوضع يواجه أفضل أصدقاء إسرائيل من العرب في

المنطقة ، الذين تطورت معهم علاقات قوية عبر السنوات . ولهذا شعرنا بأن هذا هو الوقت المناسب لكي يتقدم الرئيس بخطواته» .

ففي مصر كانت هناك مظاهرات واسعة انطلقت بعد صلاة الجمعة ، وفي كل الأيام اللاحقة ، وأدت إلى اتخاذ مصر إجراء تقليص علاقاتها مع إسرائيل . وفي الأردن ، حيث يشكل الفلسطينيون ٦٠٪ من سكان البلاد ، كانت هناك احتجاجات واسعة ، ومطالبات للملك عبد الله بطرد السفير الإسرائيلي ، وتعيّن استدعاء شرطة مكافحة الشغب عندما هاجم آلاف الأردنيين السفارة الإسرائيلية في عمان .

وقال شخص مقرب من فريق الأمن القومي لبوش «إن ما غيّر الموقف حقاً هو الخطر القائم في الأردن . فقد تلقوا تقارير تفيد بأن المعارضة الفلسطينية للحكم الهاشمي وصلت إلى مرحلة حرجة» .

حتى أولئك الذين لم يكونوا يشعرون بالقلق بشأن الاستقرار المباشر للأردن ، كانوا يخشون أن تؤدي المظاهرات إلى قطع كل العلاقات بين إسرائيل والبلدين العربيين الوحيدين اللذين تتمتع معهما بعلاقات ، وذلك يمكن أن يقضي على الإنجازات التي حققتها المفاوضات الطويلة والشاقة التي قامت بها الولايات المتحدة عبر سنوات طويلة ، ويجعل السلام النهائي في المنطقة أكثر صعوبة .

وكانت الإدارة تشعر ، أيضاً ، بالقلق من أنها يمكن أن تضيّع فرصة الاعتماد على مبادرة السلام السعودية التي أقرتها الجامعة العربية كأساس لمناقشات لاحقة . وقال مسؤولون أميركيون «إن هناك قلقاً ثانوياً في أن الاضطرابات تعرض للخطر ، أيضاً ، الآمال الأميركية بتعاون عربي في مسعى نهائي للإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين» .

باول وقواعد اللعبة

لا مناص من الفصل بين اللغة الخطابية للرئيس بوش وبين مطالبه العملية . من ناحية خطابية كان هذا خطاباً ساخناً ، حيث كانت إدانته للإرهاب مطلقة وانسجمت تماماً مع الحرب العالمية التي شنّتها إدارته ضد الإرهاب بعد ١١ أيلول (سبتمبر) . لقد وبّخ عرفات مثلما يوبّخ القاضي مجرماً فاحت رائحته ، وطلب منه بصورة مهينة التنصّل من كل ما يربطه بالمنظمات الإرهابية .

ومن ناحية عملية طلب من إسرائيل سحب قواتها إلى الخلف ، حسب الجدول الزمني الأميركي ، خلال أيام عدة يجب أن تغلق نافذة الزمن . ومطلب رئيس هيئة الأركان بمنح الجيش ثمانية أسابيع من حرية العمل ، لم يتحقق ، منذ البداية كان واضحاً أنه لن يتحقق . لقد طرحه

رئيس هيئة الأركان ، كما يبدو ، فقط من أجل أن يمنح له مبررات .

يدرك شارون ، الذي ردّ على خطاب بوش بحنق شديد ، أنه في نهاية الأمر سيمتثل للأوامر الصادرة من واشنطن ، لا تستطيع إسرائيل أن تسمح لنفسها بالرفض : إنها معزولة في العالم على نحو لم يسبق له مثيل منذ حرب لبنان ، وأميركا هي الداعمة الوحيدة لها ، وإذا وقفت أميركا جانباً فإن إسرائيل ستتحوّل إلى دولة منبوذة في العالم .

إن عدم العدالة في الوضع الذي علقت فيه إسرائيل يثير الغضب ، حيث إن العالم ، الذي ترك أميركا تقصف أفغانستان كما تشاء ، وسمح لروسيا بتدمير مدن الشيشان وترحيل سكانها ، يصبح قصير النفس ويتقدم بمطالب كثيرة حين يتعلق الأمر بإسرائيل . إنه يثور حين يرى ٢٦ يهودياً يذبحون في عشية عيد الفصح ، ولكنه يثور أيضاً وبالدرجة نفسها حين يرى الدبابات الإسرائيلية في شوارع بيت لحم .

لقد حظيت عملية «سور الدفاع» بدعم واسع في الرأي العام الإسرائيلي ، وحسب الإحساس في الجيش حقّقت العملية إنجازات . لقد جمعت معلومات ، واعتقل مطلوبون وصودرت أسلحة ، ولو توفّر المزيد من الوقت لكان يمكن تعميق عملية التنظيف .

يستطيع شارون أن يندم على مساهمته في تقصير نافذة الزمن العسكرية . لقد حاول إهانة عرفات وتحقيره وجعله مثار اهتمام عالمي ، وأصرّ على اعتقال المطلوبين الذين تحصّنوا في كنيسة المهد في بيت لحم ، وعرض إسرائيل بأنّها تنتهك حرمة المقدسات . هاتان المعركتان تدلان إلى أي درجة تبعد المسافة بين أن تكون محقّاً وأن تكون حكيماً . لقد اضطر الحكام العرب إلى ممارسة ضغط على حكومة بوش ، والخوف من الحرب في الشمال ازداد ، واضطر بوش إلى الاستجابة .

إن قدوم باول إلى هنا ، في منطقة النزاع ، لا يبشر بقدوم السلام ، من

ناحية عرفات فإن الخطوة الأميركية ، رغم كل التوبيخات ، هي مقدمة للانتصار . زيني سيزوره - وقد زاره - وكان هذا التنازل الأول الذي اضطر شارون إلى تقديمه للأميركيين ، والصدع الأول في السور الذي حاول إقامته حول عرفات ، وبعده سيأتي باول - وهو أتى - وقادة الاتحاد الأوروبي وممثل الأمم المتحدة .

وستعود المقاطعة في رام الله لتكون بمثابة موقع لزيارات الديبلوماسيين والسياسيين ، عندما يطالبون عرفات بمكافحة الإرهاب سيقول : ماذا تريدون مني؟ لقد هدم الإسرائيليون كل أجهزتي . لن يخرج من هذا أي اتفاق . هذان السيدان ، شارون وعرفات ، لن يتوصلا إلى أي اتفاق ، كما يقول بثقة إسرائيليون وفلسطينيون وأميركيون وأوروبيون ، وكل من تدخل في السنة الأخيرة في جهود لوقف إطلاق النار .

إذاً ، ما الذي يحدث؟ سيحدث ، كما يبدو ، ما يقدّرونه في قيادة الجيش : الجنود سينسحبون ، العمليات ستتجدّد ، الجنود سيعودون للدخول ، إلى أن يحدث شيء ما ربما حرب في نطاق واسع تغيّر قواعد اللعبة .



هذه هي حقوق الإنسان في إسرائيل



يعلمون أطفالهم منذ الصغر بأحدث أساليب [illegible]

الكنيست «الإسرا - أميركي»

عند قراءة نص القرارين اللذين أصدرهما مجلسا الكونغرس الأميركي بأغلبية كبيرة دفاعاً عن أرييل شارون ، نكاد نجد أنفسنا في صف الدفاع عن الرئيس جورج بوش «المسكين» ، وسط هذه الغابة من السياسيين المفترسين الذين فقدوا كل وازع من ضمير أو أخلاق أو حتى من أي إحساس بانتمائهم الأميركي كما يفترض بهم ، كونهم يمثّلون الشعب الأميركي وليس اليهود والشعب الإسرائيلي .

لو جرى التصويت على هذين القرارين في «كنيست» إسرائيل ذاتها لواجها انتقادات وأصواتاً معارضة أكثر ممّا حصل في «كنيست» الكابيتول . ٩٤ عضواً في مجلس الشيوخ دعموا إسرائيل «التي تتخذ الخطوات اللازمة لضمان الأمن لشعبها من طريق تفكيك بنية الإرهاب في المناطق الفلسطينية» . و٣٥٢ عضواً في مجلس النواب أعلنوا «استمرار

التزامهم بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها وتأييد زيادة الدعم الأميركي لها» ، إضافة إلى إدانة السلطة الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات وتبنّي الاتهامات الإسرائيلية الموجهة إليه بأنّه يرعى الإرهاب .

وأضيفت فقرة واحدة إلى قرار مجلس النواب تجاوباً مع رغبة البيت الأبيض جرت فيها الإشارة إلى ضرورة الاهتمام بالحاجات الإنسانية للشعب الفلسطيني ، وكان هذا هو النص الوحيد بين هذه القرارات الحاقدة الذي يشير بأي التفاتة إلى الفلسطينيين كبشر يستحقون أن يعيشوا بينما تخوض إسرائيل حربها «المظفرة» ضد الإرهاب .

مشكلة العرب مع واشنطن لا تتلخّص في الخلاف القائم مع إدارة الرئيس جورج بوش ، بل إنّ هذا الخلاف يكاد يكون أهون المشاكل مع أميركا في وضعها الحاضر ، حيث يطغى على الحزبين الكبيرين فيها مناخ معاد للعرب والمسلمين . ففي الجانب الديمقراطي هناك اتجاه عام للسير خلف اللوبي اليهودي ومنظمة «إيباك» مهما كانت مواقفها ، والحديث الجاري في واشنطن أن جوزف ليبرمان (اليهودي) المرشح السابق لنائب الرئيس على لائحة آل غور سيكون مرشح الديمقراطيين للرئاسة في وجه جورج بوش في الانتخابات المقبلة . أمّا في الجانب الجمهوري فهناك تيار مسيحي متطرّف يطلق على نفسه اسم «المسيحيين الإنجيليين» يسيطر على أعلى القرارات في الحزب ويعتبر في الموقع نفسه مع أكثر اليهود تعصّباً .

ويقول واحد من أبرز هؤلاء يُدعى بات روبرتسون :«إسرائيل أرض وعد بها الله اليهود وليست ملكاً للمجموعة التي تسمّي نفسها فلسطينيين» . ومع أن عشرين بالمائة من اليهود صوّتوا في الانتخابات السابقة ضد بوش ، فإن سقوطه في أيدي الجماعات الدينية داخل حزبه (التي يُطلق عليها اسم «الصهيونية المسيحية») واستغلالها لحملته ضد الإرهاب ، تجعله أسيراً لمواقفها . فمع نمو هذا التيار داخل الحزب الجمهوري

يصبح الفرق شكليّاً بينه وبين الديمقراطيّين ، ممّا يزيد من مأزق أي سياسة عربية تحاول الحصول على موقف أميركي متوازن في الشرق الأوسط من دوائر القرار في واشنطن .

غير أنّ ما نستطيع نحن العرب والمسلمون في أميركا وخارجها أن نفعله هو إظهار تقديرنا لأعضاء مجلسي الشيوخ والنواب الذين صوّتوا ضد القرارين أو امتنعوا عن التصويت ، فمساندة هؤلاء الذين سيتعرّضون لضغوط قوية من اللوبي اليهودي تعتبر خطوة مهمة لتوثيق العلاقات معهم ـسب تأييدهم لسياسة أميركية عادلة في الشرق الأوسط ، ويمكن لأي ـخص أن يجري اتصالاً بمكاتبهم في واشنطن أو إرسال رسائل شكر وتأييد ـى بريدهم الإلكتروني .

أمّا الآخرون من الذين يعرضون ضمائرهم للبيع في مجلسي الشيوخ والنواب فلا نرى ما يمنع من عرض المبالغ المناسبة لهم لقاء الحصول على أصواتهم . فإذا كان اليهود يفعلون ذلك في واشنطن فليس ما يمنع أن يستخدم العرب الأسلوب ذاته للحصول على قرارات أميركية لمصلحة الحق العربي .



بعض الجثث لشهداء فلسطينيين في مخيم جنين مجزرة جديدة على غرار صبرا وشاتيلا

تضامن «مجلس النواب الأميركي» مع إسرائيل

هنا نص قرار مجلس النواب الأميركي الرقم ٣٩٢ الذي قدّمه النائب الجمهوري عن تكساس طوم ديلاي والنائب الديمقراطي عن كاليفورنيا طوم لانتوس وأقره المجلس في الثاني من أيار (مايو) ٢٠٠٢ بغالبية ٣٥٢ صوتاً في مقابل ٢١ وامتناع ٢٩ عن التصويت :

«حيث إنّ الولايات المتحدة وإسرائيل تخوضان الآن نضالاً مشتركاً ضد الإرهاب وهما في الخطوط الأمامية لنزاع أقحمتا فيه غصباً عنهما ،

حيث إنّ مئات من الإسرائيليين والفلسطينيين الأبرياء قضوا نتيجة العنف منذ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ ،

حيث إنّ منظمات فلسطينية تتورّط في حملة إرهاب منظمة ومنتظمة ومتعمدة تهدف إلى إيقاع أكبر عدد ممكن من الضحايا بين السكان

الإسرائيليين بما في ذلك استخدام الاعتداءات الإرهابية الانتحارية ،

حيث إن عدد الإسرائيليين الذين قتلوا خلال ذلك الوقت بالاعتداءات الإرهابية الانتحارية فقط ، وعلى أساس نسبي لسكان الولايات المتحدة ، يبلغ نحو تسعة آلاف شخص ، أي ثلاثة أضعاف الذين قتلوا في الاعتداءات الإرهابية على نيويورك وواشنطن في ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ ،

حيث إن ياسر عرفات وأعضاء القيادة الفلسطينية فشلوا في التقيّد بالتزاماتهم للاّعنف التي نص عليها إعلان المبادئ بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية (اتفاق أوسلو) في أيلول (سبتمبر)١٩٩٣ ، والتي تشمل تعهداتهم :

(١) الالتزام الصارم لـ«حل سلمي للنزاع» ، (٢) حل «كل المسائل العالقة المتعلقة بالوضع النهائي من طريق التفاوض» ، (٣) إدانة «استخدام الإرهاب وغيره من أشكال العنف» ، و(٤) «تحمل مسؤولية جميع عناصر منظمة التحرير الفلسطينية وموظفيها» بغية تأكيد امتثالهم (لالتزام اللاّعنف) ومنع العنف وتأديب المنتهكين ،

حيث إن الإرهاب المتواصل والتحريض الذي ترتكبه وتدعمه أدوات رسمية للسلطة الفلسطينية هو انتهاك مباشر لهذه الالتزامات ،

حيث إن كتائب شهداء الأقصى ، التي هي جزء من حركة فتح التابعة لعرفات ، والتي صنّفتها الولايات المتحدة «منظمة إرهابية أجنبية» ، وغيرها من قوات فتح ، قد قتلت عشرات من الأبرياء الإسرائيليين ،

حيث إن القوات الخاضعة مباشرة لسيطرة ياسر عرفات كانت متورطة في المحاولة الفاشلة للسلطة الفلسطينية للحصول على ٥٠ طناً من الأسلحة الهجومية شحنت من إيران في سفينة كارين - آي ، وهذه محاولة ثبّتت بما لا يرقى إليه الشك أن عرفات يتبنى استخدام تصعيد العنف ،

حيث إن لدى حكومة إسرائيل وثائق وجدت في مكاتب السلطة الفلسطينية تظهر الدعم المالي الأساسي الذي تواصل السلطة الفلسطينية تقديمه للأعمال الإرهابية بما فيها الأعمال الانتحارية ،

حيث إن التصعيد الأخير في الاعتداءات الفلسطينية والذي أدّى إلى مقتل ٢٧ إسرائيلياً خلال أسبوع الفصح ، شمل تفجيراً انتحارياً في احتفال ديني تسبب بمقتل ٢٧ وجرح أكثر من مائة إصابات بعضهم بالغة ، وقد نفذه إرهابي معروف كانت إسرائيل طلبت سابقاً من ياسر عرفات اعتقاله ،

حيث إن هذا الاعتداء الانتحاري حصل في الوقت الذي كان موفد الولايات المتحدة الجنرال أنطوني زيني يحاول التفاوض على وقف للنار يؤدي إلى معاودة المفاوضات السياسية بين الإسرائيليين والفلسطينيين ،

حيث إنه قبيل اعتداء الفصح ، وافقت إسرائيل على اقتراحات زيني لوقف النار ورفضها ياسر عرفات ،

حيث إن ياسر عرفات يواصل التحريض على العنف من طريق القول مثلاً عن انتحاري الفصح «ربي امنحني شهادة كهذه» ،

حيث إن لياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية تاريخاً طويلاً من إعطاء تعهدات ضد الإرهاب ونقضها ،

حيث إن الرئيس جورج بوش أعلن في جلسة مشتركة للكونغرس في ٢٠ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ أنه «اعتباراً من هذا اليوم ، أي دولة تواصل إيواء الإرهاب أو تدعمه ستعتبرها الولايات المتحدة نظاماً معادياً» ،

حيث إن الرئيس بوش قال أخيراً إنه «يتفهّم كلياً حاجة إسرائيل إلى الدفاع عن نفسها» وإنّه «يقدّر» حقيقة أن الإسرائيليين «شاهدوا موجة المفجّرين الانتحاريّين تأتي إلى قلب مدنهم وتقتل أبرياء» ،

حيث إن الرئيس بوش أعلن في خطابه في ٤ نيسان (أبريل) ٢٠٠٢ ، أن «الوضع الذي يجد عرفات نفسه فيه اليوم هو من صنع يديه» ،

وأن عرفات «فوّت فرصه وتالياً خان آمال الشعب الذي يفترض أنه يقوده» ، وأنه «انطلاقاً من فشله ، فإن الحكومة الإسرائيلية تشعر بأنّ عليها ضرب شبكات الإرهاب التي تقتل مواطنيها» ،

حيث إن العمليات العسكرية لإسرائيل هي جهد للدفاع عن نفسها ضد الفظائع التي لا توصف للإرهاب المتواصل ، وتهدف فقط إلى تفكيك البنية التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية ، وهذا واجب اتخذه عرفات على نفسه وفشل في تحقيقه ،

حيث إن عملية الانسحاب الإسرائيلي اكتملت تقريباً ، لذا يتقرّر أن مجلس النواب :

١- يقف متضامناً مع إسرائيل في ما تتخذ من خطوات ضرورية لتوفير الأمن لشعبها من طريق تفكيك البنية التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية .

٢- يبقى ملتزماً حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ويدعم مساعدة إضافية من الولايات المتحدة تعين إسرائيل في الدفاع عن نفسها .

٣- يدين الموجة الأخيرة من التفجيرات الانتحارية الفلسطينية .

٤- يدين الدعم المتواصل الذي يوفّره ياسر عرفات وغيره من أعضاء القيادة الفلسطينية للإرهاب .

٥- يطالب السلطة الفلسطينية بأن تفي أخيراً بالتزامها تفكيك البنية التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية ، بما في ذلك أي بنية تحتية كهذه مرتبطة بكيانات منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية المرتبطة مباشرة بياسر عرفات .

٦- يبدي قلقاً بالغاً من أن أعمال عرفات ليست أعمال شريك مقبول للسلام .

٧- يحض كل الدول العربية على إعلان معارضتها القاطعة لكل

أشكال الإرهاب بما فيها التفجيرات الانتحارية .

٨- يثني على قيادة الرئيس في معالجة النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني وخصوصاً جهود الإدارة في إشراك الدول في كل أنحاء المنطقة في إدانة الإرهاب ومنعه وكذلك منع توسّع النزاع .

٩- يحض جميع الأطراف في المنطقة على بذل جهود كبيرة لتحقيق سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط .

١٠- يشجّع المجتمع الدولي على اتخاذ إجراء لتوفير الحاجات الإنسانية للشعب الفلسطيني» .



رغم نزيف التضحيات البشرية والمعاناة الفظيعة التي لم يمر بها شعب مماثل في التاريخ الآن مخطط الحكومة [illegible] الأمر

تضامن «الكونغرس» مع إسرائيل

أقرّ الكونغرس الأميركي بأغلبية كاسحة قرارات تعبّر عن التضامن مع إسرائيل على الرغم من مخاوف حكومة الرئيس جورج بوش من أن تتعارض هذه القرارات مع مساعي السلام في الشرق الأوسط .

وهنا نصّ قرار مجلس الشيوخ الأميركي الرقم ٢٤٧ الذي كان قدّمه السناتور الديمقراطي عن كونيتيكت جوزف ليبرمان وأقرّ في الثاني من أيار (مايو) ٢٠٠٢ بغالبية ٩٤ صوتاً في مقابل صوتين فقط :

«معبّراً عن التضامن مع إسرائيل في حربها على الإرهاب ، وحيث إن الولايات المتحدة وإسرائيل تخوضان الآن نضالاً مشتركاً ضد الإرهاب ، وهما في الخطوط الأمامية لنزاع أُقحمتا فيه غصباً عنهما ،

وحيث إن الرئيس جورج بوش أعلن في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر)

٢٠٠١ : «إننا نحارب الإرهابيين ونحارب جميع الذين يساعدونهم . لأميركا رسالة إلى أمم العالم : إذا كنتم تؤوون إرهابيين فأنتم إرهابيون . . . إذا كنت تدرّب أو تسلّح إرهابياً فأنت إرهابي . إذا كنت تطعم إرهابياً أو تموّل إرهابياً فأنت إرهابي ، وستكون مسؤولاً أمام الولايات المتحدة وأصدقائها» .

وحيث إن الولايات المتحدة التزمت توفير المصادر لدول المواجهة في الحرب على الإرهاب ، لذا يتقرّر أن مجلس الشيوخ :

١- يقف متضامناً مع إسرائيل ، وهي دولة مواجهة في الحرب على الإرهاب ، في ما تتخذ من خطوات ضرورية لتوفير الأمن لشعبها من طريق تفكيك البنية التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية .

٢- يبقى ملتزماً حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها .

٣- يواصل مساعدة إسرائيل في تقوية دفاعاتها الوطنية .

٤- يدين التفجيرات الانتحارية الفلسطينية .

٥- يطالب السلطة الفلسطينية بأن تفي بالتزاماتها تفكيك البنية التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية .

٦- يحضّ كل الدول العربية ، وخصوصاً حلفاء الولايات المتحدة ، مصر والعربية السعودية ، على إعلان المعارضة القاطعة لكل أشكال الإرهاب ولا سيما منها التفجيرات الانتحارية ، وعلى العمل بالتنسيق مع الولايات المتحدة لوقف العنف .

٧- يحضّ جميع الأطراف في المنطقة على بذل جهود كبيرة للتوصّل إلى سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط» .

اللوبي الإسرائيلي والصحف الأميركية

كالت المنظمات اليهودية والمجموعات المؤيدة لإسرائيل في الولايات المتحدة العديد من التهم للصحف خلال سير المعارك بالانحياز في التغطية الصحافية للأحداث في الشرق الأوسط .

ففي لوس أنجليس أوقف ألف شخص اشتراكاتهم في صحيفة «لوس أنجليس تايمز» لمدة يوم احتجاجاً على ما اعتبروه «تغطية غير دقيقة منحازة إلى الجانب الفلسطيني» . وفي نيويورك ناشد الكثير من أعضاء الجالية اليهودية القراء بمقاطعة صحيفة «نيويورك تايمز» . أمّا في مينابوليس ، فقد اشترت منظمة تدعى «سكان مينيسوتا المناهضون للإرهاب» صفحة كاملة في صحيفة «ستار تريبيون» اتهمت عبرها الصحيفة برفض إطلاق تسمية «إرهابي» على الانتحاريين الفلسطينيين .

وقال مايكل غيتلار ،محقق الشكاوى في صحيفة «واشنطن بوست» إنه ظل يتسلّم خلال الأيام الأخيرة ما يزيد على مائة مكالمة ورسالة بريد إليكتروني في اليوم يتهم معظمها الصحيفة بإجراء تغطية منحازة إلى الفلسطينيين ومناوئة لإسرائيل . أمّا نيد ووريك ، محرر الشؤون الخارجية بصحيفة «فيلادلفيا إنكوايرار» ، فقد ذكر أن الصحيفة تعرضت خلال أحداث الضفة لـ«سيل من الانتقادات» من الجالية اليهودية المحلية ، وقال إنه ظل يتسلم ما بين ١٠٠و١٢٠ رسالة بريد إليكتروني يومياً في ما يبدو أنه حملة دقيقة الترتيب ومتواصلة .

رؤساء التحرير نفوا من جانبهم تهم الانحياز التي وُجهت إلى صحفهم ، كما أن العديد منهم التقى أعضاء في الجالية اليهودية لمناقشة هذا الأمر ، وقالوا إن المراسلين والمحررين يدركون تماماً حساسية الوضع في الشرق الأوسط ، مؤكدين على أنّ صحفهم تبذل كل جهد ممكن لالتزام جانب الإنصاف وعدم الانحياز إلى جهة بعينها في تغطية الأحداث .

وقال تيموثي ماكنولتي ، مسؤول الأخبار الخارجية بصحيفة «شيكاغو تريبيون» إنهم «ليسوا معصومين عن الخطأ لكنهم بالتأكيد غير منحازين ، وأشار إلى أن أي صحيفة يمكن أن تخطئ مؤكداً أن الأخطاء لا تتم عن سوء نية وليست نتاج انحياز من أي شكل» .

وكانت عدة صحف ارتكبت بعض الأخطاء سواء أكان ذلك عن إهمال أو بصورة متعمدة ، ممّا عزز الاعتقاد لدى أفراد الجالية اليهودية في أن التغطية الصحافية للأحداث منحازة ضد إسرائيل وميّالة بالتالي إلى الجانب الفلسطيني . وعندما غابت صحيفتا «لوس أنجليس تايمز» و«سان فرانسيسكو كرونيكيل» عن تغطية لندوات عامة أقامتها الجالية اليهودية في لوس أنجليس وسان فرانسيسكو أدى ذلك إلى شجب الصحيفتين بعنف من جانب قادة الجالية اليهودية . وقال مسؤولون في «مينابوليس ستار تريبيون»

إن القرار الخاص بوقف استخدام كلمتي «الإرهاب» و«الإرهابيين» في تقرير أوردته خدمة «نيويورك تايمز» جاء من جانب محرر «أخطأ تفسير» سياسة الصحيفة بالتعامل بـ«حرص زائد» إزاء استخدام هاتين الكلمتين . وأوضح بن تيلور ، نائب رئيس قسم الاتصالات بالصحيفة ، إن المحرر لم يفهم تماماً هذه السياسة ولم يعها . كما تعرّضت للانتقادات صحف أخرى بسبب سياسات تتعلق باستخدام هذه اللغة . تنص سياسة «شيكاغو تريبيون» على «التعامل بحذر» عند استخدام كلمة «إرهابي» و«إرهاب» لوصف عمل أو حادثة ، كما تنص سياسة الصحيفة كذلك على الامتناع عن استخدام صفة إرهابي لوصف فرد أو مجموعة . وأضاف ماكنولتي أنّ سياسة الصحيفة نابعة في الأساس من «الحرص على التزام جانب الدقة وتجنب التصنيف» ، بيد أن زعماء الجالية اليهودية يصرون على أن الهجمات الانتحارية أعمال إرهابية وأن أعضاء حركة «حماس» و«الجهاد الإسلامي» ،و«حزب الله» ومنظمة «القاعدة» إرهابيون .

ويرى لويس غيلفاند ، من صحيفة «ستار تريبيون» أن معظم الانتقادات التي وُجهت إلى الصحيفة بسبب تغطية أحداث الضفة الغربية تذكره بالانتقادات التي سمعها حول تغطية المسائل المتعلقة بالإجهاض . فالكثير من الجوانب ، كما يقول غليفاند ، يتعلق باللغة ، إذ إنّ المؤيدين والمناهضين للإجهاض يشعرون بالغضب عند استخدام تعبيري «حق الحياة» و«حق الاختيار» في إشارة إلى حق الجنين في الحياة وحق الحامل في إجهاض حملها . وفي هذا الصدد يحتج مؤيدو إسرائيل في الوقت الراهن من أن الصحف تشير أحياناً إلى الفلسطينيين باستخدام كلمة «مقاتلين» أو «مناضلين» أو «محاربين» ويطالبون بوصفهم بـ«الإرهابيين» ، كما يشكو هؤلاء أيضاً من أن الصحف تشير إلى الضفة الغربية بـ«الاراضي المحتلة» بدلاً من «الأراضي المتنازع عليها» .

الجالية العربية الأميركية ومؤيدو الجانب الفلسطيني يتخذون موقفاً معاكساً في ما يتعلق بالمصطلحات وتغطية الأحداث بصورة عامة في الشرق الأوسط ، إذ يتهم هؤلاء وسائل الإعلام الأميركية بالانحياز الواضح في التغطيات الصحافية إلى الجانب الإسرائيلي .

أحمد بو زيد ، رئيس «فلسطين ميديا ووتش» بفيلادلفيا ، يعتقد من جانبه أن تغطية وسائل الإعلام الأميركية مضللة وغير دقيقة في عكس المعاناة الحقيقية للشعب الفلسطيني ، ويعزو بعض المؤيدين للجانب الفلسطيني هذه التغطية إلى السيطرة اليهودية على الكثير من وسائل الإعلام الرئيسية في الولايات المتحدة ، كما يعزونه كذلك إلى ما يعتبرونه رغبة من طرف وسائل الإعلام هذه في اتخاذ موقف ينسجم مع السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية المؤيدة عادة لإسرائيل .

رؤساء تحرير ومسؤولو الصحف نفوا هذه التهم أيضاً . إلا أن المنتقدين يرون أن الصحف كثيراً ما فشلت في فعل ما ينبغي فعله ، أي وضع أحداث مثل الهجوم الإسرائيلي في سياقه التاريخي المناسب . كما يرى ناقدون آخرون أن وسائل الإعلام قد خصصت لمعاناة ضحايا الهجوم الإسرائيلي والناجين منه اهتماماً أكبر مما خصصته لضحايا الهجمات الانتحارية الفلسطينية والناجين منها .

كتب مراقب الشكاوى بصحيفة «واشنطن بوست» في أحد الأعمدة بعددها الصادر يوم ٧ أبريل (نيسان) ٢٠٠٢ أن الصحيفة نشرت تقارير قوية حول معاناة الفلسطينيين من الهجوم الإسرائيلي ، بيد أن اهتمام الصحيفة بتغطية آثار الهجمات الانتحارية على الأسر الإسرائيلية والمجتمع كان أقل حجماً طبقاً لما ذكر . ومن جهته قال ليونارد داوني ، المدير الإداري في صحيفة «واشنطن بوست» إنّ عدم التوازن في تغطية الأحداث على الجانبين ليست مسألة متعمدة ، وإنما نتيجة لعمل الكثير من مراسلي الصحيفة في

تغطية الأعمال العسكرية في الشرق الأوسط ، وفي محاولة لمعالجة القصور في هذا الجانب أرسلت الصحيفة مراسلها غلين فرانكيل إلى إسرائيل ونشرت تقريرين أخباريين في الصفحة الأولى حول آثار الهجمات الانتحارية هناك . رغم ذلك لا تزال الانتقادات الموجهة إلى «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز» مستمرة بل وزادت حدة بفعل حدة الانفعالات والمشاعر لدى الجانبين .

يقول ويليام سيوانسون ، مساعد مدير التحرير والمحقق في الشكاوى بصحيفة «فيلادلفيا إنكوايارار» إن الشكاوى زادت خلال الفترة الأخيرة ، وأشار إلى أنه جاء إلى مكتبه ولم يستطع مزاولة أي عمل سوى الرد على المكالمات ورسائل البريد الإليكتروني ، التي هاجم مرسلوها الصحيفة على ما اعتبروه انحيازاً وتحاملاً منها ، بسبب نشرها تقريراً في الصفحة الأولى حول جنود إسرائيليين أشارت اتهامات إلى أنهم خربوا مركزاً ثقافياً في مدينة رام الله . وكانت الصحيفة قد تحدثت إلى مديرة المركز التي أوضحت أن ما تعرض له المركز من قبل الجنود الإسرائيليين لم يكن عملية أمنية ، بل تخريباً متعمّداً كجزء من رغبة متعمدة في تخريب وتدمير كل ما هو فلسطيني ، كما قدّرت مديرة المركز تكلفة صيانة التخريب والأضرار التي ألحقت به بحوالى ٥٠٠٠ دولار أميركي . أثار هذا التقرير احتجاج غيورا بيشر ، قنصل إسرائيل العام في فيلادلفيا ، التي شكت من «أن هناك حرباً دائرة ورغم ذلك تنشر الصحيفة على الصفحة الأولى تقريراً عن حدوث أضرار تكلف صيانتها ٥٠٠٠ دولار» .

ويعزو محرر الشؤون الخارجية بالصحيفة بعض الانتقادات الصادرة عن الجالية اليهودية الأميركية إلى «الفهم الخاص بهم لما يدور في الضفة الغربية» وإدراكاً منهم «لخسارة إسرائيل في ساحة الرأي العام العالمي» . ويضيف ووريك أن الأميركيين اليهود الموالين لإسرائيل «يشعرون بأنهم

عاجزون عن فعل شيء إزاء ما يجري هناك ، وبالتالي ليس أمامهم سوى محاولة التأثير في الصحيفة المحلية» ، وهذا ما يحاولون فعله الآن ، طبقاً لقوله . ويقول صحافيون آخرون إن سرعة اتساع دائرة استخدام البريد الإليكتروني وشبكة الإنترنت لهما دور كبير في تزايد انتقاد اليهود لتغطية وسائل الإعلام . يقول دان هورتش ، من صحيفة «بورتلاند أوريجون» ، إن القراء يتلقون الأخبار مباشرة من الأصدقاء والأقارب في إسرائيل والأراضي المحتلة حول ما يحدث هناك عبر البريد الإليكتروني قبل وصول «لوس أنجليس تايمز» أو «نيويورك تايمز» أو «سي إن إن» لموقع الحدث لتأكيد أي شيء ، وفي الوقت نفسه يريد هؤلاء ، كما يقول هورتش ، معرفة السبب في عدم نشر الصحيفة لهذا الحدث . ويقول ساندرز لامونت ، المحقق في الشكاوى بصحيفة «سكرامنتو» إنه يلاحظ المزيد من الحدة والاستقطاب في شكاوى القراء ، وأضاف أن الفرق يكمن في أن بعض ممن يحملون مشاعر قوية وجدوا على شبكة الإنترنت مواقع لصحف في أوروبا وإسرائيل ومصادر أخرى تتفق ومواقفهم بصورة عامة . ويضيف لامونت أن هؤلاء ربما يتساءلون عن السبب في عدم نشر صحيفته لتقرير نشرته «هآرتس» الإسرائيلية حول ما يرتكبه الفلسطينيون من أحداث في تل أبيب ، مشيراً إلى أن هؤلاء على قناعة بصحة موقفهم .

اليمين الأميركي يضغط على بوش لصالح سياسات إسرائيل

في الوقت الذي تبحث فيه إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش عن سياسة شرق أوسطية واضحة ومنسجمة ، فإن عدداً من الأصوات المحافظة قد ارتفعت منادية بأن لا تقحم الإدارة نفسها في محادثات للسلام ، على الأقل في الوقت الحالي . وتحثّ هذه الأصوات الرئيس بوش على إعطاء إسرائيل الحرية كاملة في التعامل عسكرياً مع الهجمات الانتحارية الفلسطينية . وفي سلسلة من المقالات استخدم مفكرون محافظون من أمثال وليام كريستول ووليام بينيت ووسائل إعلام محافظة ونافذة مثل «وول ستريت جورنال» و«ناشيونال ريفيو» عبارات مثل «ساعة الهواة» و«الاضطراب الأخلاقي» و«التمني الكلينتوني» ، لوصف المبادرات الأخيرة من قبل الإدارة لإحياء عملية السلام المترنحة في الشرق الأوسط .

وتناقض هذه الانتقادات الاتهامات التي كالها كثير من الديمقراطيين لبوش بأنه لم يعمل كل ما كان باستطاعته عمله من أجل تشجيع الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني وحملهما على الجلوس إلى مائدة المفاوضات . إذ يقول المحافظون إن عقد محادثات للسلام في هذه الأجواء يعتبر بمثابة «مكافأة للفلسطينيين على الإرهاب» ويؤدي في الوقت نفسه إلى عرقلة استراتيجية بوش حول معاقبة الدول التي تشجع وتؤوي الإرهاب . وقال كريستول ، محرر المجلة الأسبوعية «ستاندرد» ، وهي من كبريات المجلات المحافظة «هناك تناقض جوهري بين الحرب لمكافحة الإرهاب وعملية السلام إذا كانت عملية السلام تعني التفاوض مع الإرهابيين» .

لكن انتقادات المحافظين خفّت نوعاً ما بعد أن أدان بوش رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ، وقال إنه «يتفهّم » الأسباب التي حدت بإسرائيل تنفيذ هجومها الحالي على الضفة الغربية . وقلّل المسؤولون في إدارة بوش من قيمة الهجوم المحافظ ، وقالوا إنه مجرد محاولة من قبل أصحابه لاحتلال بعض المواقع الهامشية . وقال مسؤول كبير في البيت الأبيض «إنني أشاهد بعض الزوابع الصغيرة ، ولكنني لا أرى لها قيمة تذكر» . لكن الانتقادات الحادة من قبل المحافظين لجهود الإدارة ، وخصوصا زيارة نائب الرئيس ريتشارد تشيني للمنطقة ، تشير إلى أن الإدارة ستواجه ضغوطاً متزايدة مع ارتفاع حدة المواجهات ، ترمي إلى حمل الإدارة على قبول خطة رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون . وقال ستيفن سبيغل ، المدير المساعد لمركز العلاقات الدولية بجامعة كاليفورنيا «من الصعب على بوش أن يضغط على إسرائيل بالطريقة الكلاسيكية التي كان والده يضغط بها عليها» .

والواقع أن الخطاب الأميركي العام قد مال ناحية اليمين في ما يتعلق بقضية الشرق الأوسط ، وخصوصاً منذ انهيار مفاوضات كامب ديفيد

برعاية الرئيس السابق بيل كلينتون ٢٠٠٠ . وقد أدت الهجمات الانتحارية الفلسيطنية إلى تعزيز مواقع أولئك الذين ظلوا يدعون إلى الحلول العنيفة داخل إسرائيل . وقد حدث الشيء نفسه في الولايات المتحدة ،إذ ضاق هامش الخلاف حول كيفية مواجهة القضية الفلسطينية بين كل ألوان الطيف السياسي ، وخصوصاً إذا قورن الموقف الأميركي بشكل عام بالدعوة التي صدرت عن الاتحاد الأوروبي وطالبت إسرائيل بالانسحاب الفوري من الأراضي الفلسطينية . ومع ذلك لا تزال هناك بعض خلافات ثانوية لا يمكن التقليل من شأنها . فمع أن أغلب الديمقراطيين ردّدوا كلمات بوش التي قالت إن الهجوم الإسرائيلي يعتبر دفاعاً مشروعاً عن النفس ، إلاّ أنهم قالوا إن بوش ارتكب خطأ عندما خفف من درجة التدخل الأميركي في المنطقة ، ولم يبذل مجهوداً كافياً لدفع الطرفين إلى مائدة المفاوضات . وحتى السناتور الديمقراطي جوزيف ليبرمان ، وهو من الصقور المعروفين في الحزب الديمقراطي ، قال في مقابلة مع محطة «سي إن إن» «إنّ على بوش أن يعقد مؤتمراً عالمياً بين إسرائيل والعالم العربي لمناقشة «رؤية السلام» التي أجازتها القمة العربية في بيروت» .

لكن مثل هذا النشاط الدبلوماسي المكثف هو بالضبط ما يحاول الجمهوريون ثني بوش عن التورط فيه . فقد انهالت حجارة اليمين على رأس تشيني عندما قال في أثناء جولته في الشرق الأوسط ، التي كان الهدف منها ضمان التأييد العربي لضربة توجهها أميركا إلى العراق ، إنه من المحتمل أن يجتمع مع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات .

ولم يتردد المحافظون في التعبير عن عدم ارتياحهم لتشجيع بوش للمبادرة العربية للسلام . وقال هؤلاء إن أية محادثات جادة للسلام لا يمكن أن تحدث إلا بعد حملة عسكرية إسرائيلية ناجحة . وقال بينيت ، وزير التعليم في إدارة رونالد ريغان وأحد قادة المحافظين «لا أعتقد أن الوقت مناسب لعقد محادثات للسلام حالياً . يجب أن تخاض الحرب ضد

الإرهاب أولاً . وبعد أن تكون تلك الحرب قد انتهت يمكن للولايات المتحدة أن تلعب دوراً أساسياً في عملية السلام» .

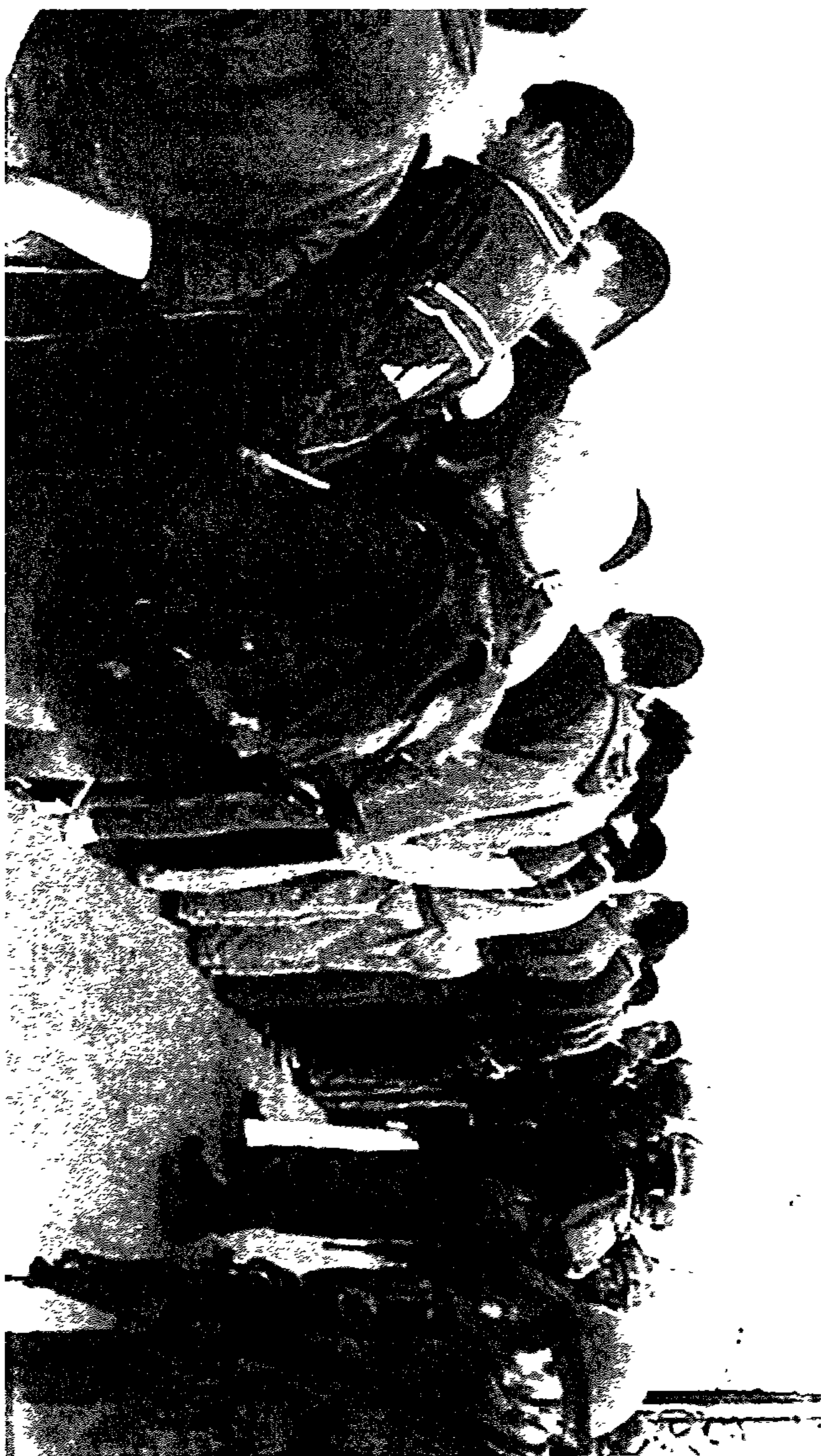
ويقول آخرون إن السلام لن يتحقق في الشرق الأسط إلاّ إذا أوضحت الولايات المتحدة جديتها في محاربة الإرهاب لكل العرب وذلك بإسقاط (الرئيس العراقي) صدام حسين . وجاء في الكلمة الافتتاحية لـ«وول ستريت جورنال» : «الطريق إلى الهدوء في الشرق الأوسط لا يمر من خلال القدس ، بل يمر من خلال بغداد» . فخلال العقود الأولى من وجود إسرائيل كان الحزب الجمهوري أقل تأييداً لإسرائيل من الديمقراطيين ، كان أكثر اهتماماً بالمصالح الأميركية ، الاقتصادية والسياسية ، في العالم العربي . وقال سبيغل «الموقف الجمهوري الكلاسيكي ، منهج دوايت أيزنهاور ، كان هو أننا ملزمون بالدفاع عن إسرائيل ، ولكن مصالحنا ، ودعونا نعترف بذلك ، تدفعنا إلى جانب العرب ، وذلك في ما يتعلق بالعداء للشيوعية والنفط» .

هذه التوجهات الجمهورية بدأت في التغير في الثمانينات في عهد ريغان الذي انحاز إلى جانب إسرائيل أكثر ممّا فعل أي رئيس جمهوري قبله . وكان ريغان متأثراً بآراء من يسمون أنفسهم بالمحافظين الجدد ، وهم في الغالب من المفكرين اليهود ومن الديمقراطيين السابقين ، الذين كانوا يرون أن «هناك التزاماً أخلاقيّاً يجبر الولايات المتحدة على مساعدة دولة ديمقراطية صديقة» .

موقف جورج بوش الأب من إسرائيل كان بمثابة انقطاع مؤقت في الموقف المنحاز لإسرائيل الذي بدأه ريغان . وقد كان موقف بوش الأب بمثابة عودة إلى مواقف أيزنهاور ، وخصوصاً مواقف وزير الخارجية حينها جيمس بيكر ، الذي كان يدخل في منازعات كثيرة مع إسرائيل ، واتخذ مواقف اعتبرها مؤيدو إسرائيل مواقف مؤيدة للعرب . لكن إسرائيل استفادت خلال الثمانينات والتسعينات من تعزز مواقف اليمين المسيحي الإنجيليكاني

داخل الحزب الجمهوري . وبالنسبة إلى هؤلاء فإن تأييد إسرائيل مسألة يأمر بها الإنجيل نفسه . وعلى سبيل المثال ، قال السناتور جيمس إنهوفي ، وهو من عتاة من يسمون بـ«المحافظين الاجتماعيين» ، إن على إسرائيل أن تحتفظ بالأراضي الفلسطينية لأن «الله أمر بذلك . انظر الإنجيل ، سفر التكوين» .

وقد تصاعد التأييد الجمهوري لإسرائيل مع انتخاب الإسرائيليين لحكومات محافظة ومع تصاعد الهجمات الفلسطينية التي قلّلت كثيراً من التعاطف الأميركي مع الفلسطينيين .



أعضاء الكونغرس وأموال المؤيدين لإسرائيل

بلغت قيمة مساهمات لجان العمل السياسي المؤيدة لإسرائيل في انتخابات الكونغرس دورة (١٩٩٩-٢٠٠٠) ٢,٠٤٤,٦٠٦ دولارات .

بلغت قيمة مساهمات لجان العمل السياسي لمرشحي الكونغرس بين (١٩٧٨و٢٠٠٠) ٣٤,٦٠٧,١٨٢ دولاراً . بلغ عدد المرشحين لانتخابات الكونغرس الذين استفادوا من هذه المساهمات بين (١٩٧٨ - ٢٠٠٠) ١٧٣٢مرشحاً .

وهنا نماذج من مساهمات تلقّاها أعضاء في الكونغرس من تلك اللجان ، تشمل التعريف بهم وباللجان التي تضمّهم في الكونغرس ، والمبلغ الذي تلقّوه في الدورة الانتخابية الأخيرة ، ومجموع المبالغ التي تلقّوها منذ ١٩٧٨ ، أي تاريخ بدء العمل بهذه اللجان المؤيدة لإسرائيل ،

وقد يعني أيضاً مجمل ما تلقّوه منها . والنماذج مستقاة من تقرير أعدته مجلة «واشنطن ريبورت فور ميدل إيست أفيرز» يتناول ما تلقّاه ٢٣٩عضواً في الكونغرس :

-ديان فينشتاين ، ديموقراطية من كاليفورنيا في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة الاعتمادات ، حصلت عام ٢٠٠٠على ٣٢,٢٥٠دولاراً ومنذ ١٩٨٧على ١١٢,٨٤٢دولاراً .

-طوم لانتوس ، ديموقراطي من كاليفورنيا في مجلس النواب ، عضو في لجنة العلاقات الدولية ، حصل عام ٢٠٠٠على ١٢,٢٥٠دولاراً ومنذ ١٩٧٨ على ٦٨,٦٥٠دولاراً .

-كريستوفر دود ، ديموقراطي من كونيتيكت في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة العلاقات الخارجية ، حصل عام ٢٠٠٠على ألف دولار ومنذ ١٩٨٧ على ١٨٢,٩٢٨دولاراً .

-جوزف ليبرمان ، ديموقراطي من كونيتيكت في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة القوات المسلحة ، حصل عام ٢٠٠٠على ٨٦ ألف دولار ومنذ ١٩٧٨ على ٢٢٦,٥٠٨دولارات .

-سام غيدنسون ، ديموقراطي من كونيتيكت في مجلس النواب ، عضو في لجنة الاعتمادات ، حصل عام ٢٠٠٠ على ٢٩,٥٠٠دولار ومنذ ١٩٧٨ على ٣٣٥,٦٠١دولار .

-ريتشارد دوربن ، ديموقراطي من إيلينوير في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة الاعتمادات واللجنة الفرعية للدفاع ، حصل عام ٢٠٠٠على ١٦ ألف دولار ومنذ ١٩٧٨ على ٢٤٥,٦٧١دولاراً .

-توماس هاركن ، ديموقراطي من إيوا في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة الاعتمادات واللجنة الفرعية للدفاع واللجنة الفرعية للعمليات الخارجية ، حصل عام على ٢٠٠٠ ألف دولار ومنذ ١٩٧٨ على

٨٩٥, ٤٢٣دولاراً .

-ميتش ماكسونيل ، جمهوري من كنتاكي في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة الاعتمادات واللجنة الفرعية للدفاع واللجنة الفرعية للعمليات الخارجية ، حصل عام ٢٠٠٠على ٣ آلاف دولار ومنذ ١٩٧٨ على ٤٢٥ , ٢٨٥دولاراً .

-بول ساربانس ، ديموقراطي من ميريلاند في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة العلاقات الخارجية ، حصل عام ٢٠٠٠على ٢٥٠ , ٤٨دولاراً ومنذ ١٩٧٨على ٩٦٣ , ١٥٩دولاراً .

-كارل ليفين ، ديموقراطي من ميتشيغن في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة القوات المسلحة ولجنة الاستخبارات ، حصل عام ٢٠٠٠على ٥٠٠ , ١دولار ومنذ ١٩٧٨على ٨٥٨ , ٥٦٤دولاراً .

-كونراد بيرنز ، جمهوري من مونتانا في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة الاعتمادات حصل عام ٢٠٠٠ على ٩٦٠ , ٥٢دولاراً ومنذ ١٩٧٨على ٠١٠ , ١٦٥دولارات .

-روبرت توريشيلي ، ديموقراطي من نيوجيرزي في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة العلاقات الخارجية ، حصل عام ٢٠٠٠على ٥ آلاف دولار ومنذ ١٩٧٨على ٦٥٢ , ١٢٥دولاراً .

-جيف بنغامان ، ديموقراطي من نيومكسيكو في مجلس الشيوخ ، عضو في لجنة القوات المسلحة ، حصل عام ٢٠٠٠ على ٥٠٠ , ٣٢دولار ومنذ ١٩٧٨على ٤٢٥ , ٢٦١دولاراً .



شارون وكولن باول

شارون في البيت الأبيض باقتراح أسود

كان رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون قد أعلن أنه سيقدم خطة سلام جديدة واقتراحاً أمنياً لإقامة منطقة عازلة بين إسرائيل والضفة الغربية حينما يلتقي الرئيس الأميركي جورج بوش في واشنطن، كما قال إنه لا يضمن إمكان عودة رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات إلى الأراضي المحتلة في حال توجّه إلى الخارج.

تصريحات شارون جاءت في مقابلة مع شبكة «أيه. بي. سي» التلفزيونية الأميركية، حيث قال «سأقدم خطة.. خطة جادة لعلّها أكثر الخطط التي قدمت حتى الآن جدية عن كيفية التوصل إلى السلام في الشرق الأوسط، كيفية التوصل إلى السلام بيننا وبين الفلسطينيين».

وكشف شارون أنه يعتزم إنشاء منطقة عازلة حول إسرائيل لمنع «تسلّل الإرهابيين إلى قلب البلاد» . واعترف بأن خطته ستكون باهظة التكاليف ، وأوضح أنه سيطلب مساعدة مالية من الولايات المتحدة . وقال : «لا بد أن تثير المسألة من أجل بنائها وإذا تمّ بناؤها فسوف تكون مفيدة» .

وأورد شارون تفاصيل خطة تدعو إلى نشر قوات في جزء من الضفة الغربية ، مع إقامة سياجات وخنادق على الحدود وبوابات أمنية على معابر المركبات .

وسئل شارون عن تقرير في صحيفة «نيويورك تايمز» أشار إلى أن بوش سيطلب منه مرة أخرى تأكيدات أن كل القوات الإسرائيلية سيتم سحبها من الضفة الغربية وغزة ، فردّ بقوله «أعتقد أنه سوف يتعيّن مناقشة ذلك» .

ورداً على سؤال حول ما إذا كان سيسمح لعرفات بالعودة إلى الضفة في حال توجّه إلى الخارج ، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي لشبكة «أي . بي . سي» «لا نعطي أي ضمانة من أجل ذلك» . وأضاف «لم يُطلب منا إعطاء ضمانات ولن نعطي ضمانات لأنه عادة في الماضي عندما كان يتوجه إلى الخارج كان الأمر دائماً إشارة لموجة من الإرهاب» .

وبالنسبة إلى الأحداث التي وقعت في مخيم جنين قال شارون «لا أعتقد أن إسرائيل يجب أن تحاكم من قبل العالم» .

وتابع شارون أن عرفات قد لا يُسمح له بالعودة في حال حصلت «أعمال إرهابية» ضد إسرائيل خلال فترة غيابه . وقال «في حال حصلت موجة من الإرهاب وفي حال جاب العالم من أجل التحريض فسوف ندرس عندها (الوضع) ونبحث ما سوف نقوم به» .

وأعرب عن أسفه «للادعاءات» التي تؤكد أن إسرائيل تحاول أن تخفي مجزرة بحق المدنيين بعد رفضها استقبال فريق من الأمم المتحدة

للتحقيق بالوقائع التي حصلت خلال العمليات العسكرية الإسرائيلية في مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين .

في غضون ذلك ، أعلن البيت الأبيض أن احتمال عقد قمة مخصّصة للوضع في الشرق الأوسط «سابق لأوانه» مؤكداً تنسيق الجهود مع السعودية لإنهاء الأزمة الإسرائيلية - الفلسطينية .

وصرح الناطق باسم البيت الأبيض آري فلايشر «أن أي شيء من هذا القبيل سابق لأوانه» . وقال «لا يزال هناك الكثير من العمل على الأرض في الشرق الأوسط وعلى مستويات عدة قبل أن يصل الأمر إلى مستوى قمة» .

وقال فلايشر إن الولايات المتحدة تأمل في دفع «عملية إحلال السلام في المنطقة» قدماً حينما يجتمع بوش في واشنطن مع شارون الذي أغضب الإدارة الأميركية برفضه تنفيذ دعوتها لانسحاب عاجل وشامل من المناطق الفلسطينية .

وأكد فلايشر تنسيق الجهود مع السعودية لحل الأزمة بين الإسرائيليين والفلسطينيين ، لكنه نفى أنباء نشرتها صحيفة «نيويورك تايمز» بأن بوش والأمير عبد الله اتفقا على «تقسيم العمل» ، بحيث يضغط المسؤولون الأميركيون على شارون لكسر سيكولوجية العنف ، فيما يفعل العرب الشيء نفسه مع عرفات في اجتماع ربما يعقد في القاهرة .

بدأت الفضائح في وجه لارسن
بعد تصريحاته عن جنين



إسرائيل..
دولة الإرهاب والعدوان الدائم

سيطر مفهوم الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني والعرب على التفكير الديني والسياسي والعسكري للأحزاب والحكومة والحاخامات والمجتمع الإسرائيلي. وتعود جذور الإبادة الجماعية للفلسطينيين والعرب إلى الفكر والممارسة في التاريخ اليهودي. ويشمل مفهوم الإبادة الجماعية ارتكاب المجازر الجماعية والحروب العدوانية وتدمير القرى والمدن والمنجزات العربية واتباع سياسة الأرض المحروقة، ومصادرة الأراضي وتهويدها، واتباع سياسة التصفيات الجسدية بأحدث آلات الحرب الأميركية.



إسرائيل..
تاريخ دام

ربما لم يعان شعب من مأساة حقيقية وقاسية كالتي عاناها ويعانيها الشعب العربي الفلسطيني في عصرنا الراهن ، فالإنسان يمكن أن يحرم من أشياء كثيرة غالية عليه في حياته ، ولكنه يبقى محتفظاً بالأهم والأغلى والأقدس ، وهو أرض الوطن ، الذي ترعرع فيه أجداده وأسلافه ، وحيث نطق أول كلماته بلغته الأم ؛ فحب الوطن هو السمة الرئيسية والطبيعية للإنسان ، ولكن عندما يفقد أي شخص أو أي شعب وطنه ، فإنها مأساة لا تقارن بها أية مصيبة أخرى على الإطلاق ، وهذا هو حال الشعب العربي الفلسطيني الذي سلبت أرض وطنه على يد الصهيونية منذ خمسين عاماً خلت . ولم تكتف الصهيونية باغتصاب فلسطين بل طردت شعبها العربي

وشردته من دياره ، وهذه الحالة لم يتعرض لها أي شعب من الشعوب في التاريخ الإنساني ، فقد تعاني شعوب وتمارس عليها أقسى أنواع الظلم والعنصرية والعبودية ، ولكنها تبقى فوق أرضها الوطنية ، وإن تشريد وطرد شعب فلسطين لم يلغ حقه المقدس في أرض وطنه ، وحقه في العودة إلى تراب وطنه وتقرير مصيره وإقامة دولته الوطنية الفلسطينية المستقلة ، رغم أن الصهاينة في الكيان الإسرائيلي ينكرون هذا الحق مستخدمين بذلك مختلف الأساليب العنصرية وحتى الفاشية .

فالشعب الفلسطيني ما زال يقاتل بالكلمة والبندقية ، مؤكداً بذلك أن حقوقه المشروعة العادلة لا تستطيع لا الصهيونية ولا أية قوة استعمارية أخرى طمسها أو إلغاءها ، لأن جذوره مغروسة عميقاً في حقول البرتقال والليمون وبساتين وحدائق فلسطين ، وفي الأماكن المقدسة وفي الأرض الطيبة ، التي لم تتمكن الصهيونية من إلغاء هويتها الوطنية الفلسطينية وهويتها القومية العربية ، ومن غير الممكن أن يستقر الوضع في الشرق الأوسط ويعود الهدوء والأمن إليه إلا بعد إيجاد حل عادل وشامل يضمن استعادة الأرض المغتصبة لسكانها العرب الأصليين ، وبذلك فقط يمكن إطفاء أخطر بؤرة للتوتر في العالم .

إن مأساة اغتصاب فلسطين قصة عمرها خمسون عاماً ، ولكنها بدأت قبل ذلك بكثير ، وتحديداً قبل أكثر من مائة عام ، أي مع ظهور الحركة الصهيونية كحركة منظمة لها برنامجها ومخططاتها التي تقررت في المؤتمر الأول للحركة الصهيونية الذي عقد في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ ، عندما أعلن في ذلك المؤتمر بأن فلسطين هي «أرض الميعاد» وهي المكان الذي يجب أن تحل فيه ما أسموه بالمسألة اليهودية ، من طريق استيطانها وإقامة الكيان الصهيوني فيها ، ومنذ ذلك الوقت بدأت الحركة الصهيونية بالتفتيش عن حليف استعماري دولي يساندها في تحقيق مشروعها

الاستيطاني هذا في فلسطين .

هكذا بدأ المخطط الصهيوني الذي راح يبحث عن حليف يسانده ، فتحالف مع المستعمرين البريطانيين ، الذين نظروا إلى الصهيونية كحركة يمكن أن تكون أداة لهم في ضمان مصالحهم الاستعمارية العالمية ، كون فلسطين تقع في ملتقى «طرق الأمبراطورية» البريطانية ، وهكذا أصبح الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ممكناً في فلسطين فقط بفضل المساعدة والتشجيع الكامل من جانب بريطانيا وغيرها من الدول الاستعمارية .

وعندما رفض العرب مخططات الصهيونية وبدأوا مقاومة المشروع الصهيوني ، حاول منظرو الصهيونية تسويق دعاية مفادها ، أن لدى العرب ميولاً أزلية في معاداة اليهود ، محاولين بذلك إخفاء الأسباب الحقيقية التي أدت إلى بدء الصراع العربي الإسرائيلي ، والذي يكمن تحديداً في استيلاء المستعمرين الصهاينة على فلسطين التي تعود ملكيتها إلى العرب الفلسطينيين منذ بدء التاريخ .

وكان التحالف الصهيوني الإنكليزي قد ترسخ بإعلان وعد بلفور المشؤوم في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ والذي نص على «أن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعطف تجاه إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وسوف تبذل كل ما في وسعها لتسهيل تحقيق هذا الهدف» . وهكذا بدأت الحركة الصهيونية بتنفيذ مشروعها الاستيطاني في فلسطين ، وبما أن عدد اليهود في فلسطين لم يكن كافياً آنذاك ، كان لا بد للحركة الصهيونية وبالتعاون الوثيق مع سلطات الاحتلال البريطانية من جذب يهود العالم للاستيطان في فلسطين ، وكان تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين أول مهمة كبيرة وأساسية من مهام الحركة الصهيونية ، ففي عام ١٩١٨ كان عدد اليهود في فلسطين لا يتجاوز نسبة الـ٢٪ من عدد السكان ، بينما العرب أكثر من ٩٣٪ ، وإذا كان عدد اليهود في فلسطين عام

١٩٢٢ لا يتجاوز الـ٨٠ ألفاً ، فإن هذا العدد بلغ عام ١٩٤٧ نحو ٦٥٠ ألفاً أي ثلث تعداد السكان ، وهؤلاء اليهود ينتمون إلى مختلف دول العالم ولا سيما ألمانيا وأمريكا ودول أوروبا الشرقية وغيرها ، ورغم الخلافات التي ظهرت بين الانتداب البريطاني آنذاك مع الحركة الصهيونية ، إلا أن المملكة المتحدة كانت هي الراعي الأول والحاضن الرئيسي للمشروع الصهيوني في فلسطين ، انطلاقاً من مصالحها الاستراتيجية الاستعمارية ،ولاسيما أن قادة الحركة الصهيونية لم يتركوا مناسبة إلا وأكدوا فيها التزامهم بخدمة المصالح البريطانية عندما يقام الكيان الإسرائيلي ، ففي عام ١٩١٧ صرّح حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية آنذاك ، وهو أول رئيس للكيان الإسرائيلي ، علناً عن استعداد بريطانيا العظمى لتأييد المشروع الصهيوني في فلسطين ، ومما له أهمية في هذا التعاطف البريطاني ، ماذكره وايزمان في تقريره الذي قدمه أمام مؤتمر الصهاينة الإنكليز عندما قال :«إن إنشاء الدولة اليهودية هو مثلنا الأعلى ، والطريق إلى ذلك يمر عبر طائفة من المراحل البنيوية . . وسوف يتمكّن اليهود تحت جناح بريطانيا من التطور وإنشاء جهاز إداري سيتيح لنا إمكانية تنفيذ الخطة الصهيونية ، دون التدخل في شؤون السكان من غير اليهود» ، وذكر وايزمان في خطابه مطمئناً أسياده الإنكليز قائلاً : «إذا وقعت فلسطين في مجال النفوذ البريطاني ، وإذا عملت بريطانيا على استيطان اليهود هناك بوصفها من الممتلكات البريطانية ، فبالإمكان أن يكون لنا هناك خلال ٢٠ أو ٣٠ عاماً ما يصل إلى مليون يهودي أو أكثر ، ومن شأنهم أن يفرضوا حماية فعالة جداً لقناة السويس ، ومن شأن وجود كيان يهودي قوي إلى جوار مصر أن يتحول إلى حاجز فعال ضد أي خطر محتمل من الشمال» .

وعندما احتلت القوات البريطانية فلسطين في أواخر الحرب العالمية

الأولى ، وحصلت على حق الانتداب عليها ، بمؤتمر الحلفاء في سان ريمو ، بدأ الزحف الاستيطاني الصهيوني يسير بقوة أكبر من السابق ، وبدأت تنشأ المنظمات الإرهابية اليهودية ، ومن المعروف أن أول منظمة سرية إرهابية صهيونية هي «الهاغانا» التي وضعت نصب عينيها مهمة تفريغ فلسطين من سكانها الأصليين وتمهيدها للاستعمار الاستيطاني الصهيوني من طريق ممارسة أبشع وأقسى الأساليب الإرهابية الدموية بهدف تخويف العرب وإرغامهم على مغادرة قراهم وديارهم .

وفي عام ١٩٣٥ أنشئت منظمة إرهابية يهودية جديدة أطلق عليها اسم «أرغون تسفاي ليومي» ، والتي انسلخت عنها بعد حين مجموعة «شتيرن غانج» الإرهابية المتطرفة التي أعلنت مباشرة بأن مهمتها الأساسية هي إنشاء دولة يهودية صافية ، وطرد (وإبادة إذا لزم الأمر) العرب من جميع الأراضي التي اعتزم الصهاينة استعمارها .

وعشية الحرب العالمية الثانية ، وتصعيد النشاط الصهيوني العالمي لتنفيذ مخطط قيام دولة يهودية بحتة في فلسطين ، وجدت الصهيونية تعاطفاً من قبل الولايات المتحدة التي كانت قد أيدت وعد بلفور ، واستناداً إلى تصريحات متتالية من قبل رؤساء ومسؤولين أمريكان عبروا فيها عن تعاطفهم مع اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، أخذت المنظمات الصهيونية الدولية تربط مصيرها بالولايات المتحدة الأمريكية ، ففي ربيع عام ١٩٤١ أنشئت في الولايات المتحدة اللجنة السياسية الأمريكية انضم إليها ٢٧٠ شخصية من أعضاء الكونغرس الأمريكي ، وكان من بين مهام هذه اللجنة «تنظيم التأييد المعنوي من جانب أمريكا لإنشاء وطن يهودي قومي في فلسطين» .

وتجلى الدعم الأمريكي لمخططات الصهيونية آنذاك في إدراج بند

خاص بتأييد ما يسمى ببرنامج بيلتيمور (الصادر عن ممثلي الصهاينة الأمريكيين والأوروبيين ويهود فلسطين في نيويورك عام ١٩٤٢) ضمن برامج الحملة الانتخابية لكل من الجمهوريين والديموقراطيين على السواء في عام ١٩٤٤ ، وتضمن البرنامج بنداً خاصاً يطالب الحكومة الإنكليزية بأن تقوم فوراً بإنشاء ائتلاف يهودي في فلسطين كجزء أساسي من النظام الجديد بعد الحرب ، ومنح الوكالة اليهودية حق الرقابة على هجرة اليهود إلى فلسطين وإحلالهم هناك ، ومطالبة الحكومة الإنكليزية بإلغاء بند «الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩» والاعتراف للتشكيلات العسكرية اليهودية بحق الوجود تحت علمها الخاص ، وتحول الصهاينة إلى الاعتماد على الولايات المتحدة ، في أثناء الهجرة اليهودية الكثيفة إلى فلسطين في أعوام ١٩٤٣-١٩٤٦ .

وفي عام ١٩٤٥ وعندما أصبح ترومان رئيساً للولايات المتحدة خلفاً لروزفلت ، لم يخف تعاطفه وتأييده للصهاينة ، فطلب من الحكومة البريطانية السماح لمائة الف يهودي أوروبي من الأشخاص المهاجرين بالإقامة في فلسطين ، وفي العام نفسه ١٩٤٥ ، تم تشكيل لجنة إنكليزية أمريكية مشتركة لبحث المشكلة الفلسطينية ، وتجاهلوا عمداً بأن مثل هذه الخطوة متعارضة مع ميثاق الأمم المتحدة ، ولكن الدولتين لم تأخذا ذلك بعين الاعتبار .

وعندما عرضت قضية فلسطين على الأمم المتحدة في شباط فبراير عام ١٩٤٧ بطلب من الحكومة البريطانية ، قام الصهاينة بأعمال إرهابية وحشية لم يسبق لها مثيل لفظاعتها ، في محاولة منهم لطرد شعب فلسطين ووضع أوسع ما يمكن من المساحات تحت سيطرتهم قبل الإعلان عن قيام كيانهم الصهيوني . . وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ جرى التصويت على مشروع تقسيم فلسطين بغالبية ٣٣صوتاً مقابل ١٢ وامتناع

١٠ عن التصويت وصدر القرار رقم ١٨١/ ١١ .

وبما أن قرار التقسيم ينص على إقامة دولتين عربية ويهودية ، فإن الإعلان عن قيامهما كان مقرراً في وقت واحد ، وهو الأول من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٤٨ ، إلاّ أن الصهاينة بدأوا بممارسة القتل والبطش والإرهاب ، بهدف طرد العرب من تلك المناطق التي كانت مخصصة للكيان الصهيوني بما يتعارض مع قرار التقسيم نفسه ، ولم يقتصر الإرهاب الصهيوني على تلك المناطق وحدها ، بل باشروا بحرب غير معلنة ، إذ قامت عصابات «الهاغانا» بعمليات قتل جماعي ضد السكان العرب العزل في القرى العربية عام ١٩٤٧و١٩٤٨ ، ونفذت عصابات «أرغون» و«شتيرن» ، التي كان يقودها مناحيم بيغن ، المذابح المروعة في دير ياسين التي ذهب ضحيتها ٢٥٤ شخصاً من سكان القرية المسالمة ، وفي نيسان (أبريل) احتلت مفارز «الهاغانا» القسم الغربي من القدس ودخلت غرب الجليل وفرضت سيطرتها على الممر الواصل بين تل أبيب والقدس المحتلة ، وهدفت هذه العصابات من خلال المذابح التي ارتكبتها إلى إثارة الرعب بين العرب ، وأدى ذلك إلى طرد ٢٥٠ ألف عربي من ديارهم قبل الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني .

وشيئاً فشيئاً بدأ الطرد الجماعي للعرب من القرى والمدن العربية وممارسة القتل والمذابح في كل مكان ، وهكذا أعلن في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ عن قيام إسرائيل على أجساد شعب فلسطين وطرد أعداد كبيرة من ديارهم ووطنهم بالقوة إلى البلدان العربية المجاورة ، وما زالت إسرائيل تنتهج الأسلوب الإرهابي نفسه ضد العرب داخل حدود ١٩٤٨ وخارجها لتؤكد الصفة الواقعية لها : دولة الإرهاب والعدوان الدائم .





الإرهاب الصهيوني خلال تاريخ فلسطين

الذين يتعاطفون مع القتلى الإسرائيليين على يد الفلسطينيين ، والذين يتعاطفون مع خطابات الرئيس الأميركي جورج بوش حول هذا الموضوع ، عليهم أن يعودوا بذاكرتهم إلى الوراء لكي يتأكدوا بأن التاريخ الصهيوني حافل بالمجازر والعمليات الإرهابية بحق عرب فلسطين ، ومن هذه المجازر نذكر ما يلي : في ٦ تموز (يوليو) من العام ١٩٣٨ ، انفجرت قنبلة موضوعة في علبة للحليب وضعتها المنظمة الإرهابية الصهيونية في سوق مدينة حيفا ، مما أدى إلى مقتل ٢١ عربياً وجرح ٥٢ شخصاً .

وفي ١٥ تمور (يوليو) العام ١٩٣٨ ، قامت منظمة «الأرغون» الصهيونية بوضع متفجرة في شارع داوود في القدس مّما أدى إلى مقتل عشرة من العرب وجرح ٢١ شخصاً .

وفي ٢٥ تموز (يوليو) من العام ١٩٣٨ ، انفجرت قنبلة وضعتها منظمة الأرغون في سوق حيفا ، مّما أدى إلى مقتل ٣٥ عربياً وجرح ٧٠ شخصاً .

وفي ٢٦ آب (أغسطس) من العام ١٩٣٨ ، قامت منظمة الأرغون بوضع قنبلة في سوق يافا مما أدى إلى مقتل ٢٤ عربياً وجرح ٣٥ شخصاً .

وقد كان مناحيم بيغن أحد زعماء منظمة الأرغون في ذلك الوقت ، وأصبح في وقت لاحق رئيس وزراء إسرائيل ، كما أن زعماء يهود آخرين لمنظمتي الأرغون وشتيرن قد تبوأوا مناصب رفيعة في وقت لاحق في الدولة اليهودية .

ونحن نستغرب كيف أن الولايات المتحدة ، بل والعالم برمته ، ينسى مثل تلك الأعمال الإرهابية ، بل كيف أن تلك الأطراف تلوم عرب فلسطين إذا ما قاموا بالمطالبة بالاستقلال والدفاع عن أراضيهم .

جذور الإبادة الجماعية في التاريخ الصهيوني «نازية جديدة ضد العرب»

يسيطر مفهوم الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني والعرب على التفكير الديني والسياسي والعسكري للأحزاب والحكومة والحاخامات والمجتمع الإسرائيلي .

وتعود جذور الإبادة الجماعية للفلسطينيين والعرب إلى الفكر والممارسة في التاريخ اليهودي . ويشمل مفهوم الإبادة الجماعية ارتكاب المجازر الجماعية والحروب العدوانية وتدمير القرى والمدن والمنجزات العربية ، واتباع سياسة الأرض المحروقة ، ومصادرة الأراضي العربية وتهويدها ، واتباع سياسة التصفيات الجسدية بأحدث الطائرات والصواريخ الأميركية .

وتستخدم إسرائيل فرق القتل السرية التابعة للجيش الإسرائيلي ،

وعمليات القصف العشوائية لقتل الأطفال والنساء في منازلهم وغرف نومهم .

وسخرت الأسلحة الكيمياوية والبيولوجية واليورانيوم المستنفد وحقن أطفال الانتفاضة الأولى بفايروس الإيدز ، وإجراء التجارب الطبية المحرمة دولياً على الفدائيين (رجال المقاومة) للتخلص من الإنسان الفلسطيني ومنع تكاثره .

واستخدمت الحروب العدوانية وعمليات القتل والتدمير بالقنابل الانشطارية والفسفورية والفراغية ومجازر صبرا وشاتيلا لإبادة أكبر عدد ممكن من العرب الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين ، واتبعت سياسة الأرض المحروقة وتوجيه رصاص الجيش الإسرائيلي إلى العين والرأس والقلب ، ممّا يعبّر عن حقد وكراهية وهمجية الجندي الإسرائيلي ومعاداته لأبسط المفاهيم الإنسانية والحضارية وتقاليد وأعراف الحروب . وترمي إسرائيل من استخدام الأسلحة والذخائر المحرمة دوليًا إلى إبادة الإنسان الفلسطيني وتعريضه للمعاناة الدائمة والخطر المستمر وتلويث بيئته لمنع تطوره وتقدمه .

فالجيش والمجتمع الإسرائيلي يتعاملان مع الإنسان الفلسطيني من منطلق إبادته والقضاء عليه أو ترحيله من وطنه ، لا للفسح في المجال أمام تجميع يهود العالم في فلسطين . ويتعامل اليهودي مع العربي من منطلق عدم الاعتراف بوجوده وحقوقه في أرضه ووطنه وإنكار حقوقه الوطنية ، وحتى حقه في الملكية ، ومصادرة أراضيه وإقامة المستعمرات اليهودية عليها . وبالتالي يتعامل معه من منطلق الحقد والكراهية والرفض لوجوده للاستيلاء على أملاكه وأرضه وترحيله منها ، ممّا يظهر بجلاء نفسيته المريضة الرافضة لأبسط الحقوق والمبادئ الإنسانية .

وتستمر إسرائيل في سياسة الحروب العدوانية والمجازر الجماعية وبناء

المستعمرات اليهودية في ظل تمسّك الدول العربية بالسلام كاستراتيجية ، وفي ظل عملية التسوية والمفاوضات واتفاقات كمب دايڤيد وأوسلو ووادي عربة .

وبرغم توقيع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاقات أوسلو ووادي بلانتيشن لا تزال «الإبادة الجماعية» هي العنصر المسيطر على ممارسات الحكومة والجيش الإسرائيلي في التعامل مع الشعب الفلسطيني الرافض للاحتلال والتهويد والترحيل . وتسخّر إسرائيل برغم الاتفاقات الموقعة ، وبرغم تجريد الشعب الفلسطيني من كل الوسائل الممكنة للدفاع عن نفسه ، كل طاقاتها العسكرية والسياسية والإعلامية والدبلوماسية وكأنها في حالة حرب حقيقية مع هذا الشعب الأعزل ، مستخدمة أحدث الطائرات والصواريخ والدبابات في ظل دعم أميركي وصمت أوروبي مطلق .

لقد قررت الصهيونية منذ البداية أن تعتمد استخدام القوة والمجازر الجماعية وممارسة العنصرية والإرهاب والاستعمار الاستيطاني كسياسة رسمتها في التعامل مع الفلسطينيين والعرب . وقرّرت إسرائيل تنفيذ المخطط الصهيوني القائم على أساس إبادة الآخر والتخلص منه ومن وجوده بكل الوسائل والأشكال الممكنة .

وتتخذ إسرائيل من العنصرية والإرهاب والإبادة الجماعية سياسة رسمية علنية لإبادة الفلسطيني ومسحه من الوجود بكل الوسائل العنصرية والإرهابية والاستعمارية والحيل والأكاذيب اليهودية .

لقد ورثت إسرائيل وورث الجيش الإسرائيلي أساليب العصابات اليهودية الإرهابية التي تدربت على أساليب النازيين ، واعتمدت أساليب العصابات اليهودية التي ارتكبت مجزرة دير ياسين الجماعية . وبالتالي رفضت وترفض إسرائيل الالتزام بالعهود والمواثيق الدولية ومبادئ القانون

الدولي ، وترفض الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني وحقوقه لتجميع يهود العالم وإقامة إسرائيل العظمى من النيل إلى الفرات ومن القدس إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة مروراً بالقاهرة وحتى بغداد .

تنظر الصهيونية وإسرائيل والمجتمع الإسرائيلي إلى الفلسطيني والعربي نظرة عنصرية حاقدة على أساس أنه لا يستحق الحياة ، لأنه إنسان إرهابي ومخرب وحيوان متوحش على هيئة إنسان يجب إبادته .

لذلك لا تستطيع إسرائيل أن تتخلص من إيمانها بالعنصرية والإرهاب والاستعمار الاستيطاني والإبادة الجماعية في التعامل مع العرب . ففلسفة الإبادة الجماعية واستخدام القوة والحروب المفاجئة هي العقلية المسيطرة على قادة إسرائيل والمجتمع الإسرائيلي ، ولا يمكن أن توقفها أو تردعها «مسيرة السلام» والمفاوضات . فالمفهوم الإسرائيلي للسلام يقوم على أساس مفهوم الإبادة الجماعية للمناضل الفلسطيني والعربي الذي يناضل ضد الاحتلال الإسرائيلي . فالهدف من نعت مقاومته للاحتلال بالإرهاب ومحاربته بأحدث الأسلحة ووصفه بالإرهابي هو التخلص منه لتهويد وطنه بالإبادة الجماعية له ولشعبه الرازح تحت الاحتلال .

لقد انهارت بعد القضاء على النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا والعسكرية في اليابان جميع المفاهيم والمقولات والنظريات العنصرية والفاشية بما فيها الحركات الإسلامية ، باستثناء الصهيونية التي استغلت جرائم النازية لإقامة إسرائيل في فلسطين العربية والحصول على التعويضات الألمانية الهائلة من أموال وأسلحة لا مثيل لها في العلاقات الدولية والتاريخ البشري . وتراجعت الحركات والنظريات العنصرية ، وتبنّت الأمم المتحدة في العديد من القرارات والعهود الدولية مكافحة النازية والعنصرية والتمييز العنصري والأبارتايد . واستغلت الصهيونية

معاداة المعسكرين الغربي والشرقي للنازية لتأسيس إسرائيل وتقويتها في الوطن العربي . وصعدت اليهودية العالمية إلى القمة في الولايات المتحدة الأميركية ، وتسيطر حالياً على البيت الأبيض ووزارات الخارجية والدفاع والمالية ومجلس الأمن القومي وأعضاء الكونغرس ومعظم حكام الولايات الأميركية .

وازداد يهود العالم غنى وثراء ونفوذاً وامتيازات في البلدان الأوروبية على حساب دافعي الضرائب في ألمانيا وسويسرا وبقية البلدان الأوروبية .

وازدادت عنصرية قادة إسرائيل وحاخاماتها والمجتمع الإسرائيلي في العالم بشكل لا مثيل له على الإطلاق . وأصبحت تربية الطفل اليهودي في كل مكان ، وبشكل خاص في الولايات المتحدة الأميركية ، على حد قول الروائي الأميركي فيليب روك ، تتلخّص في ثلاث كلمات :«اليهود هم الأفضل» .

ونجحت اليهودية العالمية في تسخير المؤسسات العسكرية في بريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة في خدمة العسكرية الإسرائيلية وحروب إسرائيل العدوانية وتهويد فلسطين العربية وإقامة المستعمرات اليهودية على أنقاض القرى والمدن العربية التي دمرتها وتدمرها .

ورسخت صورة إسرائيل «الحمل الوديع» وقلعة الديموقراطية و«ضحية الإرهاب العربي» ، وذلك للاستمرار في الحصول على الأموال الطائلة والأسلحة الحديثة والدعم السياسي والمالي والعسكري والإعلامي .

ودُمغ كل انتقاد أو معارضة للإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني بالعداء للسامية . وخدم ويخدم الحديث عن اللاّسامية واختلاق الأكاذيب والمبالغة حولها الاستمرار في جمع الأموال والأسلحة الحديثة وجعلها الملاذ الوحيد لليهود من خطر اللاّسامية المزعومة .

وتتجلى عنصرية الصهيونية وإسرائيل بتصوير الهلوكوست النازي

وكأنه ضد اليهود فقط ، والتغاضي عن إبادة النازية لعشرات الملايين من أبناء الشعوب الأوروبية ، وذلك لأن اليهودية تعتبر أرواح اليهود أفضل من أرواح الأغيار ، ولا يمكن أن تقارن بفقدان حياة روسي أو ألماني أو بولندي أو عربي . وترغب اليهودية العالمية بعدم الإقرار بإبادة النازية للغجر والمعادين لها ، كي يبقى الهلوكوست حصراً على اليهود ، لأنه عندما تعترف بالإبادة الجماعية لهؤلاء المعادين للنازية ، فإنها لا تستطيع أن تزعم أن الهلوكوست شكل ذروة كراهية الأغيار لليهود . واستغلت إسرائيل تحصينها بمعزوفة الهلوكوست النازي وصمت الولايات المتحدة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي على الهلوكوست الإسرائيلي الذي بدأته عام ١٩٤٨ بحق الشعب الفلسطيني ، وتابعت ارتكابه حتى اليوم بأحدث أنواع الأسلحة والذخائر والطائرات والصواريخ الأميركية وبدعم سياسي وإعلامي من جميع الدول الغربية ، بما فيها حكومة أوسلو النروجية . إن الدعم العسكري والسياسي والمالي والإعلامي الذي تلقته إسرائيل من الولايات المتحدة وألمانيا وبقية الدول الأوروبية في حروبها العدوانية ساعدها في الاستمرار بالإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني . وتابعت اليهودية العالمية استغلال الهلوكوست النازي للتغطية على الهلوكوست الإسرائيلي ، لذلك اعتبر أن الهلوكوست الإسرائيلي أفظع وأخطر وأكثر وحشية وهمجية من الهلوكوست النازي . فالنازية كانت تتذرع بعدم وجود مواثيق دولية تمنع الإبادة الجماعية ، بينما لا تستطيع إسرائيل أن تتذرع بسبب التوقيع على ميثاق الأمم المتحدة .

لقد حدد ويحدد استغلال اليهودية العالمية وإسرائيل الهلوكوست النازي سياسة ألمانيا وبقية دول الاتحاد الأوروبي المنحازة إلى إسرائيل والداعمة للاحتلال والاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي والمعادية للبلدان العربية وللعروبة والإسلام ، مما يحمل في طياته عنصرية أوروبية جديدة ونازية جديدة تجاه العرب .

من دير ياسين إلى جنين
١٩٤٨-٢٠٠٢

إنها مجزرة ، ولن يؤدي تعديل موقف لارسن إلى تغيير هذه الحقيقة ، وكذلك نفي الحكومة الإسرائيلية . فتلك حقيقة ساطعة لا تحتاج إلى لجنة «تقصي حقائق» لإثباتها ، هذا إذا سُمح لها بالقيام بعملها أصلاً – والحقيقة أنه لم يسمح لها– .والتجربة أثبتت فشل كل هذا النوع من المهمات حين تكون إسرائيل متهمة والعرب هم الضحية فلسطينيين كانوا أم لبنانيين أم عراقيين أم ليبيين .

تعريف المجزرة

إنها مجزرة ، ليس لأن العرب يرونها كذلك ، أو لأن العين المجردة غير المنحازة تثبت ذلك ، بل لأن أوضاعها ووقائعها تتطابق وتعريف المجزرة في القانون الدولي . ففي كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٩ وقعت جمعية

الأمم المتحدة ، علماً أن تاريخ الإرهاب الإسرائيلي بدأ قبل ذلك بكثير . ولعل القرار الوحيد الذي اتخذ في حق الصهيونية ، وليس في حق إسرائيل كدولة تمارس العنصرية والإرهاب ، كان ذلك الذي صادقت عليه الجمعية العمومية في ١١/ ١١/ ١٩٧٥ ، وفيه اعتبرت الصهيونية شكلاً من أشكال التمييز والتفرقة العنصريين . ولكن مع قيام النظام العالمي الجديد ، صدر قرار أدى إلى إلغاء القرار الأول ، بحجة تشجيع إسرائيل على الدخول في مفاوضات مدريد .

والذاكرة العربية مكتظة بالمجازر التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية خلال اثنين وخمسين عاماً من عمر النكبة . ولا تزال الأجيال تستذكر أكثر المجازر الإسرائيلية فظاعة (علماً أن ليس في القتل المنظم ما هو أقل أو أكثر فظاعة) بدءاً من دير ياسين عام ١٩٤٨ (٢٥٤ضحية) ، وكفرقاسم عام ١٩٦٥ (٤٩ضحية) ، مروراً بصبرا وشاتيلا في لبنان عام ١٩٨٢ (أكثر من ٥٠٠ ضحية) والحرم الإبراهيمي في الخليل عام ١٩٩٤ (٦٣ضحية من المصلين) ، وقانا الجليل في لبنان عام ١٩٩٤ (١٠٩ ضحايا) ، وصولاً إلى جنين حيث لا إحصاء بعد لعدد الضحايا الذي تجاوز المئات حتى تاريخه . ولكن يبدو أن الذاكرة الجماعية حفظت شيئاً وغابت عنها أشياء ، وتلك هي استطراداً إحدى الثغرات في الإعلام والدعاية العربيين . فالإسرائيليون رواد ليس في ارتكاب المجازر الذي يدرج في خانة إرهاب الدولة فحسب ، بل في كل عمليات النسف والتفخيخ التي شاعت في ما بعد في المنطقة العربية .

كان الإسرائيليون أول من لجأ إلى استخدام الرسائل المفخخة لاغتيال خصومهم ، ففي ٣/ ٩/ ١٩٤٧ وجهوا رسائل ملغومة إلى بعض البريطانيين في لندن ، انفجرت بهم . ووجهوا رسائل مماثلة إلى العلماء الألمان في مصر بين تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٢ وآذار (مارس) ١٩٦٣ ولكنها قتلت ستة علماء مصريين ، ولم يصب الألمان يومذاك بأذى .

وانفجرت إحدى الرسائل الإسرائيلية الملغومة بين يدي الدكتور أنيس الصايغ في ٧/ ١/ ١٩٧٢ فبترت له أصبعين ، وذهبت ببعض سمعه وأفقدته بعض بصره . وانفجرت رسالة أخرى بين يدي بسام أبو شريف في ٢٥/ ٩/ ١٩٧٢ أصابته بجروح في وجهه ويديه .

والإسرائيليون هم أول من استخدم تفخيخ السيارات وتفجيرها في الأماكن العامة ، إذ فجروا سيارة في بلدة الصرفند في فلسطين في ٥/ ٢/ ١٩٤٦ ، ونسفوا أحد القطارات الذي كان يقل جنوداً بريطانيين بالقرب من رحوبوت في فلسطين في ٢٨/ ٨/ ١٩٤٨ ، وكانوا أول من نسف السفارات بالحقائب المفخخة ، عندما نسفوا السفارة البريطانية في روما في ٣١/ ١٠/ ١٩٤٦ ! وتطول سبحة الأعمال الإرهابية التي نفذها الإسرائيليون والتي مرت مرور الكرام في الذاكرتين العربية والعالمية .

من قانا أعجوبة المسيح إلى الحرم الإبراهيمي

«قانا» قرية الأعجوبة الأولى للسيد المسيح تشبه قرى أخرى في عالم العرب :هي مثل دير ياسين والنبطية وكفرقاسم ومر متلا والعباسية والخليل والطيبة وغيرها .

قرى دمّرتها إسرائيل ، وأحدثت فيها جرحاً عميقاً ، وكيف للجرح حين ينزف ثم يطعن ، وينزف ويطعن مئات المرات ، كيف له أن يلتئم؟

وكيف للذاكرة أن تنسى تلك المجازر؟ أتراها ضعفت أم استسلمت أم صارت هي أيضاً خائنة؟

نحن ، كل مرة نحتفل فقط بالمجزرة الأخيرة؟ كل مرة تفرض علينا إسرائيل تغيير عناوين ، فعوض الاحتفال ، نكتب :«في ذكرى شهداء . .» .

ونحن ، حين نراجع الصور ، نكاد نفقد الذاكرة . ونسأل : أليس هذا

الطفل المقتول في الخليل هو عينه ذاك الذي مات مبتسماً في قانا؟

المجازر كثيرة ،حاولنا أن نعود بالذاكرة إلى بعضها ، نروي قصصها ، نحصي عدد شهدائها ، كل ذلك حتى لا ننسى .

دير ياسين

مساء ٩نيسان (أبريل) ١٩٤٨ ، هاجمت العصابات اليهودية قرية دير ياسين في فلسطين وأمرت الأهالي بإخلائها خلال ساعات . سادت حال من الذعر والفوضى . خلالها شنت العصابات هجوماً على القرية ، فذبح الصهاينة بسكاكينهم ٢٥٠فلسطينيًا ، ذبحوا أطفالاً في أحضان أمهاتهم ، ويقروا بطون النساء الحبالى ، ثم جردوا النساء اللواتي بقين على قيد الحياة من ملابسهن وطافوا بهن بين اليهود في القدس .

كفرقاسم-بحر متلا

كفرقاسم الفلسطينية وبحر متلا المصرية توأمان . الخامسة مساء ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٤ ، نفّذ الإسرائيليون في كل منهما مذبحة فيما كان العدوان الثلاثي على مصر قائماً .

عشية العدوان فرض حظر التجوّل على قرى المثلث : كفرقاسم وكفربرا وحلبجولية والطيرة والطيبة وقلنسوة وبير السكة وإيتان ، وعهد إلى كتيبة في الجيش الإسرائيلي مهمة المرابطة على الحدود الإسرائيلية-الأردنية .

مع الغروب كانت عودة المزارعين إلى القرية ، وكانت الأوامر لقائد الكتيبة واضحة : لم يكن الإسرائيليون يريدون «عواطف» و«من لم يعرف بحظر التجول الله يرحمه» .

عند الطرف الغربي للقرية ، رابطت وحدة من الجيش قتلت ٤٣ فلسطينيًا ، وفي الطرف الشمالي قتل ثلاثة وداخل القرية اثنان .

في كفرقاسم مات ٤٧عربيًا ، وفي متلا ٤٩ . استباح ضابط إسرائيلي ، هو أريبه بيرو ، دمهم بيده ، بسلاحه ، قتل مصريين لم يكن معهم سلاح ، ولا كانوا يقاتلون .

أبو زعبل–بحر البقر

ولمصر بعد كل حرب مجازر ، طائرات إسرائيلية استهدفت أبناءها ، قتلت عمالها وأطفالها .

صباح الخميس ١٢شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، قصفت الطائرات الإسرائيلية منشآت «الشركة الأهلية للصناعات المعدنيه في «أبو زعبل» ، مما أدى إلى قتل ٧٠عاملاً وجرح ٩٨ .

بعد شهرين ، قصفت الطائرات الإسرائيلية مدرسة ابتدائية في قرية بحر البقر في محافظة الشرقية ، فقتلت ٣٠تلميذاً وأستاذهم وجرحت ٩٦ .

كان هؤلاء أبناء مزارعي القرية ، وكانت مدرستهم بعيدة عن أي مبانٍ أو منشآت عسكرية .

اجتياح ١٩٧٨ و١٩٨٢

في الاجتياح الإسرائيلي الأول للبنان عام ١٩٧٨ كانت المجازر كثيرة ، ٢٤قتيلاً على مفترق عدلون ، وقصف لكنيسة راشيا فخار أوقع ١٥ قتيلاً ، في العباسية مائة قتيل ، وتقرير عن «الأونروا» يعلن وفاة ٧٠٠ لبناني وفلسطيني .

اجتياح ١٩٨٢ لم يوفر مناطق كثيرة في لبنان : مجزرة في البقاع على طريق بعلبك - حمص والقتلى ٦٠ والجرحى ٢٠٠ ، وفي الضاحية وفي بيروت وفي الجنوب و . . .

الحرم الإبراهيمي

كان المصلون خاشعين لله في الحرم الإبراهيمي في الخليل الفلسطيني ، جاءهم الرصاص من كل الجهات ، فاستشهد ٦٣ منهم وجرح ٣٤٠ .

تنكّر طبيب إسرائيلي ، باروش غولدشتاين ، بلباس ضابط وتسلل إلى المسجد وأطلق الرصاص . تلك كانت رواية السلطات الإسرائيلية . لكن المصلين الذين نجوا من المجزرة رووا شيئاً آخر ، أكدوا أن الرصاص جاءهم من أكثر من جهة ، وأن أكثر من شخص أطلقوه . كان ذلك عند الخامسة والثلث فجر ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٩٤ .

قبلها ، في تموز (يوليو) ١٩٩٣ عرف لبنان عدواناً إسرائيلياً جديداً . إلا أنّ «تموز ٩٣» في لغتنا فعل ماضٍ طغى عليه نيسان (أبريل) ٩٦ ، وصارت قانا الرمز الذي يختصر قرى ودماء عربية .

اختصرت قانا المنصوري والنبطية ، هي على أرضها ، في مركز للأمم المتحدة اعتقدت أنها ستحمي أبناءها وأبناء القرية المجاورة تحت سقفه . أخطأت والخطأ له من العمر سنة . كانت الساعة الثانية وعشر دقائق بعد ظهر ١٨ نيسان (أبريل) ١٩٩٦ حين تغيّرت خيم القوات الفيجية ، كانت زرقاء تطفح بالحياة ، وعلم الأمم المتحدة يرفرف فوقها .

الطائرات الإسرائيلية بدّلت كل شيء ، صيّرت الحياة رماداً ، سواداً ،

ودماء جنوبيّين .

قانا كانت الأخيرة ، حتى اللحظة . والخوف ، كل الخوف ، ألاّ تكون هي الختام- والتاريخ يشهد أن لا ختام لهذه المجازر- . أيام الحرب نفذت إسرائيل من المجازر ما لا يحصى ، لكنها ومنذ بدأ العرب توقيع اتفاقيات سلام معها راحت تنفّذ من المجازر ما هو أشد بربرية . أنكون قد أخطأنا في فهم معادلة سلامها؟ !

جرائم صهيونية قبل انتهاء الانتداب البريطاني

في ٣/ ٤/ ١٩٤٨ هاجم الصهاينة قرية (القسطل) واحتلوها وكسبوا موقعاً مهماً في المنطقة ، وبذلك أمنوا السيطرة على طريق تل أبيب-القدس . استرجعها العرب بهجوم قاموا به يوم ٨/ ٤/ ١٩٤٨ ، إلاّ أن الصهاينة جمعوا فلولهم وعززوا أنفسهم بالمدرعات وهاجموا القرية ليلة ٨- ٩/ ٤/ ١٩٤٨ فسقطت بيدهم ثانية فدمروا منازلها وقتلوا أهلها .

اتفق السفاح الإسرائيلي (مردخاي كوفمن) قائد قوات عصابة (الأرغون) في القدس مع (ديفيد شالتائيل) قائد قوات عصابتي (الهاغانا والبالماخ) في المنطقة على القيام بعمل مشترك ضد قرية (دير ياسين) وبعض القرى المجاورة لتحقيق الغايات الثلاث التالية :

أ- فك الحصار عن اليهود المطوقين في القدس من طريق الاستيلاء على جميع القرى الواقعة على الجانبين .

ب- فتح طريق المواصلات بين تل أبيب- القدس .

ج- ترويع السكان الآمنين وحملهم على مغادرة قراهم ، ممّا يسهّل لليهود عملية الاستيلاء على الأراضي العربية .

وفي الساعة ٠٠ ,١٦ من السبت ١٤/ ٤/ ١٩٤٨ تحركت قوة من

أفراد عصابتي الأرغون وشتيرن اليهوديتين قوامها (١٢٠) رجلاً مزودين بـ١٢رشاشة - وحدة مدافع هاون عقدتين- وحدة مدافع هاون ٥ , ٣عقدة- جهاز إسعاف كامل- وحدة مدافع من البالماخ .

فوجئ سكان القرية بمكبرات الصوت وهي تعلن وجوب إخلاء القرية حالاً وإلاّ تعرضوا لنيران المدفعية . وجد السكان العرب أنفسهم أمام أمرين لا ثالث لهما .

١-إمّا الانصياع لأوامر اليهود والتخلي عن دورهم وممتلكاتهم .

٢- أو الدفاع عن قريتهم حتى آخر فرد منهم .

واختار سكان القرية الحل الثاني (وكان عدد الموجودين في القرية لا يزيد على ٣٠٠ فرد أكثرهم من النساء والشيوخ والأطفال) مؤكدين عزمهم على الدفاع عن قريتهم .

دارت معركة رهيبة بين قوتين غير متكافئتين ، استمات أهل القرية في الدفاع وتكالب اليهود في الهجوم . وكانت النهاية أن دخل اليهود إلى القرية وكان أكثرهم من (أغودات إسرائيل الدينية اليهودية) المتطرفين في تعصبهم وحقدهم على العرب ، وبدأوا أكبر مذبحة عرفتها المنطقة وأكثرها وحشية وإجراماً .

انقض اليهود على النساء والأطفال دون رحمة ، وأخذوا يبقرون بطون الحبالى ويقطعون الأجنة بحرابهم وهم يطلقون صيحات الظفر والانتصار .

استمرت المجزرة ثلاث عشرة ساعة تمكّن فيها العدو من قتل (٢٥٤) شخصاً منهم (٢٥) امرأة حبلى و(٥٢) طفلاً دون العاشرة قطعت أوصالهم أمام أمهاتهم ، و(٦٠) امرأة وفتاة أخرى ، وبقية العدد كان من الشيوخ والعجزة وبعض الشبان بالإضافة إلى عدد كبير من طلبة المدارس بما فيهم معلمتهم . أمّا من بقي من النساء العربيات فقد جردوهن من ملابسهن

ووضعوهن في سيارات نقل مفتوحة وطافوا بهن الأحياء اليهودية في القدس ثم ألقوا بهنّ خارج الحدود .

إن كارثة (دير ياسين) تحوّلت إلى نقطة سلبية أحدثت رد فعل في القرى المجاورة التي هجرها سكانها خوفاً من مصير مماثل . وهذا ما أراده اليهود وسعوا إليه .

وتسربت أنباء المجزرة إلى الخارج وأحدثت ضجة عالمية ، فخافت الوكالة اليهودية (التي صار اسمها فيما بعد حكومة إسرائيل) على سمعتها وحاولت التنصّل مما حدث ، كما حاولت تبرئة ساحة (البالماخ) التي تحولت بعد النكبة إلى جيش الدفاع الإسرائيلي ، فأصدرت الوكالة بيانين متناقضين أحدهما في الداخل (x) والثاني في الخارج وفيه تنكر قصة المذبحة وتغسل يديها نهائياً من الجريمة .

في ١٥ - ١٦/ ٤/ ١٩٤٨ جمع الصهاينة قوة كبيرة وعززوها بـ (الهاغانا) وهاجموا بلدة (طبريا) ، ثم تدخل الإنكليز وأوقفوا القتال ، لكنهم استأنفوه يوم ١٩/ ٤ بقوة أكبر ودخلوا المدينة وأشاعوا الرعب في النفوس فهرب أهلوها صوب الناصرة والأردن .

في ٤/ ٤/ ١٩٤٨ استدعى القائد الإنكليزي الزعماء العرب في (حيفا) وطلب منهم التدخل لإيقاف إطلاق النار بين المجاهدين العرب واليهود ، لأن السلطات الإنكليزية قررت اعتبار حيفا منطقة عسكرية إلى أول آب (أغسطس)١٩٤٨ ، وذلك من أجل سحب قواتها من فلسطين . وعلى أثر ذلك اتصل الزعماء العرب بقوات المجاهدين فانسحبوا من المدينة حتى لا يضطروا إلى الاشتباك مع الإنكليز .

ولكن الناس فوجئوا في ٢٠/ ٤/ ١٩٤٨ بإصدار السلطات الإنكليزية أمرها إلى جنودها بالانسحاب من حيفا ، وشرع الجنود فعلاً بذلك ، وبعد ساعة من بدء الجلاء هبّ اليهود(الذين زودتهم السلطات الإنكليزية بالسلاح

ودربتهم على استعماله ، وتآمرت معهم على خيانة البلدة واحتلالها) وهاجموا المدينة فقاومهم أهلها بكل ما وصلت إليه أيديهم من سلاح .

وفي ٢٣/ ٤/ ١٩٤٨ انسحب الإنكليز إلى الميناء الأمر الذي أدى إلى أن يشن الصهاينة هجوماً آخر ، فاستباحوا البلدة وقتلوا الأشخاص ، ونهبوا الأموال ، وحولوا المساجد والكنائس إلى اصطبلات ، وهدموا المنازل ، وقلعوا الرخام من القبور .

كانت الخسائر كبيرة وجسيمة جداً وكانت السلطات الإنكليزية قد منعت المجاهدين العرب من العودة إلى حيفا لإنقاذها ، ومن ثم عقدت هدنة بين العرب واليهود وتم إجلاء العرب عن حيفا .

ثم جاء دور (يافا) ، ففي ٢٤/ ٤/ ١٩٤٨ هاجم اليهود البلدة بالمدفعية والأسلحة الأخرى (وكان الإنكليز قد مهدوا لليهود طريق العمل) واستمر القصف مدة ثلاث ليال .

وفي ٢٨/ ٤/ ١٩٤٨ قام اليهود بالهجوم على البلدة من جميع الجهات ، فدافع السكان عن البلدة بما تيسر لديهم من سلاح ، كما أن اللجنة العسكرية أنقذتهم بفوج مع بعض المدفعية ورجحت كفة العرب .

وتدخل الإنكليز كعادتهم وعملوا على ترويج أخبار نكبة (حيفا) وما عمل اليهود بأهلها من مذابح وفضائح ، فانهارت مقاومة العرب وقرروا الفرار بأعراضهم إلى الأقطار العربية المجاورة والمناطق الجنوبية ، ثم فرضت السلطات البريطانية هدنة بين الطرفين وكانت شروطها بالغة القسوة .

اعتداءات إسرائيلية ١٩٥٦-١٩٧٢

الجرائم التي ارتكبها الصهاينة بحق العرب خلال هذه الفترة :

في ٢٩-١٠-١٩٥٦ وصل حرس الحدود الإسرائيلي إلى قرية (كفر

قاسم) وأعلنوا قيام منع التجول من الساعة الخامسة مساء . ولما حاول الأهالي الوصول إلى بيوتهم قبل بدء المنع حصدتهم رشاشات اليهود وهم لا يزالون خارج البيوت فقتلت (٤٧) رجلاً وامرأة وطفلاً .

في ٣-١١-١٩٥٦ وخلال احتلال (خان يونس) في قطاع (غزة) قتلت قوات الاحتلال الإسرائيلية (٢٧٥) من اللاجئين .

في ١٢-١١-١٩٥٦ قامت القوات الإسرائيلية بعملية غربلة بين السكان المدنيين في مدينة (رفح) في قطاع (غزة) وقتلت حوالى (١١١) شخصاً .

في ٢٨-١٠-١٩٥٨ خاطب (مناحيم بيغن) ممثلي الجيش الإسرائيلي قائلاً : (أنتم الإسرائيليون عليكم أن لا تأخذكم الرحمة عندما تظفرون بعدوكم . عليكم أن لا ترحموا حتى تدمّروا نهائياً ما يسمى بالثقافة العربية التي سوف نبني على أنقاضها حضارتنا نحن) .

في ١-٢-١٩٦٠ الهجوم على قرية (التوافيق) المنزوعة السلاح بين سورية وإسرائيل وتدميرها تماماً وقتل العديد من رجالها .

في ١٦-٣-١٩٦٢ شنت القوات الإسرائيلية هجوماً كبيراً على قرية (الصيد) السورية الواقعة على الشاطئ الشرقي لبحيرة (الحولة) ، وقصفت عدداً من المنازل وقتلت وجرحت الكثير من السوريين .

في ١٣-١١-١٩٦٦ شنت إسرائيل هجوماً كبيراً على قرية (السموع) في الضفة الغربية ، استخدمت فيها القاذفات والعجلات المدرعة ، واحتلت القرية بصورة مؤقتة ، وتم تدمير (١٢٥) منزلاً بما في ذلك المستوصف والمدرسة ، وقتلت (١٨) مدنيًا وجرحت (١٣٤) غيرهم . ونظراً لبشاعة الجريمة ووحشيتها فقد أدانها مجلس الأمن الدولي بقراره رقم (٢٢٨) في ٢٥-١١-١٩٦٦ .

الفترة بين عدوان حزيران ١٩٦٧ وحرب رمضان ١٩٧٣

كان القادة الإسرائيليون على يقين تام بعدم وجود أي خطر لهجوم عربي لإزالة إسرائيل، ولم تكن في نية (جمال عبد الناصر) مهاجمة إسرائيل، ولكن إسرائيل كانت مصممة على الحرب. ففي ١١-٥-١٩٦٧ أعلن رئيس وزراء إسرائيل أن (إسرائيل مستعدة للذهاب إلى الحرب).

ويمكن أن يعتبر عدوان ٥-٦-١٩٦٧ فاتحة سلسلة جرائم إسرائيل في هذه الفترة.

في ١٦-٢-١٩٦٨ أغارت الطائرات الإسرائيلية بقنابل النابالم على أكثر من (١٥) قرية ومخيماً على امتداد نهر الأردن فقتلت (٤٦) مدنيًا وجرحت (٥٥) آخرين. وتسببت في هروب أكثر من (٧٠) ألفاً إلى عمان.

في ٤-٦-١٩٦٨ أغارت الطائرات الإسرائيلية مستخدمة الصواريخ على مدينة (إربد) الأردنية فقتلت (٣٠) وجرحت (٥٩).

في ٨-٧-١٩٦٨ هاجمت الطائرات الإسرائيلية مدينة (السويس) فدمّرت المنازل والمستشفيات والمساجد وقتلت (٤٣) مدنياً.

في ٨-٩-١٩٦٨ قصفت طائرات إسرائيل امتداد قناة السويس وقتلت أكثر من (١٥٠) شخصاً.

في ١٢-٣-١٩٦٩ هاجمت الطائرات الإسرائيلية قرية (الهامة) و(ميسلون).

في ١١-٨-١٩٦٩ قصفت الطائرات الإسرائيلية قرى (راشيا الفخار) و(شبعا) وألحقت بها أضراراً كبيرة وقتلت أنفساً عديدة.

في ١٢-٢-١٩٧٠ قصفت القاذفات الإسرائيلية ضواحي القاهرة وقتلت أكثر من (٧٠) شخصاً وجرحت (٩٨) شخصاً.

في ٣١-٣-١٩٧٠ قصفت مدينة (المنصورة) في دلتا النيل ومقتل

(١٢) شخصاً وإصابة (٣٥) آخرين بجروح .

في ٨-٤-١٩٧٠ قصفت مدرسة (بحر البقر الابتدائية) ومقتل (٤٦) تلميذاً في المدرسة .

في ٢٥-٥-١٩٧٠ مهاجمة جنوب لبنان ومقتل (٤٠) مدنيًا وجرح (٧٢) .

في ٨-٧-١٩٧٢ اغتيال غسان كنفاني وابنة شقيقته في حادث لغم في بيروت .

مجازر شهدتها الأراضي المحتلة منذ حرب ١٩٦٧

تعد المجزرة التي وقعت فجر يوم ٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠ في المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل أفظع مجزرة شهدتها الأراضي المحتلة منذ العام ١٩٦٧ .

وبعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ شهدت الأراضي المحتلة في ١٦ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ سلسلة من المواجهات إثر اغتيال كوماندوس إسرائيلي خليل الوزير (أبو جهاد) الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية في تونس ، وأدت المواجهات إلى مقتل ١٩ شخصاً وإصابة نحو مائة آخرين بجروح .

وفي ٢٠ أيار (مايو) ١٩٩٠ قتل إسرائيلي يرتدي زي جندي ثمانية عمال فلسطينيين مستخدماً رشاشاً في ريشون لتسيون في ضاحية تل أبيب . وأثارت المجزرة موجة من الغضب في الأراضي المحتلة ومواجهات أسفرت

عن مقتل سبعة فلسطينيين وإصابة أكثر من ٦٥٠ بجروح .

وفي ٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠ قتل ١٨ فلسطينيًا في الحرم الشريف في القدس ، وأصيب أكثر من مائة بجروح برصاص جنود إسرائيليين أطلقوا النار على المصلين خلال أعنف مواجهات شهدتها القدس الشرقية منذ احتلالها .

وقبل الانتفاضة ارتكب متطرفون يهود سلسلة من الاعتداءات أبرزها :

-في ٢ حزيران (يوليو) ١٩٨٠ استهدف اعتداء بقنبلة رؤساء بلديات نابلس ورام الله والبيرة في الضفة الغربية السادة بسام الشكعة وكريم خلف وإبراهيم الطويل ، وأدىّ الاعتداء إلى بتر ساقي الشكعة وإصابة خلف بجروح خطرة في حين نجا الطويل .

- في ١١ نيسان(أبريل) ١٩٨٢ أطلق رجل «مختل عقلياً» النار على حشد في الحرم الشريف فقتل أربعة أشخاص .

-في ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٨٣ أطلق مدنيون النار داخل حرم كلية الخليل الجامعية فقتلوا ثلاثة طلاب .

مجازر انتفاضة ١٩٨٧

رغم أن عدد شهداء الانتفاضة الأولى ١٩٨٧ انخفض خلال سنتها الثالثة مقارنة بالسنتين السابقتين، إلا أن أحداث العام ١٩٩٠ اتسمت بارتكاب قوات الاحتلال والمستوطنين لعدد من المجازر أوقعت عشرات الشهداء ومئات الجرحى في كل مرة .

فقد بلغ عدد شهداء الانتفاضة خلال عامها الثالث حوالى ١٤٠ شهيداً (٢٨٥ في العام الأول و٣٠٣ في العام الثاني) سقط نحو ٤٠ منهم خلال مجزرتي عيون قارة والحرم الشريف . . ولا يمكن هنا تقديم رقم دقيق عن عدد الجرحى، إلا أنه يمكن القول إنهم يعدون بالآلاف، كما تم قتل أكثر من مائة من المتعاونين مع السلطات الإسرائيلية .

وقامت قوات الاحتلال بتدمير وهدم حوالى ٧٠ منزلاً لفلسطينيين في الأراضي المحتلة (بينها ٢٠ منزلاً تم هدمها في مخيم رفح خلال أقل من

شهرين) ، وأغلقت أكثر من ٤٠ منزلاً ، بالإضافة إلى هدم عشرات المنازل بحجة عدم حصول أصحابها على ترخيص بناء .

وزادت قوات الاحتلال من عدد أيام حظر التجوال ، وأبقت معظم الجامعات الفلسطينية مغلقة للعام الثالث على التوالي ، ولجأت إلى الضغوطات الاقتصادية من خلال منع الفلسطينيين من الدخول إلى أراضي ١٩٤٨ للعمل ، وأصدرت تعليمات جديدة تسمح للجنود والمستوطنين بإطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين وراشقي الحجارة الفلسطينيين ، بالإضافة إلى تعزيز أجهزة المراقبة(المناطيد) ، والتهديد بالعودة إلى وتسهيل عمليات الإبعاد .

إلاّ أن أهم ما ميز العام الثالث (١٩٩٠) من الانتفاضة هو تزايد الهجمات على الجنود والمستوطنين سواء بالأسلحة النارية التي بدأت تقلق المسؤولين الإسرائيليين ، أو طعناً بالمدى والسكاكين ، وقد امتدت هذه الهجمات إلى الأراضي المحتلة منذ العام ١٩٤٨ ، الأمر الذي زاد مشاعر القلق لدى سلطات الاحتلال .

دير مار يوحنا

قام ١٥٠ مستوطناً في نيسان (أبريل) ١٩٩٠ باحتلال دير مار يوحنا المجاور لكنيسة القيامة ، والذي تشرف عليه الكنيسة الأرثوذكسية ، وذلك لتأكيد المزاعم اليهودية بأن القدس عاصمتهم الأبدية والموحدة .

وأدت هذه العملية إلى قيام تظاهرات استنكار واسعة ، كان أهمها تظاهرة قام بها كهنة مسيحيون طالبوا بإخلاء المبنى من المستوطنين ، وقد تصدّت قوات الاحتلال الإسرائيلية لهذه التظاهرة بالهراوات والقنابل المسيلة للدموع ، ولم ينج حتى بطريرك القدس للروم الأرثوذكس ديودورس الأول

من اعتداءات الشرطة الإسرائيلية ووسائل قمعها .

وقامت الشرطة الإسرائيلية بإقامة المتاريس حول المبنى ، ونشرت العديد من أفرادها في المكان لمنع المتظاهرين الفلسطينيين من الاقتراب من المبنى المحتل .

واحتجاجاً على استمرار احتلال المستوطنين لمبنى الدير أعلن رجال الدين المسيحيون قراراً بإغلاق جميع الأماكن المقدسة المسيحية لمدة يومين ، وذلك للمرة الأولى في تاريخ هذه الأماكن ، وتضامناً مع الطوائف المسيحية أغلق رجال الدين المسلمون في القدس الحرم الشريف حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة أمام الزوار والسياح .

وانتقلت القضية إلى المحاكم ، ووصلت إلى المحكمة العليا الإسرائيلية التي أمرت بإجلاء المستوطنين اليهود من مبنى الدير ، ولكنها أمرت نحو ٢٠ من المستوطنين من ممثلي شركة «إس بي سي» البانامية ، التي تملك عقد إيجار الدير ، بالبقاء في المكان لضمان أعمال الصيانة والحراسة إلى حين إصدار حكم بشأن جوهر القضية .

ولم تنظر المحكمة العليا إلا في شأن إجلاء المستوطنين من دون الدخول في بحث الأساس ، وأكدت حكمين سابقين أحدهما لمحكمة السلام والآخر لمحكمة قضاء القدس ، ويقضيان بإجلاء المستوطنين اليهود من مبنى الدير .

وقد أثارت هذه القضية في حينه العديد من ردود الفعل الشاجبة والمستنكرة للممارسات الإسرائيلية التي لا تحترم الأديان ولا رجال الدين ، وبرهنت حتى على تحيز القضاء الإسرائيلي الذي لم يحسم القضية ، حيث أعادت المحكمة العليا حكاية «مسمار جحا» بحكمها إبقاء عشرين مستوطناً في المبنى بحجة الحراسة والقيام بأعمال الصيانة .

وثبت في ما بعد ، ومن خلال وثائق قام بنشرها عدد من أعضاء

الكنيست الإسرائيلي ، أن حكومة إسحق شامير قامت بتمويل عملية استئجار الدير ، الذي تبين أن مستأجره الأساسي هو أرمني قام بتأجيره للشركة البانامية لصالح المستوطنين اليهود .

مجزرة عيون قارة

نفذ مستوطن يهودي في العشرين من شهر أيار (مايو) ١٩٩٠ مجزرة بحق عمال من قطاع غزة ، وصفت بأنها الأخطر منذ بدء الانتفاضة في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ .

ووقعت المجزرة نحو الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم في منتزه عام في مستوطنة عيون قارة في الأراضي المحتلة منذ العام ١٩٤٨ ، يتردد عليه إسرائيليون لاختيار عمال فلسطينيين من الأراضي المحتلة للعمل مياومة في مواقع البناء المحلية .

وطلب القاتل ، الذي كان يرتدي زي جنود الجيش الإسرائيلي ، من العمال الفلسطينيين إبراز بطاقات هوياتهم قبل أن يفرغ ثلاثة مخازن من بندقية إم ١٦ في صدورهم ورؤوسهم ، مما أدى إلى استشهاد سبعة فلسطينيين وإصابة تسعة آخرين بجروح ، بينهم خمسة كانت إصاباتهم خطيرة .

وقال شهود عيان ، شاهدوا المجزرة ، إن القاتل فر بعد ارتكاب مجزرته ، وأن قائدي سيارات إسرائيليين كثيرين مرّوا من دون أن يتوقف أحد منهم لمساعدة وإسعاف الجرحى بعد المجزرة .

وسارعت الشرطة الإسرائيلية التي أعلنت أنها اعتقلت القاتل بعد مطاردة مروحية إلى وصفه بأنّه مختل عقليًا .

وحتى ترفع التهمة عن الجيش الإسرائيلي ، قالت الشرطة إن القاتل

الذي يدعى إمي بوبر ليس جنديًا ، وإنه لم يقض الخدمة في الجيش بسبب مشكلات عاطفية ، حيث تم تسريحه بعد تقرير أثبت عدم أهليته للخدمة العسكرية .

وقالت الشرطة إن البندقية التي استعملها القاتل تعود لشقيقه الجندي .

وأثارت أنباء المجزرة موجة من الغضب الشديد في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ما لبث أن تحوّل إلى مواجهات دامية وعنيفة مع قوات الاحتلال الإسرائيلية التي استكملت المجزرة بدورها ، فقتلت سبعة فلسطينيين وأصابت أكثر من ٥٠٠ بجروح .

وقال مركز المعلومات الإسرائيلية لحقوق الإنسان «بيتسلم» في رسالة وجهها إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية إسحق شامير إن معظم الضحايا الذين سقطوا في المواجهات مع الجيش ، التي أعقبت المجزرة ، أصيبوا في الرأس والرقبة ، وأن النيران أطلقت من مسافة قريبة واستخدمت بصورة مكثفة ، إضافة إلى عمليات ضرب عنيفة أدت إلى الوفاة .

وقالت الرسالة التي استندت في معلوماتها إلى شهادات تم جمعها من تقارير طبية وشهود عيان ، إن الجيش الإسرائيلي لم يعط المواطنين الفلسطينيين الفرصة للتعبير عن حزنهم وغضبهم بأي شكل من الأشكال ، وإنه قام بالمقابل بـ«قمع أي تظاهرة احتجاج في الحال» .

واتهمت الرسالة الجنود الإسرائيليين بإعاقة عمليات نقل الجرحى وبأنهم استفزوا وأهانوا العائلات الثكلى .

وأثارت المجزرة والمواجهات التي أعقبتها واستمرت قرابة الأسبوع ، وسقط خلالها ٢١ شهيداً فلسطينيًا وأكثر من ألف جريح ، موجة استنكار وشجباً واسعين في مختلف العواصم العربية والعالمية ، وتمت دعوة مجلس الأمن للانعقاد لمناقشة الإجراءات التعسفية الإسرائيلية في

الأراضي المحتلـة . لكن رفض السلطات الأميركية منح تأشيرة دخول لرئيس منظمـة التحرير الفلسطينية - ياسر عرفات - لحضور المناقشات ، أدى إلى نقل الجلسـة إلى المقـر الأوروبي للأمم المتحـدة في جنيف . ولكن الولايات المتحدة ، وجريـاً علـى عادتها في دعم إسرائيل ومساندتها ، سارعت إلى استعمال حق النقض «الڤيتو» لمنع إصدار قرار عن المجلس يدين الممارسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة .

مجزرة الحرم الشريف

يعتبر شهر تشرين الأول (أكتوبر) أكثر أشهر الانتفاضة الأولى دموية ، وذلك بسبب المجزرة التي نفذتها قوات الاحتلال الإسرائيلية في باحة الحرم القدسي الشريف في الثامن من الشهر ذاته ، وسقط خلالها ٢٣ شهيداً فلسطينيًا وأكثر من ٣٠٠ جريح .

وكان السبب الرئيسي في اندلاع المواجهات ، التي أدت إلى حدوث المجزرة ، انتشار أنباء عن وصول مجموعة من اليهود المتطرفين من منظمة «أمناء جبل الهيكل» إلى المسجد الأقصى في القدس القديمة في محاولة لوضع حجر الأساس لمعبد يهودي جديد .

وراح حـراس الحـدود الإسـرائيليـون في إطلاق النار بغـزارة على الفلسطينين الذين التجأوا إلى مسجدي الأقصى وقبة الصخرة .

وذكرت وكالات الأنباء أن مدنيين إسرائيليين شاركوا في إطلاق النار على الفلسطينيين الذين سقط منهم عدد كبير من الجرحى ، بحيث لم يعد باستطاعة المستشفيات استقبال المزيد منهم ، الأمر الذي أدى إلى تكديس الجرحى على قارعة الطريق خارج المستشفيات .

وأدى انتشار أنباء المجزرة الجديدة إلى اندلاع تظاهرات عنيفة ، حيث

تدفق آلاف الفلسطينيين إلى الشوارع والساحات العامة ، على الرغم من فرض قوات الاحتلال لنظام منع التجول .

وجرياً على عادتها حاولت قوات الاحتلال الإسرائيلية إلقاء مسؤولية المجزرة على المصلين الفلسطينيين باتهامهم بإلقاء الحجارة على مصلين يهود عند الحائط الغربي .

وسعياً للتخلص من الإدانة الدولية لهذه المجزرة ، لجأت الحكومة الإسرائيلية إلى تعيين لجنة خاصة للتحقيق في أسباب المجزرة ، حيث خلصت هذه اللجنة إلى إلقاء جزء من المسؤولية على الفلسطينيين والحديث عن تقصير في صفوف الشرطة الإسرائيلية .

إلاّ أن منظمة «بيتسلم» الإسرائيلية كشفت في تقرير أعدته بعد المجزرة زيف الادعاءات الإسرائيلية .

ما بعد مجزرة القدس ١٩٩٠

المجزرة التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي في القدس في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠ أثارت نقمة عالمية واسعة ضد الصهاينة وأعادت الاهتمام بالانتفاضة البطلة التي يقوم بها الفلسطينيون داخل فلسطين المحتلة .

الإعلام الفرنسي خرج عن انحيازه المعروف لإسرائيل وتحدث بصراحة عن حقيقة ما حدث . . فذكرت مجلة «باري ماتش» الفرنسية أنها أسوأ مجزرة وقعت في القدس منذ عام ١٩٦٧ ، بينما قالت «لو فيغارو» إن ما حدث يهدد بفتح جبهة عسكرية جديدة هناك مماثلة لتلك الموجودة في الخليج .

وفيما يلي أبرز ما جاء في المجلتين المذكورتين :

«باري ماتش» نشرت صورة كبيرة من داخل المسجد الأقصى

الشريف وقالت في العنوان الرئيسي : الجيش الإسرائيلي أطلق نيران رشاشاته على جدران الجامع الذي يعتبر مكاناً مقدساً لدى المسلمين .

أضافت : في القدس سجلت أسوأ مجزرة قاتلة منذ حرب عام ١٩٦٧ يوم احتلت إسرائيل المدينة . . فيوم الاثنين اندلعت أعمال العنف عندما حاول آلاف الفلسطينيين منع المنظمة الإسرائيلية المتطرفة المعروفة باسم «أتباع الهيكل» من احتلال جانب من حرم المسجد الأقصى المقدس لدى المسلمين . . وقاموا برشق أفراد المنظمة بالحجارة مما أدى إلى جرح سبعة منهم .

بسرعة تحرّك الجنود الإسرائيليون وأطلقوا الرصاص الحقيقي بغزارة نحو الفلسطينيين فسقط منهم على الفور ٢١ قتيلاً وجرح ١٥٠ .

واستمرت المواجهات في الشوارع ليسقط المزيد من الضحايا المدنيين العزل ، في وقت كانت تضغط فيه أزمة الخليج على المنطقة ، مما عزز احتمالات انفجار جديد بعد استمرار الانتفاضة الفلسطينية .

وقد تساءل العرب عن أسباب طلب تطبيق قرارات الأمم المتحدة ضد العراق بعد احتلاله الكويت وعدم تنفيذها في فلسطين .

وأنهت المجلة قولها : الوضع في القدس لم يكن خطراً وعنيفاً كما هو عليه اليوم .

من جهة ثانية تساءلت مجلة «لو فيغارو» تحت عنوان : هل يمكننا الحديث عن جبهة ثانية في القدس؟ الضرر حدث . إن اطلاق النار يوم الاثنين داخل المسجد الأقصى كشف بما لا يدع الشك عن مشاكل الشرق الأوسط الأساسية .

في هذه المرحلة لا داعي للتساؤل عمن بدأ المواجهة من بين المتطرفين في كلا الجانبين لبدء الكارثة .

فالخطر الذي كشفت عنه الأزمة الجديدة يحمل عنوان الجبهة الجديدة

كما ورد في أقوال الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران مضيفاً إليه : الأمم المتحدة وجدت نفسها أمام مشاكل من شأنها الارتباط بعضها ببعض لأن مسألة الحق تطرح بالكلمات نفسها .

وقال وزير الخارجية رولان دوما : هذه الأحداث تفيد صدام حسين . . .

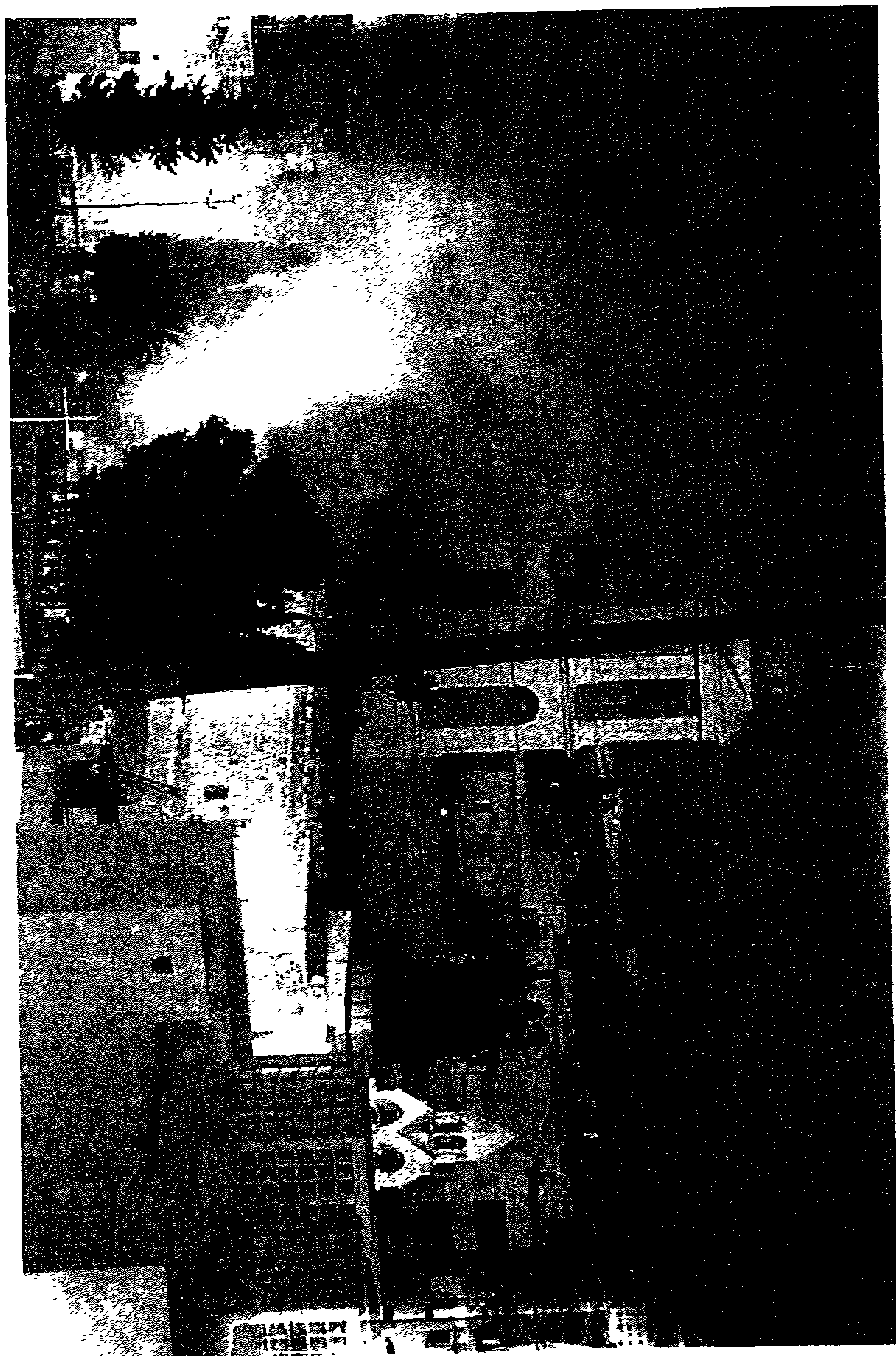
ولا شك أن الحديث الدولي عن حل مشكلة الكويت المحتلة من قبل العراق طرح أيضاً بقية الأحداث المماثلة في فلسطين ولبنان مع التركيز على أهمية ما حدث في القدس .

وقد تحركت المجموعة الأوروبية يوم الثلاثاء مطالبة بضرورة عقد مؤتمر دولي للسلام ، وهو ما يرفضه الإسرائيليون والأميركيون مدعين عدم جدوى قيام الأمم المتحدة بالتدخل في مثل هذه المشاكل .

وفشلت أيضاً محاولات السكرتير العام للأمم المتحدة خافيير بيريز ديكويار لإرسال لجنة تحقيق إلى القدس بسبب التعنّت الإسرائيلي .

واكتفى مجلس الأمن بإصدار قرار يستنكر فيه ما حدث دون التطرق إلى صلب المشكلة .

ولذلك فإن الأوضاع مرشحة للمزيد من العنف في القدس وكافة الأراضي العربية المحتلة طالما لم يطرح موضوع المؤتمر الدولي وحق تقرير المصير .



كنيسة المهد

شهداء الانتفاضة الثانية ٢٠٠٠

أفادت مؤسسة فلسطينية أن ١٦٦٧ فلسطينيًا استشهدوا منذ بداية «انتفاضة الأقصى» في ٢٨ أيلول (سبتمبر) العام ٢٠٠٠ وحتى نهاية نيسان (أبريل) بينهم ١٤٦ لم يصلوا إلى المستشفيات .

وأضاف «المركز الفلسطيني للعدل والسلام» في تقريره الشهري أن نحو ٤٠ ألف شخص أصيبوا ، كما أن الانتفاضة خلّفت ٣١٥٠ معاقاً ، وبلغ عدد المعتقلين عشرة آلاف بينهم ٣٥٠ تم تحويلهم إلى الاعتقال الإداري ، كما تم اقتلاع ٥٠٨٠٨٠ شجرة وتدمير وإلحاق أضرار بنحو ٩٩٥٠ منزلاً . وأكّد التقرير الذي يحمل عنوان «شعب تحت الاحتلال» أن القوات الإسرائيلية واصلت عدوانها على الشعب الفلسطيني وقيادته وأراضيه وأعادت احتلال مدنه وبلداته ومخيماته ، ودمّرت البنى التحتية للشعب الفلسطيني . وأوضح أن من بين الشهداء ٤٥٠ طفلاً و١٩٨ من

طلاب المدارس و ٢٣٠ من رجال الأمن و ٧٠ من الحركة النسائية و٤٦ سقطوا على الحواجز العسكرية و ١٥٠ في عمليات اغتيال وإعدام خارج نطاق القانون و٢٨ برصاص المستوطنين ، ومن بين الجرحى ١٦ ألفاً تم تقديم العلاج لهم ميدانيًا . وأشار إلى أن قوات الاحتلال قامت بقطع وتجريف ما يزيد على نصف مليون شجرة ، وجرفت ما يزيد على ٣٣ ألف دونم ودمرت ١٥١ بئر مياه وشبكات الري و٢٠٧ منازل للمزارعين و ٧١ مزرعة دواجن . وأكد التقرير أنه وفقاً لتقديرات أولية نشرتها منظمة الصحة العالمية والوكالة الحكومية الأميركية للمساعدات ووزارة الصحة الفلسطينية هناك نحو ٦٠٠ منزل تم تدميرها بالكامل في مخيم جنين ، إضافة إلى ٢٠٠ لم تعد صالحة للسكن ، فيما أصبحت ١٣٥٠ أسرة من دون مأوى في المخيم . وأشار إلى أنه في نابلس دمرت قوات الاحتلال مركز البلدة القديمة الذي يبلغ طوله ٢٣٠ متراً وتوجد فيه آثار رومانية وإسلامية وبيزنطية ، وشمل التدمير برج الساعة والسرايا ومبنى الحكومة العثمانية والقناطر الخيرية التي تربط المركز التجاري للبلدة مع حي القريون ، كما طاول الدمار مسجد الخضرة التاريخي الذي أنشئ العام ١١٨٧ حيث شمل الدمار ٦٥ في المائة من مساحته .

وأكد التقرير أن العدوان الإسرائيلي ألحق دماراً وخراباً في ٤٣ مسجداً وأربع كنائس بالأخص كنيسة المهد التي حوصرت لـ٣٨ يوماً وتعرضت لإطلاق نار وإحراق . وأوضح أن العدوان أدّى إلى توقّف العملية التعليمية ، كما طاول المؤسسات التعليمية والتي حولتها قوات الاحتلال إلى مراكز للجيش والاعتقال ، حيث دمر الجيش الإسرائيلي تدميراً جزئياً وشاملاً ١٠٠ مدرسة واقتحم عدداً منها وحوّلها إلى ثكنات عسكرية ، واستهدف الطلاب وهم في طريقهم إلى مدارسهم ، حيث استشهد ٣٠ فلسطينياً من الأسرة التعليمية إضافة إلى اقتحام المؤسسات التعليمية والوزارات والدوائر

وتدميرها وسرقة محتوياتها .

عمليات الاغتيال الإسرائيلية منذ الانتفاضة

شكلت عملية تصفية أمين عام الجبهة الشعبية «أبو علي مصطفى» نقلة نوعية في عمليات الاغتيال الإسرائيلية لناشطي الانتفاضة ، من حيث استهدافها هذه المرة كادراً سياسيًا من الصف الأول في منظمة التحرير الفلسطينية .

أطلق الجيش الإسرائيلي حملة التصفيات الجسدية بحق ناشطين فلسطينيين بعد حوالى شهر على اندلاع الانتفاضة في ٢٨ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ في ما أوقع ٥٠ قتيلاً من أعضاء مختلف المنظمات الفلسطينية وبينها فتح التي يترأسها الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات .

وفي ما يلي أبرز حالات سياسة التصفيات هذه :

-في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) قتل حسين عبيات (٣٧ عاماً) مسؤول الجناح المسلح لحركة فتح في جنوب الضفة الغربية بصاروخ استهدف سيارته ، أطلق من مروحية قتالية في بيت ساحور بالقرب من بيت لحم في منطقة خاضعة لسيطرة السلطة الفلسطينية بالكامل .

وكان عبيات أول ضحايا استراتيجية تصفية الناشطين الفلسطينيين التي اعتمدتها إسرائيل . وتبنّى الجيش الإسرائيلي هذه العملية معلناً أنها تستهدف مسؤولين عدة من فتح ملاحقين بسبب مشاركتهم في هجمات ضد الإسرائيليين .

-في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) : مقتل خمسة ناشطين من الجناح المسلح لحركة فتح في كمين نصبه الجيش بالقرب من قرية حبلة في الضفة الغربية .

-في ٣ كانون الأول (ديسمبر) مقتل عوض سليمي (٢٧ عاماً) أحد قادة الجناح المسلح لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في انفجار بالقرب من معبر كارني بين إسرائيل وقطاع غزة .

-في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) الجيش الإسرائيلي يغتال ثابت ثابت ، المسؤول الكبير في فتح في طولكرم (الضفة الغربية) بالقرب من منزله . وأصيب الدكتور ثابت وهو أيضاً المدير العام لوزارة الصحة الفلسطينية في صدره بخمس رصاصات .

-في ١٣ شباط (فبراير) قتل مسعود عياد المسؤول في القوة-١٧ ، الحرس الشخصي للرئيس الفلسطيني ، بعدما قدّمه الجيش على أنه قائد لخلية تابعة لحزب الله في هجوم مروحيات بالقرب من مخيم جباليا للاجئين في قطاع غزة .

-في ٢ نيسان (أبريل) قتل الناشط من حركة الجهاد الإسلامي محمد عبد العال(٢٦عاماً) في غارة للمروحيات في رفح في قطاع غزة .

-في ٥ نيسان (أبريل) قتل في جنين إياد حردان (٣٠ عاماً) الذي عرفت عنه إسرائيل على أنه قائد الجناح العسكري للجهاد الإسلامي في شمال الضفة الغربية في اعتداء بالمتفجرات . وكانت أجهزة الأمن الإسرائيلية تلاحقه منذ ثمانية أعوام بتهمة التورط في سلسلة اعتداءات ضد إسرائيل .

-في ٥أيار (مايو) قتل أحمد خليل عيسى إسماعيل(٣٦ عاماً) إثر إصابته برصاصات عدة بالقرب من بيت لحم أطلقها قناصة ، وكان أمضى ثمانية أعوام في السجون الإسرائيلية قبل ان يفرج عنه قبل سنة ونصف السنة .

-في ٧حزيران (يوليو) مقتل أحد كوادر فتح ، أشرف بردويل (٢٧عاماً) إثر إصابته بجروح خطرة في انفجار أثناء قيادته سيارته بالقرب

من طولكرم ، وكان مطلوباً من إسرائيل بتهمة المشاركة في هجمات ضد الإسرائيليين .

-في ٢٥ تموز (يوليو) الجيش الإسرائيلي يغتال صلاح دروزه (٣٦ عاماً) الناشط في حماس . وقد تمزق أشلاء إثر إصابة سيارته بالصواريخ فيما كان بالقرب من نابلس .

-في ٣١ تموز(يوليو) مقتل جمال منصور (٤١ عاماً) وجمال سليم (٤٢ عاماً) وهما مسؤولان سياسيان في حماس وأربعة ناشطين آخرين من الحركة في هجوم بالمروحيات على مكتب لحماس في نابلس .

-في ٤ آب (أغسطس) مقتل مساعد قائد فتح في الضفة الغربية «مهند أبو حلاوة» لدى استهداف سيارته بالصواريخ في رام الله ما أدى إلى تفحم جثته تماماً .

-في ١٥ آب (أغسطس) قتل الناشط في الجناح المسلح لحركة فتح عماد أبو سنينه (٢٥عاماً) على أيدي جنود من وحدة خاصة تعمل متخفية بزي فلسطيني .

-في ٢٢ آب (أغسطس) مقتل بلال الغول (٢٢عاماً) من حركة فتح بصواريخ أطلقت على سيارته .

شارون سيرة وخطط

يعتبر شارون واحداً من أكثر القادة العسكريين الإسرائيليين تشدداً ودموية، فهو يرفض تقسيم القدس ويصر على أنها ستبقى العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل، ويرفض كذلك مبدأ حق العودة للفلسطينيين اللاجئين أو المساس بأي من المستوطنات، ويسعى إلى تهويد الأراضي العربية.

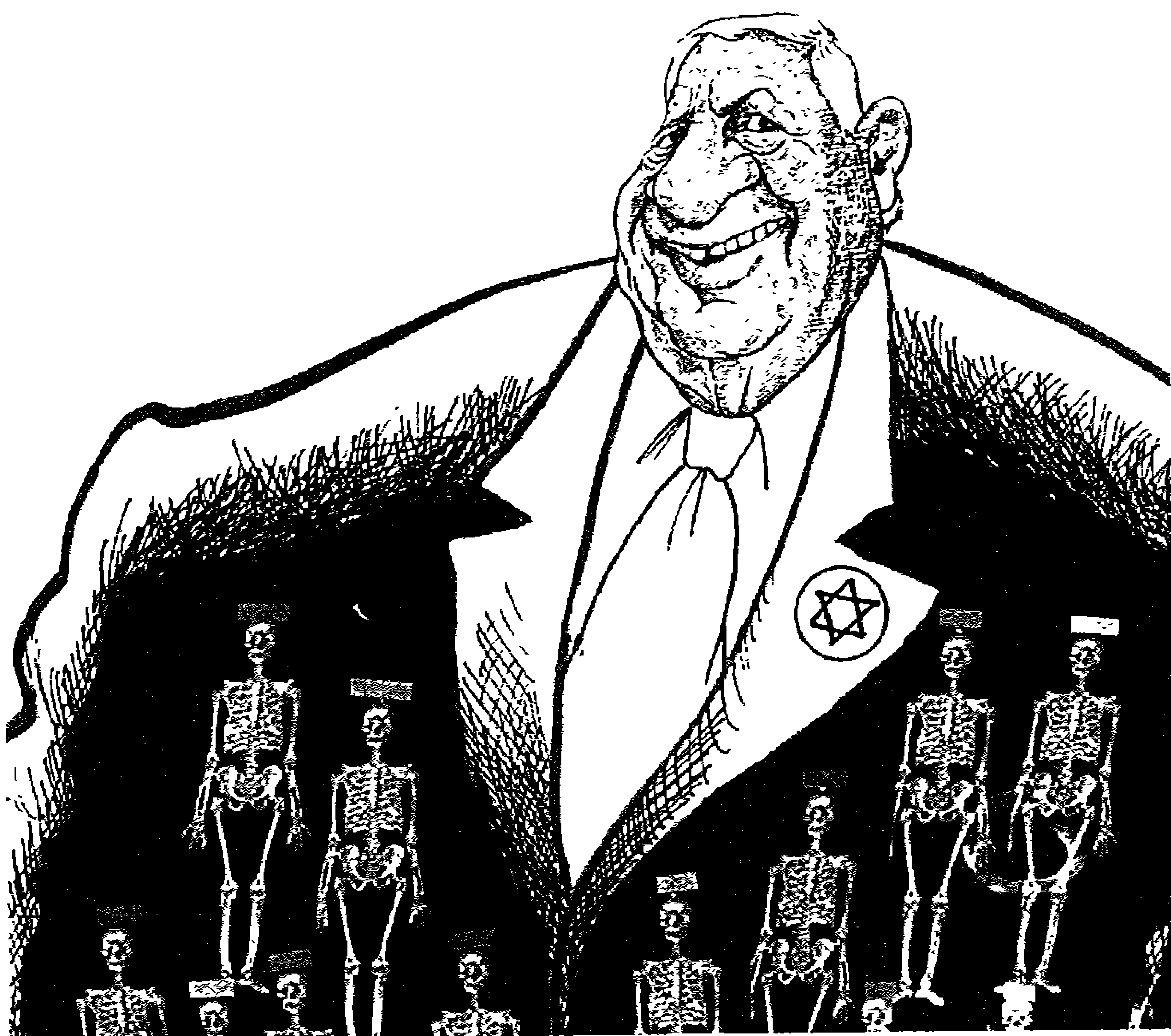
لقد ارتبط اسم رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون بكل الحروب التي اندلعت بين العرب وإسرائيل بدءاً من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٨٢، إضافة إلى مسؤوليته عن مجزرتي قبية عام ١٩٥٣ وصبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢، ومحاولات قمع انتفاضة الأقصى التي كان سبباً في اندلاع شرارتها الأولى عام ٢٠٠٠ .

سيرة الجزار أرييل شارون

ارتبط اسم رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون بكل الحروب التي اندلعت بين العرب وإسرائيل بدءاً من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٨٢ ، إضافة إلى مسؤوليته عن مجزرتي قبية عام ١٩٥٣ وصبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ ومحاولات قمع انتفاضة الأقصى التي كان سبباً في اندلاع شرارتها الأولى عام ٢٠٠٠ .

الميلاد والنشأة

ولد أرييل صموئيل مردخاي شرايبر (أرييل شارون) في قرية ميلان الفلسطينية - التي أصبحت فيما بعد تسمى مستوطنة كفار ملال - عام



١٩٢٨ لأسرة من أصول بولندية عملت في مزارع الموشاف في فلسطين بعد أن فرت إليها خوفاً من بطش النازيين .

كان والده يريد أن يجعله شخصاً قاسياً وعنيفاً ، فكان يضربه بشدة ويدربه على الوحشية .

تزوج مرتين ، قتلت زوجته الأولى في حادث سير وتوفيت الثانية قبل عام ، له ولدان ، وقتل ولده الثالث في الحادية عشرة من عمره برصاصة أفلتت من بندقية .

التعليم

تنوّعت العلوم التي درسها شارون ، إذ درس التاريخ والاستشراق والزراعة والقانون في إسرائيل ، ثم العلوم العسكرية في فرنسا وإنكلترا .

التوجّهات الفكرية

يعتبر شارون واحداً من أكثر القادة العسكريين الإسرائيليين تشدّداً ، فهو يرفض تقسيم القدس ويصرّ على أنها ستبقى العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل ، ويرفض كذلك مبدأ حق العودة للفلسطينيين اللاجئين ، أو المساس بأي من المستوطنات الموجودة ، ويسعى إلى تهويد الأراضي العربية بإقامة المزيد من المستوطنات عليها .

حياته العسكرية

خطف شارون وهو في سن الخامسة عشرة نجل أحد المواطنين الفلسطينيين (عشر سنوات) الذين كانوا يقودون جماعة معارضة ضد الحركة اليهودية وفصل رأسه عن جسده بسكين .

في سن الرابعة عشرة انضم إلى منظمة «الهاغاناه» الإرهابية وكان

أول أعماله قتل ثلاث نساء وخمسة رجال في عملية شهيرة .

ويمتد سجله الوحشي إلى مذبحة اللد عام ١٩٤٨ ، وكان عمره ٢٠ عاماً ، عندما تولى تحت قيادة موشي دايان مسؤولية المجزرة الوحشية البشعة في مدينة اللد ، حين جمع ٤٢٦ فلسطينياً تحت التهديد واعتقلهم داخل المسجد ثم نسف المسجد بمن فيه ، حتى لقي أغلبهم حتفه ، أمّا من نجوا فقد استمر في اعتقالهم ، ومنع عنهم الطعام والشراب لمدة يومين ، ثم أمر بتسيير النساء الفلسطينيات عاريات إلى الحي اليهودي وأمر بفتح النار عليهنّ ، بينما شحنوا الرجال في ثلاث عربات مصفحة إلى أحد الميادين وهم مقيدون وداستهم المصفحات وتركت جثثهم عدة أيام في العراء .

وتشهد مذبحة دير ياسين ١٩٤٨ أيضاً على إرهابه ، ففي تلك المذبحة أمر بنسف منازل القرية ومساجدها ، فزاد عدد القتلى عن ٣٦٠ فلسطينياً ، وكذلك مجزرة قبية عام ١٩٥٣ التي أسفرت عن مقتل ٦٩ فلسطينياً لقوا حتفهم تحت ركام ٤٣ منزلاً جرى نسفها دفعة واحدة ، وجرت ترقيته إثر ذلك ليصبح قائداً لسلاح المظليين .

ومن عام ١٩٥٣ إلى ١٩٥٦ نفذ شارون عدة مذابح في الضفة الغربية أسوؤها مجزرة قرية العزازمة التي أسفرت عن مقتل ٧٥ مواطناً عربياً ومئات الجرحى .

وفي عام ١٩٥٤ نفذ مذبحة قطنة عند منطقة الحدود مع الأردن التي لم يتم إحصاء عدد القتلى من الفلسطينيين فيها . وكان شارون السفاح يضحك بشدة كلما قُتل طفل فلسطيني ، ومن أقواله :« أشعر بالمتعة إذا رأيت دماء الفلسطينيين تسيل أمامي » . وفي عام ١٩٥٦ أشرف على قتل

الأسرى المصريين بأوامر صريحة ومباشرة منه في منطقة ممر «متلا» .

تبوأ مناصب عسكرية منذ العام ١٩٤٨ وأصيب مرتين عام ١٩٦٦ وتمت ترقيته إلى رتبة عميد . عين عام ١٩٦٩ قائداً عسكرياً للمنطقة الجنوبية ، خلع البزة العسكرية في حزيران ١٩٧٣ ، لكنه استدعي مجدداً مع اندلاع حرب تشرين الأول (أكتوبر) .

- دخل المعترك السياسي عام ١٩٧٤ وانتخب نائباً ضمن لائحة ليكود ، لكنه استقال بعد عام وعينه رئيس الحكومة آنذاك إسحق رابين مستشاراً خاصاً له .

- عام ١٩٧٧ دخل ممثلاً لكتلة صغيرة انضمت لاحقاً إلى ليكود ، وعُين وزيراً للزراعة في حكومة مناحيم بيغن الأولى ورئيساً للجنة الوزارية لشؤون الاستيطان .

- عام ١٩٨١ عين وزيراً للدفاع في حكومة بيغن الثانية حتى الإطاحة به في شباط عام ١٩٨٣ في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي للبنان ومسؤوليته عن مجزرة صبرا وشاتيلا ، وتم تعيينه وزيراً من دون وزارة .

- ١٩٨٤ - ١٩٩٠ كان وزيراً للصناعة والتجارة .

- ١٩٩٠ - ١٩٩٢ كان وزيراً للبناء والإسكان وعمل على توسيع الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة .

- ١٩٩٦ - ١٩٩٨ كان وزيراً للبنى التحتية .

خلف شارون بنيامين نتنياهو المهزوم عام ١٩٩٩ في زعامة الليكود قبل أن ينافس إيهود باراك على منصب رئاسة الحكومة ويفوز به .

وخطاب شارون لم يتغير ، فكلماته تشير إلى موقفه العدائي تجاه

العرب حيث يقول :« إن إبادة العرب وقتلهم هو السلاح الوحيد في التعامل معهم ، ولا يمكن أن يكون سلام بيننا وبين العرب ولن يكون مستقبلنا إلاّ بالقضاء على العرب جميعاً ، إن الإبقاء على عربي واحد في هذه المنطقة هو خنجر في ظهر الإسرائيلي ، وإنّ قوة إسرائيل تكمن في احتلال أراضيهم وطردهم . . . أعطوني الحكم ولو لمدة قصيرة وسأريكم ماذا أفعل بهم» .

الهدف الحقيقي لحرب شارون «إسرائيل الكبرى»

برّر رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون الهجوم العسكري الحالي على الضفة الغربية بوصفه عملاً دفاعياً في مواجهة الإرهاب الفلسطيني عموماً والانتحاريين على وجه الخصوص .

بيد أن الإرهاب ، وهو استخدام العنف ضد المدنيين لتحقيق أهداف سياسية ، يمثّل أسلوباً حربياً غالباً ما استخدمه شارون في سياق مسيرته المهنية العنيفة والملطخة بالدماء . وفي تشرين الأول (أكتوبر) من العام ١٩٥٣ قاد شارون غارة على قرية قبية وحولها إلى أنقاض ، حيث تم تدمير خمسة وأربعين منزلاً وقتل تسعة وستين من المدنيين .

وفي أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٨٢ تحمّل وزير الدفاع شارون مسؤولية قيادية عن المجزرة التي نفّذتها الميليشيات الانعزالية اللبنانية في

مخيّمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين .

وفي العام ٢٠٠٢ شن الجيش الإسرائيلي ، وبناء على أوامره ، حرباً ضد الشعب الفلسطيني شملت احتلال مدن وقصف مخيمات للاجئين وتدمير منازل وهجمات على منشآت طبية ومحاصرة مئات المشتبه بهم إضافة إلى إعدامات عاجلة .

إن الهدف السياسي من هذا التصعيد العسكري هو قتل أكبر عدد من الفلسطينيين إلى أن يذعنوا ، وكما قال شارون نفسه : يجب ضربهم وعلينا أن نوقع فيهم عدداً كبيراً من الضحايا ، وعندها سيعرفون أنهم لا يستطيعون الاستمرار في استخدام الإرهاب وتحقيق إنجازات سياسية .

ويهدف برنامج شارون السياسي الأوسع إلى اكتساح اتفاقات أوسلو واستكمال إعادة احتلال الأراضي الفلسطينية وإقصاء السلطة الفلسطينية وإضعاف وإذلال قيادتها واستبدال ياسر عرفات بزعيم متعاون .

وفي المحصّلة فإن بطل الحلول العنيفة أطلق العنان لحملة من الإرهاب في الأراضي المحتلة ، ليس لقمع الإرهاب الفلسطيني ، بل لاعتقال المسيرة نحو الحكم الذاتي الفلسطيني والاستقلال والدولة .

والبرنامج الحقيقي الكامن خلف الحرب على الإرهاب ، التي يشنها شارون ، هو المخطط القديم لحزبه «الليكود» والمتمثّل في إسرائيل الكبرى من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط .

وفي إطار حملة منظّمة لتحويل السلطة الفلسطينية إلى شيطان ، حاول شارون تصويرها على أنها هيئة تنسق أعمال العنف ضد المدنيين الإسرائيليين .

وفي الحقيقة ، إنّ السلطة الفلسطينية تتشكّل من مجموعة من الأعضاء المعتدلين الذين انضموا إلى عرفات في إدانة الإرهاب واختيار الفريق السياسي لتحقيق التقدم ، وهي حكومة في طور التكوين بموازنة

سنوية تصل إلى بليون دولار مهمتها توفير الخدمات الضرورية لسكان الأراضي المحتلة البالغ عددهم ٣,٣ مليون نسمة .

من بين موظفي السلطة الـ ١٥٠ ألفاً هناك إلى جانب ضباط الشرطة والأمن الموظفون المدنيون والمدرسون والأطباء وعمال المستشفيات ، وتفكيك السلطة سوف يؤدي إلى فوضى وعدم استقرار وعنف متوطن ، وهذا لن يخدم المصالح الأمنية الإسرائيلية ، بل ربما يوفر الفرصة التي يبحث عنها شارون ليعيد احتلال الضفة الغربية والاستمرار في عملية الضم الزاحفة ونقل بعض السكان إلى بلدان عربية مجاورة .

إن شارون لا يسعى إلى السلام مع الفلسطينيين بل إلى استسلامهم وطردهم ، واللغة الوحيدة التي يتقنها هي القمع والوحشية ، كما أن مفاهيم المساومة والتسوية والحل الوسط غريبة على تفكيره .

وبالنسبة إليه فإن الاعتدال الفلسطيني يمثّل خطراً أكبر بكثير من التطرف ، إذ كان غزو لبنان عام ١٩٨٢ هو رد شارون على إشارات اعتدال أظهرتها منظمة التحرير الفلسطينية أوائل الثمانينات ، وتمثّلت أهدافه الرئيسية في تدمير منظمة التحرير الفلسطينية كقوة عسكرية وسياسية ، وكسر عزيمة النزعة الوطنية الفلسطينية ، وضم الضفة الغربية إلى إسرائيل الكبرى ، وكانت تلك حرب خداع انتهت بكارثة .

لكن يبدو أن مهندس هذه الحرب لم يتعلّم شيئاً من أخطائه ، وكما في عام ١٩٨٢ فإنّ شارون اليوم منزعج من الاعتدال الفلسطيني لأنه يترجم إلى تعاطف ودعم عالمين . والباعث نفسه على الإملاء والهيمنة هو الذي شكّل أسلوب شارون على الدول العربية المجاورة من خلال مسيرته كلها ، فقد قرع على الدوام طبول الحرب ولم يدعم أبداً أي مبادرة سلمية . فخطة السلام السعودية التي صادقت عليها البلدان الـ «٢٢» الأعضاء في الجامعة العربية عرضت على إسرائيل السلام وإقامة علاقات طبيعية في مقابل

الانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، ورَدّ شارون بإعلان الحرب ، وهو الأمر المتوقع ، أرسل دباباته إلى داخل الضفة الغربية لا ليسحق الفلسطينيين فقط بل ليحول دون نجاح خطة السلام السعودية .

لقد أتت انتفاضة الأقصى التي أشعل شارون فتيلها بزيارته التحريضية إلى الحرم الشريف «جبل الهيكل» يوم ٢٨ أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠٠ على حياة ١٥٠٠ شخص ، وإضافة إلى التسبب في معاناة رهيبة للشعب الفلسطيني ، فإن رجل الحرب المتوحش هذا يعرض للخطر أيضاً شعبه ، إذ تم انتخابه على أساس أن يحقّق السلام مع الأمن ، فبكم من الأشخاص ينبغي أن يضحّي قبل أن يفهم أنه لا يمكن فرض السلام بل التفاوض عليه فقط . . .

وأنه لا أمن بلا سلام؟

شارون في قفص الاتهام

خلال أول مؤتمر للسلام حول الشرق الأوسط استضافته العاصمة الإسبانية مدريد ، أواخر العام ١٩٩١ ، أذهل وزير الخارجية السوري فاروق الشرع العالم أجمع عندما أخرج قصاصة من صحيفة بريطانية قديمة تظهر صورة رئيس وزراء إسرائيل السابق ووزير خارجيتها ورئيس الوفد الإسرائيلي إلى المؤتمر إسحق شامير وتحتها عبارة «WANTED» أي مطلوب للعدالة .

واليوم ترفع العدالة البلجيكية – وللأسف ليس العربية هذه الـ «WANTED» في وجه رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي الجنرال أرييل شارون لدوره المباشر في مجازر صبرا وشاتيلا التي ارتكبت خلال غزو لبنان وسقوط بيروت عام ١٩٨٢ .

أليس هذا دليلاً على أنّ مَن يصل إلى كرسي القرار في إسرائيل «يجب» أن يكون إرهابياً ومطلوباً من العدالة الدولية؟

هل هناك رئيس وزراء إسرائيلي أو وزير دفاع أو خارجية أو يشغل أي منصب سياسي - عسكري إلاّ وكان إرهابياً بدرجة الامتياز؟

عودوا إلى قادة تل أبيب من ديڤيد بن غوريون إلى أشكول ومائير ورابين وبيريز ونتنياهو فباراك ومن ثم شارون ، وعودوا إلى تاريخهم «البطولي !» فماذا ستجدون؟ إنهم قتلة وأصحاب سوابق ، وكل واحد منهم تنطبق عليه عبارة «WANTED» فلماذا تغفل عين العدالة الدولية عن هؤلاء بينما يجلب رئيس يوغوسلافيا السابق - على سبيل المثال - إلى محكمة لاهاي لمجرمي الحرب؟

إنها قصة الكيل بمكيالين . . والعدالة ذات العين الواحدة ولعبة القوى الكبرى المتأثرة بالصهيونية العالمية . لكن بلجيكا ، الدولة الأوروبية الصغيرة ، استطاعت أن تثبت أن العين تقاوم المخرز ، وأن الإرادة الحرة قادرة على الوقوف في وجه كل الضغوط . ولكن السؤال الآن : هل سنشاهد شارون في قفص الاتهام؟ . . وهل سيمهّد ذلك - في حال حدوثه - لمثول مجرمي الحرب الآخرين أمام القضاء لينالوا جزاء ما اقترفت أيديهم؟

وأين هم العرب وعدالتهم وكرامتهم ، في وقت نرى البعض منهم يمدون أيديهم مبتسمين للجلادين الإسرائيليين الملطخة أيديهم بالدم العربي؟ !

شارون: نصف قرن من القتل

حرب الضفة ، وهي الأكثر عنفاً في فلسطين منذ العام ١٩٤٨ ، أظهرت قدرة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية على تسجيل أرقام قياسية جديدة في ارتكاب المجازر ، وقدرة أرييل شارون الدائمة على تجاوز نفسه في ممارسة عنصرية بلا حدود ، سبق أن سجّل فصولاً منها في القرن الماضي وهو يستعد لتسجيلها مجدّداً ويتفوّق في مستهل القرن الجديد .

ومن الخطإ الاستمرار في الاعتقاد بأن البيت الأبيض سوف يظل يجاري حكام إسرائيل في التغطية على هذه الارتكابات ، ولو أن «الحرب ضد الإرهاب» يمكن أن تتسع للكثير من الحماقات التاريخية أو الأخطاء الأخلاقية في حق الدول والشعوب معاً . من الخطإ أيضاً التمسّك بالوهم القائل إن الولايات المتحدة عمياء مائة في المائة ، وفي أحسن الحالات عوراء

لا ترى إلا بعين واحدة ، لأن للجنون العنصري حدوداً ولا يمكن أن يستقر في البيت الأبيض ، وأن يظل يلهم القرارات الأميركية .

والأميركيون يدركون جيداً أن أرييل شارون صاحب سوابق و«مآثر» لا يمكن أن يتم تجاوزها بسهولة ، وأنه ليس الرجل الذي يمكن الرهان عليه في حلّ قضية الشرق الأوسط ، ولا يمكن أن يكون «الشريك» في الحرب ضد الإرهاب ، في الوقت الذي يقول العالم كله إنه بات الإرهابي الأول ، على امتداد الكرة الأرضية ، وهو يحاول تحقيق غلبة ما على هتلر وموسوليني معاً ، والتفرّد بلقب «الجزار الأكبر» على امتداد السنوات التي مضت والسنوات الآتية .

حمام دم وتاريخ مجرم

إن حمّام الدم الذي شهدته وتشهده المناطق الفلسطينية ، تحت ستار «مكافحة الإرهاب» ، يعني أن الجنرال شارون لا يزال وفياً لنفسه ، طوال حياته العسكرية وعلى امتداد حياته السياسية ، وهو لا يعترف بأنّ مقاومة الاحتلال حق وواجب ، وهو يمارس التصفيات الجسدية بدم بارد ، تماما مثلما يهدم البيوت ويقتلع آلاف الأشجار ، خصوصاً أشجار الزيتون ، ويصادر الأراضي ويسد على الفلسطينيين سبل النجاة ، قبل أن يهدم منازلهم على رؤوسهم ويتعمّد إحراق جثثهم بقصد محو آثار الجريمة .

في الوقت نفسه لا ينسى شارون كيف يبني مستوطناته . . . تهديم هنا وبناء هناك ، ومحاولة لمحاصرة المدن الفلسطينية بأعداد جديدة من المهاجرين اليهود ، وتيئيس الفلسطينيين من إمكانية الحصول على فرص عمل وحياة . وكثيرات هن النساء الفلسطينيات اللواتي اضطررن إلى

الولادة في الشوارع أو عند الحواجز العسكرية الإسرائيلية ، وكثيرون هم الأطفال الذين ماتوا بعد أن ولدوا ، أو قبل أن يولدوا .

بهذا السلوك يبدو الجزار شارون وفياً لتاريخه الطويل في قتل العرب ، داخل وخارج ما يعتبره حدود إسرائيل . منذ العام ١٩٥٠ ، يوم كان على رأس الوحدة ١٠١ بدأ لعبة الدم ، وهو لا ينوي أن يضع لها نهاية . وسائله لم تتغير : القوة والتدمير على قاعدة احتقار أعدائه . وعندما انتخب في مطلع العام ٢٠٠١ أمل كثيرون أن يكون قد تبدّل ، وأن يكون قد أصبح أكثر اعتدالاً وأقل عدائية ، لكنه استطاع وفي أيام قليلة أن يبرهن أنه لا يزال قادراً على ارتكاب المجازر ، تماماً مثلما كان قبل خمسين عاماً .

محطات

ومن أجل ترطيب الذاكرة ، لا بدّ من التوقف عند بعض المحطات ، المجزرة الأولى كانت في قرية «قبية» الفلسطينية في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٣ ، في الرد على هجمات نفّذها مقاتلون فلسطينيون كلفته رئاسة الأركان بتهديم بعض المنازل في القرية من أجل تخويف الأهالي . وما حصل أن شارون اختار يومذاك وسائله الخاصة فأحضر ستمائة كيلوغرام من المتفجّرات وهدم ٤٥ منزلاً دفعة واحدة على رؤوس سكانها ، ، فقتل ٦٩ شخصا نصفهم من النساء والأطفال .

في نيسان (أبريل) ١٩٥٥ قاده أحد الهجومات التي نفّذها إلى معسكر مصري في غزة ، فقتل ٣٨ جنديا وضابطاً دفعة واحدة في كمين واحد . إثر هذه العملية قرّر الرئيس جمال عبد الناصر عقد صفقة أسلحة ضخمة مع الاتحاد السوفييتي . في كانون الأول (ديسمبر) من العام نفسه

هاجم مواقع سورية عند بحيرة طبريا وقتل ٥٦ جندياً دفعة واحدة ، الأمر الذي أقلق دافيد بن غوريون ، رغم أن الرجل لا يقل تطرفاً عن شارون . وقد كتب موشي دايان بعد ذلك يقول :« إن ضحايا شارون يعدون دائماً بالعشرات ، وهو لم يتول أي مهمة من دون ارتكاب مجزرة حقيقية في صفوف الأعداء» .

في مطلع السبعينات قاد شارون بصفته قائد القطاع الجنوبي ، حرباً ضد الفدائيين الفلسطينيين في القطاع الذي تحتله إسرائيل منذ العام ١٩٦٧ . بدأ بوضع لوائح مفصلة بحوالى مائة فلسطيني ناشط تبحث عنهم أجهزة الأمن ، قبل أن يتوصل إلى اعتقالهم وتصفيتهم الواحد تلو الآخر . في الوقت نفسه عمل على ترحيل آلاف رجال البدو من منطقة رفح بحجة أنهم يحمون الفدائيين أو يقدمون لهم العون .

خطة شارون وقمة بيروت

لم تكد قمة بيروت تنهي أعمالها ، بعد يومين من الاجتماعات ، وتطلق مبادرة للسلام أجمع عليها المشاركون ، واقترحها وليّ العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، وهي ترتكز على الانسحاب الشامل مقابل السلام الشامل ، حتى تحرك رئيس حكومة إسرائيل أريل شارون لرفض المبادرة والالتفاف عليها والعمل من أجل إجهاضها وهي في المهد ، ومنع اتخاذ الخطوات العملية لدفعها إلى الأمام ، فتحركت الآلة العسكرية الإسرائيلية ضمن خطة واضحة هدفت إلى تطويق المبادرة . وكان شارون قد أعلن عن رغبته في زيارة بيروت للاجتماع إلى القادة العرب والبحث في خطة سلام أعلن عنها ، وهي تنطوي على مراحل ثلاث :

وقف الانتفاضة ، وإعطاء حكم ذاتي للفلسطينيين في مناطقهم ، وبعد فترة من الزمن يبحث في موضوع الدولة الفلسطينية .

على ماذا تنطوي خطة شارون؟

يقول مطلعون إنه بعدما فشل شارون في إجبار عرفات على اتخاذ موقف من الانتفاضة ، بالرغم من الضغوط التي مورست ضده ، خصوصاً من قبل واشنطن ، وبالرغم من حالة الحصار التي فرضت عليه والإقامة الجبرية التي ألزمته إسرائيل بموجبها البقاء في رام الله وعدم مغادرتها ، كما منعته من المشاركة في قمة بيروت ، قرّر رئيس حكومة إسرائيل ، وبعدما اقتنع الجانب الأميركي ، بضرورة إعادة احتلال مناطق الحكم الذاتي وإجراء مسح لها بهدف جمع السلاح وتوقيف المشتبه بهم والمنضوين تحت لواء حماس أو الجهاد الإسلامي ، والعمل على تنظيف هذه المناطق من السلاح مما يساعد على وقف الانتفاضة على حد زعمه ، إضافة إلى إقامة حواجز بين المناطق الفلسطينية والمناطق الإسرائيلية كما يقول بنيامين نتانياهو لوضع حد للعمليات الاستشهادية داخل إسرائيل .

ويطرح المراقبون السؤال عن الأسباب الكامنة وراء إقدام شارون على تصعيد حملته العسكرية ، وعمّا إذا كان ذلك يؤدي إلى وقف العمليات الاستشهادية ووضع حدّ لها؟

هل ينجح شارون؟

يستبعد مراقبون ديبلوماسيون أن ينجح شارون وأن يحقق الأهداف

المرجوّة ، ويرون أنّه يسير على طريق الفشل ، وأن العدّ العكسي لحكومته بدأ ، وأن مبادرة قمة بيروت اعتبرت الضربة القاضية التي وُجّهت إليه . وقد وضع شارون نفسه في مأزق ، وما يقوم به لا يمكن أن ينقذه ، فمن ناحية لن يتمكّن من وقف العمليات الاستشهادية ، ولن يتمكن من جهة ثانية من فرض الأمن وتوفير السلام باعتماده على الخيار العسكري .

وهنا يسأل البعض : هل المبادرة العربية في مأزق وهل ماتت قبل أن تولد؟

يقول أحد السياسيين إن المبادرة العربية قائمة وهي ليست في مأزق ، وإن رفض شارون لها من خلال ما يقوم به يزيدها متانة وقوة ويزيدها تحصينا ، ويتمسّك بها العرب ، وكذلك قوى غربية ترى فيها الخروج من المأزق والتوجه العقلي إلى السلام ، وإن المواقف المتقدمة التي اتخذها العرب لا يمكن للعواصم الغربية أن تتجاهلها أو ترفضها ، بل ستتعاطى معها بكل جدية وواقعية . ولذلك علّقت الأوساط المطلعة أهمية على الزيارة التي قام بها وليّ العهد السعودي إلى واشنطن في ٢٥ نيسان (أبريل) ٢٠٠٢ - وقد حدثت - لإجراء محادثات مع المسؤولين الأميركيين هي الأولى بينهما منذ ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ ، وتعتبر هذه الأوساط الزيارة محطة تحوّل مهمة ومنطلقاً في مسار الأمور ومفصلاً مهماً . ولذلك تتوقع أوساط مراقبة أن يسبق هذه الزيارة جملة أمور تعتبر لازمة لها ، تتمثّل بإعلان إسرائيل اعترافها بالقرار ١٤٠٢ والتزامها به لجهة الانسحاب من الأراضي التي احتلتها وفك الحصار عن مقر رفات ، وإزالة الإجراءات والتدابير الرامية إلى عزله ، وبعدها يتم إعلان وقف إطلاق النار من قبل الجانبين والالتزام به ، وإعادة تحريك مهمة زيني لتطبيق خطة تينيت وليس مشروع زيني كما يطالب الإسرائيليون . وفي حال عدم إقدام إسرائيل على اتخاذ خطوات

لتحقيق الانسحاب وفك الحصار عن مقر عرفات ، فإن موعد زيارة ولي العهد قد يطرأ عليه تعديل حتى تتحقق الخطوات التي تعتبر ممهدة للزيارة .

تحققت الزيارة ولا يزال شارون ماضياً في غيّه !

أهداف الخطة

والآن ما هي أهداف هذه الخطة الصهيونية؟

هذه الخطة الشارونية أُقيمت على أساس إحراز المبادئ الآتية :

• أولاً : عدم إخلاء أية مستوطنة يهودية إلا في إطار اتفاق سياسي موقّع ، كذلك مكانة القدس والأماكن المقدسة لن تتغير إلا في إطار الاتفاق .

• ثانياً : دور الجيش في منع الفلسطينيين من احتلال مناطق لا يسيطرون عليها الآن ، وتمكين اليهود سكان المناطق الفلسطينية من مواصلة الحياة الطبيعية بقدر الإمكان ، وتوفير حركة مرور آمنة في المحاور المؤدية إلى المستوطنات وإلى الدولة العبرية ، ومنع الفلسطينيين من التواجد المسلح في الأماكن التي من الممكن أن تشكل خطراً على المستوطنات الصهيونية ومحاور الحركة اليومية .

• ثالثاً : لن يكون هناك انقطاع مطلق عن الفلسطينيين «الوثيقة التي أصدرها مكتب رئيس الوزراء الصهيوني» وإن الفصل التام سواء أكان اقتصادياً أم بنية تحتية أم مدنياً أم اجتماعياً ليس فقط غير ممكن بل لا يخدم المصلحة الصهيونية والهدف هو تحقيق المصلحة الأمنية .

• رابعاً : لن تمنع الدولة العبرية إدخال المواد الغذائية في أي وضع أمني حتى لو كان هناك عمليات فتاكة وعنف شديد ، وستواصل تل أبيب تزويد الدولة الفلسطينية بالكهرباء ، ولن تمسّ مصادر المياه .

• خامساً : سيكون عبور الأشخاص والبضائع بين مناطق السلطة الفلسطينية والدولة العبرية خاضعاً للرقابة ، وسيتم فقط عبر معابر محدودة أطلق عليها اسم «معابر متنفسية» تتكوّن من ثلاثة معابر للبضائع ومعبرين للأشخاص فقط ، وسيغلق باقي خط التماس بمعوقات ترابية وفي أماكن محددة بالأسيجة والدوريات العسكرية .

• سادساً : ستكون المعابر الحدودية بين الكيان الفلسطيني وكل من مصر والأردن وكذلك الموانئ البحرية تحت الرقابة الصهيونية .

• سابعاً : سيكون عمق الفصل بعمق الأزمة والعنف مع الفلسطينيين ، ومثال ذلك الوضع الراهن حيث تنفذ الدولة العبرية إغلاقاً تاماً .

معوقات تنفيذ الخطة الشارونية

تتمثّل المشكلة الأساسية لتنفيذ خطة الفصل الأمنية الشارونية بارتفاع حجم التكاليف والأعباء المالية ، وبعبارة أدق التمويل والوقت ، حيث إن إقامة معبر واحد للبضائع والأشخاص مع أجهزة فحص أمني تكلف ٢٠٠ مليون شيكل ، بالإضافة إلى المعوقات التي ستبنى في المنطقة لمنع دخول السيارات الفلسطينية إلى الدولة العبرية وبالعكس . كما أن هذه الخطة ستستغرق عدة أشهر لتنفيذها ، لذلك يستمر شحن البضائع بأسلوب الظهر إلى الظهر . ويقدر الاقتصاديون الصهاينة أن تكاليف إنجاز الخطة سيصل في مراحله النهائية إلى ٣٠٠ مليون دولار .

ورغم أن خطة الفصل الأمنية لم يتفق عليها نهائياً إلا أنها انطلقت وتم تنفيذ بعض الخطوات منها على الأرض .

الآثار السلبية على الاقتصاد الفلسطيني

ويبقى السؤال : ما هي الآثار السلبية خُطة الفصل الشارونية على الاقتصاد الفلسطيني ؟

هناك مجموعة من السلبيات تعود على الاقتصادين الفلسطيني والصهيوني جراء الفصل ، خصوصاً أن هذا الخيار مكلف لكلا الطرفين وإن كان تأثيره أشد على الاقتصاد الفلسطيني بسبب صغر حجمه وتشوه هيكليته وضعف بنيته واعتماده الكبير على الاقتصاد الصهيوني .

ويمكن إجمال الآثار السلبية على الاقتصاد الفلسطيني كالآتي :

- أولاً : انخفاض الإنتاجية

حسب المعلومات المتاحة فسوف يكون خُطة الفصل الشارونية هذه آثار سلبية على الاقتصاد الفلسطيني ، من حيث انخفاض الإنتاجية إذا قامت الدولة الصهيونية بمنع المواد الخام اللازمة للصناعة ، كما حالت الحواجز دون دخول البضائع والأشخاص إلى المناطق الفلسطينية مما أدى إلى انخفاض في الإنتاجية بنسبة تتعدى الـ ٣٠ في المائة .

- ثانياً : زيادة معدلات البطالة

هناك حوالي ١٢٥ ألف عامل فلسطيني اعتادوا العمل في الكيان الصهيوني ، منهم ٤٠ ألف عامل يعملون بتراخيص ، وبسبب خطة الفصل هذه منع هؤلاء العمال من الوصول إلى أماكن عملهم في الكيان . كما منعت مواد البناء وخاصة الإسمنت من دخول الأراضي الفلسطينية ، مّما يساهم في زيادة معدلات البطالة الحالية والتي تصل في قطاع غزة إلى ٥٠ في المائة وفي الضفة الغربية إلى ٣٥ في المائة . وإذا بقي الوضع على ما هو عليه بسبب الحصار الشامل الذي تفرضه قوات الاحتلال الصهيوني ، فسوف ترتفع معدلات البطالة بشكل كبير . ونظرا لتبعية الاقتصاد

الفلسطيني للاقتصاد الصهيوني بصورة كبيرة ، واعتماد معظم مراحل وأوجه النشاط الاقتصادي على حركة المبادلات مع الدولة العبرية ، فإن الإغلاقات الشاملة وحالة الحصار الحالي تركت آثاراً سلبية مدمرة على طوائف المجتمع المختلفة ، وخاصة الأيدي العاملة في الكيان الصهيوني ، ولا شك أن قيمة هذه الأضرار تتناسب بشكل طردي مع فترة الإغلاق ، بحيث تتضاعف هذه الأضرار فترة بعد أخرى كلما طال أمد الإغلاقات ، يضاف إلى ما تقدم أضرار إضافية تعرضت لها فئات المجتمع الأخرى التي ترتبط بروابط اقتصادية أو تجارية مع الدولة العبرية ، هذا إلى جانب الأضرار غير المباشرة والناشئة عن تجميد أنشطة هؤلاء العمال ، وتدني مستويات دخولهم إلى حد كبير ، وعجزهم عن الوفاء بكثير من الخسائر المباشرة والناشئة عن فقدان العمال لأعمالهم على مستوى قطاع غزة والضفة الغربية خلال الشهر الأول من الإغلاق مدة ٣٠ يوماً وفقاً لتقديرات وزارة العمل الفلسطينية كالآتي :

قطاع العمال داخل الخط الأخضر ٩٠,٧٥٠ مليون دولار ، خسائر السلطة الفلسطينية من مدخولات الضرائب والتأمين الصحي حوالى خمسة ملايين دولار شهرياً .

- ثالثا : تراجع الاستثمار

سيكون خطة الفصل هذه تأثير سلبي أشد في فرص النمو الاقتصادي وتطور القطاع الخاص ، خاصة أن عدم الاستقرار في ظل سياسة الإغلاق والحصار يشكل العقبة الرئيسية أمام الاستثمار ، إذ إن الاستثمار الخاص ظل في حالة ركود خلال الفترة من ١٩٩٣ - ٢٠٠٠ ، حيث يعاني المستثمرون من الإغلاقات ونفقات التمويل الباهظة وصعوبة إيجاد مدخلات قليلة التكاليف ، وعدم تبلور إطار قانوني ومؤسسات للاستثمار . إن إجمالي الاستثمارات في الأراضي الفلسطينية في العام

٢٠٠٠ لم يتجاوز ٣٠٧ ملايين دولار ، وإن حصة الاستثمار العام بلغت ١٨ في المائة فقط مقابل ٨٢ في المائة للاستثمار الخاص . كما أن الأحداث التي شهدتها الأراضي الفلسطينية في الشهور الأخيرة ساهمت في هروب معظم استثمارات القطاع الخاص ، وهو ما سبب تراجعاً حاداً في معدلات أداء سوق المال الفلسطينية .

سلبيات أخرى

وهناك سلبيات أخرى ستعود على الاقتصاد الفلسطيني إذا تم تطبيق خطة الفصل الشارونية هذه . وقد أوضحت إحدى الدراسات أن الانفصال الاقتصادي في ظل التوصل إلى اتفاق نهائي بين الفلسطينيين و«الإسرائيليين» سوف يؤدي في السنة الأولى إلى تخفيض كل من الدخل القومي الفلسطيني بنسبة ٥٠ في المائة والاستهلاك بنسبة ٤٠ في المائة وانخفاض الطلب على العمالة المحلية بنسبة ١٠ في المائة وتقليص التجارة الفلسطينية بنسبة ٤٠ في المائة وارتفاع البطالة لتصل إلى ٦٠ في المائة .

الآثار السلبية على الاقتصاد الصهيوني

وإذا طبق الفصل فسوف يتعرض الاقتصاد الصهيوني إلى أضرار كبيرة ، لكنها ستكون أقل حدة من الأضرار التي سيتعرض لها الاقتصاد الفلسطيني ، لأنَّ الصادرات الصهيونية للسوق الفلسطينية تشكل ما نسبته ١٠ في المائة فقط من إجمالي الصادرات الصهيونية ، ويعود ذلك لتكييف الاقتصاد الصهيوني من خلال فتح أسواق جديدة مع الدول الأوروبية والعربية (للأسف الشديد) .

الحصار والإغلاقات

هذا هو السلاح الأمضى الذي يستخدمه شارون ضد ثلاثة ملايين فلسطيني في الضفة والقطاع ، فإذا كان إيهود باراك فرض إغلاقات ومنعاً للتجوّل ، فإن شارون ذهب في هذه السياسة إلى أبعد الحدود فنصب الحواجز العسكرية على مداخل كل مدينة وقرية بحجة منع الهجمات على الإسرائيليين ، وبدعوى أن السلطة الفلسطينية لا تتخذ إجراءات كافية . وتتزايد هذه الحواجز كل يوم وتصير دائمة وتتحول أداة لإذلال الفلسطينيين الذين يبقيهم الجنود محتجزين ساعات قبل السماح لهم بالمرور ، هذا إذا سمحوا لهم ، كما تتحول أداة قتل للمدنيين ، إذ غالباً ما يكون بين المنتظرين للعبور مرضى أو نساء في حال الوضع يحول الجنود الإسرائيليون بينهم وبين الوصول إلى المستشفيات ، فيموتون أو يموت من في أرحامهن .

ويروي صحافيون أجانب حاولوا القيام برحلات صغيرة بين المدن أو القرى لمسافات من بضع عشرات من الكيلومترات ، وأكدوا أنه على رغم التسهيلات النسبية التي توفرها لهم بطاقاتهم ، فإن مثل هذه الرحلة تحتاج إلى ساعات . أما في الإحصاءات الرسمية ففي عام ٢٠٠١ وحده قتل أكثر من ٥١ فلسطينياً مدنياً على الحواجز .

لكن مهمة الحواجز والإغلاقات والحصار تتجاوز الإذلال والتحقير إلى تقطيع أوصال الضفة والقطاع وإلغاء كل احتمال لوجود دولة فلسطينية ، وتكفي هذه الأرقام :

– إغلاقات داخلية : تقسم الضفة الغربية ٦٤ منطقة وقطاع غزة ثلاث مناطق .

– حصار داخلي : ١٢٠ حاجزاً إسرائيلياً في الضفة والقطاع .

وتقسم هذه الحواجز الضفة والقطاع إلى ٢٢٠ منطقة أمنية عنقودية .

يضاف إليها الفصل التام بين الضفة والقطاع ، ذلك أن الممر الآمن بينهما مغلق منذ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٠ ، ويضاف إليها أيضا عزل الضفة والقطاع عن بقية العالم أولا بإبقاء مطار غزة مغلقا منذ شباط (فبراير) ٢٠٠١ (تم تدميره فيما بعد) ، وكذلك فرض فترات إغلاق طويلة للجسر إلى الأردن ومدخل رفح إلى مصر ومعبر المنطار وبيت حانون إلى إسرائيل .

وضمن سياسته الهادفة إلى تدمير السلطة الفلسطينية ، ألغى شارون عملياً المنطقة «أ» في الضفة ، والتي تشمل المدن الرئيسية التي انتقلت كلياً إلى السلطة على عكس المنطقة «ب» التي انتقلت الشؤون المدنية فيها إلى السلطة وبقيت أمنياً في أيدي الإسرائيليين . ومنذ تولي السلطة ، أعاد احتلال المنطقة «أ» فترات متقطعة ونفذت قواته اقتحامات لها وكانت أسوأ الحالات الموثقة :

- بيت لحم ١٠ أيام .
- جنين ٤٠ يوماً .
- رام الله والبيرة وطولكرم وقلقيلية ٢٢ يوما .
- توغلات في كل من بيت ريما ودير غسانة وبيت لاهيا .

وعمد شارون إلى تدمير منشآت السلطة ومواقعها ، وشهدت سياسته هذه تصعيدا خطيرا منذ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢ بحيث دمر ميناء غزة وخمس سفن فيه ، وضرب مدرج مطار غزة ثم جرفه ، ودمّر مبنى الإذاعة الفلسطينية ، وشنت قواته هجمات كثيرة على مراكز الأمن الفلسطيني ومراكز كثيرة أخرى تابعة للسلطة مثل مركز الإحصاء المركزي .

الاستيطان

وفي موازاة هذا المشروع (الخطة الشارونية) كان شارون يغذي سرطان الاستيطان الذي تركه اتفاق أوسلو أصلا ينمو نتيجة تأجيل البحث

فيه ، فارتفع عدد المستوطنين بين أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ ونهاية ٢٠٠٠ من ١١٥,٧٠٠ إلى ٢٠٣ آلاف من دون القدس ، وفي ظل حكومة شارون من آذار (مارس) ٢٠٠١ حتى أيلول (سبتمبر) ، أي في ستة أشهر فقط كانت أقيمت مواقع جديدة لـ ٢٥ مستوطنة وشيد ٣٩ بناء على ١٥ من هذه المواقع ، وصودر ألف دونم من الأراضي الفلسطينية لإقامة طريق يربط هذه المستوطنات بين الضفة والقطاع .

أمّا عدد المستوطنات والمستوطنين بحسب الإحصاءات الأخيرة المتوافرة فهو :

- الضفة الغربية والقدس الشرقية : نحو ٤٠٣,٢٤٩ مستوطناً يعيشون في ١٩٠ مستوطنة بينهم ٢١١,٧٨٨ في القدس .

- قطاع غزة : نحو ٦,٥٠٠ مستوطن يعيشون في ١٩ مستوطنة .

وتظهر أرقام الإسكان والبناء الإسرائيلية أن أعمال البناء في المستوطنات ارتفعت بنسبة ٩٦ في المائة في النصف الأول من ٢٠٠١ مقارنة بالفترة نفسها من عام ١٩٩٩ ، عندما تولى باراك السلطة وأطلق مشروع بناء ٢٢٧٠ وحدة سكنية في المستوطنات . وتظهر أيضاً أنه في عام ٢٠٠١ بنيت وحدات سكنية بعضها ثابت في عدد من المواقع الاستيطانية المجمدة في الضفة ، وأن سلسلة المستوطنات التي تطوق القدس بما فيها معاليه أدوميم وبيتار وغفعات زئيف شهدت توسيعا كبيرا ومتسارعاً .

وإضافة إلى الوضع غير القانوني للمستوطنات وإلى شبكة الطرق الالتفافية التي تقيمها إسرائيل لتصل المستوطنات بعضها ببعض ، ممّا يزيد في تقطيع أوصال الضفة والقطاع ويقوّض الاقتصاد الفلسطيني ويقيد حركة الفلسطينيين ، فإن المستوطنات تحد من استخدام الفلسطينيين مواردهم الطبيعية وخصوصاً المياه والأراضي الزراعية . وقد ازدادت حدة هذه المشكلة وستزداد أكثر مع توقع بلوغ عدد السكان الفلسطينيين خمسة

ملايين بحلول سنة ٢٠١٠ ، ذلك أن ١٤٠ مستوطنة تقع في مناطق غنية بالمياه ، وأنه يسمح لثلاثة ملايين فلسطيني الآن باستخدام ٢٥٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً (أي بمعدل ٨٣ متراً مكعباً سنوياً للفرد الفلسطيني) في حين أن الإسرائيليين البالغ عددهم ستة ملايين يستخدمون ملياري متر مكعب سنوياً (أي بمعدل ٣٣٣ متراً مكعباً سنوياً للفرد الإسرائيلي) . أما المستوطنون فحصتهم أكبر إذ يخصص لكل مستوطن ١٤٥٠ متراً مكعباً من المياه سنوياً .

خسائر في الممتلكات

وتسبب استهداف شارون للبنى التحتية وقصفه المناطق المأهولة والمدنية بإيقاع أضرار كبيرة في الممتلكات الموثق منها :

● أضرار في المباني :

– ٥١٠ منازل دمرت كلياً بالقصف أو الجرف و٦٥٣٤ منزلاً دمرت جزئياً .

ويضاف إلى هذا تدمير أكثر من ٧٠ منزلاً في رفح .

– ٤٠٠٠ مبنى لحقت بها أضرار بالغة جداً . وكذلك ٣٠ مسجداً و١٢ كنيسة .

الزيتون والأرض الزراعية

● أضرار في الأشجار والأرض الزراعية .

– اقتلاع ٦٠٦ ,٣٤ شجرات زيتون وفاكهة .

– جرف أو حرق أكثر من ٤٢ ألف دونم من الأراضي معظمها أراضٍ زراعية .

التعليم

وأدت سياسة الإغلاق والحصار التي يمارسها شارون، ومن قبله باراك، إلى تعطيل القطاع التعليمي عملياً بمدارسه وجامعاته أو تقطيع فاعليته، وفي الإحصاءات:

- إغلاق ١٧٤ مدرسة نتيجة الحصار وحرمان ٩٠ ألف تلميذ الذهاب إليها.
- تحويل ٧ مدارس ثكناً عسكرية.
- قصف ١٣٧ مدرسة أو إطلاق رصاص عليها.
- مقتل ١٢٨ تلميذاً وجرح ٢٣١٦ منذ بدء الانتفاضة.
- مدارس «الأونروا» في قطاع غزة سجلت ضياع ١٨٠٠ يوم دراسي منذ بدء الانتفاضة حتى ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١.

الخسائر الاقتصادية

دفعت السياسة الإسرائيلية نفسها بالوضع الاقتصادي الفلسطيني إلى حافة الانهيار، بعدما تسببت بخسائر فادحة. وفي الأرقام التي تضمنها تقرير مركز المعلومات الوطني الفلسطيني عن الخسائر من ٢٨ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ إلى ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠١:

- بلغت نسبة الفقر في الأراضي الفلسطينية ٦٤,٩ في المائة بعدما كانت ٢٢ في المائة قبل الحصار.
- ارتفع معدل البطالة إلى ٥٠ في المائة بحسب تقديرات وزارة العمل الفلسطينية.
- بلغ العجز في الموازنة عام ٢٠٠٠ نحو ٢٠٥ ملايين دولار في حين

كان مقدراً أن يبلغ ١٠ ملايين دولار . وبلغت متأخرات عام ٢٠٠٠ نحو ١٥٥ مليون دولار وانخفضت الإيرادات العامة من ٩٠ مليون دولار شهرياً قبل الانتفاضة إلى ٢٠ مليون دولار في نهاية ٢٠٠١ .

– يقدر عجز الموازنة لعام ٢٠٠١ بنحو ٨٤٠ مليون دولار ، ويقدر أن تصل المتأخرات إلى نحو ٤٠٠ مليون دولار .

– تحتجز إسرائيل من مستحقات السلطة الوطنية أكثر من ٣٨٠ مليون دولار .

– ارتفع الدين العام من ٦٠٧ ملايين دولار إلى ٧٨١ مليوناً .

كذلك أدت سياسة الحصار والإغلاق إلى :

– انخفاض القطاعات الاقتصادية المكونة للناتج المحلي بنسبة ٥٧ في المائة : الصناعة انخفضت ٥٠ في المائة ، والزراعة ٩٠ في المائة ، والإنشاءات ٧٠ في المائة ، والتجارة ٣٨ في المائة ، والنقل ٨٠ في المائة ، والوساطة المالية ٢٦ في المائة ، والخدمات ٥٠ في المائة ، والإدارة العامة والدفاع ٤٠ في المائة .

– منع العمالة الفلسطينية من الوصول إلى أماكن عملها في إسرائيل ، مما أدى إلى انقطاع الدخل الشهري لهذه الفئة والمقدر بنحو ٨٢,٥ مليون دولار شهرياً .

تدمير البنية التحتية والممتلكات العامة والخاصة وعدم القدرة على استكمال المشاريع القائمة أو المخطط لها .

أمّا الخسائر المباشرة وغير المباشرة للاقتصاد الفلسطيني بحسب مركز المعلومات فهي :

الخسائر الجارية :

– خسائر الدخل والإنتاج المحلي وتقدر بنحو أربعة آلاف مليون

دولار .

- خسائر العمالة في إسرائيل تقدر بنحو ١٢٢٣ مليون دولار .

الخسائر غير المباشرة :

- خسائر الفرص الضائعة والمقدرة بنحو ٤٠٠ مليون دولار ، وتتعلق بالمبالغ التي صرفت لتشجيع الاستثمار وترويج فلسطين عالميا ، وتأخير تنفيذ بعض المشاريع الاستثمارية التي كانت تستوعب أعدادا كبيرة من العمال .

- أعباء مالية إضافية تقدر بنحو ٧٠٠ مليون دولار في مجالات الصحة والتعليم والأمن والخدمات الاجتماعية والتموين ، وأعباء مالية مستمرة لإعالة أسر الشهداء والمعوقين والأسرى .

- خسائر الثروة القومية وتقدر بنحو ٦٧٠ مليون دولار ، وهي ناجمة عن تدمير مصادر الإنتاج في كل المجالات كالثروة الزراعية والمباني السكنية والمقرات الحكومية والمنشآت الصناعية والبنى التحتية وغيرها ، إضافة إلى اقتلاع الأشجار وجرف التربة الزراعية أو إحراقها وتدمير شبكات الري وهدم خزانات مياه وإحراق محاصيل .

الخسائر البشرية

وصل شارون إلى السلطة وكان الفلسطينيون شيّعوا نحو ٣٨٥ من أبنائهم سقطوا في المواجهات . وما إن عدد القتلى ارتفع معه إلى أكثر من ٩٦٥ شخصا بينهم عشرات من كوادر المقاومة اغتيلوا ، ومعه أيضا اختلف نوع الإصابات لإنه عزز استخدام الأسلحة الثقيلة التي تستهدف المباني والبنى التحتية ، وارتفعت نسبة الفلسطينيين الذين يعانون أمراضا نفسية

كالخوف والكآبة والتوتر وخصوصاً الأولاد ، الذين تزداد بينهم حالات مرضية كثيرة كالتعلق الزائد بأهلهم والرعب والتبوّل اللاإرادي والكوابيس .

أمّا حجم الخسائر البشرية الموثق منذ بداية الانتفاضة ، وحتى صدور هذا الكتاب (ولشارون سنة منه) فهو :

● القتلى :

- ٩٤٧ بينهم ٨٢ من كوادر المقاومة اغتيلوا (وهذه جريمة حرب بموجب اتفاق لاهاي لعام ١٩٠٧) .

والقتلى موزعون كالآتي :

- ٨٠٦ مدنيين و ١٤١ عنصراً في قوى الأمن الفلسطينية .

- ٩٠٧ ذكور و ٤٠ إناثاً .

- ١٢٧ (دون سن ١٥ عاماً) .

- ١١٤ (١٦ - ١٨ عاماً) .

- ٤٧٣ (٩ - ٢٩ عاماً) .

- ١٢٦ (٣٠- ٣٩ عاماً) .

- ٤٧ (٤٠ - ٤٩ عاماً) .

- ٦٠ (٥٠ عاماً وما فوق) .

أمّا توزعهم بحسب الجناة فهو :

- ٨١٨ قتلوا على أيدي جنود إسرائيليين .

-٤٤ على أيدي مستوطنين .

- ١٢ على أيدي عناصر من الشرطة الإسرائيلية أو مدنيين .

- ٧١ في حوادث أخرى تتعلق بالإجراءات الأمنية في الضفة والقطاع .

● الجرحى (فقط الذين عولجوا في مستشفيات أو مراكز صحية) :

- أكثر من ٢٠ ألف شخص . وقدرت «اليونيسف» أن بين الجرحى ٧ آلاف ولد في الضفة والقطاع حتى السابع من كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠١ .

● إعاقات دائمة :

- ٢٠٠٠ فلسطيني . وكان تقدير وزارة الصحة الفلسطينية حتى ٢ نيسان (أبريل) ٢٠٠١ فقط أن بينهم ٤٣٧ ولداً .

● اعتقالات : ٣٠٣٩ معتقلاً كالآتي :

- ١٨٥٠ فلسطينياً بينهم ٦٠٠ ولد اعتقلوا في القدس والضفة والقطاع ولا يزال ٩٠٠ منهم في السجون .

- ١١٨٩ اعتقلوا داخل الأراضي الإسرائيلية وقد أطلق معظمهم .

● اعتداءات على الطواقم الطبية والخدمات الطارئة :

- مقتل طبيبين فلسطينيين وطبيب ألماني في قصف مناطق سكنية في أثناء عملهم .

- مقتل ثلاثة سائقي سيارات إسعاف في أثناء عملهم .

- جرح ١١٦ عاملاً طبيّاً و١٢٠ مسعفاً في الهلال الأحمر الفلسطيني .

- إصابة ٦٠ سيارة إسعاف برصاص حي .

- ٢٦٤ حادث منع لتحرك سيارات الإسعاف أو فرق الهلال الأحمر .

● اعتداءات على مستشفيات :

- قصف المستشفى الفرنسي ومستشفى الحسين في بيت لحم .

- إطلاق رصاص على مستشفيات بيت جالا والدبس والفرنسي واليمامة في بيت لحم ، وكذلك على مستشفى العلياء في الخليل .

- منع دخول عدد من المستشفيات طوال أيام .

- هجمات للمستوطنين على مستشفى ڤيكتوريا في القدس وقتل مسؤول أمني بالرصاص .

● اعتداءات على الصحافة :

- ١٥٠ صحافياً على الأقل تعرضوا لإطلاق رصاص أو للضرب على أيدي جنود إسرائيليين أو مستوطنين .

- ١٤ مركزاً صحافياً على الأقل تعرّضت للقصف .



لماذا يتمسك الإسرائيليون بشارون؟

قبل عام واحد، اقترع الإسرائيليون في انتخابات مبكرة لصالح زعيم الليكود أرييل شارون الذي حقق فوزاً ساحقاً على منافسه إيهود باراك، بفارق أصوات كبيرة غير مسبوق في كل تاريخ الانتخابات التي شهدتها إسرائيل. ورغم ذلك، فإن أطرافاً كثيرة عربية ودولية، وإسرائيلية أيضا، لم تكن تتوقع لشارون أن يستمر أكثر من عام واحد كرئيس لوزراء إسرائيل.

كما لم تتوقع الأطراف ذاتها أن يحصل شارون، في عامه الأول، على تلك النسبة العالية من الدعم الشعبي، أو أن يستمر في الاحتفاظ بمثل هذا التأييد، رغم أنه لم يتمكن من القضاء على الانتفاضة الفلسطينية. ولم



يستعد الاستقرار العام أو الأمن الشخصي لمواطنيه ، بموجب التفويض الواسع الذي منح له في الانتخابات . وتتزايد تعقيدات هذه الإشكالية بالنظر إلى التدهور الحاد في الوضع الأمني الإسرائيلي (حوالى ٢٥٢ قتيلاً حتى الآن) ، وخسائر اقتصادية تقدر بحوالى ١٤ مليار شيكل ، وانخفاض في مستوى النمو يتوقع أن يهبط إلى ما دون ١٪ تقريباً .

لقد كان التسبّب في واحدة فقط من هذه الخسائر ، خاصة الأمنية ، يؤدي عادة إلى اندلاع أزمة عامة في الحكم والمجتمع في إسرائيل ، بينما يبدو الأمر في حالة «شارون» كسراً للقاعدة «أو خروجاً عليها» ، فرغم مسؤوليته الكاملة والمباشرة عن كل هذه الإخفاقات ، لا يزال يحظى بمعدل وسطي عال من تأييد الجمهور ، ومن أغلب الأحزاب السياسية في إسرائيل .

إن هذه الظاهرة السياسية قد أصابت أوساطاً قيادية مختلفة

بالارتباك ، خاصة بعد أن كانت قد لعبت دوراً مباشراً ، أو غير مباشر في الفوز الذي حققه شارون ، أو في الخسارة التي مُني بها باراك في الانتخابات الماضية . فقد كانت شخصيّات مثل نتنياهو تتنبأ بسقوطه بعد ٦ أشهر من انتخابه . بينما كانت قيادات فلسطينية متنفذة تعتقد بدورها أن الوقت لن يمهل شارون طويلاً حتى يجري تحويله إلى «ميلوسفيتش» آخر . ومن هنا تأتي أهمية تحليل إشكالية التأييد الثابت نسبياً ، والمتواصل لمدة عام ، الذي يتمتع به رئيس الوزراء الإسرائيلي ، بعيداً عن الاحتمالات الأحادية الموهومة حول السقوط الوشيك له ، ما لم تطرأ على السياق الراهن متغيّرات جديدة .

معدلات تأييد شارون

إن مركز جالوب يُعدّ من بين أهم ثلاثة مراكز أساسية متخصصة في مجال إجراء استطلاعات الرأي في إسرائيل ، وهي : مركز تامي شتاينمتس وكركز داحف ومركز أختونا ، ليس فقط لأنه مركز عالمي ، وإنما أيضاً لأنّه تخصّص ، وبشكل شبه منتظم ، في إجراء استطلاعات لرأي الجمهور الإسرائيلي حول معدلات الرضاء والتأييد من عدمه لأداء أريل شارون على أكثر من مستوى : أولاً بشكل عام ، وثانياً كرئيس للوزراء ، وثالثاً مستوى أدائه في المجال الأمني .

ويشير الجدول المرفق - في أحد شقيه - إلى نتائج استطلاعات الرأي التي أجراها جالوب في إسرائيل من نيسان (أبريل) عام ٢٠٠١ حتى كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٢ ، رداً على سؤال : هل أنت راض أم غير راض عن الأداء العام لرئيس الوزراء أريل شارون ، مع ملاحظة أنّ الاستطلاع الأخير (١٨/ ١/ ٢٠٠٢) أجري بوساطة «ماركت ووتش» .

مؤشّرات الرأي العام الإسرائيلي

إنّ نتائج تلك الاستطلاعات توضح أن المعدل المتوسط لتأييد الرأي العام الإسرائيلي لأداء شارون بشكل عام يفوق ٥٦٪ ، وهو ما تؤكده نتائج استطلاعات المراكز الإسرائيلية ، ففي آخر استطلاع أجراه مركز «داحف» ، ونشرت نتائجه يوم ٤/ ١/ ٢٠٠٢ ، وردت المعطيات التالية :

- ٦٤٪ يعتقدون أن شارون ذو مصداقية .
- ٦٧ يعتقدون أن شارون جيد كرئيس للوزراء .
- ٦٢ يثقون في قيادته للدولة .

من جهة ثانية فإن نتائج استطلاعات الرأي التي أجراها جالوب في إسرائيل خلال الفترة نفسها في نيسان (أبريل) ٢٠٠١ - كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٢ رداً على سؤال : هل أنت راض أو غير راض عن أداء شارون في المجال الأمني ، تظهر أن المعدل المتوسط لتأييد شارون في المجال الأمني يصل إلى حوالى ٥٠٪ .

أسباب تأييد شارون

إن النتائج السابقة تجسّد واقع الظاهرة السياسية التي تمت الإشارة إليها ، وهي استمرار وثبات الدعم والتأييد النسبيين على امتداد عام تقريبا لشارون على نحو يتناسب عكسياً تقريباً مع الخسائر الكبيرة التي يتكبدها الوضع الإسرائيلي بشكل عام وفي المجال الأمني بشكل خاص . وهناك لائحة طويلة من العوامل والمعطيات التي تفسر هذه الإشكالية ، من أهمها ما يلي :

- أولاً : طبيعة المواجهة الفلسطينية - الإسرائيلية ، إذ يجب الإقرار بالخصوصية المميزة لطبيعة المواجهة الحالية بين الطرفين من المنظور الإسرائيلي ، والتي تؤدي إلى اصطفاف الجمهور الإسرائيلي فيها خلف قيادته ، ويبدو أن دفع الطرفين هذه المواجهة إلى المستوى التناحري للصراع ، لا يدع أمام الجمهور في إسرائيل من خيار ، رغم ارتفاع خسائره ، سوى الاستمرار في الوقوف خلف قيادته إلى النهاية ، لأن المعركة انتقلت عملياً إلى داخل «البيت» الإسرائيلي ، وتتجه أكثر فأكثر إلى التصعيد الدموي ، وإلى تعبئة هذا الجمهور لمواجهة معركة مصيرية ينظر إليها على أنها تهديد للوجود ذاته .

إن دفع الصراع إلى هذا المستوى وتعبئة الجمهور خلف هذه التصورات ، قد يفسر نتائج استطلاعات أخرى للرأي أجريت مؤخرا ، ففي ٧/ ١٢/ ٢٠٠١ نشرت نتائج استطلاع أجراه جالوب تظهر أن ١٧٪ من الجمهور في إسرائيل ضد السلطة الفلسطينية ، وأن ٥٦٪ يؤيدون الإطاحة بالرئيس عرفات ، وفي استطلاع آخر نشرت نتائجه يوم ١٨/ ١/ ٢٠٠٢ ، رأى ١٧٪ من الجمهور الإسرائيلي أن عملية اغتيال «رائد الكرمي» مبررة ، وأن ٦١٪ من الإسرائيليين يؤيدون عملية هدم البيوت الفلسطينية . وإذا كانت التعبئة تتم بمنطق يبدو فيه الإسرائيليون وكأنهم يتعرضون للذبح ، فإن رد الفعل ينعكس هنا في سلوك القطيع الذي ينساق خلف قيادته ويدعمها للنهاية .

ثانيا : إن شارون هو آخر الجنرالات التاريخيين ، فلا شك في أن الدعم الذي يحظى به شارون في نتائج استطلاعات الرأي إنما يعود في أحد أسبابه إلى مكانته كآخر الجنرالات التاريخيين في إسرائيل ، وإلى رصيده في هذا المجال لدى الأغلبية في إسرائيل ، خاصة بعد التجربة السياسية السلبية

للجنرال الأحدث سناً مثل إيهود باراك ، وكان آخر استطلاع للرأي أُجري يوم ٧/ ١٢/ ٢٠٠١ قد أبرز هذه المسألة ، عندما قرر ٦٠٪ من الإسرائيليين أن باراك فشل في جهوده ضد «الإرهاب» . ولكن عندما سئل الجمهور نفسه : هل سينجح شارون في الكفاح ضد الإرهاب قرر ٥٣٪ منهم أنه سينجح مقابل ٣٠٪ فقط قالوا إنّه لن ينجح وامتنع ١٧٪ عن الإجابة ، أو قالوا لا ندري .

وفي الاستطلاع الذي أجراه مركز «ماركت ووتش» ونشرته صحيفة معاريف يوم ١٨/ ١/ ٢٠٠٢ ، رأى ٤٩٪ أن شارون قادر على أن يعالج الأمن بصورة أفضل بالمقارنة مع ١٧٪ فقط رأوا أن دايڤيد بن أليعازر ، وزير الدفاع والزعيم الجديد لحزب العمل ، يمكن أن يعالج الأمن بصورة أفضل وقال ٢٧٪ كلاهما أو لا أحد منهما معاً .

ثالثاً : نجاح شارون في بناء ائتلاف حكومي سياسي واسع ، وقدرته (حتى الآن) على إدارة هذا الائتلاف دون أزمات حقيقية كبرى ، وهو عامل أساسي في تفسير التأييد لشارون . فالجمهور في إسرائيل قد بات أكثر حساسيّة للتعارضات والانقسامات التي تفشّت داخل إسرائيل ، ووصلت في عهد نتنياهو إلى حدود الاصطدام والمواجهة ، وقد أظهرت كل نتائج استطلاعات الرأي في إسرائيل دعم الجمهور لحكومة الائتلاف والوحدة الوطنية التي يقودها شارون بمعدل وسطي يفوق ٧٨٪ . وفي نتائج استطلاع نشرته الصحف الإسرائيلية في ١٨ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٢ عارض ٦٠٪ من الجمهور فكرة خروج حزب العمل من حكومة شارون ولم يؤيد هذه الفكرة سوى ٢٧٪ .

من جهة أخرى ، يظهر الجمهور في إسرائيل نزعة عالية لتثبيت الاستقرار الحكومي ، ويعارض فكرة العودة من جديد لصناديق الانتخاب ،

لأن إسرائيل عانت بشدة من فقدان الاستقرار السياسي خصوصاً في السنوات التي تلت التوقيع على اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ ، حيث لم يمض أي رئيس وزراء مدة ولايته القانونية إلى نهايتها .

رابعاً : غياب أو ضعف أي بدائل سياسية ذات وزن وثقل قادرة على منافسة شارون . ففي استطلاع جالوب بتاريخ ١٠/ ٨/ ٢٠٠١ أيد ٤٧٪ من الإسرائيليين ترشيح شارون ، بينما لم يحصل نتنياهو ، أبرز منافسيه ، سوى على دعم ٢٨٪ فقط ، وفي استطلاع للرأي نشرت نتائجه في ٧/ ١٢/ ٢٠٠١ قال ٦٤٪ من الإسرائيليين إنهم غير راضين عن أداء شمعون بيريس . وفي مواجهة ديفيد بن أليعازر ، قال ٥٢٪ إنهم يؤيدون شارون بينما حصل بن أليعازر فقط على ٢١٪ من التأييد . وحتى تتضح صورة الوضع السياسي في إسرائيل ، فإن آخر استطلاع للرأي نشرت نتائجه يوم ٢٥/ ١/ ٢٠٠٢ أظهر إمكانية فوز حزب الليكود بـ ٣٢ مقعداً في الانتخابات القادمة بالمقارنة مع ١٩ مقعداً فقط يحتلها في الكنيست الحالي ، وبالمقابل فإن حزب العمل سيخسر في الانتخابات القادمة وتهبط مقاعده من ٢٥ مقعداً إلى ١٩ مقعداً فقط . وهو ما يعني أن دعم وتأييد شارون هو تعبير أيضاً عن الدعم المتزايد للحزب الذي يقوده شارون ، وللتيار السياسي الذي يمثله .

يضاف إلى كل ذلك عدة عوامل أخرى تسهم في تفسير مستوى التأييد الذي يحظى به شارون ، تتصل بسلوكه الشخصي الأقل مؤاخذة بالمقارنة مع أسلافه من رؤساء الوزراء ، كالقدرة على ضبط ردود أفعاله ، وعدم استهلاك نفسه في وسائل الإعلام .

ورغم الإدراك العميق لكل التحفظات المنهجية بشأن الاعتماد على استطلاعات الرأي كأداة للاستدلال والتحليل ، فإن حركية الواقع السياسي

الإسرائيلي ذاته لا تطرح ما يخالف نتائج استطلاعات الرأي هذه ، بل إنها تؤكدها . وعلى ذلك ، فإن الحكمة السياسية تقتضي اعتماد سياسة عربية لمواجهة الواقع الذي يمثله شارون على أساس ترجيح احتمال بقائه حتى موعد الانتخابات العامة في إسرائيل خلال النصف الأول من عام ٢٠٠٣ ، وربما ليس قبل ذلك بكثير



شارون والـ «لا» للدولة الفلسطينية

في جلسة لجنة الخارجية والأمن التي جرت في أيار ٢٠٠٢ توجَّه حاييم رامون لرئيس الحكومة وسأله : لماذا تتصرف على نحو سيِّئ مع حكومة الوحدة؟ قل إنك سئمت منّا ، كن منطقيّاً على الأقل وقل ذلك بوضوح . ضحك شارون ، إنه يحب رامون . تلميحات رامون كانت واضحة بالنسبة إليه : النكتة لا تخصّه ، بل تخص رفاق رامون في حزب العمل . أنا لا أريد أن أكون بيد أحد ، قال شارون . هدّدوني مرة تلو الأخرى لذلك وسّعت الحكومة .

هذا هو الحوار الذي طرحت فيه توقُّعات كثيرة بشأن طريق رئيس الحكومة . شارون انحرف إلى اليمين بقوة ، كل الأجهزة دخلت في دوار .

بدأ هذا عندما ضم آفي إيتام إلى الحكومة ، بعد ذلك إلغاء المطبخ المقلص ، وبدل ذلك أصبحت هيئة قادة الأحزاب الهيئة المفضلة لدى رئيس الحكومة . ثم جاءت تصريحات شارون بشأن المستوطنات المعزولة والوعد بعدم إخلاء أي مستوطنة قبل الانتخابات القادمة . وإذ لم يكن هذا واضحاً بما فيه الكفاية ، عزّز شارون هذه التصريحات حين حدد أن نتساريم مثل نيغبا وأن كفار دروم مثل تل أبيب .

في هذه الخلفية يوجد طلبه الحاسم الذي لا يقبل المساومة ، وهو تسليم قتلة زئيفي كما لو أن وزن هذا القتل أكبر من كل أعمال قتل الأطفال والمسنين والنساء ، وكأن دم غاندي يختلف عن الدماء الأخرى وغير قابل لأي مساومة . وبعدها وصلت الخطة الاقتصادية الجديدة التي تمس ثانية المواطن العامل ، والتي اقترحت تقليصاً كبيراً في مخصصات الأولاد الذين لم يخدم آباؤهم في الجيش . التقليص الذي يمس بقطاعات المتدينين والعرب ، وإذا كان واضحاً للجميع أن الأصوليين سيتدبّرون أمرهم فإن الضرر سيلحق في نهاية الأمر بالوسط العربي .

لو كان حزب العمل حقّاً يريد الانسحاب من الحكومة لوجد أن شارون قد أعطاه بعد تلك الجلسة الكثير من المبررات . وبكلمات أخرى ، باستثناء البصق مباشرة في وجه الحزب أو طرده بعصا ، فقد فعل كل شيء ، حتى إنه قدم لبن أليعازر ، على طبق من فضة ، المبرر الاقتصادي الذي يبحث عنه . وإذا كان يصعب على حزب العمل الانسحاب من الحكومة لخلافات تتعلق بالمسألة الأمنية ، فها هو يحصل على مبرر اجتماعي حقيقي ، تقليص في الميزانية . لو بحث فؤاد حقّاً عن سبب يبرر انسحابه من الحكومة لحصل ليس على عجلة للنجاة ، بل على قارب سباق .

انحراف شارون نحو اليمين كان حاداً إلى درجة الشك في ما إذا كان

يرنو نحو الانتخابات ! مشكلة شارون ليست الانتخابات العامة ، حيث هو مقتنع بأنه سيهزم مرشح حزب العمل هناك ، ولكن عقبته هي داخل الليكود ، لا أن يكون رئيس حكومة بل أن يكون رئيس الليكود .

بكلمات أخرى : مشكلته هي مواجهة نتنياهو ، وليس بن أليعازر . وحسب الرواية نفسها ، يحتاج شارون إلى توقيت أفضل من ناحيته من أجل مواجهة نتنياهو ، حين يكون الفرق بينهما مقلَّصاً بقدر الإمكان . من الممكن أن يكون هذا هو ما يفعله الآن : يُرمم مكانته في الليكود من أجل المبادرة في حملة انتخابية مسبقة ، في الأيام التي تمنحه فيها الفجوة بينه وبين نتنياهو ، فرصة ما .

إن إهانة حزب العمل إلى درجة إبعاده عن الحكومة ، والحصار على عرفات وربما أيضاً إبعاده ، والعملية العسكرية في مدن الضفة الغربية ، والخطاب اليميني المتحمس في مسألة المستوطنات وحتى المخصصات المفضّلة لمسرّحي الجيش ، كل هذه تثير فخر كل ليكودي . هذا هو رئيس حكومة حسب ما يطمحون ، هذا هو الذي يعيد احتلال الضفة الغربية ويهين عرفات ويبعد شمعون بيريز . شارون يتذكر أيضاً أي شعبية حصل عليها قبل الانتخابات إثر الإعلان أنه يؤيد تجنيد أبناء المدارس الدينية .

إن من يؤيد الرواية بأن شارون يتجه نحو انتخابات مبكرة لديه ما يمكن أن يستند إليه : لماذا يحتاج شارون إلى شد الحبل بأمور غير مطروحة على جدول الأعمال ، مثل التصريحات حول المستوطنات والمقارنة بين كفار دروم وتل أبيب وإهانة حزب العمل؟ ما الذي يثير لديه الشعور بالعجالة؟ لماذا يسارع الآن في الانحراف نحو اليمين؟ وثمة أيضاً مؤشر آخر يستطيع أن يشير إلى انتخابات مبكرة : شارون دخل إلى جبهة دامية أمام الأصوليين . رئيس لجنة المالية ، النائب ليتسمان ، هو رجل صعب ، لا أحد يرغب في أن يلعب معه لعبة كسر الأذرع . هل يجرؤ شارون على مواجهة

ليتسمان دون أن تكون لديه خطة كبيرة؟

في أيار الماضي انتظر شارون جلسة المركز التي بحثت في مطلب الليكود إجراء تصويت ضد دولة فلسطينية، بعد نشاطه في المدة الأخيرة استُقبل شارون استقبال الملوك، لا يهم ماذا قرّروا هناك، نعم للدولة الفلسطينية أم لا للدولة الفلسطينية، نقاش دون اتخاذ قرارات أو مع اتخاذ قرارات، المهم هو الاستقبال الذي جرى لشارون فور دخوله القاعة مقابل الاستقبال المتوقع لبيبي.

كل هذه الأطروحة كان يمكن أن تكون مقنعة لو لم يكن الحديث يدور عن شارون، إنه سياسي أذكى من أن يراهن على تقديم الانتخابات. إنه لم ينه العمل بعد: لم يبعد عرفات، ولم يقض على الإرهاب، ولم يحتل غزة. لديه ما يفعله! قال في لجنة الخارجية والأمن وقال بوضوح إن الانتخابات ستجري في وقتها ولن تقدم ولو ليوم واحد قبل ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٣. سارع رامون بالموافقة على كلامه. ضحك شارون. نعم قال رامون: هذا التاريخ مناسب لكم أيضا. كذلك رامون ضحك، هذا يناسبك أكثر مما يناسبني، رد على شارون، لكن إذا أردت فأنا مستعد لأن أنسق معك حول تاريخ معيّن.

دعوة شارون إلى مؤتمر دولي

تبدأ قصة المؤتمر الدولي للسلام، الذي اقترحه رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون، من الأزمة التي يعيشها منذ مطلع شهر شباط الماضي، وقد تمثلت معالم تلك الأزمة في الخسارة السياسية التي لحقت بالدولة العبرية في الأوساط الأوروبية والدولية عموما - رسميا وشعبيًا - فضلاً عن الأوساط العربية والإسلامية «المعتدلة» منها، و«المتطرفة» في آن

كانت الدولة العبرية تعيش واحدة من أسوإ حالاتها على الصعيد السياسي ، وقد مثلت أوروبا موقفاً متقدماً في ترجمة تلك الحال ، حيث التراجع المثير في شعبية شارون وحكومته ، وهو التراجع الذي انعكس على الموقف الرسمي الذي وصل به الحال حد االتهديد بقطع إمدادات السلاح عن تلك الدولة .

وخلال أسابيع خرجت المظاهرات المنددة بالعدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني في معظم العواصم الأوروبية ، ولم يمنع تلك المظاهرات ذلك الاستنفار الواسع في الأوساط اليهودية التي اضطرت إلى تجميع صفوفها لمواجهة الحملة .

الموقف الرسمي الأوروبي وجد في المواقف الشعبية فرصة للخروج من حاله التقليدية ، حيث بدأ يصعد انتقاداته لسلوك شارون محققاً بذلك هدفين في آن معاً : الأول هو الاستجابة للمواقف الشعبية إلى جانب الانسجام مع موقف التوازن من الطرح «الشرق أوسطي» ، أمّا الهدف الثاني فهو إيصال رسالة غضب إلى راعية الدولة العبرية (الولايات المتحدة) بسبب مواقفها المتجاهلة للمصالح الأوروبية في سياق معركتها ضد ما تسميه الإرهاب .

المواقف الدولية الأخرى ، وعلى رأسها الروسية والصينية ، كانت على الحال عينه ،كذلك شأن الموقف العربي والإسلامي الذي اضطر لمجاملة شارعه الغاضب على نحو غير مسبوق . واللافت أن شعبية الدولة العبرية داخل الولايات المتحدة قد تراجعت أيضاً ، على رغم تميز إدارة بوش بتعاطف غير مسبوق مع يميني مثل شارون .

مؤتمر أم علاقات عامة؟

في هذه الأجواء خرج شارون بفكرته الجديدة حول المؤتمر الدولي في محاولة للقول إنه ليس رجلاً عسكرياً فقط ، وإنما داعية سلام أيضاً ، وقد علّق ناحوم برنياع ، المحلل الرئيسي في صحيفة «يديعوت أحرونوت» ، على ذلك بالقول :«الفكرة جاءت من عالم العلاقات العامة وليس من عالم السياسة» .

والواقع أن المسألة لا تعدو محاولة لإعادة ترميم وجه رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي غدا جزّاراً ووحشاً في بعض الرسوم الكاريكاتورية في الصحف الغربية ، إضافة إلى إعادة ترميم وجه الدولة العبرية الذي شوّهته صور المجازر في جنين ونابلس . بيد أن الهدف المذكور من إطلاق الفكرة لا ينفي أن شارون ليس معنياً بتحقيقها إذا ما مهّد الأميركيون الطريق أمامه !

تقوم فكرة شارون العتيدة على عقد مؤتمر دولي للسلام في الولايات المتحدة بحضور مصر والأردن والسعودية والمغرب إلى جانب ممثلين عن الفلسطينيين .

انطلاقة الفكرة تضمّنت شرطاً بعدم حضور الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات للمؤتمر ، وهو الجزء الذي لفت الانتباه خلال الأيام الأولى التي أعقبت إطلاق الفكرة يوم الأحد ١٤/ ٤ ، بيد أن واقع الحال هو أن شارون لم يكن ليتوقف كثيراً عند هذه النقطة ، ويمكن القول إنه قد ألقاها ليغدو العدول عنها تنازلاً . وقد أكّد بن كسبيت ، مراسل صحيفة «هآرتس» للشؤون الحربية ، أن شارون سيوافق على مشاركة عرفات في إطار مثل هذا المؤتمر .

يمكن القول إن مشاركة الأطراف الأخرى قد طرحت بالطريقة نفسها ، وعلى رأسها تجاهل الاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة ، وهو

التجاهل الذي أفرز رفضاً من قبل هذه الأطراف لعقد المؤتمر ، عكسته تصريحات مختلفة لعدد من القادة الأوروبيين والروس ، وقد ينطبق ذلك إلى حد ما على حضور سورية ولبنان أيضاً .

الموقف الإسرائيلي الداخلي

لم تلقَ فكرة شارون ترحيباً حقيقياً في الأوساط الإسرائيلية ، فقد ذهب وزراء حزب العمل إلى أن شارون يوهم نفسه ويضلّل مستمعيه بإمكان موافقة أي مسؤول فلسطيني أو زعيم عربي على المشاركة في مؤتمر سلام دون عرفات . بيد أن بيريز كان مخالفاً لهذا النفس ، معتبراً أن ذلك المؤتمر قد يشكّل «أفقاً سياسيّاً ، ومن الضروري أن يعقد» دون جدول أعمال وإملاءات من أجل إيجاد حلول ملائمة للأزمة الحالية .

الموقف الأميركي وتبنّي رؤية شارون

من الضروري الإشارة إلى أن اقتراح شارون قد خرج إلى العلن للمرة الأولى خلال لقاء مع كولن باول ، وزير الخارجية الأميركي ، الذي أرسلته الإدارة إلى الشرق الأوسط لإخراج شارون ودولته من المأزق المتمثل في تصعيد العمل المقاوم والرد العسكري غير المقبول دوليّاً عليه ، ولا سيّما أنّ واشنطن تأمل بوقف حال التأزم لتهيئة الأجواء لضرب العراق من جهة ، إضافة إلى الحرج الذي وقعت فيه إثر تصريحات بوش المطالبة بانسحاب إسرائيلي فوري من المدن الفلسطينية التي احتلت خلال الاجتياح ، وهو المطلب الذي تجاهله شارون .

باول الذي تبنى اقتراح شارون لم يكن بإمكانه تسويقه على الدول

العربية ، ليس لشرط غياب عرفات ، حيث يدرك أنه شرط من السهل التراجع عنه ، وليس لغياب سورية ولبنان ، لأنه يدرك أيضاً أن بالإمكان تجاوزه بطريقة أو بأخرى ، ولكن لأن الحديث في هذا الأمر لن يكون سهلاً قبل انسحاب الجيش الإسرائيلي من المدن التي احتلها ، يضاف إلى ذلك ضرورة وجود عناصر مشجعة لحضور المؤمر أو الموافقة على عقده ابتداء .

الموقف الفلسطيني - العربي

ما إن خرج الاقتراح الشاروني إلى العلن حتى أعلن رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات استعداده لقبوله ، بشرط أن يعقد المؤتمر برعاية الولايات المتحدة وأن يترافق مع انسحاب فوري للجيش الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية .

الدول العربية ، من جهتها ، أعربت واحدة تلو الأخرى عن رفض فكرة المؤتمر ، وكان على رأسها كل من سورية ولبنان اللتين استبعدهما شارون من الحضور . وتحفّظت الأردن على عقد المؤتمر في الظروف القائمة ، أمّا موقف مصر ، الذي هو الأهم بالطبع ، فقد عبّر عنه الرئيس المصري الذي رفض عقد المؤتمر من دون الانسحاب الإسرائيلي ووقف إطلاق النار ، وهو الشرط الفلسطيني ذاته . فيما كان عمرو موسى أمين عام الجامعة العربية أكثر وضوحاً حين ذهب إلى أن الدعوة قد جاءت نتاجاً لحاجة شارون إلى «عملية تجميلية» . وأضاف «لا يمكن أن نتصوّر انعقاد مثل هذا المؤتمر لمجرد أن يأتي شارون ويجلس مع الزعماء العرب متوهّماً أنهم سيهرولون إليه ويسامحونه على ما قام به ، وقبل أن يسحب قواته من المناطق التي احتلها» . وأوضح موسى أنه «إذا كان لهذا المؤتمر أن يُعقد فهذا ممكن في نهاية العملية وليس في بدايتها» .

وقد عاد باول من جولته دون الوصول إلى شيء عملي ، سواء بحجة الانسحاب الإسرائيلي الذي تأخّر ريثما تحقق عملية «السور الواقي» أهدافها ، أم بحجة الحصول على دعم عربي لفكرة المؤتمر الدولي . ولعل ذلك هو ما دفع رئيسه بوش إلى تصعيد اللهجة مع الدول المرشحة لحضور المؤتمر لضمان انعقاده وهي مصر والسعوية والأردن ، حيث خاطبها بأسلوب مهين إذ قال : «إن المصريين والأردنيين والسعوديين ساعدوا في الحرب الواسعة على الإرهاب ، وعليهم أن يساعدوا في مواجهة الإرهاب الشرق أوسطي» . مضيفاً : «على جميع الأطراف أن يقولوا بوضوح إن القاتل ليس شهيداً ، فهو أو هي مجرد قاتل» .





شارون أفعى الحروب تنهش حمامة السلام

حين تسلّم إيهود باراك رئاسة الحكومة الإسرائيلية من بنيامين نتنياهو خُيّل إلى البعض أن مسيرة السلام في الشرق الأوسط قد خطت خطوات متقدمة نحو الأمام، وأن حزب «العمل» سيعوّض عن غطرسة تكتّل «الليكود» فتستأنف مفاوضات السلام ويجلس المتفاوضون إلى الطاولة وتبدأ التنازلات الإسرائيلية وإعادة الأراضي العربية إلى أصحابها! إلاّ أن عهد باراك لم يختلف كثيراً عن سلفه، فما يجمع القادة الإسرائيليين وأحزابهم هو وحدة الهدف وإن اختلفت أساليب تحقيقه، فالكل تعامل مع قضية السلام كصفقة تجارية تحقق مكاسبهم على حساب حقوق الفلسطينيين؛ وأخضعوا الأراضي العربية المحتلة للابتزاز من الجولان إلى

القدس إلى الضفة الغربية إلى قطاع غزة ؛ وما زلوا يتسابقون إلى إطلاق التصريحات الاستفزازية حول الاحتفاظ بالجولان- بعد فقدانهم جنوب لبنان- وعدم التخلي عن القدس ، والإبقاء على المستوطنات .

ومع سقوط إيهود باراك واستلام أرييل شارون رئاسة الحكومة ، بدأ عهد جديد لا يبشّر بالخير سواء على صعيد أزمة الصراع العربي الإسرائيلي ، أو على صعيد النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني الداخلي ؛ فالمتابع لسيرة شارون وماضيه الدموي سيقف عند خبث ولؤم هذا الإرهابي الذي افتتح سجلّه العسكري وهو في سن الخامسة عشرة بقتل فتى فلسطيني وفصل رأسه عن جسده ، مروراً بإجرامه ضد المواطنين داخل فلسطين المحتلة ومجزرة صبرا وشاتيلا في لبنان ، ومن آخر مظاهر لؤمه- قبل انتخابه- زيارته المشؤومة إلى المسجد الأقصى تحت حراب جنود باراك نفسه .

بداية الحقبة الشارونية

لم يمض على انتخابه رئيساً للحكومة الإسرائيلية سوى بضعة أيام حتى كان الإرهابي أرييل شارون يعطي الأوامر بتصعيد سياسة القمع والتنكيل والتدمير ضد الفلسطينيين ، فيقوم جيش الاحتلال بضرب المدن والقرى الفلسطينية ويهدم منازلهم ويغتال رموز المقاومة مستخدماً مختلف أنواع الأسلحة ، وهذا التصعيد «الشاروني» هو ترجمة فعلية لمخطط دموي يستهدف قمع الانتفاضة وإجبار الشعب الفلسطيني على القبول بواقع الاحتلال ، وما ترسمه السياسات الصهيونية من حلول وتسويات تتناسب

مع الأطماع الإسرائيلية في إبقاء القدس تحت سيطرتهم ، ورفض وقف الاستيطان وتفكيك المستوطنات الحالية بالإضافة إلى إلغاء مبدأ العودة .

ويرى شارون في قمع هذه الانتفاضة أول اختبار يخوضه لضمان استمراره في رئاسة الوزراء ، ووفقاً لسجله العسكري فهو لن يتردد في إعطاء الأوامر الواضحة والصريحة للجيش الإسرائيلي بالانقضاض على هذه الثورة بكل الوسائل واستخدام الأسلحة وتجربة الحديثة منها ضد الشعب الفلسطيني كخطوة أولى نحو نيته تهويد القدس وطرد الشعب الفلسطيني وتشريده . .


لا أريد إعطاء
الانطباع أن لإسرائيل
ماتخفيه في جعبتها!

شارون.. خطة سياسية عنيفة

دُعي المرشحون لمنصب رئيس هيئة الأركان إلى مكتب وزير الدفاع يوم الأربعاء ١٣ آذار (مارس) بعد الظهر على عجل ، لم تكن أسماء الأربعة مسجلة سلفاً في لائحة المدعوين ، فلقد خطط بنيامين بن أليعازر لاستكمال جولة المقابلات والإعلان عن المرشح الفائز فقط في بداية الأسبوع المقبل . إنّ ما أثاره هو رئيس هيئة الأركان المغادر فؤاد ، الذي يعد الدقائق حتى تموز (يوليو) (حيث يخلع موفاز الزي العسكري) استشاط غضباً ، «كيف عرفت» سأل فؤاد رئيس الحكومة «إن عملية الجيش توقفت في الليل؟ من قال لك؟» . وفي مناسبة أخرى قال« أنا أعرف أساليبك ، أنت تلتقي مع رئيس هيئة الأركان ، أنا لن أدعك هنا تعمل كوزير دفاع أعلى ، لا يوجد مثل هذا الأمر» .

هذا التعاون بين شارون وموفاز من وراء ظهر بن أليعازر أخرجه عن طوره ، وخصوصاً حين ركز الاثنان جهودهما من أجل إدخال الدبابات العسكرية إلى ساحة المنارة في رام الله وتوريط إسرائيل ، حسب رأيه ، بتصعيد زائد مقابل شرفة عرفات ، قبل ربع ساعة من هبوط الجنرال أنتوني زيني في تل أبيب . وفي أوج غضبه قرر بن أليعازر حسم الأمور الآن وفوراً . رئيس هيئة الأركان «يشي» لرئيس الحكومة ، في ظلمة الليل ، عن تعليمات وخطوات وزير الدفاع ، إذاً فليعلن وزير الدفاع عن رئيس هيئة الأركان القادم ويجعل من رئيس هيئة الأركان الحالي إوزة عرجاء . من الآن ، فكر بن أليعازر بينه وبين نفسه ، يصبح موفاز خارج الصورة ، دمية ، من الآن بوغي هو الرجل .

تعيين رئيس هيئة الأركان الـ١٧ تقرر بين بن أليعازر وشارون قبل نحو عشرة أيام ، وتسلسل الأحداث التي أدت إلى التعيين والقرار المشترك يمكن أن يستخدم كنموذج في مدرسة مكائد السياسة . شارون دبّر لبن أليعازر مناورة محكمة ، وبن أليعازر يدبر لشارون مناورة لا تقل ذكاء . في نهاية الأمر كل واحد منهما حصل بالضبط على ما يريد : موشيه يعلون ، والطريق إلى هناك كانت غريبة .

شارون يحب موشيه يعلون ، إنه يعرف أن الحديث لا يدور عن سياسي بزي عسكري بل عن شخص مهني وموضوعي ، شارون يثق به . من جهة ثانية فإن رئيس الحكومة يهودي ذكي ، يعرف أنه إذا طرح يعلون كمرشح له ، سيضع على جبينه وصمة عار بالنسبة إلى اليسار وسيحوله إلى الجندي القادم الذي سيحطم جماجم العرب في الأزقة . لذلك قام رئيس الحكومة بالعرض التالي : يؤيد حلوتس ويوافق في النهاية على يعلون . شارون علم أن بن أليعازر سيدخله في صراع ، لذلك أبقى يعلون كخيار ثان من أجل الدخول في اتجاهه في الوقت المناسب . موشيه يعلون ، من مواليد

كريات حاييم ، ابن كيبوتس غروفيت ، مرشح الحل الوسط ، كان الرجل الذي أجمع الكل عليه منذ اللحظة الأولى تقريباً .

وفي لقاء مغلق تحدث وزير الدفاع عن أحد أسباب قراره : «كان بوغي هو المرشح الوحيد الذي لم يستخدم الناس ولم يرسل موفدين ولم يلتق مع الصحافيين ولم يجر زيارات ومأدبات عشاء للوزراء وزوجاتهم ولم يطلب وساطة الحاخامين ، ببساطة واصل العمل ، أنا أعرف ما فعله الآخرون ، تلقيت كل المعطيات . هذا لم يولّد لدي أي انطباع . القرار موضوعي» .

ميزة يعلون هي أنه لا يوجد له معارضون . ويجب أن نبحث جيداً كي نجد شخصاً ما يقول عنه كلمة سيئة . آراؤه منذ بداية المواجهة الحالية ، واضحة وحادة . من جهة ثانية من الواضح أنها لا تنبع مما يسمعه في البيت بل مما يقرأه من مواد . ورغم المواجهات التي علق فيها مع وزير الخارجية شمعون بيريس إلاّ أن يعلون لا يعتبر كيميني متطرف ، إنه خبير في تفعيل وحدات خاصة ، كان قائد دورية الأركان في الفترة التي نفذت فيها الوحدة ، حسب الأنباء الأجنبية ، عملية اغتيال «أبو جهاد» في تونس ، كان قائداً من النوع الذي لا يرسل مقاتلي الوحدة لتنفيذ العمليات بل يخرج في مقدمتهم . إنه ليس أميراً إنه وسط بين شاؤول موفاز ، العامل الأسود ، وإيهود باراك وأمنون شاحك ، طيبي الأوصاف .

يعلون رجل متواضع يبتعد عن وسائل الإعلام ، يخشى من السياسيين ، خجول ، يعشق الشبيبة ، يحب إلقاء المحاضرات وزيارة المدارس ، وعندما عُيّن قائداً للواء الضفة الغربية خشي منه المستوطنون ، ولكن سرعان ما اكتشفوا أن خوفهم لا مكان له ، وحظي بتقديرهم .

أريل شارون في ارتباك ، ينهض كل صباح ، يفحص أطراف الائتلاف ، يحسب الحسابات ، يقيس المقاسات ، يخطط الخطط ، لقد سئم

من نتنياهو . وقد نشر في شبكة «يديعوت للإعلام» استطلاع واسع جرى وسط قادة الليكود ، فهم شارون منه ، ثانية ، أنه ليس المهم ما يفعله أو يقوله أو يعد به ، حيث أن نتنياهو يمزقه إرباً إرباً في الحزب (الذي أقامه هو) . هذا الاستطلاع ، الذي أثبت له إلى أي درجة التقديرات المتفائلة لمقربيه مفصولة عن الواقع ، منحه دفعة أخرى باتجاه الإعلان عن إلغاء المطالبة بسبعة أيام هدوء والإفراج عن عرفات من سجنه .

شارون يقف أمام مفترق طرق ، إنه يستطيع أن يقوم بأعمال الصيانة وأن يركز على البقاء مثلما فعل سابقوه ، ولكنه يعرف أن هذه وصفة جيدة للتحطم . إن من يحافظ على الموجود يختفي . في مثل هذا الوضع يدرس إمكانيات بعضها جوهري ومهم ، ومن الممكن أن نفهم من تردد شارون أن الحديث يدور عن إنسان مذهل ، منفتح ، لا يتمترس في أي مكان ، آراؤه قاطعة ، ولكنه قادر على القيام بخطوات أو على الأقل التفكير بها .

منذ وقت قصير التقى مع محمد رشيد ، الرجل المقرّب جداً من رئيس السلطة الفلسطينية وأكثرهم تأثيراً فيه ، وفحص شارون مع رشيد إمكانية التوصّل مع الفلسطينيين إلى تسوية مرحلية طويلة المدى ، لكنها بعيدة الأثر . وقالت مصادر فلسطينية مقربة من عرفات تلقّت تقريراً عن اللقاء ، إن الحديث يدور عن اقتراحات مذهلة ، رغم أنها غير مقبولة تماماً .
قال شارون ، حسب التقارير ، إنه من الممكن أن نمضي بعيداً جداً نحو الفلسطينيين إذا ساروا باتجاه الاحتياجات الأمنية لإسرائيل . هذه الاحتياجات ، حسب شارون ، تركز على السيادة والسيطرة الإسرائيلية على غور الأردن . ألمح شارون ، حسب التقارير إلى أنه سيعوّض الفلسطينيين بمناطق داخل الخط الأخضر ، ويدور الحديث عن مناطق مكتظة بالسكان من عرب إسرائيل . وسينفي شارون ، إذا سئل ، أي صلة له بهذه الأفكار . من جهة ثانية فقد نفى أيضاً أنه طلب من مبارك أن يرتب له

لقاء مع وليّ العهد السعودي . ومن جهة أخرى كل من يعرف شارون يعرف أنه يخشى من عرب إسرائيل أكثر من خشيته من الفلسطينيين ويرى فيهم خطراً حقيقياً على وحدة إسرائيل وعلى ديموغرافيتها .

شارون يفحص إمكانيات أخرى ، فقد اجتمع مع مقربيه ، أجرى لقاءات ثنائية ، ومنهم رافي إيتان . ومن الأفكار التي يفكر بها شارون هي احتلال مناطق (أ) بعرض قوة كبيرة من الجيش ، الانتقال من بيت إلى آخر ، القبض على معظم المطلوبين ، جمع الأسلحة والوسائل القتالية ، طرد القيادة المثيرة للمشاكل وإعداد الميدان للقادة الحقيقيين ، الأصليين ، رجال مثل دحلان والرجوب والبرغوثي (نعم البرغوثي) على حساب رجال تونس وأوسلو .

وبعد ذلك؟ بعد ذلك ، يقول شارون (وخاصّة لنفسه) سأمضي نحو خطوة سياسية عنيفة ، تاريخية وذات صدى ، مثل إخلاء المستوطنات في قطاع غزة ، وإخلاء المستوطنات المعزولة في الضفة ، وإقامة كتل استيطانية ومصالحة تاريخية مع الفلسطينيين . شارون يعرف ويؤمن أنه هو الوحيد القادر على فعل ذلك . ولكن قبل كل شيء يجب توجيه ضربة قوية لهم وإحراز حسم ، يبدو على الأقل مثل النصر ، وإعادة ترميم الردع الإسرائيلي .

هل يبدو ذلك معروفاً؟ حقاً ، كان هذا ملخص اقتراح شارون للانسحاب أحادي الجانب من لبنان ، في الأيام التي عرف فيها إيهود باراك «ماذا يفعل» . طلب شارون حينذاك أن يوجّه لحزب الله ضربة قوية وتغيير قواعد اللعبة ثم الانسحاب ، تدريجيًا ، إلى الحدود الدولية .



التدمير عنوان السياسة الإسرائيلية

الشارونية.. حالة عداء دائم

الشارونية هي الفلسفة السياسية التي تقوم على قرار من الجيش يقول بأن السياسيين (والقضايا كذلك) ليسوا أفضل من الجيوش الموضوعة تحت إمرتهم. تؤمن الشارونية بأن مستقبل الشرق الأوسط قابل للصياغة من خلال منظار سبطانة الدبابة، وأن التشكيلة السياسية الجديدة التي تفضّلها إسرائيل للمنطقة تبنى بمراكمة السلوكات التقسيمية. الفلسطينيون كيان عاص وغير مأمون، وهذا ثابت أبدي بالنسبة إلى الرؤية الشارونية للعالم. الهدف من وجود الجيش الإسرائيلي هو قمع مقاومتهم المستمرة. نحو هذا الهدف النهائي تعمل الشارونية وعينها على أذونات واشنطن، المباشرة وغير المباشرة، بينما لا تعير كبير انتباه لغير آراء دولية. فوق كل شيء تؤمن الشارونية بأن سيطرة جيشها على الجيوش العربية هي الضمانة الوحيدة

الممكنة لبقاء إسرائيل .

منذ عشرين عاماً ، وتحت أنوار هذه الإيديولوجيا ، خطّط الثلاثي بيغن-شارون-إيتان للحرب الإجرامية على لبنان ونفّذوها . كان لسياستهم تلك هدفان : إعادة تشكيل لبنان بكليته بتنصيب حكومة تسيطر عليها «القوات المتحالفة» ، وطرد القوى الفلسطينية . اليوم ، القوات غابت وطردت إسرائيل بالقوة .

محاولة اغتيال شلومو أرغوب ، السفير الإسرائيلي في بريطانيا ، والتي كان «جماعة أبو نضال» مسؤولين عنها ، نفعت كذريعة لاجتياح لبنان ، الاجتياح المخطّط على مهل مسبقاً ، والذي كلف عشرة آلاف حياة تقريباً . لاحقاً كتب أرغوب (المثقف الليبرالي والإنساني الذي لم يتعاف بعد ذلك من جراحه) إدانة مريرة لعسكرية شارون التي استعملت معاناته عذراً لجعل آخرين كثيرين يعانون ويموتون .

اليوم يعيد شارون حرب لبنان في إسرائيل وفلسطين . هي مناسبة لتذكر رفض أرغوب الأخلاقي لمنطق سلاسل المعاناة المتكررة بلا نهاية .

اليوم الاستشهاديون الفلسطينيون يمنحون الشارونية العذر نفسه الذي لزمها قبل عشرين عاماً . ضحايا عملية عيد الفصح في نتانيا تمّ استخدامهم تبريراً لحصار رام الله .

العمارة السياسية التي يحلم بها شارون للشرق الأوسط انهارت برمتها في لبنان ، وهو سيفشل بالحتمية نفسها في اجتياح الأراضي الفلسطينية ، الاجتياح الذي يهدف إلى منع أي انبعاث لمسيرة أوسلو . وزير الدفاع بنيامين بن أليعازر اعترف مؤخراً للجنة من الكنيست بأن «الإرهاب لا يمكن إيقافه بعمليات عسكرية» .

إن أية محاولة عسكرية للتهدئة ستوجب إعادة احتلال كامل لأراضي السلطة الفلسطينية ، الأمر الذي ينظر إليه كشيء بغيض لا يطاق من قبل

أغلب الناخبين الإسرائيليين ، كما من قبل العرب والرأي العالمي .

ثم إن الفلسطينيين ، وقد ذاقوا مؤخراً طعم استقلال في حدّه الأدنى . سيردّون بحرب عصابات ضارية . . الحرب التي ما زالت في بدايتها .

وهكذا ، تواجه حكومة شارون المشكلة الاستعمارية التقليدية ، مشكلة كيف ستجبر السكان الأصليين على الإذعان لقدرهم المقضي . الأسلحة المتطورة لم تستطع حل هذه المشكلة يوماً ، يمكنها أن تتدبر أمر يوم عابر لا أكثر .ويجميع الأحوال لا يحتاج السكان الأصليون إلاّ لسحب دم وإلى أن يظلوا موجودين حتى يكونوا الفائزين .

الشارونية حالة عداء دائم لمعارضي وجود إسرائيل كحاكم حتمي للشرق الأوسط ، لذا تكون العلاقات السلمية مع الجيران العرب مرغوبة ولكن يمكن الاستغناء عنها .

هذه «العزلوية» ، التي هي من صفات إيديولوجيا الجناح اليميني ، تعزز من سلطتها السياسية على الصعيد الأهلي . تعميق العزلة الدولية يعيد إحياء شعبية شارون النازية مؤخراً .

لا يزال ثمة مستوى آخر من العزلوية الناشطة هنا : هو رفض الاعتراف بالثقافة الفلسطينية ، وذلك بوصفها عرشاً للوحشية حسب الاعتقاد الشاروني . إن أي مخيم لاجئين فلسطينيين -وهو الهدف الرئيس للكره الشاروني- هو صنيعة المخيلة المستترة تحت فقرها المادي ، حيث أصبحت جدران الرماد لغة محلية للفلسطينيين ، راسمة حدود ضيقة تحول المساحات المحدودة إلى مناطق سكنية تصغر شيئاً فشيئاً . فما يبدو بؤساً غير محتمل يكتسب دفئاً ورحابة . والفضل في ذلك للروح أكثر بقليل من غيرها . من عري الجدران والأزقة والأسطح تبزغ حارة مجاورة ، ويتنامى عمرانها ليصبح استعارة للثقافة الفلسطينية ، تلك التي تبني بلبنات القدر السيئ ملاجئ لجوهرها النابض .

حتى وإن كانت الأحياء التي يعبرها النسيم (المستوطنات) عديمة المعنى أمام أي صاروخ جدي ، هي تظل تمثل تسليحاً ثقافياً يحمي الاحتلال الإسرائيلي والأهداف السياسية لأميركا في الشرق الأوسط .

لقد بحثت السياسة الأميركية مراراً عن ضمانات ثابتة لمصالحها الاقتصادية في الشرق الأوسط ، في الوقت الذي تجاهلت فيه الأهمية المركزية للفلسطينيين في استقرار المنطقة . فالفلسطينيون ليسوا شعباً مؤقتاً يعيش أبناؤه حيوات عارضة ومشروطة في قطاعات مؤقتة ، من غير الممكن أن يضمنوا استقراراً يتنكر لحاجاتهم التاريخية .

مثلما فعل في ١٩٨٢ في عهد إدارة ريغان قام شارون بتحريك أسطول دباباته تحت غطاء اللاإكتراث الدبلوماسي والتصريح المستتر من اليمين الأميركي . هذا امتداد للبيئة الاجتماعية ما بعد ١١أيلول (سبتمبر) حيث شاعت مناهضة الثقافة العربية ، وحيث صار توكيل الآخرين بعنف الدولة المضاد للعرب مناسباً أكثر بالنسبة إلى أميركا .

إنّ من أشكال البربرية في هذا العصر أن تصبح الثقافات العربية اليوم تحت القصف ، أن يجثم غناها وأناقتها مهملين تحت الشك الثقافي الحاكم للغرب اليوم .

هناك وحشية في علوم الموت الحتمية التي تصدرها الولايات المتحدة وأوروبا ، التي ، كتحصينات وحشية ، تتفوق بشكل كبير على الدعاوى التي يمكن توجيهها ضد المقلدين الواهنين والمستهلكين العاديين من اللاديموقراطيين في مراكز القوى في العواصم العربية . عسكرية شارون هي في نهاية المطاف مجرد تجل محلي لصنّاعها في الغرب .

وما دام الفلسطينيّون مفتقدين لوطن قومي مستقر ومزدهر فسيبقى الشرق يعيش هذا اللااستقرار . وطالما استمر وجود أرخبيل المستوطنات تحت رعاية الحركة الدينية الفاشية الإسرائيلية فسيبقى السلام طائراً خرافياً .

الحملة العسكرية وتأييد الشارونية

أظهر استطلاع للرأي العام في إسرائيل أن الحملة العسكرية الإسرائيلية ضد المناطق الفلسطينية أعادت إلى شارون ثقة الجمهور الإسرائيلي به ، فيما ينقسم هذا الجمهور حول سبل التعامل مع عرفات بين العزل والطرد .

وهاكم أسئلة الاستطلاع ونتائجه :

-كيف ينبغي لإسرائيل أن تتصرف مع عرفات؟

الإفراج عنه ٢٥في المائة

إبقاؤه قيد العزلة ٢٧ في المائة

طرده ٣٠ في المائة

قتله ١٢ في المائة

-بالإجمال هل أنت متفائل أم متشائم بالنسبة إلى الوضع؟

متفائل ٤٥ في المائة

متشائم ٥٢ في المائة

- هل غيّرتم عادات الخروج من البيت في ضوء العمليات الإرهابية؟

قلّلنا بقدر كبير ٣٠ في المائة

قلّلنا بقدر ما ٢٥ في المائة

قلّلنا بقدر قليل ١٢ في المائة

لم نغيّر ٣٢ في المائة

- هل غيّرتم عادات التوجّه إلى أماكن الترفيه في ضوء العمليات الإرهابية؟

توقفنا عن الخروج ١٤ في المائة

قلّلنا ٥٥ في المائة

ننوي التقليل ٢ في المائة

لا ننوي التغيير ٢٨ في المائة

-هل تثق بأرييل شارون بأن يقود الدولة بنجاح؟

مايو (أيار ٢٠٠١) ٦٢ في المائة

يونيو (حزيران) ٦٦ في المائة

يوليو (تموز) ٧١ في المائة

أغسطس (آب) ٦٣ في المائة

أكتوبر (تشرين الأول) ٦٤ في المائة

نوفمبر (تشرين الثاني) ٦٥ في المائة

ديسمبر (كانون الأول) ٦٤ في المائة

يناير (كانون الثاني ٢٠٠٢) ٦٢ في المائة

فبراير (شباط) ٦١ في المائة

مارس(آذار) ٤٥ في المائة

أبريل (نيسان) ٦٢ في المائة

- هل تثق بشارون بأن يقود الحرب بنجاح؟

أثق ٦٢ في المائة

لا أثق ٣٨ في المائة

-هل تؤيد انسحاباً من طرف واحد؟

أؤيد ٤٦ في المائة

أعارض ٥٠ في المائة

-هل بعد خطاب رئيس الوزراء للأمة وتفسيرات الوزراء، تفهم أهداف الحملة العسكرية؟

أفهم ٦٠ في المائة

لا أفهم ٣٦ في المائة

-إذا ما توقّف الإرهاب فهل ينبغي لإسرائيل أن تدخل في مفاوضات على إقامة دولة فلسطينية في إطار اتفاق سلام نهائي؟

ينبغي ٧٣ في المائة

لا ينبغي ٢٥ في المائة

-بالإجمال ماذا برأيك سيكون أثر الحملة العسكرية في حجم الإرهاب؟

الإرهاب سينخفض ٤٥ في المائة

الوضع لن يتغير٢٨ في المائة

الإرهاب سيزداد ٢٢ في المائة

- هل ينبغي لرئيس الوزراء أن يعلن الآن أنه إذا توقف الإرهاب فستوافق إسرائيل على إقامة دولة فلسطينية في إطار اتفاق سلام نهائي؟

ينبغي ٥٥ في المائة

لا ينبغي ٤١ في المائة

هذا وقد أجري الاستطلاع في نيسان (أبريل) ٢٠٠٢ وشارك فيه ٥٠٤ أشخاص يمثلون السكان الراشدين في إسرائيل وتبلغ نسبة الخطة القصوى ٤ , ٥ في المائة .

وفي محاولة لتقدير عدد القوات المطلوبة لحماية المستوطنين على الطرق المؤدية من المستوطنات إلى الخط الأخضر ، تمّ قياس الطول الإجمالي للطرق التي يستخدمها المستوطنون والتي تمر عبر أو قرب المدن الفلسطينية وتبلغ أطوالها ٧٥٠ كم ، وتوجد على هذه الطرق بعض المناطق ذات الكثافة السكانية العالية مثل رام الله وبيت لحم .

وقدرت الدراسة عدد القوات اللازمة لحماية المستوطنات والمستوطنين بـ٧٠٠٠ جندي إسرائيلي خلال فترة الاتفاق الانتقالي .

هذا وتشير خارطة الاستيطان إلى أن عدد المستوطنات والمستوطنين في الأراضي العربية المحتلة ، وحسب اعتراف صحيفة «معاريف الإسرائيلية» في عددها الصادر في ٢٣/ ١/ ١٩٩٢ بلغ ١٩٢ مستوطنة يسكنها ٩٨٧٥٥ مستوطناً موزعين على النحو التالي :

- الخليل وبيت لحم غوش عتسيون ١٧ مستوطنة و ٩٣٣٠ مستوطناً .
- جبل الخليل ١٥ مستوطنة و٧٤٤٥ مستوطناً .
- وسط الضفة الغربية ٣٨ مستوطنة و ٣٨٩٢٠ مستوطناً .
- شمال الضفة الغربية ٣٦ مستوطنة و ٣٦٣٢٠ مستوطناً .
- قطاع غزة ١٦ مستوطنة و ٣٢٢٠ مستوطنة .
- مرتفعات الجولان ٣٠ مستوطنة و ٣٦٠٠ مستوطن .

أما مدينة القدس المحتلة فتضم ١٢ حيًا صهيونيًا يسكنها ١٣٩ ألف صهيوني .

ولعل الأرقام التي نشرتها صحيفة فاينشال تايمز البريطانية في هذا

الصدد أقرب إلى الواقع ، إذ ذكرت في عددها الصادر في ٣/ ٩/ ١٩٩٣ أن هناك ١٢٠ ألف مستوطن في الضفة الغربية و٤٠٠٠ مستوطن في قطاع غزة ، إلاّ أن المؤكد هو أن عدد المستوطنين الصهاينة الآن في الأراضي المحتلة يقارب الـ١٣٧ ألف مستوطن عدا القدس المحتلة .


مجزرة ق


مجزرة جنين


مجزرة صبرا وشاتيلا

شارون في الصحف الإسرائيلية تراجع وأداء فاشل

موافقة أريل شارون على الاقتراح الأميركي بالإفراج عن ياسر عرفات مقابل سجن الفلسطينيين ، الذين تحملهم حكومة العدو مسؤولية تصفية رحبعام زئيفي ، في سجن تابع للسلطة الفلسطينية في مدينة أريحا بحراسة أميركية وبريطانية ، إضافة إلى الطريقة التي تم بها عرض هذا المطلب في الإعلام الإسرائيلي ،أثار من جديد الانتقادات لدى الصحافة الإسرائيلية لسياسة الحكومة الصهيونية وتحديداً لرئيسها شارون ، بعد أن سجّل هذا الإعلام تراجعاً ملحوظاً بانتقاداته خلال عملية «السور الواقي» في شبه محاكاة للموقف الرسمي ، إلى الوقت الذي بدأت فيه لجنة تقصي الحقائق الدولية بما خص مجزرة جنين تتصدر الأحداث .

أريل شارون ورجالاته في داخل الحكومة الإسرائيلية وخارجها ،

حاولوا تجميل استجابتهم للأميركيين من طريق ربطه بلجنة تقصي الحقائق وموافقة واشنطن على العمل لمصلحة «إسرائيل» لناحية تركيبتها وصلاحياتها، وصولاً إلى إلغائها. وبالتالي حاولوا إظهار الانصياع كاضطرار من ناحية وككسب من ناحية ثانية، خصوصاً أن مسألة لجنة التقصي تحولت إلى مطلب مركزي في كيان العدو خوفاً من تداعياتها السلبية عليه.

وبالرغم من ذلك، تناولت الصحافة الإسرائيلية الفاعلة انصياع شارون وحكومته بكثير من التفصيل. فمن جهة، كرّر معظم المحللين ضرورة عدم إزعاج الأميركيين ومعاندتهم في مسألة تعتبرها واشنطن جزءاً من المصالح الحيوية لها، وبالتالي فإن أي مطلب أميركي يدخل في هذه الدائرة ويصار إلى الاستجابة له من قبل «إسرائيل»، لا يمكن أن يعد سوى قرار حكيم وجريء، ومن هنا لم يشذ سوى القلة القليلة من الكتبة الفاعلين عن الإشادة والتبرير لاستجابة شارون للمطلب الأميركي. ومن جهة أخرى، علّق المحللون بشكل حاد تجاه أداء شارون وأخطائه المتكررة التي دفعت «إسرائيل» للوصول إلى الوضع الحالي الذي تظهر فيه متعدية وغازية، وهو ما «حول الانتصار الميداني الذي جنته من الضربات المتتابعة التي تلقاها الفلسطينيون جراء الهجمة العسكرية الأخيرة إلى هزيمة وخسارة.

المحلّل الرئيسي في صحيفة «يديعوت أحرونوت» ناحوم برنياع هاجم شارون بشدة، ورأى أن عليه «أن يخجل من أخطائه وغطرسته، وخصوصاً التصريحات التي أطلقها قبل الخضوع للأميركيين في عدم اعترافه بالمحاكمة الصورية لقتلة زئيفي وإصراره على تسليمهم إلى «إسرائيل»، ويخلص إلى أنّ الخطأ ليس في الخضوع للأميركيين، ولكن الخطأ في الغطرسة». أما المعلّق العسكري للصحيفة نفسها أليكس فيشمان فيرى أنّ سجن عرفات

كان في أساسه إجراء خاطئاً وكانت نتيجته معروفة سلفاً ، إذ إنه حوّل عرفات إلى سجين حرية ، ووضع إسرائيل في صورة العربيد وعرفات في صورة الشهيد ، ما أدى إلى تراجعنا خطوتين إلى الوراء إلى واقع ما قبل عملية «السور الواقي» .

صحيفة «معاريف» ، رأت أن «الانصياع للأميركيين دفّع إسرائيل ثمناً كبيراً ،» إذ إن الإفراج عن عرفات سيؤدي إلى استقباله كبطل في كل العالم ، إضافة إلى هدر فرصة القبض على قتلة زئيفي والمس بقوة الردع الإسرائيلية ، ناهيك عن الإهانة العلنية التي لحقت بالحكومة أمام أعين الفلسطينيين . والأكثر من ذلك ، تشير الصحيفة ، إلى أن موافقة الأميركيين أثبتت أن الضغط على حكومة شارون يمكن أن يجني ثماراً . وتتنبأ الصحيفة بمستقبل قاتم لشارون نتيجة لقرار الخضوع ، إذ تكتب أن « شارون الذي طالب حتى الآن بتسليم قتلة زئيفي ، سيضطر بعد ذلك إلى التوسل لوزراء الليكود في اجتماع مركز الحزب خوفاً من التداعيات الإيجابية لهذا القرار على مسعى بنيامين نتنياهو منافسه الرئيس على رئاسة الحزب» .

وتعتبر خطوة شارون ، في الاستجابة للطلب الاميركي ، رافعة خلاص من الأزمة التي أوقع نفسه وكيانه فيها ، إذ إن العملية العسكرية الإسرائيلية الأخيرة في المدن والقرى الفلسطينية ، وما تخللها من فظائع ومجازر ، لم تثمر نجاحات كان الاحتلال يأملها ويُمني نفسه بها في دفع الفلسطينيين إلى الاستسلام ، وهو الأمر الذي أثبته الفلسطينيون مؤخراً في تواصل عملهم الجهادي ، وإن بوتيرة بطيئة ، وبشهادة وإقرار من الإسرائيليين أنفسهم .

الأميركيون: شارون عاجز عن مكافحة الإرهاب

ضرب وزير الخارجية الأميركي كولن باول بيديه على الطاولة وبدا وكأنه يوشك أن يخرج عن أطواره «يجب أن نكبح جماح شارون» قال لكبار المستشارين في الوزارة في جلسة عقدت قبل العيد (المقصود عيد الفصح) المشاهد الواردة من المنطقة كانت صعبة ، جيش الدفاع يطوق ديوان ياسر عرفات ، يفجر البيوت ويدخل إلى المستشفيات ، الصور التي يشاهدونها في أميركا لا تبث في إسرائيل كما يبدو .

حتى الصدمة التي ألمت بالإدارة الاميركية إثر مذبحة عشاء عيد الفصح في عملية نتانيا تحولت هي الأخرى إلى غضب على شارون ،أوراق العمل التي تكدّست على طاولة باول وعلى طاولة بوش برهنت وبشكل واضح على أن الخطوات التي يقوم بها شارون لا تحول دون حدوث العمليات الانتحارية .

توقعات المحللين في الولايات المتحدة قاطعة : الإرهابيون الانتحاريون لن يلبثوا إلاّ أن يزيدوا من عملياتهم إثر حرث جيش الدفاع لمدن الضفة ، وإن كانوا حتى الآن قد ضبطوا أنفسهم أحياناً وفقاً للأغراض السياسية ، فإن ما يفعله شارون الآن سيزيد من العمليات الانتحارية

استطلاع شبكة (سي بي إس) قرر بوضوح أن الأميركيين أيضاً يتفقون مع هذا الرأي : ٧من ١٠ مستطلعين قالوا إن العمليات العسكرية الإسرائيلية ستزيد من العمليات الانتحارية في إسرائيل .

لا حلّ . . فالضغط سيزداد

خلال المداولات التي جرت مؤخراً في قيادة الإدارة الأميركية تم التوصل إلى استنتاجات عدة ليست مشجعة للقادة الإسرائيليين أبرزها : أن شارون لا يعرف كيف يقوم بالمهمة وكيف يكافح الإرهاب ، وهو حتى لا يعرف أنه لا يعرف ، ولذلك يقوم باستخدام سلاح متقدم- أميركي حتى - ليتسبب في إحداث الفوضى في المنطقة . وفي ظل غياب رؤية أمنية عسكرية واضحة يقوم - شارون حسب رأيهم - بإبراز قوة عسكرية كبيرة لا توصل إلى الحل المنشود : إيقاف موجة العمليات الانتحارية .

استخلاص آخر : شارون يشعل الشرق الأوسط بحريق ضخم ، فهو يعرف فقط أن يقوم بما قام به في بيروت ، وهناك أيضاً لم ينجح في توفير الهدوء ، وإنما أحدث تصعيداً تطلّب الخلاص منه سنوات طويلة .

أوساط الإدارة الأميركية قالت في لهجة هي خليط بين الإحباط والاستهزاء إن شارون يفرض الحصار على عرفات في رام الله ، إلاّ أنه يشل البنتاغون في قلب واشنطن في واقع الأمر : طالما كان عرفات محاصراً والسلطة توشك على الانهيار لا توجد احتمالية لأن ينجح البنتاغون في ترتيب قواه لتوجيه ضربة للعراق . التلميح المصري بالقطع الجزئي للعلاقات مع إسرائيل ، والتلميح السوري بأن دمشق لن تمنع حزب الله من

مساعدة الأشقاء الفلسطينيين ، والضغط السعودي والخليجي على واشنطن بأن تفعل شيئاً لكبح جماح شارون ، كلها مجتمعة تسببت في تغيير السياسة الأميركية في الأيام الأخيرة . صحيح أن بوش أكد حق شارون في الدفاع عن دولته إلاّ أن عليه أن يفكر بالمسار السلمي . وباول قال إن أميركا لا تشاطر شارون إبعاد عرفات من المناطق وإنه هو القائد ذو الصلة الذي يتوجب التفاوض معه .

في داخل الولايات المتحدة يتزايد الضغط الذي لا يتوقف على الإدارة لاستخدام كل قوتها لإخراج جيش الدفاع من المناطق التي احتلها . نيد ووكر نائب وزير الخارجية سابقاً وصاحب الرأي المحترم عند الرئيس ومساعديه اعتبر التدخل الاميركي الذي جرى حتى الآن فشلاً .

ووكر يقول إن رؤية بوش بالنسبة إلى الدولتين صحيح ، إلاّ أنها يجب أن تدعم بالأفعال . أميركا مخطئة حسب رأيه في إعطائها إسرائيل ضوءاً أخضر لتتصرف كما تفعل الآن ، على الإدارة أن تتصرف بحزم حتى يبدأ العدوّان عرفات وشارون التصرّف بمنطق .

زبيغنيو برينسكي مستشار الأمن القومي في إدارة كارتر قال إن الصراع لن يحل إلى أن يتمّ إرسال قوات أميركية لفرض النظام (بموافقة الطرفين) في المنطقة . اتفاق وقف إطلاق النار ليس كافياً حسب رأيه ، وهناك حاجة إلى إبراز أفق سياسي للجانبين وإقناع الفلسطينيين بأنهم سيحصلون على دولة معترف بها خلال فترة قصيرة . في مجلس الشيوخ أيضاً وحتى في الجناح الجمهوري تتعالى التصريحات الانتقادية لعدم قيام الإدارة الأميركية بالتدخل الكافي .

في البيت الأبيض وفي الخارجية اللذين لا يميلان إلى الاتفاق في الأغلب تبلور سناريو متشابه يقول بأن شارون لا يستطيع البقاء لفترة طويلة في مناطق السلطة ، الضغط الذي سيمارس عليه من أميركا وأوروبا سيكون شديداً فيضطر إلى الانسحاب .

الأميركيون كما قال موظف كبير في الخارجية الأميركية سيسمحون

لشارون بعشرة أيام حتى أسبوعين في الحد الأقصى ليقوم بإنهاء الحرب ، وعندئذ سيمارس على إسرائيل ضغط شديد لسحب قواتها من المناطق الفلسطينية ، وماذا سيحدث حينئذ؟ العودة إلى نقطة البداية ولكن في ظل وضع أسوأ : الفلسطينيون جرحى ومهانون بدرجة أكبر مما كان سابقاً ، ومشاعر الإجحاف والظلم الذي لحق بهم تتزايد ، والبنية التحتية للإرهاب تبنى من جديد وبسرعة .

في الأيام القريبة ستقرر الإدارة الأميركية زيادة الضغط على إسرائيل وعلى الفلسطينيين ، وإحدى الإمكانيات التقاء باول مع شارون ومع عرفات لتحريك محادثات وقف إطلاق النار ، والولايات المتحدة تنوي النزول إلى الساحة واللعب في أرض الملعب .

القيادة المقبلة والسلام المنشود

من المسافة الجغرافية الفكرية الأميركية بدا الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي حتى الآونة الأخيرة مثل بعوضة مزعجة من دون وضوح دوافعها وطريقة تصرفها- إلا أنها تبعث على الضيق . الإدارة الحالية كرّست قدراً قليلاً جداً من التفكير في المنطقة حتى الآن ، وقدراً أقل من ذلك على مستوى الفعل .

إلا أن المشاهد الفظيعة التي تبث أخيراً في التلفزيون وأنهار الدماء تهدد بإغراق جهود الإدارة في بحر الإرهاب . الرئيس الأميركي استيقظ مثل أسد يغفو بين القط والفأر ، قبل أن يصبح الوقت متأخراً جداً بلحظة وربما حتّى بعد وقت متأخّر جداً ، بلحظة واحدة .

أميركا على امتداد الأشهر الأخيرة كانت تبدي نفورها من عرفات مرة وتبدي كراهيتها لشارون في مرة أخرى . في عملية الصعود والهبوط لعب أحدهما دور المضطهد المظلوم ومن ثم حل الآخر محله . شارون حصل على الملاطفة بعد عمليات مثل عملية نتانيا والقدس ، ومن ثم

تحولت الملاطفة بعد دخول الجيش للمخيمات إلى توبيخ .

عرفات لم يحظ بالملاطفة ولا مرة وأقصى ما حصل عليه كان تعاطفاً بدرجة متدنّية .في أميركا لا يحبونه ولا يحترمونه وهو يعتبر هناك كاذباً مزمناً وشخصاً غير لطيف يتحدث بطريقة غير واضحة . وهم أيضاً لا يحبون شارون كثيراً إلاّ أنهم يقدرون تصميمه على مكافحة الإرهاب . من الناحية الأخرى يغتاظ الأميركيون جداً من مقارنة شارون بين كارثة الحادي عشر وبين العمليات الانتحارية في إسرائيل . أغلبية الجمهور الأميركي تعتقد أن شارون يحاول القفز على موجة المصيبة التي حلت بهم والتي لا تشبه أي عملية إرهابية أخرى .

في الأيام الأخيرة تزايدت في الإدارة الأميركية الأصوات التي تقول إن ما يفعله شارون قد يتدهور ليصل إلى مستوى جرائم الحرب إذا لم يتم إيقافه في الوقت الملائم . أميركا تفصل فصلاً تاماً بين الشعوب وقادتها ، والشعور العام هو أن شارون وعرفات يعرفان كيف يرقصان رقصة واحدة رقصة الدم والقتل ، الرقص على أنغام طبول الحرب .

الإدارة والرأي العام الأميركي على حد سواء ، كما يظهر من الاستطلاعات ، يعتقدون أن من الممكن التوصل إلى انطلاقة فقط في الجيل القادم من الزعامة ، وبعد أن يحين موعد انصراف عرفات وشارون لأنهما لا يعرفان لغة السلام .

وبما أن هذا الأمر ما هو إلاّ تطلّع وأمل للمستقبل ، وما يوجد الآن هو زعيم فلسطيني محاصر وزعيم إسرائيلي يملك أسلحة متطورة ، بينما يقف عرفات محشوراً في الزاوية وشارون ينظر إليه على أنه شخص بلا كوابح ، هناك قلق كبير في البيت الأبيض . وهم حتى قلقون جداً .

خطة سلام أميركية

في هذه الأيام تجري صياغة خطة سلام أميركية تتحدث عن الإخلاء

شبه التام للمستوطنات وإنشاء دولة فلسطينية في الحدود التي ترتكز على حدود حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وهي في الواقع الخطة السعودية نفسها مع بعض التحسينات .

في البيت الأبيض يعتقدون أنَّ الشعب الفلسطيني ، الذي وضع تحت الاحتلال خلال عقود ويعيش في ظروف صعبة في مخيمات اللاجئين ، يرغب في أن يرى الضوء في نهاية النفق ، وهكذا هي الحال مع الشعب الإسرائيلي الذي يعيش إرهاباً فتاكاً منذ مدة طويلة .

البعوضة المزعجة تحوّلت إلى مشكلة تتطلب تشريحاً مؤلماً لأنها تمس بالمصالح الأميركية ، وقد بدأوا في واشنطن يتحدثون عن حل قسري ، وعندما ترغب الدولة الوحيدة العظمى في العالم في فرض إرادتها فهي تستطيع على ما يبدو .

الرئيس بوش عبّر عن صدمته وشجب العمليات الأخيرة بشدة . العنوان كان عرفات ، إلاّ أن الشرق الأوسط في نظر الإدارة الأميركية لا يحتوي على ولد شقي وآخر طيب ومظلوم . عرفات وشارون على حد سواء سيضطران إلى الانحناء أمام أنغام المعزوفة الأميركية-السعودية ، وإذا لم يحدث ذلك بالعقل فسيحدث بالقوة .

بريزنسكي ذو الرأي المؤثر في الإدارة الأميركية قال إنَّ الاقتراح السعودي هو اقتراح تاريخي بالنسبة إلى إسرائيل ، وهو لا يفهم لماذا يتباطأ بوش حتى الآن ولا يقوم بفرضه على الجانبين بضغط أوروبي وعربي وأميركي مشترك .

في نهاية المطاف سيقوم بوش بفرض الأمر ، وهو لن يقوم بذلك بسبب مشاهد الدم والقتل وإنما لأن ذلك مصلحة أميركية . هذا الرئيس قد برهن أنه لا يقبل التنازل في كل ما يتعلق بالمصالح الأميركية . عرفات سيتلقى الضربة وشارون سيتلقى نصيبه أيضاً وربما كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة التي سيفهمانها .

عندما سئل آري فليشر ، الناطق بلسان البيت الأبيض ، إذا كانت

الإدارة قد أعطت ضوءاً أخضر لعملية «سور الدفاع» ردّ قائلاً :« إسرائيل لا تبحث عن ضوء أخضر عندنا» . ورغم أنّ الأمر لم يقل بشكل صريح إلاّ أن الأميركيين تركوا الإسرائيليين يفهمون أن كل قتال ضد الإرهاب سيكون مفهومًا ومبرراً . المزج بين العملية الدموية والعيد الديني والمشاهد الفظيعة في الشاشات فعلت فعلها . الإدارة التي كانت تضغط على إسرائيل للانسحاب من مناطق السلطة أعطت موافقة صامتة ، وأدركوا في واشنطن أنهم لا يستطيعون ملاحقة الإرهابيين في كهوف أفغانستان بينما لا يتركون إسرائيل تفعل ذلك في الضفة والقطاع .

الرسالة القاطعة التي أرسلت لإسرائيل في القنوات الديبلوماسية كانت : افعلوا ما يجب القيام به ، ولكن لا تصيبوا عرفات جسدياً ، لأن ذلك سيحدث كارثة في المنطقة .

إلاّ أن صمت الأميركيين لن يتواصل لفترة طويلة . باول قال مؤخراً إن إسرائيل ستنهي عمليتها العسكرية خلال أسابيع عدة ، والرئيس بوش عاد للتحدث عن الدولتين المتجاورتين ، وصرح بأن زيني سيبقى في الشرق الأوسط حتى يواصل وساطته لعقد اتفاق لوقف إطلاق النار .

في إطار تغيير اللهجة والحث على العودة إلى المفاوضات انتقد بوش شارون علنياً وقال : «الوجود الإسرائيلي في المناطق الفلسطينية لا يسهم في العودة إلى طريق المفاوضات» . وفي المداولات التي جرت في البيت الأبيض وفي الخارجية اتفق على إعطاء شارون عشرة أيام حتى أسبوعين لإنهاء مطاردته للمقاومين ومعالجة البنية التحتية للإرهاب ، وعندئذ سيمارس عليه الضغط للانسحاب من هناك . في الإدارة يدركون أن البقاء في المناطق لفترة أطول سيؤدي إلى انتفاضة في كل العالم العربي ، حيث لن يكون بإمكان واشنطن أن تواصل إغلاق عينيها لمدة طويلة في ظل الضغوط العربية والأوروبية الشديدة .

المخيمات الفلسطينية

تضم الضفة الغربية ١٩ مخيماً للاجئين ترعاها «الاونروا» بعضها قرب المدن وبعضها الآخر في الريف. وبعد اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ وما تبعه من اتفاقات توزعت المخيمات على المناطق «أ» و«ب» و«ج». فمخيم شعفاط داخل الحدود البلدية للقدس ظلّ تحت السيطرة الإسرائيلية. ووقع مخيم قلنديا في المنطقة «ج» واستمر تحت السيطرة الإسرائيلية. ووقعت ستة مخيمات هي دير عمار والجلزون والفوار وعروب والفارعة ونور شمس في المنطقة «ب» أي تحت السيطرة المشتركة لإسرائيل والسلطة الفلسطينية، فيما وقعت بقية المخيمات وعددها ١١ في المنطقة «أ» أي تحت سيطرة السلطة الفلسطينية. وهنا تعريف أساسي بالمخيمات بحسب توزعها في مناطق الضفة.

محطات تاريخية في الصراع العربي - الإسرائيلي

٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ : وعد اللورد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وكانت تشكل جزءاً من الأمبراطورية العثمانية مع بلاد الشام .

٣ شباط (فبراير) ١٩٢٢ : بعد سقوط الأمبراطورية العثمانية وافقت عصبة الأمم المتحدة على إدخال فلسطين تحت الانتداب البريطاني .

٢٣ آب (أغسطس) ١٩٢٩ : اضطرابات في القدس .

١٩٣٦ - ١٩٣٩ : انتفاضة العرب في فلسطين ووجهت بشراسة وعنف من قوات الانتداب البريطانية .

٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ : الأمم المتحدة توافق على تقسيم

فلسطين .

١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ : «إسرائيل» تعلن ذاتها دولة مستقلة .

١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ : انتهاء الانتداب البريطاني والقوات العربية تعلن الحرب .

١٩٤٩ : إعلان الهدنة بين «إسرائيل» وكل من مصر ، لبنان ، الأردن ، وسورية .

١٩٥٧ : ياسر عرفات يعلن عن تأسيس منظمة فتح .

٢ حزيران (يونيو) ١٩٦٤ : ولادة منظمة التحرير الفلسطينية .

٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ : الحرب العربية – الإسرائيلية . «إسرائيل» تحتل الضفة الغربية ، القدس الشرقية ، هضبة الجولان ، وصحراء سيناء .

٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ : منظمة الأمم المتحدة تصدر القرار ٢٤٢ الذي رفضته منظمة التحرير الفلسطينية .

١ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ – تموز (يوليو) ١٩٧١ : طرد المقاومة الفلسطينية من الأردن .

٦– ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ : الحرب العربية – الإسرائيلية .

١٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٤ : اعتراف منظمة الأمم المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني . عرفات يلقي خطابه الأول في المنظمة الدولية .

٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ : زيارة الرئيس السادات للقدس .

٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ : «إسرائيل» تغزو لبنان .

٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ : الانتفاضة الفلسطينية الأولى في الأراضي المحتلة .

١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨ : اللقاء الأول بين ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية ومسؤولين أميركيين في تونس .

٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩١ : مؤتمر السلام حول الشرق الأوسط في مدريد .

١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ : التوقيع على اتفاقيات أوسلو .

١١ - ٢٤ تموز (يوليو) ٢٠٠٠ : قمة كامب دايفيد الثانية .

٢٩ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ : الانتفاضة الفلسطينية الثانية .

٢٨ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠١ : فشل مفاوضات طابا .





□ صور من المجازر والدمار في مخيم جنين من يوقفها ؟ □



إسرائيل وقضية اللاجئين

لم تنفّذ إسرائيل إلى اليوم شرطين لقبولها عضواً في المجتمع الدولي لهما أوثق صلة بقضية اللاجئين، إذ عندما قُبلت عضواً في الأمم المتحدة في ١١ أيار (مايو) ١٩٤٩ أُخضع قبولها لتنفيذ قرارين صادرين عن الأمم المتحدة: قرار تقسيم فلسطين الصادر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ والقرار ١٩٤ الصادر عن الجمعية العامة في ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨ الذي نص في الفقرة ١١ منه على أن «اللاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش في سلام مع جيرانهم يجب أن يسمح لهم بعمل ذلك في أقرب تاريخ ممكن (. . .) ويجب أن يدفع تعويض عن الممتلكات لأولئك الذين يختارون عدم العودة وعن فقدان ممتلكاتهم أو عن إصابتها بأضرار».

لم تنشأ مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بسبب قتال عسكري كالذي اندلع عام ١٩٤٨ وحسب ، وإنما كانت بسبب مذابح متعمّدة ، منها مذبحة دير ياسين التي أدت إلى نزوح أعدادٍ كبيرة من سكان القرى المجاورة للقدس .

ولكن من العوامل الأساسية في ظهور مشكلة اللاّجئين العقيدة الصهيونية نفسها . وفي هذا لا تكفي قراءة كتيّب «دولة اليهود» الذي وضعه مؤسس الفكر الصهيوني ثيودور هيرتزل لمعرفة نياته تجاه الفلسطينيين ، الذي سعى إلى إقامة «دولة اليهود» على أرضهم ، فذلك الكتيّب كان المشروع الصهيوني المعلن الذي يمكن أن يحظى بتأييد الساسة الأوروبيين ودعم اليهود في أوروبا . أمّا الأفكار السرية ، أو الخطة المبيّتة ، فقد أودعها هيرتزل في مذكراته السرية حيث يبيّن ما يمكن عمله للتخلص من سكان فلسطين الأصليين ، إذ يقول :

«سيتعيّن علينا أن ننقل السكان المفلسين عبر الحدود بتأمين أشغال لهم في بلدان العبور ، بينما نحرمهم من العمل في بلدنا . ويجب تنفيذ كل من عملية المصادرة وإزالة الفقراء بتكتم واحتراس» .

الـ «اونروا»

• أسست وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين (اونروا) في أيار (مايو) ١٩٥٠ بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الرقم ٣٠٢ الصادر في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٩ .

• في حزيران (يونيو) ١٩٤٩ أبلغ الأمين العام للأمم المتحدة الجمعية العامة في دورتها الرابعة أن عدد اللاجئين الفلسطينيين يبلغ ٩٤٠ ألفاً . وشُرّد ثلثا هؤلاء تقريباً من الأراضي التي استولت عليها إسرائيل

خارج الرقعة التي خصصتها خطة تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ لإقامة دولة اليهود .

ووفقاً لإحصاءات «اونروا» كان عدد اللاجئين في حزيران ١٩٦٠ هو ١,١٢٠,٨٨٩ .

• اللاجئون المسجلون لدى «اونروا» الآن يقرب عددهم حسب أرقامها من ٣,٤ مليون نسمة موزعين بين الضفة الغربية وقطاع غزة والأردن وسورية ولبنان .

• تقدم «اونروا» التي توجد رئاستها الآن في عمّان وغزة التعليم والصحة والإغاثة والخدمات الاجتماعية للاجئين ، ويبلغ عدد موظفيها ٢٢ ألفاً ، معظمهم معلمون وعاملون صحيون . وبذلك فإن «اونروا» أكبر وكالات الأمم المتحدة لجهة عدد الموظفين .

• لدى الوكالة ميزانية نقدية وعينية للعامين ١٩٩٦ و١٩٩٧ مقدارها ٦٩٢ مليون دولار .

• كانت ميزانية «اونروا» الأولى ٣٦ مليون دولار .



قداس داخل كنيسة القديسة كاتربنا في مجمع كنيسة المهد أمس برئاسة الوفد البابوي الكاردينال روجيه اتشيغاراي (أ.ب)

١,١ مليون فلسطيني في إسرائيل من بينهم ٨٤١ ألف مسلم و١٧٤ ألف مسيحي

تبلغ مساحة إسرائيل (في فلسطين المحتلة) قرابة ٢١ ألفاً و١٢٠ كيلومتراً مربعاً، لكن الأرقام الرسمية الإسرائيلية تضيف إليها مساحتي القدس الشرقية وهضبة الجولان السورية اللتين احتلتهما عام ١٩٦٧ وضمّتهما عامي ١٩٦٧ و١٩٨١ على التوالي.

- السكان: ٨,٥ مليون نسمة بينهم ١,١ مليون فلسطيني من بينهم ٨٤١ ألف مسلم و١٧٤ ألف مسيحي و٩٨ ألفاً و٦٠٠ درزي.

- المدن الرئيسية: تل أبيب وحيفا، أمّا اعتبار الإسرائيليين القدس (٦٠٠ ألف نسمة) عاصمة لهم فلا يلقى اعتراف المجموعة الدولية.

- اللغات الرسمية: العبرية والعربية.

- الأديان: اليهود (٨١ في المائة) والمسلمون (١٤,٥٪) والمسيحيون (٣٪) والدروز (١,٧٪).

- المؤسسات السياسية : ديمقراطية برلمانية من دون دستور ، تحكمها قوانين أساسية يقرها البرلمان (الكنيست) الذي يضم ١٢٠ نائباً ينتخبون بالاقتراع العام المباشر . واعتباراً من ١٩٩٦ بات رئيس الوزراء ينتخب أيضاً بالاقتراع العام المباشر .

- رئيس الدولة : منصب فخري .

- الاقتصاد والثروات الطبيعية : تمتلك إسرائيل القليل من المواد الأولية باستثناء الفوسفات المستخرج من البحر الميت ، ومنذ بداية التسعينات باتت التكنولوجيا المتطوّرة محرك الاقتصاد الإسرائيلي .

- السياحة : مليونا زائر في ١٩٩٧ . البطالة في ارتفاع مستمر وتتجاوز ٨ في المائة من اليد العاملة .

- إجمالي الناتج المحلي مقارنة بعدد السكان : ١٥٩٢٠ دولاراً لكل شخص في ١٩٩٥ .

- القوات المسلّحة : حوالى ١٧٥ ألف رجل في الجيش النظامي و٤٣٠ ألفاً في الاحتياط .

مخيّمات الضفة الغربية

• منطقة القدس ورام الله :

• مخيم شعفاط : أُنشئ عام ١٩٦٥ - ١٩٦٦ بعد أكثر من عقد من إنشاء المخيمات الأخرى لاستيعاب لاجئين كانوا يعيشون في حارة الشرفاء في القدس القديمة ، وكان تجمعهم هذا يعرف باسم «المعسكر» وقد أغلق بعد بناء المخيم شمال القدس . وتبلغ مساحة المخيم اليوم ٢٠٣ دونمات وعدد سكانه المسجلين ٨٦٨٤ يحمل معظمهم بطاقات الهوية الخاصة بأهل القدس . أما أصولهم ، فمن الساحل الفلسطيني الأوسط ، ومن منطقة

القدس واللد ويافا والرملة ، وانضم إليهم بعد حرب ١٩٦٧ لاجئون من قرى يالو وبيت توبا وعمواس . فيه مدرستان واحدة للصبيان والأخرى للبنات .

● مخيم الأمعري : أُنشىء عام ١٩٤٩ داخل الحدود البلدية للبيرة على مساحة ٩٠ دونماً فوق أرض لأهل البيرة قرب مصنع للنسيج كان اسمه «مصنع النسيج للأمعري» فأخذ المخيم اسمه . ويعاني المخيم اكتظاظاً بشرياً إذ يبلغ عدد سكانه المسجلين ٧٢٧٣ شخصاً ، كما يعاني من شبكات مياه ومجار سيئة جداً . انتقل عام ١٩٩٥ إلى السلطة الوطنية ، ويعرف عن لجانه المحلية حسن إدارتها المخيم . وقد فاز فريق كرة القدم فيه ببطولة فلسطين مرات عدة . أصول سكانه من مناطق اللد والرملة وسلمة والنعاني وعنابة . فيه مدرستان شيدتهما «الاونروا» فيما شيدت مدرسة ثالثة أخيراً بهبة سعودية .

● مخيم دير عمار : أُنشىء عام ١٩٤٩ على مساحة ١٤٥ دونماً وعلى مسافة ٣٠ كيلومتراً شمال غرب رام الله . يقع في المنطقة «ب» ويبلغ عدد سكانه المسجلين ٢٠٣٨ شخصاً أصولهم من منطقة اللد والرملة . وفيه مدرستان واحدة للصبيان والأخرى للبنات .

● مخيم الجلزون : أُنشىء عام ١٩٤٩ وتبلغ مساحته اليوم ٢٥٣ دونماً ويقع على مسافة ٧ كيلومترات شمال رام الله . عدد سكانه المسجلين ٨٠٤٠ شخصاً أصولهم من الساحل الفلسطيني الأوسط ومن اللد والرملة ويافا ، وقد انضم إليهم بعد ١٩٦٧ لاجئون من قرى يالو وعمواس وبيت نوبا . وفيه مدرستان .

● مخيم قلنديا : أُنشىء عام ١٩٤٩ على مساحة تبلغ الآن ٣٥٣ دونماً ويقع على مسافة ١١ كيلومتراً شمال القدس . وتعتبر السلطات الإسرائيلية هذه البقعة من الأرض جزءاً من القدس الكبرى ، وقد استبعدت المخيم من

إعادة الانتشار عام ١٩٩٥، فظل تحت سيطرتها في المنطقة «ج». يبلغ عدد سكانه المسجلين ٧٩٦٤ شخصاً معظمهم من منطقة القدس، وانضم إليهم بعد ١٩٦٧ لاجئون من يالو وعمواس وبيت نوبا. وفيه مدرستان.

منطقة بيت لحم:

• مخيم الدهيشة: أُنشئ عام ١٩٤٩ ضمن الحدود البلدية لمدينة بيت لحم على مساحة ٤٣٠ دونماً وانتقل عام ١٩٩٥ إلى السلطة الوطنية، وكان المخيم الأول في الضفة يوقع اتفاق توأمة مع البلدة الفرنسية مونتيفيلييه عام ١٩٩١ - ١٩٩٢. ويبلغ عدد سكانه المسجلين ٩٦٢٤، أصولهم من مناطق الخليل والمجدل وبيت لحم والقدس والرملة ويتحدرون من ٣٩ قرية أزيلت ٣٥ منها تماماً. وفيه مدرستان.

• مخيم عايدة: أُنشئ عام ١٩٥٠ على مساحة ٦٦ دونماً بين بيت لحم وبيت جالا. يعاني اكتظاظاً بشرياً خطيراً إذ يبلغ عدد سكانه ٣٧٨٥ شخصاً، ويتحدر هؤلاء من اللد والقدس وقرى زكريا وعلاء ورأس عمار. وفي المخيم مدرسة واحدة مختلطة تعمل بدوامين.

• مخيم بيت جبرين، (ويعرف أيضاً باسم مخيم العزة)، وهو الأصغر بين مخيمات الضفة: أُنشئ عام ١٩٥٠ في قلب بيت لحم وضمن حدودها البلدية على مساحة ٢٤ دونماً وانتقل إلى السلطة الوطنية عام ١٩٩٥. ويبلغ عدد سكانه ١٦٨١ شخصاً، ويذهب التلامذة فيه إلى المدرسة الوحيدة في مخيم عايدة.

منطقة أريحا :

• مخيم عقبة جبر : أُنشئ عام ١٩٤٨ على مساحة ١٦٨٨ دونماً قرب البحر الميت على مسافة ثلاثة كيلومترات جنوب غرب أريحا . بلغ عدد سكانه قبل ١٩٦٧ نحو ٣٠ ألفاً ، وخلال الحرب نزح كثيرون منه إلى الأردن . وعام ١٩٩٤ انتقل إلى السلطة الفلسطينية ، ويبلغ عدد سكانه الآن ٤٦٣٧ ، وانتقل إليه عدد آخر من غير اللاجئين . وفيه مدرسة واحدة مختلطة .

• مخيم عين السلطان : أُنشئ عام ١٩٤٨ على مساحة ٨٧٠ دونماً من الأرض وعلى مسافة كيلومتر واحد من أريحا . بلغ عدد سكانه قبل ١٩٦٧ نحو ٢٠ ألفاً نزح معظمهم خلال ١٩٦٧ إلى الأردن . انتقل إلى السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٤ ويبلغ عدد سكانه اليوم ٢١٤٥ . وفيه مدرسة واحدة مختلطة .

منطقة نابلس :

• مخيم بلاطة : أكبر مخيمات الضفة ، إذ يبلغ عدد سكانه المسجلين ١٨٦٧٢ لاجئاً يعيشون على مساحة ٢٥٢ دونماً . أُنشئ عام ١٩٥٠ داخل حدود بلدية نابلس ، وأصول سكانه من مناطق الوسط والشمال الفلسطيني من يافا وحيفا وقراهما . وفيه مدرستان واحدة للصبيان والأخرى للبنات .

• مخيم عسكر : أنشئ عام ١٩٥٠ على مساحة ٢٠٩ دونمات ضمن الحدود البلدية لنابلس . توسع عام ١٩٦٤ ليضم ٩٠ دونماً إضافية يسميها أهل المخيم «نيو عسكر» ولا تعتبر هذه المنطقة رسمياً جزءاً من المخيم وتقع الآن في المنطقة «ب» فيما يقع عسكر الأصلي في المنطقة «أ» تحت

سيطرة السلطة الفلسطينية . يعاني المخيم مشكلة اكتظاظ إذ يبلغ عدد سكانه ١٢٣١١ شخصاً . وفيه مدرستان واحدة للصبيان والأخرى للبنات .

• مخيم رقم ١ (أو مخيم عين بيت الماء) : أُنشئ عام ١٩٥٠ وأطلقت عليه «الاونروا» اسم رقم واحد لكنه عرف باسمه الآخر لقربه من نبع ماء . مساحته اليوم ٤٥ دونماً يقع قرب الطريق الرئيسي بين نابلس وجنين . يعاني اكتظاظاً خانقاً إذ يبلغ عدد سكانه ٥٦٧٨ شخصاً ، وتتلاصق منازله بما يلغي حتى الأزقة . أصول سكانه من يافا وحيفا وعكا والقرى المحيطة بها . وفيه مدرستان واحدة للصبيان والأخرى للبنات .

• مخيم الفارعة : أُنشئ عام ١٩٤٩ على مساحة ٢٥٥ دونماً وعلى مسافة ١٧ كيلومتراً شمال شرق نابلس . انتقل في تشرين الثاني ١٩٩٨ إلى السلطة الوطنية . يبلغ عدد سكانه ٦١٧٨ جاء معظمهم من ٦١ قرية في قضائي حيفا ويافا . وفيه مدرستان .

منطقة طولكرم :

• مخيم طولكرم : أُنشئ عام ١٩٥٠ على مساحة ١٨٠ دونماً ضمن الحدود البلدية لمدينة طولكرم على الطرف الغربي للضفة الغربية . وهو ثاني أكبر مخيمات الضفة بعد بلاطة إذ يبلغ عدد سكانه ١٤,٣٢٨ شخصاً ، أصولهم من نحو ٨٥ بلدة وقرية في مناطق يافا وحيفا ومن البدو . انتقل إلى السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٥ وسكانه يعتمدون على العمل داخل إسرائيل . وفيه مدرستان واحدة للصبيان والأخرى للبنات .

• مخيم نور شمس : أُنشئ عام ١٩٥٢ على مساحة ٢٢٦ دونماً وعلى مسافة ثلاثة كيلومترات شرق طولكرم . سكانه ٧٤٢٩ لاجئاً يتحدرون من ٢٥ قرية من قضاء حيفا والجليل . انتقل إلى السلطة

الفلسطينية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨ .

منطقة جنين :

• مخيم جنين : أُنشئ عام ١٩٥٣ على مساحة تزيد اليوم عن ٤٧٣ دونماً . عدد سكانه المسجلين ١٣,٠٥٥ وانتقل إلى السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٥ .

منطقة الخليل :

• مخيم الفوار : أُنشئ عام ١٩٤٩ ويقع في أقصى جنوب الضفة على مساحة ٣٥٠ دونماً ويبعد ١٠ كيلومترات جنوب الخليل . يبلغ عدد سكانه ٦١٧٨ شخصاً يعتمدون كلياً تقريباً على العمل في إسرائيل . وفيه مدرستان واحدة للصبيان والأخرى للبنات .

• مخيم العروب : أُنشئ عام ١٩٥٠ على مساحة ٣٥٠ دونماً وعلى مسافة ١٥ كيلومتراً جنوب بيت لحم على الشارع الرئيسي بين بيت لحم والخليل . يبلغ عدد سكانه المسجلين ٨١٨٤ وفيه مدرستان لكنه لا يزال من دون شبكة مجار .

وفي الضفة أيضاً ستة مخيمات صغيرة لا ترعاها «الاونروا» ويقل عدد سكانها عن خمسة آلاف ، وتقع داخل المدن وتعتبر جزءاً لا يتجزأ منها تستفيد من خدماتها ، وهي أربعة في منطقة القدس ورام الله : قدورة وبيرزيت (يعرف أيضاً باسم السقايف) وعناتا وسلواد (يعرف أيضاً باسم غزة) ، ومخيم واحد في منطقة أريحا هو مخيم العوجا ، ومخيم في منطقة نابلس هو مخيم جنيد .



تاريخ القدس العربية

أورشليم القديمة أو بيت المقدس عاصمة فلسطين التي احتلّها داود نحو ١٠٠٠ ق. م وجعلها عاصمة ملكه، بنى فيها سليمان هيكله الشهير وأصبحت تدعى المدينة المقدسة. دمّرها الرومان عام ٩٧٥ ق.م وأعاد بناءها هادريانس وأسماها آيليا كاپيتولينا. أحرقها الفرس عام ٦١٤ ثم سلّمها بطريركها صفرونيوس للخليفة عمر عام ٦٣٨ ودعاها العرب القدس. احتلها الصليبيون عام ١٠٩٩ م واسترجعها صلاح الدين الأيوبي في حطين ١١٨٧.

يقدّسها اليهود والمسيحيون والمسلمون، وهي أس الصراع اليوم بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

تسلسل لأحداث تاريخ القدس

تم إعداد هذا الخطاب العام ١٩٧٩ - والتواريخ الموضحة تواريخ تقريبية .

- ١٩٩٠ ق . م دخل إبراهيم عليه السلام القدس ، ورحب به «ملكي صادق» ملك السلام وباركه .

- ١٣٠٠ ق . م . قاد موسى عليه السلام بني إسرائيل ، وخرج بهم من مصر ووصل أتباعه بقيادة يشوع إلى كنعان وهزم «يشوع» ملك القدس الذي كان رأس تحالف المدن ، غير أن المدينة بقيت يبوسية نسبة إلى اليبوسيين) .

- ١٠٠٠ ق . م . استولى داود على القدس وانتزعها من اليبوسيين وجعلها عاصمة لمملكته .

- ٩٧٠ ق . م . خلف سليمان داود ملكاً على إسرائيل .
- ٩٥٠ ق . م . تم بناء «معبد سليمان» .
- ٩٢٨ ق . م . نهب وسلب شيشانق مصر مدينة القدس .
- ٧٢١ ق . م . تيغلات فيلاسر الآشوري استولى على شمال إسرائيل وبقيت يهوذا الصغرى ، وكانت هي كل ما بقي من أمبراطورية داود وسليمان .
- ٧٠١ق . م . «سنحاريب» ملك الآشوريين ضرب الحصار حول مدينة القدس وتم صد هجومه .
- ٥٨٧ - ٥٨٦ ق . م .استولى نبوخذنصر ملك بابل على مدينة القدس وهدم «معبد سليمان» ونفى اليهود في بابل ، وقضى على يهوذا قضاءً تاماً وأزالها من الوجود .
- ٥٣٩ ق . م . أسقط قورش ملك الفرس أمبراطورية بابل ، وحرر أورشليم وأطلق سراح ضحايا نبوخذنصر وسمح لنسل داود بالعودة إلى أورشليم ، وبدأ بناء «المعبد الثاني» في ظل شبشازارا من نسل بيت داود حاكم يهوذا وخلفه ابن أخيه زربّابل .
- ٥١٥ ق .. م . افتتح «معبد سليمان» الذي أعيد بناؤه .
- ٤٤٥ ق . م . أتم نحميا تحصين أورشليم .
- ٣٣٢ ق . م . غزا الإسكندر الأكبر المقدوني الأمبراطورية الفارسية لكنه ترك أورشليم دون أن يمسها .
- ٣١٢ ق . م . بعد سلسلة من الحروب بين قواد الإسكندر انتصر بطليموس وسيطر على أورشليم وأسر اليهود وأخذهم إلى الإسكندرية .
- ٣١٢ ق . م . حكم أسرة البطالمة .
- ١٩٨ ق . م . طرد أنطيوخس الثالث المصريين من المدينة .
- ١٩٨ - ١٦٨ ق . م . حكم «السلوقيون» أورشليم وتوجه

أنطيوخس الرابع ١٩٨ ق . م . إلى أورشليم لفرض الامتثال للعبادة . أجبر اليهود للامتثال للعالم اليوناني والتخلي عن الختان ونسك النظافة والصوم . وأجبروا أيضاً على عبادة زيوس ثم نهب المعبد . أقام أنطيوخس مذبحاً وثنياً وقدم الخنازير قرباناً أمام الوثن زيوس ومزق سجل القانون اليهودي وأحرق .

- ١٦٤ ق . م . ثار المكابيون وتمردوا «السلوقيين» من المدينة والمعبد وطهروه وأعادوا تكريسه .

- ٦٣ ق . م . غزا «بومبي» وقوات الرومان أورشليم ودنسوا المعبد وكرسوه لأمبراطورية روما .

٤٠ ق . م . طرد الرومان ، ووقعت المدينة تحت حكم قصير لـ «أنتيغوش» وملك الـ «الحشمونائيين» واستولى الرومان على المدينة من جديد .

- ٣٩ق . م . اختار الرومان هيرودوس ليكون ملكاً على اليهود (كان هيرودوس عربياً أجبر على اعتناق اليهودية وهكذا خضع للطقوس الرومانية وجعله مارك أنطوني مواطناً رومانيّاً . وهكذا تعلم هيرودوس - ابنه - السياسة الرومانية) .

-٢٠ ق . م . بدأ بناء معبد هيرودوس .

-٤ ق . م . ميلاد عيسى عليه السلام وموت هيردوس .

- ٢٩ م . محاكمة عيسى عليه السلام وانتقاله من العالم .

- ٦٦م . قوات جسيوس فلورز سلبت كنوز المعبد وذبحت المصلين والحاخامات فاندلعت ثورة شعب أورشليم .

- ٧٠م . استولى تيطس على المعبد الثاني ونهبه ودمره وقتل الآلاف المؤلفة . وسقطت أورشليم مرة أخرى بيد الرومان (٦٥٧ سنة بعد نهب البابليين وتدميرهم المعبد الأول سقط المعبد الثاني ولم يبن شيء منذ ذلك الوقت) .

- ١٣٢م . قام اليهود بقيادة باروخيا بطرد الرومان وجعلوا أورشليم ، عاصمة اليهود .
- ١٣٥م . دمر هارديان أمبراطور روما أورشليم وبنى بأسوار جديدة وسماها آيليا كابيتولينا وبها معبد على جبل موريا وكرسه لجوبيتر . حرم هارديان أورشليم على اليهود ومن يتحد التحريم يقتل .
- ٣٢٤م غزا قسطنطين البيزنطي أورشليم .
- ٣٢٥م . اعتنق قسطنطين الكبير المسيحية وبدأ بذلك أول حكم مسيحي على المدينة وسار تحت راية المسيح ، ووحد بين أمبراطوريتي الشرق والغرب ، وأعيد تكريس أورشليم وحجت أمه هيلينا إلى أورشليم وعينت مكان كنيسة القبر المقدس وكنيسة للبلاد .
- ٣٣٦م بنى قسطنطين كنيسة القبر المقدس (وكان هذا بمثابة إعادة ميلاد لأورشيم سواء كمركز ورحاني أو كمكان للحج) .
- ٥٧٠م . ميلاد محمد عليه الصلاة والسلام .
- ٦١٤م . انطلق الفرس الساسانيون بقيادة خسرو الثاني نحو الجنوب تجاه فلسطين إلى سيناء ومصر ، واستولوا على أورشليم وقتلوا ٦٠ ألف مسيحي وباعوا ٣٥ ألفاً للرق وهدموا المزارات المسيحية .
- ٦٢٩م . عاد هيراكل - الأمبراطور البيزنطي - إلى أورشليم وقتل اليهود ونفى الأحياء منهم وجدد المدينة المهدمة .
- ٦٣٠م . فتح محمد صلى الله عليه وسلم مكة . وخلال السنوات السبع التالية بدأت أمبراطورية هيراكل في السقوط أمام نهضة الأمة العربية .
- ٦٣٢م . وفاة محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٦٣٨م . فتح عمر بن الخطاب - ثاني الخلفاء الراشدين - مدينة القدس ، وبنى أول مسجد ، وكان عمر رضي الله عنه مدركاً تمام الإدراك لقداسة مدينة القدس عالمياً ، وطوال حكمه ساد العدل وحرية

العقيدة وأعفى النصارى - بصفتهم أهل الكتاب - من دفع أي ضريبة للرؤوس .

-٦٨٧م . أمر عبد الملك بن مروان بإقامة قبة الصخرة (أقدم حرم مسلم لا يزال قائماً بمدينة القدس) .

- ٦٩١م . تم تشييد قبة الصخرة وعاش النصارى والمسلمون معاً في سلام وكذلك حجيجهم الذين شاركوا في مدينة القدس .

- ١٠٧٧م . احتشدت عصابة من البدو الأتراك - يطلق عليها اسم السلاجقة - واندفعت من بلاد فارس والعراق واستولت أخيراً على مدينة القدس وظل المسيحيون طوال ٧ سنوات محرومين من الصلاة فيها .

- ١٠٩٦م . ومن أجل الانتقام انطلقت أول حملة صليبية نحو أورشليم ، وتكونت الحملة من نصارى إنكلترا وفرنسا وألمانيا . أكثر من ١٠٠ ألف من المشاة عاثوا فساداً وقتلاً في طريقهم عبر آسيا في غير نظام وانضباط ويلغ مدينة القدس أقل من عشرهم .

- ١٠٩٨م . في وقت وصول الصليبيين إلى مدينة القدس ، كان المصريّون في ظل الأمبراطورية الفاطمية قد استعدوا المدينة ، ورغم أن الفاطميين كانوا يمنحون النصارى حريتهم في المدينة ، فإن الصليبيين العام ١٠٩٩ بقيادة جوفري دي بويان استولوا على أورشليم وذبحوا المدافعين عنها وسكانها من رجال ونساء وأطفال ودنس المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وصار دي بويان يسمى بالمدافع عن الضريح المقدس .

- ١١٠٠ - ١١١٨م . كان بالدوين أول حاكم صليبي لمملكة القدس ، وغطى بالجبس على النقوش العربية ، وتحولت قبة الصخرة إلى كنيسة مسيحية وحرم على المسلمين واليهود الإقامة بأورشليم .

- ١١٨٧م . عزم صلاح الدين على استعادة قبة الصخرة إلى الحاكم العربي ، وبعد مناوراته السياسية والعسكرية أصبح ملكاً على

مصر وسورية ، وأخيراً استكمل تحقيق أهدافه بفتح مدينة القدس وأعاد المسلمين واليهود للسكن بالقدس .

– ١١٩٢م . عقد صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد هدنة لمدة خمس سنوات ، وأنهيا بذلك الحملة الثالثة للصليبيين ومنح النصارى حق أداء الحج إلى أورشليم .

– ١١٩٣م . وفاة صلاح الدين رحمه الله .

– ١٢٢٩م . استعاد كل من السلطان الكامل وفردريك الثاني – ملك ألمانيا – المدينة لفترة وجيزة ، وحصدت الحروب المدينة مرة أخرى . فتح العرب القدس مرة ثانية ولم يعد حكم النصارى على القدس بعد ذلك لمدة ٧ قرون تقريباً .

– ١١٢٥٠م . ثار المماليك على الخليفة الأيوبي بالقاهرة واستولوا على السلطة وحولوا فلسطين إلى ولاية مصرية ، مبتدئين بذلك فترة حكم للمصريين دامت ٢٦٧ سنة جلس خلالها ٤٧ حاكماً على العرش الملوث بالدماء لفترات قصيرة .

– ١٢٦٠م . نهب التتار القدس .

– ١٢٦٧م . استولى المماليك على أورشليم مبتدئين بذلك فترة من التجميل المعماري لمدينة القدس المسلمة وأعادوا أيضاً بناء أسوار المدينة .

– ١٤٠٠م . نهب جنكيزخان المغولي مدينة القدس .

– ١٤٥٣م . حاصر محمد الثاني – السلطان التركي العثماني – مدينة القسطنطينية بنجاح .

– ١٥١٧م . استولى سليم الأول «ابن محمد الثاني» على مدينة القدس من يد الجيش المملوكي ، وطبقاً لعهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأصلي منح النصارى السلطة القضائية على المزارات .

– ١٥٣٧م . أباح مرسوم من السلطان الحاكم لليهود حرية

الدخول إلى فلسطين . ومنذ ذلك التاريخ بدأ اليهود يتزايد عددهم بسرعة .

- ١٨٢٧م . أقامت الولايات المتحدة أول بعثة ديبلوماسية بأورشليم .

- ١٨٣٩م . أنشئت قنصلية بريطانية لمنح اليهود الحماية .

- ١٨٤٧م . تم تحديد الكنيسة الكاثوليكية بأورشليم .

- ١٨٥٤م . وقعت معركة «حرب القرم» بين تركيا وإنكلترا وفرنسا وروسيا بحجة تسوية موضوع السلطة القضائية على أورشليم .

- ١٨٦٠م . تم بناء أول ضاحية يهوية خارج الأسوار .

- ١٨٩٦م . نشر تيودور هرتزل كتابه «الدولة اليهودية» بتفاصيل خطة إقامة حكم ذاتي يهودي بفلسطين في ظل سلطة السلطان .

- ١٨٩٧م . عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بازل ، وأعلن هدف الحركة الصهيونية بإنشاء وطن يهودي بفلسطين ، وحدثت زيادة هائلة في عدد اليهود المهاجرين إلى القدس .

- ١٩١٧م . دخل البريطانيون أورشليم واستسلم الجيش العثماني للبريطانيين . سجل وعد بلفور على بريطانيا العظمى تأييدها لإنشاء «وطن للشعب اليهودي» ، أيد هذا الوعد كل من فرنسا والولايات المتحدة وإيطاليا .

- ١٩١٩م . نهضت حركة القومية العربية بمؤتمرها السوري معلنة معارضتها لأي هجرة صهيونية جديدة .

- ١٩٢٩م . وقع قتال عنيف على اليهود بمدينة أورشليم والخليل وصفد تحركه العداوة الدينية اكتسحت خلالها تقريباً المستعمرات اليهودية القديمة بمدينة صفد والخليل .

- ١٩٣٧م . إعلان اللجنة الملكية (بيل) بالتوصية بتقسيم

فلسطين .

- ١٩٣٩ - ١٩٤٥م . الحرب العالمية الثانية . أصدرت الحكومة البريطانية العام ١٩٤٥ الورقة البيضاء بالحد من هجرة اللاجئين اليهود .

- ١٩٤٥م . استسلام الألمان وإطلاق سراح ٣٠ ألف يهودي من معسكرات الاعتقال النازية .

- ١٩٤٦م . بدء الهجرة الخفية وغير القانونية لأحياء اليهود الذين نجوا من معسكرات الاعتقال

- ١٩٤٧م . تصويت الولايات التحدة لصالح تقسيم فلسطين ، وإنشاء إسرائيل كدولة يهودية جديدة .

- ١٩٤٨م . انسحاب بريطانيا من فلسطين . إعلان قيام إسرائيل وعاصمتها القدس . اشتعلت الحرب في المنطقة وتم تقسيم القدس .

- ١٩٥١م . اغتيال الملك عبد الله - ملك الأردن - بالمسجد الأقصى بعد دفاعه عن الاتحاد الكونفيديرالي العربي .

- ١٩٥٦م . الحرب - معركة سيناء .

- ١٩٦٧م . حرب الأيام الستة . استيلاء إسرائيل على مرتفعات الجولان وسيناء وغزة والضفة الغربية والقدس القديمة من العرب ، وخضوع القدس للحكم الإسرائيلي .

- ١٩٧٣م . حرب تشرين الأول .

- ١٩٧٩م . توصلت إسرائيل ومصر إلى اتفاق سلام ، وتحديد جدول لإعادة الأراضي المحتلة . وبدأت عملية إعادة الأرض وتطبيع العلاقات .

اعتداءات وانتهاكات المستوطنين الصهاينة

شواهد التاريخ كثيرة منذ اغتصاب فلسطين ونشأة الكيان الصهيوني «السرطاني»، حيث مذبحة دير ياسين، وكفر قاسم، وقبية، ومدرسة بحر البقر، والمسجد الأقصى، وإحراق المصحف الشريف داخل حرمه، والاعتداء على كنيسة القيامة وممتلكاتها، وكلها غيض من فيض الأفعال الإجرامية لجنود الاحتلال والمستوطنين المدججين بمختلف أنواع الأسلحة ضد العرب العزّل.

إنها اعتداءات وانتهاكات مارسها المستوطنون الصهاينة في الأراضي العربية المحتلة بحق الفلسطينيين وممتلكاتهم، بما فيها مصادرة الأراضي ونشاطات استيطانية أخرى.

الحقد العنصري الأسود

رصدت التقارير الواردة من الأراضي المحتلة جملة الاعتداءات والجرائم التي ارتكبها جنود الاحتلال وعصابات المستوطنين الصهاينة بحق الأرض والإنسان والمقدسات منذ توقيع اتفاق غزة-أريحا وحتى مذبحة الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل .

وكشفت التقارير عن أن اتفاق أوسلو الهش بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية ومراسم توقيعه في حدائق البيت الأبيض ، والضجة الإعلامية التي رافقته ، وبثه عبر الأقمار الصناعية إلى مختلف أنحاء المعمورة ، وكأن قافلة السلام قد حطت رحالها أخيراً في المنطقة بعد قرون طويلة من الصراع العربي-الصهيوني ، لم يفلح حتى في التخفيف من غلواء الحقد العنصري الأسود الذي غذت به العقيدة الصهيونية الخبيثة جنود

العدو ومستوطنيه ولم يحل دون ارتكابهم أفظع المجازر في التاريخ .

ولئن كانت المذبحة البشعة في جنين ٢٠٠٢ التي هزت الضمير العالمي وأججت مشاعر العرب والمسلمين في كل مكان ليست الأولى في سفر الإجرام الصهيوني ، فإنها أيضاً لن تكون الأخيرة ما دام الاحتلال قائماً في كل شبر من الأرض العربية ، وما دام الجنود الإسرائيليون وقطعان المستوطنين يصبون حقدهم الدفين على المواطنين العرب ويعربدون على هواهم ويعيثون فساداً وخراباً وتقتيلاً .

وشواهد التاريخ كثيرة منذ اغتصاب فلسطين ونشأة الكيان الصهيوني ، حيث مذابح دير ياسين وكفر قاسم وقبية ومدرسة بحر البقر وصبرا وشاتيلا وعين قارة وصولاً إلى مجزرة الخليل ، وحيث جريمة حرق المسجد الأقصى ، وحرق المصحف الشريف داخل حرمه ، والاعتداء على كنيسة القيامة وممتلكاتها ، وكلها غيض من فيض الأفعال الإجرامية لجنود الاحتلال والمستوطنين المدججين بمختلف أنواع السلاح ضد العرب العزل .

وهذه أبرز الانتهاكات والاعتداءات التي مارسها المستوطنون الصهاينة في الأراضي العربية المحتلة بحق الفلسطينيين وممتلكاتهم ، بما فيها مصادرة الأراضي ونشاطات استيطانية أخرى منذ توقيع الاتفاق وحتى ارتكاب مذبحة الحرم الإبراهيمي :

١٦/ ٩/ ١٩٩٣ الكشف عن خطة استيطانية لإقامة حي صهيوني على أراض تابعة لقرى صور باهر وأم طرباء وإنشاء ٤٠٠ وحدة سكنية على جبل المكبر و ٢٠٠ وحدة أخرى قرب مخيم عناتا ، وبناء حي صهيوني على أراض تابعة لمنظمة كفر عقب ومصادرة ٢٠٠٠ دونم لتوسيع مطار القدس .

٢٨/ ٩ مستوطنون يستولون على منزل في غزة مساحته ٥٠٠م٢ ويرفعون أعلاماً إسرائيلية .

١٢/ ١٠/ ١٩٩٣ خطة لتوطين ٣٠٠ عائلة صهيونية في مستوطنة

نتسانيت شمال قطاع غزة على حساب قرية بيت حانون العربية .

١٦/ ١٠ فلسطينيون يحتجون على مصادرة عشرات الدونمات من أراضي قرية حارس قرب نابلس لصالح إقامة طريق استيطانية تتصل بطريق عابر السامرة ، وقوات الاحتلال تقتلع ٢٥٠ شجرة مثمرة .

١٨/ ١٠/ ١٩٩٣ مجموعة من حركة كاخ العنصرية الصهيونية تعلن مسؤوليتها عن إلقاء قنبلة على سوق عربية في نابلس أدت إلى إصابة أربعة فلسطينيين بينهم طفل .

٢٠/ ١٠ وزير الاستيطان الصهيوني يكشف عن خطة لإقامة ١٣ألف وحدة سكنية استيطانية في منطقة القدس .

٢١/ ١٠ رئيس جامعة حيفا السابق عرزير شيلد ينتقل للإقامة في مستوطنة أرئيل بالضفة الغربية دعماً لجهود الاستيطان .

٢٢/ ١٠ إسرائيل تقرّر إقامة مستوطنتين في منطقة جبل جيلبوع شمال شرق جنين .

٢٣/ ١٠ مواطنون في جنين يكشفون عن قيام مستوطنين بتهديدهم قصد الاستيلاء على أراضيهم .

١٥/ ١١/ ١٩٩٣ حزب الليكود يسعى لاستصدار قانون يحول دون خضوع مستوطنات الأغوار شمال البحر الميت لسلطة الحكم الذاتي الفلسطيني .

١٦/ ١١ الإعلان عن تأسيس حركة عنصرية تنادي بـ«حق الشعب اليهودي في السيادة على أرض إسرائيل بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين» وفي اليوم نفسه إطلاق نار من قبل المستوطنين على أطفال مدرسة الهاشمية في البيرة واستشهاد فتى فلسطيني وإصابة آخر والاعتداء بالضرب على المدرسين والطلبة .

٢١/ ١١ مدير عام وزارة الاستيطان أرييه مزراحي يكشف عن خطط

إسرائيلية لدفع المهاجرين الجدد للإقامة في مستوطنات تقع في الأراضي العربية المحتلة .

٢٢/ ١١ الكشف عن انتقال ثلاثة آلاف مستوطن للسكن في الضفة الغربية .

٢٣/ ١١ تجمع من المستوطنين يسمّي نفسه «هيئة النضال لإلغاء مشروع الحكم الذاتي» يوزع بياناً يدعو فيه الجنود الإسرائيليين إلى رفض الأوامر التي تطالبهم بإخلاء المستوطنات .

٢٦/ ١١ الشرطة الإسرائيلية تعتقل الحاخام أبراهام توليدانو أحد زعماء حركة كاخ ، قادماً من الولايات المتحدة بتهمة تهريب معدات قتالية لمستوطنة كريات أربع لاستخدامها ضد الفلسطينيين .

٢٩/ ١١ مستوطنون في الخليل يعتدون على المواطن ذياب أبو رجب ويصيبونه بجراح خطيرة .

٣٠/ ١١ طرح مناقصة لتسييج مستوطنة أحدار بيتا المقامة على أراضي قرية حرسان قرب مدينة بيت لحم .

١/ ١٢/ ١٩٩٣ الكشف عن خطة إسرائيلية تهدف إلى إقامة ١٣٠مستوطنة جديدة في الضفة والقطاع المحتلين ومرتفعات الجولان المحتل من خلال حملة دعيت «هذه بلادي» .

٢/ ١٢ أعضاء في الكنيست الإسرائيلي ينضمون إلى ميليشيا «هاشومير-الحارس» لحماية المستوطنين ، وحركة «تسوميت» المتطرفة تعلن تأسيس منظمة «ميتن» لتعزيز أمن المستوطنات . وفي اليوم نفسه الحكومة الإسرائيلية تقرّ شق شارع يصل مستوطنة «بشفات زئيف» بـ«معاليم أدوميم» على حساب مصادرة أراض فلسطينية من قرى تابعة للقدس المحتلة .

٣/ ١٢ المستوطنون يقيمون تجمّعاً يضم ١٥وحدة سكنية في قلعة

الحمر التابعة لقرية قريرت جنوب نابلس .

١٢/٥ مستوطنون من «غوش عتصيون» ، يستولون على أرض مساحتها ٦ دونمات ويقيمون عليها منشآت سكنية تشمل بيوتاً جاهزة بهدف إقامة حي استيطاني .

١٢/٩ استشهاد مزارع فلسطيني يدعى خميس رشيد-٢٩ عاماً- برصاص مستوطن صهيوني قرب قرية ترمس عيا قضاء رام الله .

١٢/١٠ استشهاد ثلاثة فلسطينيين في الخليل برصاص مستوطن صهيوني .

١٢/٢٠ إقامة حي استيطاني جديد يضم ٩٠٠ وحدة سكنية قرب قرية شعفاط شمال مدينة القدس .

١٢/٢٢ مستوطنون يُدخلون «التوراة» إلى مسجد نابلس بحراسة جنود إسرائيليين .

١٢/٢٦ حملة استيطان مكثفة في منطقة بيت لحم لتوسيع مستوطنات «أفرات-معليه عاموس-النبي دانيال» على حساب الأراضي الزراعية الفلسطينية .

١٢/٢٧ تشكيل تنظيم مسلح خاص بالمستوطنين لملاحقة مطاردي «فتح» في حال توقف الجيش الإسرائيلي عن ملاحقتهم .

١٢/٣٠ مصادرة ٥ دونمات شرق مدينة أريحا لإقامة شارع يصل بين منطقة الحكم الذاتي ونهر الأردن يستخدم من قبل المستوطنين في الغور .

١٩٩٤/١/٤ المستوطنون يحتفلون بتدشين مستوطنة جديدة لهم في الجولان تضم نحو ٥٠٠ وحدة سكنية ، ووضع عدة بيوت متحركة-كارافانات-من قبل مستوطني معبد «بيت أوروت» فوق قطعة أرض في جبل الزيتون مخصصة لإقامة مدرسة عربية .

٦/ ١ إقامة مستوطنة جديدة قرب مدينة قلقيلية .

٧/ ١ توسيع مستوطنة «دوغيت» شمال قطاع غزة على حساب أراض فلسطينية مساحتها ٥٠٠دونم ، وتوسيع مستوطنات «غوش قطيف» جنوب غزة من أراض تقع جوارها .

٩/ ١ إقامة نواةٍ استيطانية على مساحة ١٥دونماً من أصل ٢٠٠ دونم تمت مصادرتها من أراضي بيت سالم ودير الحطب شرقي نابلس وإعلانها منطقة عسكرية مغلقة .

١٤/ ١ فلسطينيون يتسلمون بلاغات من الجيش الإسرائيلي بإخلاء منازلهم وأراضيهم الواقعة غربي مستوطنة «كفار داروم» شرق مدينة دير البلح بقطاع غزة بدعوى إقامة شارع يصل المستوطنة بـ«الخط الأخضر» .

٢٠/ ١ وزارة الاستيطان الإسرائيلية تبدأ حملة لتوزيع أراض عربية مصادرة على مجموعات استيطانية ومدارس دينية يهودية .

٢٦/ ١ وضع حجر الأساس لمستوطنة صهيونية مجاورة لمستوطنة «كريات أربع» في الخليل والاستيلاء على أرض عربية لهذا الغرض .

٢٨/ ١ شق طريق استيطانية في أراضي قرية الخضر القريبة من مدينة بيت لحم ، وتجريف نحو ١٠٠دونم مزروعة بالأشجار المثمرة ، والمستوطنون يسيطرون على مبنى قريب من الخليل من أجل إقامة نواة استيطانية في المنطقة بعد ترميمه وإطلاق اسم «جبل التواصل» على الموقع ، ثم مجموعة استيطانية تعلن عن إقامة أربع نقاط استيطانية في طولكرم وبيت لحم والقدس ونابلس .

٣٠/ ١ السلطات تطالب مواطنين فلسطينيين في الخليل بإخلاء أراضيهم الزراعية ومساحتها ٤٢٠٠دونم بحجة إقامة طريق بعرض ٦٠متراً يصل بين مستوطنتي «كريات أربع» و«شافي» .

١/ ٢ مصادرة أراض عربية محيطة بمستوطنة «نيتساريم» وسط قطاع

غزة بغرض إنشاء قاعدة عسكرية عليها لحماية المستوطنة .

٢/٣ مستوطنو منطقة الأغوار يقررون إقامة ميليشيا مسلحة للقيام بأعمال دورية على الطريق العامة .

٢/٥ «دائرة أراضي إسرائيل» تعتزم مصادرة ١٥ ألف دونم من الأراضي العربية الواقعة بين مستوطنة «بسغات زئيف» والتلة الفرنسية شمال شرق القدس المحتلة .

٢/١٢ مستوطنو «بيتار عيلات» يحاولون الاستيلاء على عشرات الدونمات المزروعة التابعة لأهالي قرية نحالين .

٢/١٣ سلطات الاحتلال تصادر ٦٤ دونماً تعود ملكيتها لمواطنين فلسطينيين في قرية بيت جالا القريبة من مدينة بيت لحم بحجة شق طريق استيطانية فرعية .

٢/٢٥ مستوطنون يقودهم ضابط الاحتياط في الجيش الإسرائيلي باروخ غولدشتاين يقتحمون مصلى الحرم الإبراهيمي الشريف عند الفجر ويمطرون المصلين وهم في خشوع إلى ربهم بوابل من الرصاص مما أدى إلى استشهاد نحو ٦٠ فلسطينياً وجرح حوالى ٣٠٠ آخرين .

ومنفذ الجريمة مستوطن من أصل أميركي ، وهو طبيب وضابط احتياط في الجيش الإسرائيلي ينتمي إلى حركة كاخ المعروفة بعدائها السافر للعرب والتي توصف بأنها هاغانا جديدة .

وقد سلطت المجزرة الضوء مجدداً على حقيقة الإرهاب الصهيوني وأعادت مسألة حماية السكان العرب في الأراضي المحتلة إلى مقدمة الاهتمامات الدولية العاجلة ، ونبّهت أكثر فأكثر إلى مخاطر بقائهم تحت رحمة المستوطنين العتاة ، كما أسقطت مقولة التعايش الفلسطيني الإسرائيلي . كل ذلك يضاف إلى الآثار السلبية الخطيرة التي عكستها على عملية السلام حيث سارعت الأطراف العربية المعنية مباشرة بعملية السلام

كرد فعل مشروع على هذه المذبحة إلى تعليق المحادثات الثنائية الجارية في واشنطن .

وترافق الغضب والشجب والاستنكار العالمي لهذا الفعل الإجرامي بالدعوة إلى وقف الاستيطان والتسريع في إزالة المستوطنات القائمة في الأراضي المحتلة وتفكيكها باعتبارها خطراً دائماً يحدق بعملية السلام .

ومثل هذه الدعوات انطلقت أيضاً من داخل إسرائيل نفسها مطالبة الحكومة الإسرائيلية بوضع الخطط العاجلة لإخلاء المستوطنات إذا ما أريد لعملية السلام أن تستمر وتؤتي ثمارها .

فقد دعت حركة السلام الآن الحكومة الإسرائيلية إلى تشجيع سكان المستوطنات على مغادرة الأراضي المحتلة ، وطالبتها بإعداد خطة لعملية إخلاء المستوطنات .

وجاء في دراسة مفصّلة أعدتها الحركة عن واقع المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة ، أن المستوطنين الذين يعيشون في هذه المستوطنات لا يشكلون ٥٪ من عدد سكان إسرائيل ، وعليه يجب أن لا يستمروا في تشكيل عقبة حاسمة في عملية السلام التي تحاول إسرائيل الوصول إليها .

وقالت الدراسة إنه على العكس مما يظنه العديد من السياسيين فليس هناك أي احتمال للتعايش بين العرب واليهود في تلك المناطق وبشكل خاص تحت حكم فلسطيني .

وأوضحت أن احتمالات حدوث عقبات وأزمات في العملية السلمية مع الفلسطينيين كبيرة إذا لم تقم إسرائيل بمعالجة قضية المستوطنات بسرعة ، وفي بداية المرحلة الانتقالية ، مشيرة إلى أن كلفة إخلاء المستوطنات وإقامة مساكن جديدة للمستوطنين داخل إسرائيل تبلغ ٥ , ٢ مليار دولار .

وقالت الدراسة إن الإبقاء على المستوطنات في كل من منطقة قطيف وفي شمال قطاع غزة في أثناء الفترة الانتقالية هو بحد ذاته وضع مخيب

للآمال في العملية السلمية ، حيث إنه يولد انعدام الثقة من أجل الاستمرار بالعملية السلمية . . ومن ناحية أخرى يولّد العنف والمشاكل بين المستوطنين والفلسطينيين في قطاع غزة .

وطالبت الدراسة بضرورة الإسراع في إخلاء المستوطنين من مناطق الخليل وقبر النبي يوسف في نابلس ومن أريحا ، لأن خطر المواجهة في هذه المواقع كبير جداً ، وليس بالإمكان الحفاظ على إجراءات الأمن الحالية في الخليل وفي أماكن أخرى لفترة طويلة ، كما أنه ليس بالإمكان الإبقاء على مئات الألوف من السكان الفلسطينيين تحت نظام حظر التجول . لذلك ومن أجل تجنّب خسارة المزيد من الأرواح يجب تبني عملية إخلاء فوري لمستوطنات الخليل .

وأكدت الدراسة أن عملية تأخير قضية المستوطنات تجمّد وتوقف العملية السلمية برمتها ، وهناك احتمال بأن تؤثّر هذ القضية في تركيبة حزب العمل والأحزاب المتحالفة معه في الانتخابات الإسرائيلية القادمة .

وقسّمت الدراسة المستوطنات من حيث إمكانيات تسببها في صدامات مع الفلسطينيين إلى خمس مجموعات :المجموعة الأولى هي المستوطنات ومواقع المراقبة التابعة للمستوطنين والواقعة في قلب التجمعات الفلسطينية ، والتي طالبت الدراسة بإخلائها فوراً وعددها ٥٠٠مستوطنة . والمجموعة الثانية هي المستوطنات التي يتطلب الوصول إليها المرور في وسط التجمعات الفلسطينية وعددها ٥٢مستوطنة وعدد سكانها ٢٦٠٠٠ مستوطن . والمجموعة الثالثة المستوطنات التي لاتقع بالقرب من تجمعات فلسطينية إلاّ أنّ الوصول إليها يتطلب المرور وسط أو بالقرب من التجمعات الفلسطينية واستخدام طرق يستخدمها الفلسطينيون بكثافة وعددها ٥٦مستوطنة وعدد سكانها نحو ١٥٠ألف مستوطن .والمجموعة الرابعة المستوطنات التي يتطلب الوصول إليها المرور بأراض مملوكة للفلسطينيين

وتحتوي ٢٤ مستوطنة وعدد سكانها ٣٠ ألف مستوطن . والمجموعة التي لا تقع بالقرب من تجمعات فلسطينية ولا تسبب أي تماس مع الفلسطينيين وعددها ٨ مستوطنَات وسكانها ٧ آلف مستوطن .

ذكرى مجزرة الحرم الابراهيمي في الخليل :
دموع لا تجف

في السوق القديم في الخليل سراديب مظلمة ورائحة بخور وأزقة ضيقة تفضي في نهايتها إلى المدخل الغربي للحرم الإبراهيمي . وبين كل زقاق وآخر عُلّقت يافطات على أحد الجدران تسمي الحي باسم أحد شهدائه وهم ليسوا قليلين . فهنا حي الشهيد سفيان زاهدة وعلى بعد أمتار هناك حي الشهيد وائل المحتسب وآخرين غيرهما .

قالت والدة سفيان وقد تركت لدموعها العنان : «كان كل أهل الحي يحبونه ويشترون من بضاعته في السوق ، لم يعتد أحد على فقدانه ولكن مثله مثل غيره . لقد أخذ نصيبه الذي كتب له» . وبدأت تتذكر ذلك اليوم المشؤوم يوم ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٩٤ :

«كان سفيان يصلّي يومياً في الحرم وخصوصاً في شهر رمضان . نزل مع والده وأخوته الثلاثة وأختهم الصغيرة ، بينما ذهب الرابع للصلاة في جامع آخر مع أصدقائه وبقي الصغير معي في البيت . عندما سمعت إطلاق نار ظننت أن شباناً هاجموا سيارة مستوطنين كما هي العادة . وفجأة سمعت أحدهم يطرق الباب ويصيح :وقعت مجزرة في الحرم أين أخوتي؟ عاد أبوهم يسأل عنهم فقلت :لم يعد أحد منهم ! ولم يلبث أن جاء ابن عم لي يخبرنا أن سفيان أصيب في رجله وهو جريح في المستشفى ، فذهب والده

على عجل وعاد ليصطحبني إلى بيت عمه ، وهناك كان سفيان مسجّى استعداداً لدفنه . أمّا شريف الذي يكبره سنة واحدة فقد أصيب برصاصة في صدره ، غير أن أحداً لم يخبره بأن أخاه قتل إلا بعد مرور أسبوع على دفنه» .

لكن «معتز» ابن التاسعة ، أصر كما أصر بعد المجزرة ، على أن أخاه سفيان لم يكن ميتاً بعد «بل كان يتنفس . أنا رأيته يتنفس وهم قالوا إنه مات» . كان معتز الوحيد من بين إخوته الذي بقي في البيت مع والدته على غير عادة . وعندما يذهب لزيارة قبر أخيه حتى اليوم يتمنى لو تقع مجزرة أخرى «كي أستشهد مثله وأنام إلى جانبه» .

ولا يبدو على الفتى الانفعال وهو يتحدث عن شقيقه :« هنا كان ينام على هذه الفرشة ، وكان يدعني أنام إلى جانبه . وليلة المجزرة لعبنا سوياً لعبة الحاكم والجلاد كما كنا نفعل في منع التجول ، وحتى اليوم أحلم من حين إلى آخر أنه ينام إلى جانبي في سريري» .

ولا زالت صور سفيان تملأ الجدران ، ولكن أحداً لا يتحمس ليروي قصصًا تتعلق به أكثر من معتز الذي تقول والدته إنه كان الأقرب إليه قبل مماته وبقي مرهفاً لكل أمر يتعلق به حتى بعد استشهاده .

ويقلب الفتى وهو جالس على أريكته المفضلة كتاب المجزرة الذي ارتسم بصور القتلى الـ٢٩ وفجأة يتذكر :«بعد استشهاده صعدت يوماً إلى السطح فوجدت زجاجة ماء كان سفيان شرب منها فأحضرتها لأمي وقلت لها أن تشرب من بركة المرحوم لأنه آخر من شرب منها» . عندما أعيد فتح أبواب الحرم عادت العائلة كلها للصلاة فيه كما في السابق . قالت والدة سفيان :«في المرة الأولى شعرت أني سأختنق ، ولكني تمالكت نفسي وقلت :مثلنا مثل غيرنا ، فقد جرت العادة في الخليل أن تنزل كل العائلة سوياً للصلاة في الحرم في رمضان . والناس عادت هذا العام كما في السابق ولمن يسمح له الحراس بالدخول للصلاة حتى بوجود مستوطنين» . أمّا

هؤلاء المستوطنون فلا هي ولا غيرها يريدون أن يتحدثوا عنهم ، بل يكتفون بذكرهم من بعيد من دون رغبة في الاسترسال .

لا يبعد بيت المحتسب سوى مئات الأمتار عن بيت سفيان زاهدة ، ولكنه أقرب إلى مدخل الحرم . وكغيره من بيوت ذلك الحي يدخله المرء عبر أزقة مظلمة تفوح منها رائحة الرطوبة ، ويصعد بضع درجات مظلمة فيفتح باب الغرفة الأولى التي تفصل بينها وبين الغرفة الثانية درجات أخرى ، وهكذا إلى أعلى البيت القديم قدم السوق .

في الغرفة الصغيرة جلست دلال من حولها أطفال كثيرون يتدفأون على موقد كيروسين يستخدم للطبخ . قالت بخجل :«لدينا مدفأة تعمل بالكهرباء ولكننا نشعلها في الليل» . كان شقيقها وائل يعيلها وعائلتها إلى جانب عائلته ، بعد أن توقف زوجها عن العمل بسبب إصابة في رأسه من أثر ضرب الجنود الإسرائيليين له . وبعد أن قتل وائل في المذبحة تجمعت العائلتان في غرفة واحدة تعين إحداهما الأخرى على العيش .

قالت دلال :« قبل لحظات كانت رنا ابنة الخامسة تتذكر والدها وتقول :«كان أبي يضع لنا المصروف على السرير في الصباح ولكنه مات» وكلما تشعر هي وأخوها مراد(٣سنوات) بالحاجة إليه ، يتذكرون ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أبنائي الأربعة ، فقد كان وائل أباً للجميع» .

لم يعتد وائل الصلاة في الحرم وإنما في جامع آخر ، ولكن في ذلك الصباح قال له أبوه«صل معنا في الحرم ينالك ثواب أكبر » فسار معه ولم يعد .

تتذكر دلال : «سمعت صوت ضوضاء حول الحرم ، فنظرت من الشباك وسمعتهم يكبّرون ، ثم جاء ابني سمير (١٠سنوات) يصرخ ويقول :ذبحونا في الحرم فأشعلت النور وإذا بساقه مبللة بالدماء ، وبصعوبة قال لي :«لقد مشيت فوق أناس ميتين» . لم يصب بأي أذى وإنما غطت ساقه

دماء القتلى الآخرين . كان يرتجف وهو يروي :«لم نعرف من أي باب نهرب ، وكلما هربنا من باب كان جندي يطلق علينا النار» . فسألته عن أخواله «فقال إنه لم ير أحداً» . نزلت إلى الشارع مسرعة فشاهدتهم يحملون أحدهم ، فاقتربت منهم لأرى ولكن لم يكن ذلك أخي . ركضت في كل اتجاه والكل يصرخ بأن يذهبوا للتبرع بالدم ، وبعد طوال بحث شاهدت أحد إخوتي فقال إن «وائل» استشهد» .

كان الشقيق الأكبر ذاهباً الى المستشفى للتبرع بالدم ، ففوجئ بشقيقه ممدداً على الأرض في أحد الممرات في المستشفى ولا روح فيه ، فحمله مع أصدقائه بسرعة إلى بيته ، ولم ينتظروا أن يمنعهم الجيش من دفنه قبل تشريحه ، فحملوه فوراً إلى المقبرة . وتقول دلال إن أبناء عائلة المحتسب يدفنون عادة في مقبرة العائلة . ولكن كان يستحيل الوصول إليها في ذلك الصباح فحملوه إلى مقبرة المدينة . هناك وجدوا حفرة أعدت مسبقاً فدفنوه فيها وعادوا . ولكن «دلال» أصرت على أنها لم تر أي دماء تنزف من جسده وربما كان لا يزال على قيد الحياة . أُغمي عليه لأن الناس داس بعضهم بعضاً في الحرم ساعة المذبحة ، فعادوا إلى القبر ثانية ليتأكدوا ، ولكن كانت هناك رصاصة استقرت في صدره من دون أن تحدث نزيفاً خارجياً .

وعندما تدخل زوجة وائل يدور جدل حول صوره : هل تبقى في متناول أبنائه يرونها ليل نهار ، ويتذكرون الصدمة التي لم يفهموا حتى الآن مغزاها وآثارها ولكنهم يشعرون بها ، أم يخفونها عنهم حتى يبلغوا سناً يستطيعون معها أن يستوعبوا فيها أن والدهم قتل؟ لا أحد يحسم الجدل ، ففي العائلة أكثر من شهيد ، إذ قتل حاتم شقيق وائل بصواريخ أطلقها الجنود الإسرائيليون على منزل تحصن فيه مع زملائه من حركة «حماس» ، ووالدتهما أصيبت بنزيف دموي بعد أن ضربها جندي على رأسها ، وهم يجرون تفتيشاً في منزلها بحثاً عن حاتم . وأشقاء دلال الثلاثة يقضون

أحكاماً مختلفة في السجون الإسرائيلية .

كثيرون لم يدخلوا الحرم بعد المجزرة . ولكن الأطفال ما زالوا على رغم خوفهم الكامن يحاولون أن يتخطوا تلك الذكرى . تقول دلال «حتى ابني الذي كان في الحرم صباح المجزرة عاد إلى هناك ولكن دائماً مع آخرين . فهو يذهب مع عمه أو غالباً يقول لإخوته أن يرافقوه ليصلي هناك ، وأعتقد أنه يخاف الذهاب بمفرده» . وتختم دلال بالقول :«إنهم يشعرون بالحقد تجاه المستوطنين . من يعلم ماذا سيصبحون عندما يكبرون ويبدأون باستيعاب ما حصل ومن المسؤول عنه» .

لم يكن نور المحتسب يصلي في الحرم فجر الخامس من رمضان ١٩٩٤ وإنما كما يروي والده أبو أنور :« توضأ وصلى الفجر وجلس في سريره يقرأ آيات من القرآن إلى أن رجع أخوه الأصغر وقال له : أنت جالس هنا والدنيا مشتعلة في الحرم؟ فقفز من سريره إلى ملابسه وارتداها على عجل وخرج» .

عندما وصل نور إلى ساحة الحرم الإبراهيمي التي تبعد عن منزله بضعة أزقة وجد الناس يتراكضون في كل اتجاه ، بينما كان إطلاق النار لا يزال مستمراً من قبل الجنود الإسرائيليين الذين أحاطوا بالمكان . واستناداً إلى رواية شهود كما رووها إلى والده شاهد نور أمامه شخصاً جريحاً كان آخر يحاول أن يحمله ، ولكن الأخير سقط فجأة فوقه بعد أن أصابته رصاصة قاتلة ، فأسرع هو الخطى إليهما وحاول رفع أحدهما عن الآخر ، وإذا به يهوي هو الآخر من رصاصة أصابته . فحمله شبان آخرون إلى المستشفى بينما أسرع آخرون إلى منزله يخبرون أهله بمصيره .

لم يتمكن والده ووالدته من رؤيته قبل دفنه أبداً ، فقد حمل من المستشفى إلى المقبرة ودفن ، عندما وصل والداه أخيراً إلى المقبرة أبلغا بمكان دفنه فقط وعادا خائبين إلى بيتهما .

بعد مرور أعوام على المجزرة ما زال البعض يشكك في كيفية حدوثها ، حتى إن الإشاعات التي سرت قبل أعوام تختلط بتلك التي يتناقلها الناس اليوم .

قال أبو أنور الرجل السبعيني وهو جالس أرضاً تحت غطاء يتكئ إلى وسادة ويسبح بمسبحته :«المجزرة لم يرتكبها شخص بمفرده بل كانت مدبرة . كان الضابط المسؤول عن الحرم واسمه دوف يخطط لها وهو الذي ألبس المستوطنين لباساً عسكريًا وأدخلهم إلى الحرم في تلك الليلة والناس الذين كانوا هناك سمعوهم يتكلمون عن المجزرة» .

تقول أم أنور التي ربطت رأسها بمنديل عقدته فوق جبينها إنها تشعر بالاختناق كلما ذكر أحدهم ما حدث في صلاة الفجر تلك . لا تأبه بما يقال حول كيف حدثت المجزرة وتروي ودموعها تسيل على وجنتيها وأحياناً تبدأ بالنحيب كالأطفال «كان نور هو الذي يعيل العائلة كلها . ترك دراسته كي يتمكن إخوته من إنهاء تعليمهم . والآن انظروا ما فعل ربنا بنا . ولا يكفي هذا بل سدت كل الطرق أمامنا وأصبحنا نعيش بين جدران من جميع الجوانب» . في إشارة إلى جدران البراميل التي أقامها الجنود لإغلاق الأزقة المؤدية إلى منزلهم لمنع راشقي الحجارة من الفرار إليها .

هل عاد أحد منهم إلى الحرم بعد المجزرة؟ يقول أبو أنور :« لم أعد إلى هناك ولن أعود بل أطلب من الناس جميعاً ألاّ يذهبوا إلى ذلك المكان بعد أن دنسه المستوطنون بكلابهم . أقول لهم حرام عليكم ولكن الكل يقول لن نترك الحرم لهم (المستوطنين)» .

أم أنور :« ماذا ندخل لنفعل هناك ، ألنرى مكان مقتل ابننا؟ هل يستطيع الذين يتفاوضون مع الإسرائيليين أن يعيدوه إلينا؟» .

أبو أنور :« حتى بالمفاوضات ومن دون المفاوضات يضحكون على الناس . نحن نعلم أنهم لن يخرجوا من الخليل إلاّ كما دخلوها أي بالقوة» .

من الحديث عن المفاوضات إلى الحديث عن الشركاء في المفاوضات ، ويتذكر أبو أنور المساعدات التي تلقوها بعد المجزرة وتلك التي سمعوا عنها ولم يتسلموها . فيقول إن المملكة العربية السعودية «تبرعت لكل عائلة شهيد بمبلغ ٥٣ألف دولار تسلموها بعد المجزرة بثلاثة أشهر ، والأردن تبرع بمبلغ ٣١٢ ألفاً لكل العائلات سوياً» . ويضيف أن متبرعين من لبنان «أرسلوا لكل عائلة مبلغ ألف دولار ومثلها من متبرّعين عرب من الولايات المتحدة ، ومثلها أيضاً من متبرع سعودي لم يتذكروا اسمه ، ولكن محطة عربية في لندن قالت إنها جمعت تبرعات لعائلات شهداء المذبحة إلا أنها لم تصل أبداً إليهم» .

ما زالت أم عبد تحتفظ في منزلها في حي «أبو سنينة» بغرفة النوم التي أعدتها لعرس ابنها ذياب كما هي ولا أحد يدخلها غيرها تقول :«كلما اشتقت إليه أدخل إلى الغرفة أبكي عليه وأخرج» .وهي تصر على الاحتفاظ بها كما هي ، فهو كان أصغر إخوته ولم يعد لها من تزوجه فيها ولكنها تضيف : «عندما يكبر أولاد أخيه سأزوج أحدهم فيها» .

كان ذياب الكركي (٢٣عاماً) يعمل في صناعة الأحذية في مشغل في منزله ويستعد ليتزوج بعد عيد الفطر . في ذلك الفجر خرج مع والده إلى الحرم لأداء صلاة الفجر ثم عاد الأب من دون ابنه .

تقول أم ذياب التي ظهر أثر البكاء المتواصل في انتفاخ عينيها :«عندما عاد أبوه قال :وقعت مجزرة وسأل هل عاد ذياب فقلت لا لم يعد فنزلنا الاثنان إلى الشارع وبقينا واقفين نستطلع أخباراً عنه ، ولكن لم يلتفت إلينا أحد . الكل كان في صدمة والجرحى ينقلون تحت وابل من الرصاص إلى المستشفيات بعضهم في بطانية والبعض الآخر على ألواح من الخشب والبعض فوق ظهور السيارات» . وتابعت بعد نوبات من البكاء «أحضروه ودفنوه وأنا لا زلت واقفة في الشارع أنتظر ولم أره . لم نره لا أنا ولا أبوه ،

فقط قالوا لنا دفناه ، الله يرحمه» .

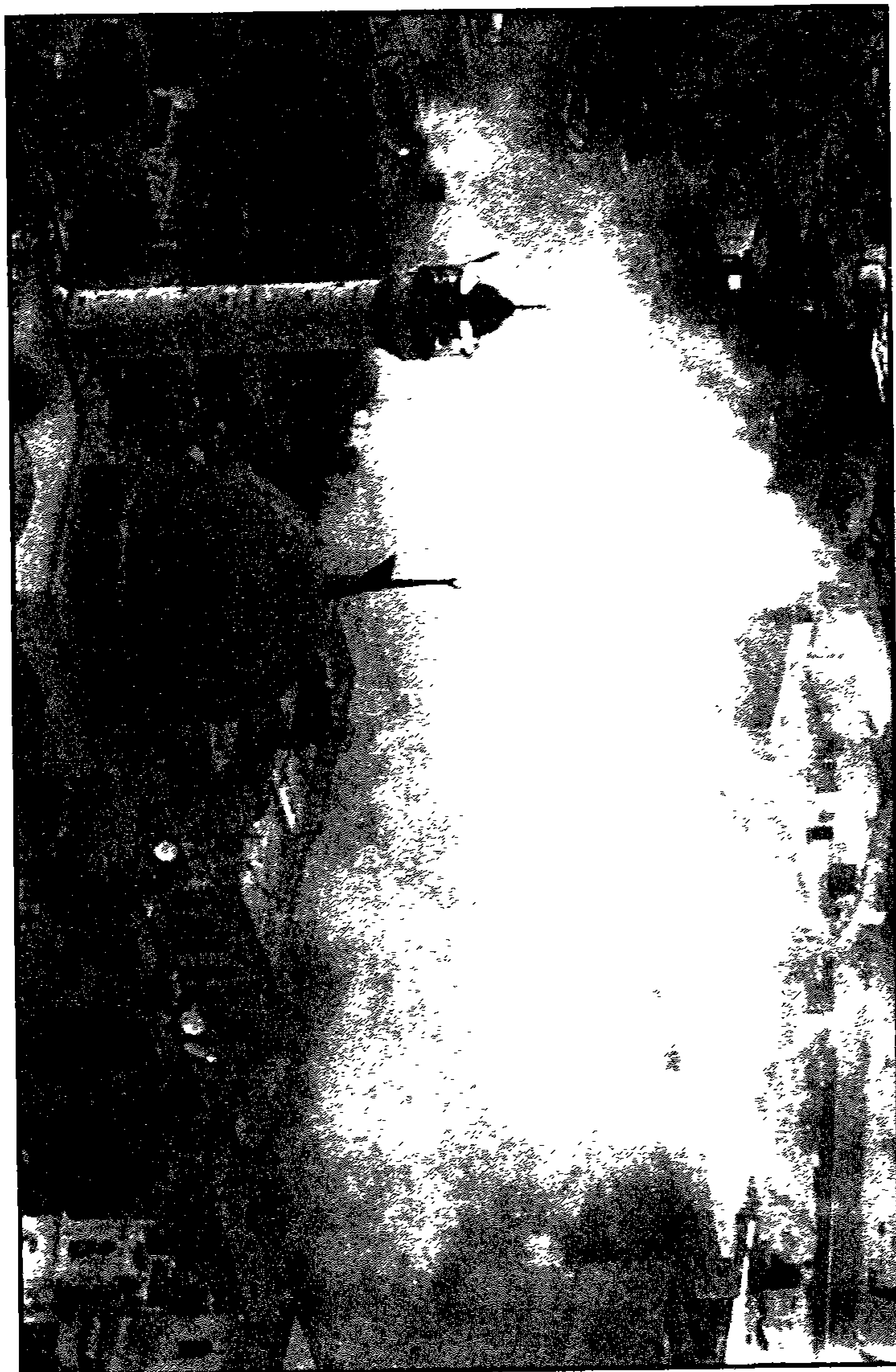
وتتابع أم عبد :« كان شاباً أفضل من أخوته ، لا أحد يساويه بدرايته أو حنانه تجاهي وتجاه والده» . تصمت ثم تضيف «كلما اشتقت إليه وشعرت بضيق أذهب إلى قبره أقرأ له قرآناً ثم أعود إلى بيتي» .

أمّا أم سليم شقيقتها التي جلست أمامها ، والتي تبدو أكثر حيوية منها على رغم أنها فقدت ابناً هي الأخرى في المجزرة ، تشعر بنوع من الانتعاش كلما تذكرت ابنها «سليم» قالت :«قبل يومين من استشهاده سألني : هل ستعملين لنا كعك ومعمول العيد؟ فقلت له ليس بي قوة فقال :لا تهتمي سأعمله بنفسي ، وذهب قبل أن يتذوق الكعك» وتضيف «أنا لن أعمل كعكاً في حياتي» .

تقاطعها شقيقتها أم عبد قائلة :«يجب أن تعملي كعكاً وتوزعيه عن روحه» . فتجيب :«سنوزع حلويات عن روحه للفقراء والأعزاء ولكن لن أعمله بيدي» .

وتتذكر أم سليم أنها لم تر هي الأخرى ابنها قبل أن يدفنوه ، فقد جاءها من يقول لها إنه أصيب في المجزرة ، فركضت إلى المستشفى وهناك قيل لها إنه قتل ، فعادت محمولة على الأيدي إلى منزلها لتجده يغص بالمعزين .

قالت :«كان أحسن إخوته على الإطلاق ، فلم يصدر منه ما يغضبني في حياته ، بل كان دائماً يقبّل يدي ويقول : أطلب رضاك عني . . الله يرضى عليهم» .



دخان يتصاعد بعد انفجار وقع أمام أحد مساجد نابلس (رويترز)

فتيات على درب الشهادة

فتيات يتقدّمن إلى مذابح الشهادة. بعض العرب لا يجرؤ على امتداحهنّ، والبعض الآخر يخاف من معنى رحيلهنّ المدوّي؛ أمّا بعض رجال الدين فقد جعلوهنّ معضلة فقهية يتجادلون حولها. أمّا هنّ، فلا يبالين بإيدلوجيات الأحزاب ولا بأفكارها، ولا بالفتاوى السياسية والدينية، يوصدن أبواب غرفهنّ للمرة الأخيرة، بكل ما فيها من أحلام وذكريات، ولا يعدن إليها.

إنه المزاج الفلسطيني العام الذي تغيّر بخروج العمل الاستشهادي عن الاحتكار الذكوري، من دون أن ينفي ذلك أن تاريخ النضال الفلسطيني منذ بداياته حافل بالبطولات النسائية.

فتيات العمليات

ذهبن بعدما تزنّرن بأحزمة لا ألوان زاهية لها، فأيامهن هذه ليست للمراهقة. الشبان هنا يرحلون كل يوم، والواحدة منهنّ، كأي فتاة، تحلم وتحب وتتخلص للحياة.. إذا ما استطاعت إليها سبيلاً.

لكنهن الآن، اخترن أن يكن شهيدات، مثل الرجال، بعدها عزّت عليهن الحياة من بعد رحيلهم المبكر.

للبعض، هنّ مجرد أسماء، وللبعض الآخر، هنّ شهيدات وانتحاريات وإرهابيات وقاتلات.

يباغتن الصمت العربي، يسخرن من جيوش الحكام والنياشين العسكرية المتدلية ببلاهة، وفي صعودهن إلى موتهن يتضاءل أمامهن محتكرو السياسة العربية ومنظّرو الأحزاب وخطباء القمم والاجتماعات

الوزارية ورجال «النضال التلفزيوني» و«النساء اللواتي لا يهجرن رجالهن قبل أن يبرهنوا على رجولتهم» .

٦٠ فلسطينياً ، أو أكثر ، نفذوا «عمليات استشهادية» خلال الانتفاضة الحالية ، لكنه مجرد رقم . فللانتفاضة أشكالها وكل فلسطيني «يحلم» ، شهيد حي ، إلى أن يصبح ميتاً ، طالما أن الإسرائيليين برهنوا أن رصاصهم رخيص . . كأرواح الفلسطينيين أمامهم .

لكن الظاهرة الجديدة التي ينكبّ عليها الباحثون الاجتماعيون وخبراء الجيش الإسرائيلي والصحافيون هي أن جيلاً جديداً بات مستعداً أكثر من أي وقت مضى في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ، وتاريخ المأساة الفلسطينية ، للموت كفاحاً ضد الذل ومن أجل فلسطين .

يبحثون مثلاً عن الأسباب التي تجعل شاباً أُبلغ للتو بالموافقة على طلبه للموت ، تجتاحه مشاعر فرح وبكاء كالشهيد رأفت أبو دياك ، أو عن الأسباب التي تجعل أماً تبارك ولدها مع علمها المسبق بأنه سيخرج الآن ماشياً إلى الشهادة كمحمد فرحات .

وخلال الانتفاضة ، وحتى في السنوات التي سبقتها ، كانت الظاهرة التقليدية أن الاستشهاديين يخرجون من كنف الجماعات الإسلامية . لكن ذلك بدأ يتغير ، وبدأت جماعات أقل تديّناً أو علمانية الطابع ترسل استشهاديين لأغراض التحرير والمقاومة ذاتها . كما ظهر استشهاديون من طبقات أو خلفيات اجتماعية وعمرية مغايرة قليلاً عما كان سائداً ، بل إن بعضهم لم يكن «مسيّساً» .

المزاج العام الفلسطيني تغير أيضاً بخروج العمل الاستشهادي عن «الاحتكار» الذكوري ، من دون أن ينفي ذلك أن تاريخ النضال الفلسطيني منذ بداياته حافل بالبطولات النسائية والمقاومين الرجال .

وفاء إدريس ، نورا شلهوب ، دارين أبو عيشة ، آيات الأخرس ،

وعندليب طقاطقة .

لهنّ كلمات المتنبي ، قبل ألف عام بالتمام من نكبة فلسطين :

ولو كان النساء كمن فقدنا . . .

لفضلت النساء على الرجال .

الفتيات يتقدمن إلى مذابح الشهادة . بعض العرب لا يجرؤ على امتداحهن ، والبعض الآخر يخاف من معنى رحيلهن المدوّي . أمّا بعض رجال الدين فقد جعلوهن معضلة فقهية يتجادلون حولها .

أمّا هنّ ، فلا يبالين بإيديولوجيات الأحزاب ولا بأفكارها ولا بالفتاوى السياسية والدينية . يوصدن أبواب غرفهن للمرة الأخيرة ، بكل ما فيها من ذكريات وأحلام ، ولا يعدن إليها .

أصبحن الشغل الشاغل لرجال السياسة الأميركية : بوش وتشيني وباول ورامسفيلد وبيرنز وزيني . ينعتن بأسوإ الألفاظ والتهم . وحتى المرأة بينهم ، كوندليزا رايس ، تمقتهن ، فهن انتحاريات إرهابيات ، أو على حد التصنيف الجديد لإدارة بوش «مهاجمات قاتلات» .

أصبحن فجأة المشكلة التي يجب حلها وردعها حتى يحل «السلام» ويتحقق الانسحاب وتقام الدولة ويعترف البيت الأبيض بصلاحية عرفات . . ليحكم شعبه .

كلهنّ غادرن من دون أن يبلغن أحداً . فالسر أكبر من أن يفشى وأجمل من أن يكون مادة للكلام والهمس حتى ولو كان مع حبيب أو عريس أو أم .

تركن أشياءهن مكانها وغادرن . هكذا رحلن فجأة من دون أي موعد مسبق .

في منازلهن حزن وغضب وأيضاً مشاعر افتخار . وعندما يغادر المعزون – المهنئون – والصحافيون توصد الأبواب على ساكنيها ، ينزوي كل

من فيها مع دموعه .

وفاء إدريس

في الشهر الأول من العام الجديد (٢٠٠٢) ، اختارت وفاء إدريس (٢٨ عاماً) أن «تحتفل» بالسنة الجديدة في شارع يافا في القدس المحتلة الواقع على بعد عشرة كيلومترات تقريباً من منزلها في مخيم الأمعري .

لحظة انفجارها ، انتقلت الفلسطينيات معها بقوة من الساحة الخلفية للمواجهة مع الاحتلال إلى المواقع الأمامية .

بدت دائماً محبة للحياة ، مرحة وتروي النكات . لكنها ، كل يوم ، كانت في عملها التطوعي في الهلال الأحمر ، تشاهد الشباب يتساقطون حولها بالرصاص ، وتعالج من كتبت له الحياة منهم . هي نفسها أصيبت بالرصاص ثلاث مرات . كانت شخصاً عادياً لها شخصية قوية ، كانت نشيطة جداً ، لكن ما كان أحد يعتقد مطلقاً أنها ستنفذ هجوماً .

في الانتفاضة الأولى ، كانت مشاركة متحمسة في التظاهرات إلى



الدرجة التي جعلتها تواجه صعوبات في تخطي أعوامها الدراسية .

ووفاء في الأصل من مدينة الرملة التي احتلت في العام ١٩٤٨ ، حيث أُجبرت عائلتها الفقيرة على اللجوء إلى مخيم الأمعري قرب رام الله . لم تكن تنتمي إلى أي فصيل سياسي . اعتادت أن تأتي وتحدث أهلها عن الأطفال الذين يطلق عليهم الرصاص ويقتلون . كانت تفرح عندما تقع عمليات استشهادية ضد الإسرائيليين ، وتقول إنها تتمنى لو تنفذ في يوم من الأيام هجوماً كهذا .

خرجت وفاء ، طالبة الطب ، من منزلها على عجل صباح الأحد في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٢ وأخبرت أسرتها أنها ستتأخر في العمل لكنها ستراهم عند العودة .

شعر أهلها بالقلق عندما سمعوا أنباء الانفجار في القدس . ولم تعد وفاء بعد ذلك .

نورا شلهوب

قلة سمعت باسمها ، لكن فتاة الخمسة عشر ربيعاً نورا شلهوب سحبت سكيناً من مطبخ منزلها في شباط (فبراير) ٢٠٠٢ وهرولت مسرعة إلى حاجز إسرائيلي قرب طولكرم ، وهاجمت جندياً عاجلها بطلقة أردتها ظلت تنزف حيث سقطت إلى أن ماتت .

يقول والدها إنّ تغيّراً كبيراً طرأ على أفكارها ومشاعرها منذ أن قتل أحد جيرانها بغارة لطوافة إسرائيلية .

بدأت نورا بقراءة بيانات سياسية في مدرستها ، وأصبحت مؤمنة بالقضاء والقدر . وفي إحدى المرات ، وقع انفجار في مكان لا يبعد كثيراً عن منزلها فسقط زجاج نافذتها على سريرها ، علقت بالقول : « أشعر أن

الشهادة باتت قريبة» .

علّم والدها الطبيب البيطري جمال أطفاله أن يحبوا دروسهم حتى في ظل الانتفاضة ، وكان يرسلهم إلى مدارسهم بالسيارة حماية لهم . أمّا نورا فإنه لم يسبق لها أن اضطرت للوصول إلى حاجز للاحتلال سوى في تلك المرة التي استشهدت فيها .

يقول والدها «كنت أشعر بغضبها ، وكنت أحاول حمايتها ، وعلمت لاحقاً أنها تناقشت مع صديقاتها وأشقائها حول ذلك الحاجز» .

قبل يوم من استشهادها ، حاولت والدتها أن تريها غرفة نومها في المنزل الجديد الذي تشيده العائلة ، لكنها رفضت ، ويقول خالها إن «الجيل بأكمله يتصرف هكذا ، ينسحب من الحياة» .

وكغيرها ، تركت نورا وصية عدّدت فيها أسماء شهداء سقطوا ، وقالت إنها تريد الثأر لهم ، ووقّعت وصيتها باسم «الشهيدة الحية» وقالت فيها إنها قررت أن تبعث برسالة إلى الاحتلال بأنه «لا أمان لليهود على ترابنا» .

وتركت أيضاً رسالة أخرى لزميلاتها في المدرسة طلبت فيها منهن تربية أولادهن «على حب الجهاد» و«الدعاء بأن يقبلني الله شهيدة» .

دارين أبو عيشة

كانت دارين دائمة البحث عن إجابات على تساؤلاتها عن معنى ما يجري . خالها كان يجادلها بعدم مشروعية العمليات الاستشهادية ، وكلما كان يقدم لها حججه ، كانت دارين تجيب بتساؤل إضافي : ألا تطلق علينا النيران كالكلاب؟ هل تشعر بإنسانيتك بينما يتحكم الإسرائيليون بك؟ هل تؤمن حقاً أن لنا مستقبلاً؟ وإذا كنت سأموت بأيديهم بكل الأحوال فلماذا لا

آخذ بعضهم معي؟

يقر خالها الآن أن حججه كانت ضعيفة أمامها، وأن بعض كلماتها كانت أقوى من دفاعاته. فعلت ما أرادت أن تفعله بعدما خبأته داخلها.

الأربعاء في ٢٧ شباط (فبراير) ٢٠٠٢ قادت دارين (٢١ عاماً) سيارة من قريتها بيت وزان إلى حاجز عسكري قرب مستوطنة تحاصر نابلس، وفجرت الحزام الناسف الذي زنّرت به جسدها.

كانت بذلت جهداً كبيراً لتجد من يزوّدها بمتفجرات.

يعمل الباحثون بكد ليفهموا الأسباب التي تدفع شابة مثل دارين، تدرس اللغة الإنكليزية في جامعة النجاح، للبحث طويلاً عمّن يزودها بوسيلة للاستشهاد. أليس في ذلك ما يقول إن وصف المنتحر لا يصح عليها وعلى من مثلها؟

كانت ناشطة في المجلس الطلابي لجامعتها وتميل إلى «حماس» التي رفضت تجنيدها للقيام بمهمة استشهادية، فلجأت إلى «كتائب الأقصى». لكن في جنازتها، كانت الأعلام الفلسطينية ترفرف إلى جانب تنظيمات «حماس» و«الجهاد» و«كتائب الأقصى».

ويقول أقاربها إن العملية الاستشهادية التي نفذها ابن عمها ضد ركاب حافلة إسرائيلية في كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٢، تركت فيها أثراً كبيراً، وكتبت مقالات حول حياته الصعبة، وكيف بدأ العمل وهو في العاشرة من عمره كعامل نفايات، وكيف حاول تربية دجاج لتحسين دخله، وكيف أن الاحتلال وضع حداً لآماله.

ويقول خالها ووالدها إن لحظة الانفجار داخلها وقعت عندما جرحت امرأة حامل برصاص جنود حاجز إسرائيلي قرب نابلس في ٢٥ شباط (فبراير) أي قبل يومين من عمليتها.

تركت دارين وصيتها التي تقول فيها إنها تتخيل العذابات التي تشعر

بها أمهات الشهداء من الرجال والشبان ، وكتبت أن من واجبها سلب جنود الاحتلال أرواحهم مثلما يسلبون أرواحنا .

يقول خالها إنها توقفت منذ فترة طويلة عن الحديث عن المستقبل ، وإنها فقدت القدرة على التركيز على دروسها ، وإنه حثها على «التفاؤل» كواجب ديني وإنساني .

لكن إسرائيل جعلت الحياة مستحيلة ، وابن عمها الشهيد لم يكن يفارقها .

آيات الأخرس

هرولت مسرعة إلى داخل المتجر ، وانفجرت .

آيات الأخرس (١٨ عاماً) من مخيم الدهيشة قرب بيت لحم . وهي أصلاً من غزة لكنها ترعرعت في مخيم اللاجئين . وهي السابعة بين ١١ أخاً وأختاً يقطنون شقة صغيرة في الطابق الثالث في مبنى يقع في أحد أزقة المخيم ، ويرعاهم والدهم محمد ، عامل البناء .

طوال الانتفاضة كانت آيات الأخرس ملتزمة بيومياتها الاعتيادية ، تصحو في السابعة صباحاً ، تمشي نصف ساعة في طريقها إلى مدرستها لمتابعة تحصيلها العلمي ، المتفوقة فيه . كانت تطمح أن تعمل صحافية وتستعد لامتحانات التخرج . تعود عصراً وتباشر أداء أعمال منزلية . في الأول من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ ، أي قبل بدأ انتفاضة الأقصى ، «انخطبت» لشادي أبو لبن ، وهو من المخيم أيضاً ، وكان يفترض أن يتزوجا في آب (أغسطس) ٢٠٠٢ .

كانت تتابع أخبار الانتفاضة ، لم تظهر عليها علامات الغضب أو تنشط في العمل المقاوم ، يقول والدها «كانت طبيعية» ، ويقول شقيقها


آيات الأخرس


عندليب طقاطقة

فتحي «ما كان داخلها ظل داخلها» .

كانت هادئة ، لكنها عبر التلفزيون والإذاعة ، كانت تسمع وتشاهد الأخبار ، شهراً بعد شهر .

قبل يوم من استشهادها ، جلست إلى جانب خطيبها ، وتحدثا كأي عاشقين حول مستقبلهما ، وتخرجها ، وانتقالهما إلى عش الزوجية في الصيف .

في اليوم التالي ، الجمعة ٢٩ آذار (مارس) ، غادرت الأخرس منزلها صباحاً كالمعتاد ، وهو يوم عطلة ، لكن المدرسة فتحت أبوابها لتعويض تلامذتها على ما فاتهم من دروس بسبب الهجمات الإسرائيلية . وبعد انتهاء الدوام ، أبلغت صديقاتها أنها يجب أن تمر على القدس للقيام بمهمة صغيرة .

وقبل الثانية عصراً بقليل ، اقتربت من متجر في حي كريات يوفيل ، وأبلغت سيدتين بدت ملامحهما عربية ضرورة الابتعاد سريعاً ، ثم عبرت إلى المدخل . . وانفجرت .

وفي اليوم نفسه أُذيع شريط مسجل لها قدمت نفسها بأنها «الشهيدة

الحية» التي قررت أن تقدم روحها من أجل فلسطين. ولم تكتف بذلك، ودوت كلماتها من المحيط إلى الخليج وهي توبخ الزعماء والجيوش العربية: «أنا ذاهبة للقتال بدلاً من الجيوش العربية النائمة التي تشاهد نساء فلسطين يحاربن وحدهن. انتفاضة حتى النصر».

وخرج الفلسطينيون إلى شوارع المخيم احتفالاً.

عندليب طقاطقة

«هذا عرسك يا عندليب» هتاف كان النسوة يرددنه خلال تشييع ابنة عائلة خليل طقاطقة، مهنئات بعمليتها في شارع يافا في القدس الغربية في ١٢ نيسان (أبريل) ٢٠٠٢.

احتفلت قرية بيت فجار المجاورة لمدينة بيت لحم بابنتها عندليب (٢٠ عاماً) التي كانت وزعت عليهم الحلوى قبل أيام لمناسبة «سعيدة» سيسمعون بها.

ومثل سابقاتها، لم تطلع أحداً على سرها.

وبعد يومين على رحيلها، بث الشريط - «الوصية» التي أرادتها عندليب مشابهة لوصية آيات الأخرس، مدوية وهي تتحدى الأنظمة العربية وجيوشها. قالت بعفوية شابة في مقتبل عمرها وإنما بحزم «اخترت أن أقول بجسدي ما عجز القادة العرب عن قوله».

جاء المشيّعون بالرغم من حظر التجول. النساء أتين مرتديات أثواباً مميّزة لمنطقة بيت لحم، الأسود المطرز بالأحمر، وهن يرددن أناشيد وطنية. عندليب كانت تحيك الملابس والأثواب في بيت جالا. عائلتها فقيرة فوالدها الذي يعتبرها المفضلة بين أولاده لا يعمل لمرضه. أمها تراها «طيراً في الجنة»، حزينة عليها و«فرحانة» أيضاً، وتقول إنها ملتاعة على المذبحة التي

كانت ترتكب في جنين .

منزلها الإسمنتي الصغير يخالف منازل المنطقة المشيدة من الحجر الصخري ، لكنه مثلها ، تحيط به مستوطنات مقيتة : غوش عتسيون وإفرات وتقوع .

تعد الشاي كل صباح لوالدها ، وتغادر إلى عملها . يصفها الجيران بأنها اجتماعية مرحة . كانت تساهم وتشارك في جمع التبرعات والمساعدات لمتضرري الانتفاضة .

تقول أمها إنها كانت «إنسانة عادية» لكنها دائمة التساؤل عما ينوي الإنسان عمله ، وعما يقول عندما يقدم على الشهادة . لم تكترث لأسئلتها عن الشهادة لأنه بات الحديث اليومي في كل بيت .

وتقول صديقتها ليلى إنها «كانت كأي فتاة في عمرها . كانت تتحدث عن الحب والزواج» .

كثر غيابها عن عملها في بيت جالا في الأسابيع الثلاثة الأخيرة بسبب الإغلاقات التي يفرضها الاحتلال ، وكأنها في معتقل كبير ، كأبناء عمومتها المسجونين ، أو كجدتها التي زجت في السجون الإسرائيلية في العام ١٩٧١ قبل أن تنفى إلى الأردن .

في ذلك الصباح ، قالت إنها ذاهبة إلى عملها ، وإذا بها شهيدة في شارع يافا .

أوجه التشابه بين آيات وريشل

ثمة أوجه شبه شديدة بين الاستشهادية آيات الأخرس وضحيتها . فالفتاة الإسرائيلية ريشل ليفي طالبة في المدرسة الثانوية وكانت تلبس سروالاً من الجينز ولها شعر مسدل تماماً مثل شعر آيات الأخرس .

كانت آيات الأخرس من مخيم الدهيشة قرب بيت لحم تحمل قنبلة ، فيما كانت ريشل التي تسكن في حي مجاور تحمل قائمة بالحاجيات التي تريد الأسرة شراءها لغداء بداية عطلة السبت لدى اليهود .

المسار المختلف لحياتهما تداخل للحظة قاتلة ليعكس النزاع بين شعبيهما . وعلى باب أحد المتاجر فجرت آيات الأخرس العبوة التي كانت تحملها وقتلت نفسها وريشل ليفي وحارس الأمن .

تعرض الرئيس الأميركي جورج بوش إلى موت الشباب والمراهقين

خلال وصفه لفظائع النزاع المتصاعد ، فقد قال إنه «عندما تغرى فلسطينية لا يتعدى عمرها ١٨ عاماً بتفجير نفسها لتقتل فتاة إسرائيلية عمرها ١٧ عاماً ، فإن المستقبل نفسه يموت ، مستقبل الشعب الفلسطيني والشعب الإسرائيلي» .

منظر الفتاتين أثار اهتماماً في القدس وأحدث وخزة للرأي العام الذي فقد الإحساس بفعل ما يزيد على ١٨ شهراً من العنف الطاحن .

آيات الأخرس ابنة لاجئ من قطاع غزة ونشأت في مخيم الدهيشة المكتظ بالسكان الذي يأوي ألف شخص إلى الجنوب من بيت لحم . ويأتي ترتيب آيات السابعة من بين ١١ طفلاً يعيشون في شقة تقع في الطابق الثالث من بناية في أحد شوارع المخيم الضيقة .

رغم أشهر العنف والاضطراب على الـ١٨ الأشهر الماضية ، ظلت آيات الأخرس ، حسب شهادة أقاربها ، تؤدي برنامجها اليومي بصورة روتينية . فهي تخرج صباحاً من البيت يومياً الساعة السابعة صباحاً وتذهب إلى المدرسة مشياً على مدى نصف ساعة تقريباً في قرية آرتاس المجاورة . ولدى عودتها من المدرسة بعد الظهر تعمل بنشاط في أداء الواجبات المدرسية وأعمال البيت من طبخ وكي وغسيل . يقول والدها محمد الأخرس ، الذي يعمل في مجال التشييد ، إن آيات تعتبر من الطالبات المتميزات في مستواها الأكاديمي وتحضير للحصول على الشهادة الإعدادية وترغب في دراسة الصحافة في جامعة بالضفة الغربية . أما شقيقها فتحي الأخرس ، فيقول إنها كانت تذاكر دروسها وتؤدي واجباتها المدرسية معظم الوقت . وفي أول أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠٠ خطبت آيات إلى شادي أبو لبن الذي يعمل في مجال التشييد والبناء أيضاً ، وكان من المقرر أن يتزوجا في أب (أغسطس) المقبل .

كانت ليفي تعد أيضاً لامتحانات التخرج ، تخصصت في التصوير

وأكملت في الآونة الأخيرة مشروعاً في التصوير موضوعه الماء والشلالات والبرك .

اهتمام ريشل ليفي الأول هو التمرينات الرياضية التي تمارسها يومياً في ناد محلي أو في غرفة المعيشة مستخدمة شريط فيديو لجين فوندا من عام ١٩٨٥ اشترته والدتها .

تقول أمها ، أفيغيل ليفي ، إن تمرينات اللياقة كان الاهتمام الأول والرئيسي لريشل ، لأن مظهرها كان مهماً لديها .

ترتيب ريشل هو الثاني من بين ثلاثة أطفال ، وكانت قد ولدت في إسرائيل لكنها قضت أول تسع سنوات من عمرها في كاليفورنيا ، حيث كان والداها يعيشان قبل عودتهما إلى إسرائيل . ظلت ريشل تتحدث اللغة الإنجليزية حتى بعد عودة والديها إلى إسرائيل . انفصل والداها وترك شقيقها الأكبر البيت وظلت تعيش ريشل مع والدتها وشقيقتها التي تصغرها سناً .

ومع تزايد العنف بين الفلسطينيين والإسرائيليين على نحو منتظم خلال العام الماضي ، ويقول أقرباؤها إن آيات الأخرس لم تظهر أي علامات غضب أو تشدد ، عادة ما تشاهد الأخبار على شاشة التلفزيون وأجهزة الراديو ، إذ شاهدت آثار القصف وتوغل القوات الإسرائيلية ، لكنها لم تبد أي مؤشر على أنها ستصل إلى اليأس وتدبير عمل انتقامي . ريشل ليفي رفضت من جانبها السماح للهجمات الانتحارية أن تغير حياتها وظلت تصر على الذهاب مع صديقاتها إلى وسط المدينة رغم توسلات والدتها التي تؤكد أنها لم تكن خائفة على الإطلاق .

قالت ريشل لوالدتها يوم الجمعة إنها تريد أن تأكل سمكاً بدلاً من الدجاج ، الذي اعتادوا على أكله مساء الجمعة ، وحضرت الأم قائمة بالحاجيات التي من المفترض أن تأتي بها ريشل من المتجر الواقع في أسفل البناية ، إلاّ أن بعض الحاجيات لا تتوفر إلاّ في بقالة كبيرة في الحي . لم يراود

تفكير الأم أو الابنة أن المتجر الذي ستذهب إليه سيكون فخاً للموت .

وفي مخيم الدهيشة تركت آيات بيتها كالعادة متوجهة إلى المدرسة يوم الجمعة الذي يعتبر في الأساس عطلة أسبوعية ، إلا أن إدارة المدرسة قررت تقديم بعض الدروس في ذلك اليوم للتعويض عن بعض التأخير الذي حدث بسبب توغل إسرائيلي قبل بضعة أسابيع . وقال زملاء آيات إنها تحدثت عن مهمة قصيرة لها في القدس .

توجّهت ريشل إلى المتجر في حي كريات يوفيل قبل بضع دقائق من الساعة الثانية بعد الظهر ، كما كانت آيات في طريقها إلى مدخل المتجر نفسه ، وتقدمتا باتجاه المدخل إلا أن الحارس أوقف آيات لإجراء تفتيش ثم حدث الانفجار .

تركت آيات الأخرس شريط فيديو وهي تضع غطاء على رأسها وأعلنت أنها «شهيدة حية جاهزة للموت من أجل فلسطين» .

لم يكن أمام ريشل فرصة للوداع ، بيد أن أمها اكتشفت بعض التأملات التي كتبتها في مفكرة حول «الحب والموت وما سيأتي بعد الموت» .







جنين.. الفداء والتضحية

صفحة جديدة من صفحات الفداء والتضحية سطّرها أبناء شعبنا في مخيم جنين الباسل عندما تصدّوا لطائرات ودبابات العدو الصهيوني الغاشم.

تضحيات عظيمة بذلها المناضلون الأباة بصمودهم الأسطوري وإصرارهم العنيد على التشبث بالأرض والوطن، وهم يواجهون هجمات العدو الصهيوني البربرية لكسر إرادتهم، إرادة شعبنا وفرض الاستسلام عليه.

ملحمة بطولية جديدة خاضها الأبطال المقاومون في مخيم جنين بلحمهم الحي ودمائهم الزكية من أجل القضية.

جنين.. الملحمة الوطنية

ملحمة وطنية تاريخية تقول للأمة جمعاء لا تضعفوا ولا تهنوا ولا تحزنوا ، لا تجزعوا من صور التهديم والجرائم والمجازر والحرائق التي حملتها إليكم كاميرات الفضائيات ، فكل هذه الجرائم زادتنا إصراراً وعناداً ، عزيمة ومضاء ، إرادةً وثباتاً ، إيماناً لا يتزعزع . إن أحلك أوقات الليل البهيم هي التي تسبق بزوغ الفجر ، وفجر النصر وإشراقته آتيان لا ريب فيهما .

وبعد . . فاليوم يواصل شعبنا الفلسطيني المناضل تصديه لحرب الإبادة البربرية ، التي يشنها العدو الصهيوني مستخدماً كل صنوف الأسلحة البرية والجوية التي تزوده بها الولايات المتحدة الأميركية ، ساعياً لبسط السيطرة والنفوذ وإدامة الاحتلال ، وهادفاً لضرب المشروع الوطني الفلسطيني عبر تصفية الكوادر المقاومة المناضلة ، واعتقال أكبر عدد منهم ،

وجمع ما يستطيع من أسلحة ، من أجل إطفاء شعلة المقاومة وكسر إرادة الشعب ، ويستحضر العدو الصهيوني ، في حربه الهمجية هذه ، أهدافه التي سعى إلى تحقيقها منذ أكثر من مائة عام ، ألا وهي تهجير الشعب الفلسطيني من وطنه وتهويد فلسطين كل فلسطين أملاً بإلغاء فلسطين الجغرافيا والتاريخ والشعب والقضية من حلبة الواقع وحقل الوعي ، لأن مجرد وجوده أمر يقض مضاجعه . فكيف يستقيم الأمر لهم ، وهذا الشعب الفلسطيني يواصل صموده وعناده ومقاومته الرائعة في مواجهة المشروع المعادي منذ ما يزيد عن مائة عام ، ينسج بدمه وانتفاضته وثوراته المتعاقبة ملحمة التشبث بالأرض والانتماء إلى أمة خالدة وتاريخ وضّاء . . . وهو ذاته الذي يواصل انتفاضته (الملحمة الجديدة) منذ أكثر من ثمانية عشر شهراً ، ويرسم في مواجهة حرب الإبادة الراهنة بدم أبنائه الطاهر حدود الوطن والخطوط الحمر التي تسيّج فلسطين ، وثوابتنا الوطنية التي لا يسمح بتجاوزها أو الافتئات عليها ، ومن يفعل ذلك فهو خارج الشعب ولا يعبر عن إرادته ولا طموحاته الوطنية .

والحقيقة أن قراءة سريعة لمقدمات حرب الإبادة الراهنة تؤكد شراكة أميركا في هذا العدوان ، حيث جاء بعد فشل جولة تشيني من أجل تهيئة الأجواء لتوجيه ضربة أميركية ضد العراق الشقيق ، ، مما دفع الأميركان إلى الوصول إلى استخلاص مفاده أنه لا إمكانية لمواصلة المخطط ضد العراق باشتعال الانتفاضة ، وكان معنياً بإطفائها سياسياً من خلال طروحات أمنية الجنرال أنطوني زيني ، الذي كان في فلسطين المحتلة في الوقت نفسه الذي كان فيه تشيني في المنطقة ، وبعد أن فشل زيني أيضاً في إنهاء الانتفاضة بفعل الواقع المتبلور على الأرض وتجذر مقاومة شعب فلسطين ، لم يكن أمام الولايات المتحدة إلاّ خيار الحرب المعلنة ، ضد الشعب الفلسطيني لإخضاعه وتركيعه .

تحطيم «السور الواقي الصهيوني»

مع تصعيد العدو الصهيوني لحربه الشاملة ضد الشعب الفلسطيني في الوطن المحتل، والتي تفوق في وحشيتها وفظائعها جرائم النازية ونظام الأبارتايد السابق في جنوب إفريقية، تبدأ مرحلة جديدة مفتوحة على أخطر الاحتمالات، ليس فقط لفلسطين وقضيتها بل كذلك للمنطقة بكاملها، فمنذ بدء عملية إعادة احتلال مناطق الحكم الذاتي في الضفة الغربية التي يطلق عليها الصهاينة اسم عملية (جهنم) أو «السور الواقي» والتي حشدوا لها كل قوتهم العسكرية من الجيش النظامي وقوات الاحتياط، وقطعان المستوطنين ومئات الدبابات والجنزرات والطائرات والحوامات القتالية، جرى بالإضافة إلى احتلال المدن الفلسطينية الرئيسية اجتياح أكثر من ٣٠ بلدة وقرية ومخيماً، اقترفت فيها قوات الاحتلال أبشع الجرائم من مجازر أسفرت عن مئات الشهداء وعدد لا يحصى من الجرحى وتدمير وإحراق

لمئات المنازل والمرافق ومؤسسات البنية التحتية ، وانتهاك لحرمة المقدسات الإسلامية والمسيحية ، هذا في الوقت الذي أعلن فيه السفاح المجرم شارون أن العمليات العسكرية لإعادة احتلال كامل مناطق الحكم الإداري الذاتي في الضفة والقطاع سوف تستمر لمدة طويلة ، ولن تتوقّف إلا بعد إتمام المهمة المخطط لها مسبقاً ، والتي قال : إنّها استئصال شأفة المقاومة دون رحمة وتصفية بنيتها التحتية ، ومؤسساتها كافة ، وعدم الإبقاء فيها حجراً على حجر حسب تعبيره ، واعتقال جميع من شاركوا في عمليات المقاومة ، أو وقفوا وراء هذه العمليات ، وتقويض السلطة الفلسطينية وتجريد شرطتها وأجهزتها الأمنية من أسلحتها .

كماشة الحصار والعجز

إن المقاومين الفلسطينيين الذين تصدوا ويتصدون للوحش الصهيوني بصمود أسطوري ، وبسالة منقطعة النظير ، يدركون أنهم مع إمكانياتهم المحدودة محاصرون بآلة الحرب الصهيونية العاتية ، والعجز العربي ، لكن عليهم وهم يخوضون معركة الأمة العربية كلها ضد العدو الصهيوني ومخططاته العدوانية التوسعية ، أن يصونوا شرف وكبرياء أمتهم وشعبهم ، وأن لا يتركوا جحافل الهمجي تمر دون مقاومة مهما بلغت التضحيات ، وأن يدركوا مصداقية خيارهم للمقاومة كسبيل لا بديل عنه لاستعادة الأرض والحقوق المغتصبة ، ودحر الاحتلال ، ويقدموا دماءهم وأرواحهم قرباناً لفلسطين ، ويواصلوا تراث النضال الفلسطيني المتواصل منذ أكثر من قرن من الزمان ، ويضيفوا إليه صفحات جديدة مشرقة ، وأن يكونوا كزيتون فلسطين المتجذر عميقاً في ترابها ، وعندما يموت يموت واقفاً ، وهكذا كان إعجاز ملاحم المقاومة الفلسطينية البطولية في مخيم جنين وفي حي القصبة

في نابلس وغيرها من ساحات المواجهة .

فحول مخيم جنين الذي لا تزيد مساحته عن كيلومتر مربع واحد ، ولا يتجاوز عدد سكانه أكثر من ١٥ ألفاً ، حشد العدو الصهيوني له أكثر من ١٥٠ دبابة تساندها المروحيات القتالية ، ووقفت قوات الاحتلال من الوحدات ، التي يصفونها بالوحدات القتالية المختارة ،عاجزة عن دخول المخيم رغم قصفه المتواصل من البر والجو ، وتدمير وإحراق معظم منازله ، ولم تستطع اقتحامه طوال أسبوع ، إلا بعد أن نفذت ذخيرة المقاومين ، الذين ألحقوا بقوات الاحتلال خسائر كبيرة بلغت ٢٣ قتيلاً وعشرات الجرحى ، وفي معركة الشرف الخالدة هذه بلغ عدد الشهداء من المقاومين وسكان المخيم حسب تقارير المصادر العسكرية الصهيونية أكثر من ٣٥٠ شهيداً ، بينما تقدّرهم المصادر الفلسطينية بنحو ٤٠٠ شهيد ، وبعد اقتحام قوات الاحتلال للمخيم البطل قامت بتشريد من تبقى من سكانه الذين تفرقوا في عدد من القرى والبلدات المجاورة .

وتكرّر الإعجاز البطولي للمقاومين الفلسطينيين في حي القصبة في نابلس ، حيث استشهد أكثر من ٧٥ مناضلاً ، وتقدر المصادر الفلسطينية عدد الشهداء خلال عملية إعادة الاحتلال للمدن والقرى الفلسطينية في أسبوعين بأكثر من ٥٠٠ شهيد ، كما أعلنت قوات الاحتلال أنها اعتقلت أكثر من أربعة آلاف مواطن فلسطيني بينهم أكثر من ٩٠ من المقاومين الذين يوصفون بالمطلوبين .

وتأكيداً لفشل العدو الصهيوني ، مهما بلغت ضراوته في النيل من إرادة وروح المقاومة ، تمّ منذ بدء عمليات احتلال مناطق الحكم الإداري في الضفة الغربية ، تنفيذ سبع عمليات استشهادية أسفرت عن مصرع نحو ٦٠ صهيونياً وجرح أكثر من ٣٠٠ آخرين ، وقد نفذ عملية الحافلة الصهيونية قرب حيفا ، وعملية شارع يافا في القدس المحتلة ، شاب وفتاة من سكان

مخيم جنين ، وعلى مدى أسبوعين شن مجاهدو حزب الله الأبطال سلسلة عمليات يومية ضد مواقع قوات الاحتلال في مزارع شبعا نصرة منهم لمقاومي فلسطين في مواجهة العدو ، وتمكنوا في إحدى هذه العمليات من اكتساح أحد المواقع العسكرية الصهيونية ورفع علم المقاومة عليه ، وأهدوا العملية للمقاومة الفلسطينية في حي القصبة ، ونابلس ، وجنين .

الاستخفاف الصهيوني

واستناداً إلى التواطؤ والدعم الأميركي يبدي الصهاينة استخفافاً واضحاً بموجات الشجب والإدانة العالمية لجرائمهم ، وعدم اكتراث بالضغوط التي يتعرضون لها ، ويرفضون الاستجابة للضغوط والمطالب بوقف العمليات العسكرية والانسحاب من المدن والبلدات التي أعادوا احتلالها . وقد أعلن السفاح المجرم شارون رفضه لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ وقال : إن الكيان الصهيوني في حالة حرب ، لن تتوقف أبداً إلاَّ بعد تحقيق مهمتها . كما أعلن أن قوات الاحتلال لن تنسحب من المدن التي أعادت احتلالها إلاَّ بعد أن يتم إلقاء القبض على نحو ألف مقاوم في هذه المدن ما زالوا طليقين ، والاستيلاء على الأسلحة الكثيرة التي لا تزال بحوزتهم . كما رفض شارون إنهاء الحصار المفروض على ياسر عرفات في رام الله إلى أن يتم تسليم أمين عام الجبهة الشعبية أحمد سعدات ورفاقه الأربعة الذين شاركوا في عملية إعدام وزير البيئة الصهيوني رحبعام زئيفي ، وفؤاد الشوبكي الذي يقولون إنه المسؤول عن تنظيم وتمويل عملية تهريب الأسلحة على السفينة كارين أي . كذلك رفض الصهاينة مناشدات الفاتيكان وهيئات مسيحية مختلفة بإنهاء الحصار المفروض على كنيسة المهد في بيت لحم حيث يعتصم نحو ٢٠٠ مواطن فلسطيني يصر الصهاينة على

استسلامهم وإلقاء القبض عليهم ، ويهدّدون باقتحام الكنيسة ، وقد أعلن كل من رئيس الأركان وقائد سلاح الجو الصهيوني أن جيش الاحتلال بحاجة إلى فترة أربعة أسابيع أخرى لمواصلة عملياته في الضفة الغربية .

وأشارت المصادر الصهيونية إلى أن خطة العدوان الصهيوني على الضفة تتضمن ثلاث مراحل ، تم في الأولى منها إعادة احتلال المدن الرئيسية ، وبدأت المرحلة الثانية باحتلال عدد من البلدات والمخيمات ، أمّا المرحلة الثالثة فهي إقامة مناطق عازلة وحفر خنادق للفصل بين الضفة الغربية وفلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، كما أعلن رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية في جيش الاحتلال بأنّ عمليات مماثلة سوف تبدأ قريباً في قطاع غزة .

هذا وقد بات واضحاً للعيان من خلال مجريات الأحداث وتصريحات المسؤولين الأميركيين أن الولايات المتحدة كانت منذ البداية شريكاً للكيان الصهيوني في العدوان على الشعب الفلسطيني ، وقد تجلى الدعم الأميركي السافر للعدوان من خلال تكرار الرئيس الأميركي بوش وأركان إدارته الحديث عن تفهم واشنطن لقيام الكيان الصهيوني بالدفاع عن نفسه وحماية أمنه ، وتحميل المسؤولية عما يجري في الوطن الفلسطيني المحتل لرئيس السلطة الفلسطينية المحاصر داخل مقره في مدينة رام الله ، ومطالبتهم له بأن يصدر بياناً يشجب فيه الأعمال (الإرهابية) . ومع أن الولايات المتحدة صوتت إلى جانب قرار مجلس الأمن رقم ١٤٠٢ ، بعد أن تمّ إدخال تعديلات عليه تساوي بين الضحية والمعتدي ، تربط الانسحاب من المدن الفلسطينية التي احتلها الصهاينة بوقف إطلاق النار ، فإنّ الرئيس الأميركي ظل في تصريحاته (خلال الأسبوع الأول من عملية إعادة احتلال مناطق الحكم الإداري الذاتي) لا يتطرق إلى مسألة الانسحاب ويكتفي بمطالبة الطرفين معاً بوقف أعمال العنف . وعندما قررت الولايات المتحدة

التدخل ظلت تتحدث عن الانسحاب بصيغ وعبارات ملتبسة يمكن إعطاء تفسيرات مختلفة لها ، كما ماطلت في إيفاد وزير خارجيتها كولن باول إلى فلسطين بهدف الإفساح في المجال وإعطاء المزيد من الوقت لقوات الاحتلال لتنفيذ أقصى قدر من مخطط العدوان . كذلك هددت الولايات المتحدة باستخدام الفيتو في مجلس الأمن ضد أي قرار يدين الكيان الصهيوني ويلزمه الانسحاب ووقف العدوان ، بمقتضى المادة السابعة من ميثاق الأمم المتحدة التي تلزم مجلس الأمن بالتدخل بالقوة لفرض الإلتزام بقراراته ، في الأحوال التي يتعرض فيها السلام العالمي للخطر ، وحين أعلن شارون رفضه وعدم استجابته لما وصف بالضغوط الأميركية لوقف عمليات جيش الاحتلال ، أعلن الناطق بلسان البيت الأبيض يوم ١١/ ٤/ ٢٠٠٢ أن الرئيس الأميركي بوش لا يملك عصا سحرية ليتمكن من حمل الكيان الصهيوني على الانسحاب من المواقع التي جرى احتلالها بين عشية وضحاها ، وأن الإدارة الأميركية لا تشعر بأي حرج من عدم استجابة شارون لمطالبها .

سطحية خلافات بوش وشارون

كما أن تدخل الولايات المتحدة وقرارها إيفاد وزير خارجيتها إلى فلسطين المحتلة ، جاء نتيجة الضغوط الدولية وبهدف محاولة احتواء هذه الضغوط وموجات الشجب والإدانة العالمية المتزايدة للكيان الصهيوني وجرائمه والتواطؤ الأميركي ، وكذلك من أجل تخفيف حرج الأنظمة العربية التي توصف بأنها صديقة الولايات المتحدة ، وتحسباً من انعكاسات وتداعيات غضب الجماهير العربية التي خرجت تتظاهر في مختلف أنحاء الوطن العربي تأييداً للانتفاضة الفلسطينية ، وهذا ما عبر عنه وزير الخارجية

الأميركي كولن باول بقوله : إن ما يجري في الأراضي الفلسطينية يثير مشاكل استراتيجية ومن شأنه أن يضر المصالح الأميركية في المنطقة على المدى البعيد .

أمّا بشأن ما يروج عن خلافات بين الإدارة الأميركية وحكومة شارون ، فهي إن وجدت فهي خلافات سطحية من قبيل خلافات أهل البيت الواحد ، ويستهدف الحديث عنها توسيع هوامش المناورة لطرفي التحالف الأميركي - الصهيوني ، بحيث تمكنت الولايات المتحدة من توظيف عدوانية وتفنن الصهاينة في استدراج التنازلات من الأطراف العربية ، وتحت تغطية الترويج الدعائي عن هذه الخلافات يجري التنسيق بين طرفي التحالف ، وفقاً لمقولة التنسيق من خلال اختلاف المواقف .

ويستدل من تصريحات وزير الخارجية الأميركي كولن باول أن مهمته في فلسطين المحتلة سوف تتمحور حول محاولة لتمرير ما جاء في وصف من الورقة التوفيقية التي سبق للمبعوث الأميركي أن أعدها حول وقف إطلاق النار والجدول الزمني لتنفيذ توصيات ميتشيل وخطة تينيت الأمنية ، وهي الورقة التي سبق للسلطة الفلسطينية أن رفضتها ، مقابل وعود بالتوجه بعد ذلك نحو حل سياسي على أساس إقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة إلى جانب الكيان الصهيوني على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ، مع العلم أن الولايات المتحدة والكيان الصهيوني يفسران ما جاء في القرار ٢٤٢ حول الانسحاب بأنه لا يعني الانسحاب من جميع الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بل من أراض احتلت آنذاك ، كما أعلن كولن باول عن استعداد الولايات المتحدة لإرسال مراقبين أميركيين لمراقبة تنفيذ وقف إطلاق النار وخطة تينيت .



سيناريو السيّىء والأسوأ

وكما سبقت الإشارة، فإن ما يجري في فلسطين، فتح في المجال أمام مرحلة جديدة محفوفة بالمخاطر، وكما قال الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى فإن الأمور تسير من سيىء إلى أسوأ، والمنطقة الآن على قمة جبل الجليد، وما خفي أعظم. فالكيان الصهيوني، في ظل نظام عالم القطب الواحد ويحكم علاقته العضوية بهذا القطب الأميركي ودوره في إطار استراتيجية مواقع القوة والهيمنة التي تتبناها الولايات المتحدة الأميركية إزاء منطقتنا، أصبح أكثر خطراً وتطلعاً للتوسع على حساب محيطه العربي، مَما كان عليه في عهد عالم القطبين وتوازن الرعب الذي كان قائماً بينهما، في حقبة الحرب الباردة، الأمر الذي يتطلب من الأنظمة العربية الاستجابة لنبض شعوبها وإلى الرسالة الواضحة المتمثلة فيما طرحته مسيرات الغضب الجماهيري استنكاراً للعدوان الصهيوني - الأميركي ودعماً وتأييداً لنضال الشعب الفلسطيني.

لقد احترقت في لهيب المواجهات بين المقاومين الفلسطينيين وقوات الاحتلال كل الاتفاقات التي وقّعها بعض العرب مع هذا الكيان الغاصب القائم على العدوان وعلى إهدار ونفي حقوق الشعب الفلسطيني . وعلى الأنظمة العربية أن تخرج من شرنقة خيار السلام كخط استراتيجي ، وإذا كانت الظروف الحالية تطلب استخدامها للمناورة في المحافل الدولية والاتصالات الدبلوماسية ، فيجب أن تقترن باستراتيجية أخرى لمواجهة التحديات والمخاطر المحدقة بالأمة العربية وتوفير متطلبات مساندة النضال الفلسطيني ، وتأمين قاعدة أو قواعد إسناد للمقاومين الفلسطينيين ، والعمل الجاد والإعداد لحسم الصراع العربي مع المشروع الصهيوني لصالح الأمة العربية .

مدينة جنين في سطور

تقوم مدينة جنين في شمالي الضفة الغربية على البقعة التي كانت تقوم عليها مدينة (عين جنيم) العربية الكنعانية ، وتعني «عين الجنائن» . . لذلك سميت بهذا الاسم بسبب الجنائن التي تحيط بها . وفي عهد الرومان كانت في بقعتها قرية ذكرت باسم «جيناي» من قرى سبسطية ، فتحها العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي وعُرفت بهذا الاسم (جنين) حتى يومنا هذا .

ومدينة جنين هي مركز محافظة جنين ، وتعتبر حلقة وصل بين طرق المواصلات القادمة من نابلس – العفولة وبيسان ونقطة مواصلات الطرق المتجهة إلى حيفا – الناصرة – نابلس والقدس .

وتقع إلى الشمال من مدينة نابلس ، وتبعد عنها ٤١ كيلومتراً ، وترتفع ٢٥٠ متراً عن سطح البحر .

بلغ عدد سكان جنين في عام ١٩٢٢ (٢٦٣٧) نسمة ،
وعام ١٩٤٥ (٣٩٩٠) نسمة ، وعام ١٩٦١ (١٤٤٠٢) نسمة ،
وعام ١٩٦٧ (١٣٣٦٥) نسمة ، بمن فيهم سكان مخيم جنين ،
وعام ١٩٨٧ (١٧٥٣٤) نسمة ، وعام ١٩٩٦ ، ووفقاً للإحصاء الفلسطيني ، بلغوا (٢٣٨٠٢) نسمة ، ويلغ عدد سكان مخيم جنين (٩٠٦٢) نسمة .

كانت جنين تضمّ قبل نكبة ١٩٤٨ حوالى ٧٠ قرية كبيرة وصغيرة ، وبعد النكبة اقتصرت على ١٩ قرية ، بعد اغتصاب مساحة كبيرة من أرضها . وتتبع مدينة جنين ٤ بلديات (يعبد ، سيلة الظهر ، عرابة ، قباطية) .

خاضت جنين بمدنها وقراها معركة الدفاع عن الوجود ضد المنظمات الصهيونية المسلحة ، التي استولت في أواخر أيار (مايو) ١٩٤٨ على قرى زرعين ، والمزار ، ونورس ، وصندلة ، والجملة ، والمقيبلة ، وفقوعة ، وعرانة ، وحاولت الاستيلاء على مدينة جنين حيث تم تطويقها في ٣ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ وكان عدد الصهاينة ٤ آلاف مقاتل ، فاستولوا على معظم أحياء المدينة ، وتحصن المجاهدون في عمارة الشرطة في المدخل الغربي لجنين ، حتى وصلت نجدة إلى المحاصرين قوامها ٥٠٠ جندي عراقي بقيادة عمر علي وحوالى ١٠٠ مجاهد فلسطيني من القرى المجاورة .

وبعد معارك دامية في خارج البلدة وفي شوارعها وأزقتها اندحر الصهاينة ، وتطهّرت المدينة منهم في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، وبقيت تحت الحكم الأردني حتى احتلالها عام ١٩٦٧ .

من المعالم التاريخية في جنين وجوارها المسجد الكبير : أقامته السيدة فاطمة خاتون ، ابنة محمد بك السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري ، والجامع الصغير ، وخربة عابة : شرق جنين ، تحتوي على قرية مهدمة ، وصهاريج منقورة في الصخر ، وقبر منقور في الصخر فيه نواويس .

مخيم جنين.. كومونة الحرب بين العودة والعودة

الصمود الأسطوري الذي سطره المدافعون الفلسطينيون في القتال ضد قوات الاحتلال، وصد هجماتها على المخيمات في مناطق رام الله ونابلس وجنين وبيت لحم، أعاد إلى الأذهان الصمود ذاته الذي كتبته مخيمات غزة في السنوات الأولى من احتلال عام ١٩٦٧، ومخيمات الشتات الفلسطيني عبر المسيرة المعاصرة للثورة الفلسطينية منذ عام ١٩٦٥.

وأيقظ مخيم جنين في الذاكرة الحية شريطاً طويلاً من التراجيديا الفلسطينية التي تكررت عبر صمود وبقاء، مقاومة واستمرارية، بالرغم من التداعيات التي أصابت كل مرحلة من مراحل النهوض الفلسطيني خلال العقود الأخيرة. وهكذا تحوّل مخيم جنين إلى علامة مضيئة في سماء فلسطين، وانغرس في الوعي الجمعي لجيل جديد يشق دروبه نحو الحياة

تحت الشمس .

إن مخيم جنين الذي تحوّل إلى برميل بارود بوجه الاحتلال يلخص مرة ثانية حجم القضية الفلسطينية ، ويعيد مرة ومرة إلى الصدارة قضية اللاجئين وحق العودة .

وعليه ، لعل في الاستهداف الإسرائيلي المباشر والتركيز على المخيمات أكثر من معنى سياسي ، يتعداه نحو مبتغى آخر تريد من خلاله الدولة العبرية ممارسة الشطب التدريجي للوجود المادي والمعنوي للمخيم الفلسطيني ، وإنهاء التربة الخصبة المنتجة للكوادر الفلسطينية الفاعلة في صفوف حركة المقاومة المناهضة للاحتلال ، والتسوية المنقوصة الجارية منذ سنوات .

تركيز قوات الاحتلال على المخيمات لا يقلّل من حجم العدوان الإسرائيلي على باقي البلدات والمدن والقرى الفلسطينية ، إلاّ أن المخيمات المكتظة باللاجئين الفلسطينيين المقيمين بالقرب من موطنهم الأصلي ، يجعل من الحالة الكفاحية ، والاستعداد للعطاء ، حالة متقدة وخصوصاً في ظل تسوية مختلة تجاهلت قضية اللاجئين وحقهم في العودة وفق القرار الدولي ١٩٤ الصادر عام ١٩٤٩ .

وخلال الأيام الأولى للعدوان الإسرائيلي الواسع الذي سطر به شارون جوابه السياسي - المادي على قمة بيروت العربية منذ صباح (٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢) شكلت مخيمات منطقة بيت لحم ورام الله العنوان الأول للتصعيد العسكري العدواني الإسرائيلي ، فبدأت قوات الاحتلال اجتياحها لمدينة رام الله بعد قصف وحصار مخيم الأمعري ، الأمر الذي تكرّر في منطقة بيت لحم حيث مخيمات : الدهيشة ، العزة ، قدورة ، عين بيت الماء .

ما جرى في محيط ومداخل مخيم جنين ، والعدوان الفاشي الإسرائيلي الذي فاق كل تصوّر ، يؤشر على مدى القلق والأرق الذي يقض

مضاجع الاحتلال من وجود المخيم الفلسطيني ذاته أينما كان ، وخصوصاً داخل الأراضي الفلسطينية . وليس مصادفة أن نلحظ تزاحم الأفكار والمشاريع والاقتراحات التي قدمت منذ سنوات لإنهاء صيغة المخيم الفلسطيني .

يقع مخيم جنين في الزاوية الشمالية الغربية لمدينة جنين القسام ضمن مساحة ضيقة لا تتجاوز نصف كيلومتر مربع واحد ، كانت وكالة الاونروا قد أنشأته بعيد تأسيسها عام ١٩٥١ من تجمّعات مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الذين قدموا من جنوب وغرب مدينة حيفا . وهكذا فإن سكان مخيم جنين البالغ عددهم قرابة ١٦ ألف نسمة ينتمون طبقياً إلى شريحة أفقية مسحوقة ذات أصول فلاحية ، وتبلغ نسبة العسر الشديد بين عائلات المخيم ، وهي العائلات التي تتلقى المساعدات المعيشية اليومية من وكالة الاونروا ، نسبة ٥,٥ في المائة وفق معطيات الوكالة لعام ٢٠٠١ .

بينما لجأت أعداد إضافية منهم عام النكبة إلى شرق الأردن ، وسورية ، وعدد أقل إلى بغداد ، ويقيم باقي سكان القرى المذكورة في مخيم طولكرم (مخيم نور شمس) . وتشرف على مخيم جنين وكالة الاونروا وفق برنامج خدماتها التعليمية والصحية والاجتماعية ، حيث يوجد ست مدارس للاونروا من أصل ٩٥ مدرسة تابعة لها في الضفة الفلسطينية ، كما يوجد داخل المخيم مراكز صحية ومركز للإغاثة الاجتماعية .

مخيم جنين الشوكة الفلسطينية في حلق شارون وموفاز والاحتلال الإسرائيلي ، والوردة التي نشرت عطرها الفوّاح على مسار ودرب الشعب الفلسطيني ، قدّم خلال انتفاضة الاستقلال الراهنة أكثر من ٣٠ فدائياً نفذوا عمليات نوعية فوق الأرض المحتلة عام ١٩٦٧ ، وداخل عمق فلسطين عام ١٩٤٨ ، فاعتبرته قوات الاحتلال بمثابة المصنع المنتج ، ومعمل تفريخ الاستشهاديين ، ممّا حدا بقدة أجهزة مخابرات العدو لاعتبار مدينة رام الله

بمثابة مركز القيادات السياسية الأولى ، ونابلس مدينة تصنيع وتجهيز العبوات ، ومخيمي طولكرم وجنين منبت الاستشهاديين ، وآخر هؤلاء الاستشهاديين شادي زكريا الطوباسي منفذ عملية حيفا (٢٦/ ٣/ ٢٠٠٢) وقيس عدوان الذي استشهد في طوباس يوم (٦/ ٤/ ٢٠٠٢) .

مخيم جنين يستحق أكثر من تخليد ، وشهداؤه الأبطال الذين فاقت أعدادهم في العدوان الأخير أكثر من مائة شهيد حتى مساء (٧/ ٤/ ٢٠٠٢) حسب معطيات مستشفى جنين ، يدخل بقوة إلى السجل المضيء لمسار ومسيرة الشعب الفلسطيني .

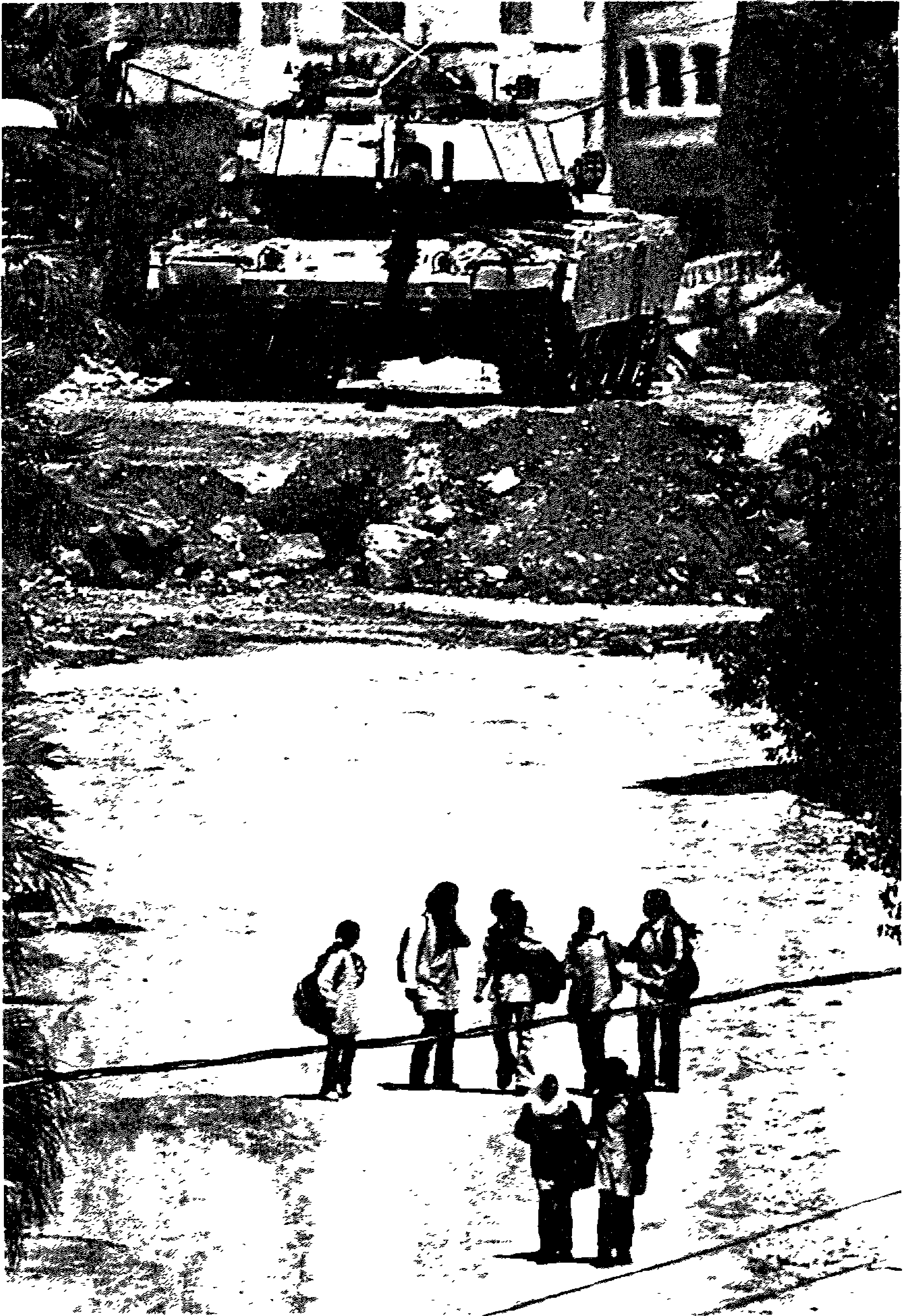
وكما بقي يضم أبناء اللاجئين ذوي الانتماءات الطبقية شبه المسحوقة حيث أغلبية سكانه هم قرويون فلاحون أساساً ، قبل أن يفقدوا أرضهم ، يضم أيضاً أعداداً وفيرة من المناضلين المنتمين إلى صفوف قوى منظمة التحرير الفلسطينية (حركة فتح ، الجبهة الديمقراطية ، الجبهة الشعبية) والتيار الإسلامي من حركتي حماس والجهاد . وسقط أخيراً الشهيد زياد زبيدي قائد كتائب الأقصى / الجناح العسكري لحركة فتح في المخيم ، والشهيد مصطفى الشلبي قائد كتائب المقاومة الوطنية الفلسطينية/ الجناح العسكري للجبهة الديمقراطية في المخيم ، بينما أصيب المناضل جمال أبو الهيجاء قائد كتائب عز الدين القسام .

مخيم جنين بوجوه أبنائه البرونزية المعتقة تحت شمس فلسطين كتعتيق الفضة بالنحاس «كومونة العرب» التي تعانق السماء ، «وصنع بشبابه وشاباته المسلحين بأسلحة فردية دروساً لحروب الاستنزاف الوطنية ضد عدو طاغية مسلح بأرقى صرعات تكنولوجيا السلاح في العالم ، فتعاهد جميع أبنائه على الصمود حتى الرمق الأخير» (رائد عباس مقاتل من الجبهة الديمقراطية في تصريح لوكالة الصحافة الفرنسية صباح ٨/ ٤/ ٢٠٠٢) . وعاجلت قوات الاحتلال بعد تصريح الفدائي رائد عباس بإطلاق ثلاثة

صواريخ من حوامات الأباتشي على منزله وسط مخيم جنين ظهر يوم ٩/ ٤/ ٢٠٠٢ .

لقد فشل جيش الاحتلال في اقتحام مخيم جنين حتى صباح ٩/ ٤/ ٢٠٠٢ وسقط له أربعة عشر جندياً في الصباح ذاته ، وأصبحت مهمة إنهاء العملية التي تواجهه من أصعب المهام على حد تعبير يديعوت أحرونوت (٨/ ٤/ ٢٠٠٢) وذلك في المرحلة الثالثة من خطة أورانيم المعنونة باسم «السور الدفاعي» .

مخيم جنين ، يعيد إلى الصدارة قضية اللاجئين الفلسطينيين ، فتسوية مدريد - أوسلو ليست بقادرة على تجاوز قضية اللاجئين الذين يشكلون ٦٥ في المائة من أبناء الشعب الفلسطيني ، وليست بقادرة على فرض منطق التوطين أو التهجير ، فالحق لا يموت بالتقادم ولا يلغيه تجبر ظالم .



ارادة الحياة تواجه دبابات شارون

الغضب القادم من جنين

كان المخيّم يشغل أقل من كيلومتر مربع واحد . . وكان يضمّ بين الجدران الركيكة لبيوته وفي أزقته الصغيرة ٣٠ ألف لاجئ قبل أن يمارس شارون هوايته الدموية ويأمر بمسح المخيم من على خريطة الملاجئ التي تلم أشلاء المجتمع الفلسطيني في أعقاب الغارات الصهيونية المتعاقبة منذ ١٩٤٨ وحتى الآن .

شارون المخضرم في المجازر ، والمتمتع بنفسية المرتزقة الهاوي لمشاهد الجثث ، كان يرسل تحياته عبر التليفونات المحمولة إلى الجنود الذين كانوا على مشارف مخيم جنين .

هؤلاء كانوا يلتقطون صوراً فوتوغرافية للذكرى الخالدة بجوار الدبابات . . ويرسلون رسائل قصيرة للخطيبات المنتظرات لموعد غرامي بعد

المهمة السهلة التي يعيد بها عساكر شارون الوضع إلى ما قبل أوسلو .

عساكر شارون دخلوا رام الله في أربع دقائق ، على الرغم من أنها كانت متخمة بقوى الأمن الوقائي والشرطة والمخابرات والفرقة ١٧ التي تحمي الرئيس عرفات شخصياً .

المدينة المثقلة بجنرالات الفصائل الفلسطينية . . لم تستطع الدفاع عن نفسها . . لم تقاوم بالقدر الذي كانت فيه عاصمة لسلطة وهمية .

اصطادت المدرعات العساكر النظاميين في رام الله بملابسهم الزرقاء ، هؤلاء الذين كانوا قبل أيام يطاردون المظاهرات المعارضة لمزيد من التنازلات والمواطنين المتعاطفين مع الانتفاضة والمقاومة .

لكنها لم تستطع أن تصطاد المقاتلين في جنين بالسهولة نفسها . هناك في المخيم كان رعب المقاومة ينتظر عساكر شارون ، وكانت فلسطين كعادتها تخلق أسطورتها المعاصرة ، وتجعل من إسرائيل : القاتل المرعوب من القتيل .

في صحيفة معاريف الإسرائيلية تحدث الجنود الإسرائيليون عن رعب «الكوع» الذي أفسد نزهتهم العابرة التي تخيلوها في جنين .

والكوع : عبوة يدوية يصنعها أطفال مخيم جنين بمهارة فائقة وشاركت في صنع معجزة فلسطينية بكافة المقاييس . . أصيبت كائنات الحرب الهابطة من أساطير شارون بالرعب من مئات العبوات التي تفجرت ضدهم في كل مكان في المخيم . وقالوا إن البيوت كانت مفخخة ، وهكذا السيارات وعربات النفايات ، وأغطية المجاري وكل جسم آخر في الشارع . وعلقت العبوات أيضاً على الأشجار ووضعت على أعمدة الكهرباء وعلى النوافذ . ويقول أحد الجنود : لقد كان هناك خطر حقيقي لأنه كلما تقدمنا متراً تعرضنا لإطلاق نار أو انفجار عبوة .

جنرالات الحرب في تل أبيب استهانوا في البداية مكتفين بالآلة العسكرية الجبارة ، وأرسلوا إلى جنين وحدة من الجيش الاحتياطي غير

المدربة على حرب الشوارع . هؤلاء بكوا من الرعب في اليوم الأول . واحتاج الأمر إلى تدخل كادر أكثر خبرة في الجرائم الإسرائيلية هو الجنرال شاوول موفاز رئيس الأركان ، الذي قاد عملية الاقتحام من طائرات هليوكوبتر طارت على ارتفاعات منخفضة في المخيم الذي أسماه الإسرائيليون عش الدبابير .

سكّان مخيم جنين هم جزء من محنة اللاجئين ، الذين تحوّلوا مع الحروب والمذابح المتكررة إلى مأساة ممتدة من تل الزعتر إلى صبرا وشاتيلا ، ومع الأيام أصبحوا قنبلة التسوية التي كانت إسرائيل تريد تفجيرها في وجه عرفات .

والدراسات والأبحاث تؤكد أن الصهاينة طردوا بقوة السلاح أهالي ٥٣٠ مدينة وقرية وقبيلة عام ١٩٤٨ واستولوا على أراضيهم التي تبلغ مساحتها نحو ١٨,٦ مليون دونم أي ما يساوي ٩٢٪ من مساحة إسرائيل . وأقدم الصهاينة على ما يزيد من ٣٥ مجزرة كي يتحقق لهم الاستيلاء على فلسطين . لقد بينت الملفات الإسرائيلية التي فتحت أخيراً أن ٨٩٪ من القرى قد هُجرت بسبب عمل عسكري صهيوني و١٠٪ بسبب الحرب النفسية (نظرية التخويف وإثارة الرعب) ، و ١٪ فقط بسبب قرار أهالي القرية .

أي أن ما حدث ليلة ١٠ نيسان (أبريل) ٢٠٠٢ لم يكن جديداً ، بل هو جزء من عقيدة قامت على الطرد والاستيطان ، على أن وجود الإسرائيلي يعني ذبح الفلسطيني .

جنين في الصحف الأميركية والغربية

لم يقرأ بوش ومجموعته ما كتبه «لي هوكستر» مراسل «الواشنطن بوست» في ١٢ نيسان (أبريل) من جنين . . وخصوصاً الحكايات التي جمعها وهو في انتظار وصول شارون على بوابة المخيم تتويجاً لانتصاره على المقاتلين بعد أن نفدت ذخيرتهم .

حكى المراسل الأميركي بحياد ما سمعه في المخيم . .« هذه عائلة قتل فيها الأب والأم والطفل صاحب التسع سنوات ، وأصيب طفلان آخران ١١ و١٣ عاماً عندما أطلقت دبابة إسرائيلية قذيفة عبر غرفة المعيشة التي كانوا يختبئون فيها بمنزلهم وسط جنين ، وبعدما قام البلدوزر بهدم المنزل على من فيه ليقلبه رأساً على عقب ، طبقاً لرواية أقرباء الضحايا . .

وهذه رانيا زياد (١٥ عاماً) حيث أصابتها رصاصة في الصدر عندما كانت تجلس بجوار والدها وأخيها داخل منزلها ، أصيبت بها عندما فتح مسلح إسرائيلي يستقل الهليكوبتر النيران على رجل بالشارع كان يقوم بشحن تليفونه المحمول من بطارية سيارته وطارت إحدى الرصاصات لتصيبها داخل منزلها . . .

وهذه خضرة سمارة (٣٣ عاماً) تقول إنها ترعى ما يزيد على ١٢ طفلاً جمعتهم أثناء هروبها من منزل إلى منزل بمخيم جنين تحت تهديد لا ينتهي من البلدوزرات والصواريخ تصيب المنزل تلو الآخر لتهدم المنازل على رؤوسهم .

في خلال الهجوم قامت دبابة إسرائيلية بفتح النيران على منزل من دون أدنى تحذير حسب ما يقول الجيران . . وبعدها مباشرة جاء البلدوزر ليهدم الجدران على من فيها وليوسع طريقاً للدبابة كي تعبر . . .

عصام . . الذي يعيش في المنزل المقابل للأسرة المنكوبة شاهد المنظر . . «سمعت الأطفال يصرخون ثم جاء البلدوزر وبدأ في هدم المنزل . . دفنوا أسفل الجدران التي سقطت عليهم» .

الجيران بحثوا عن الجثث وأخرجوها ولفوها بقماش أبيض . . ثم دفنوا بعد أن رفع الإسرائيليون الحصار . . ويضيف عصام :« أنا لا أتلقى عزاء في مقتل أقربائي لأن هناك كثيرين ليعزوا» وبعد الساعة الثانية عندما عاد الحصار مرة أخرى تحولت الشوارع إلى شوارع للأشباح فجأة . . وفي

الساعة الثانية والنصف كانت الدبابة الإسرائيلية تتجول في الشوارع وتطلق نيرانها ولكن لم يكن هناك صوت لإطلاق النار من الجانب الآخر . . كانت المؤسسة الوحيدة التي ما زالت تعمل هي المستشفى الصغيرة رازي في جنوب البلدة ، كانت تعاني من نقص المياه ونقص الوقود الذي يشغل مولدات الطاقة في حين كان الـ٣٠ سريراً تصارع لتلبية الاحتياجات الأساسية . . الجيش الإسرائيلي لم يسمح بمزيد من خدمات سيارات الإسعاف . . كان الطاقم يعمل لعشرة أيام متواصلة أصيب فيها الطبيبان بالرصاص . . وبسبب عدم مقدرته على نقل المصابين إلى غرف العمليات قام الجراح الوحيد بالمستشفى بإجراء عمليتين بوساطة تليفونه المحمول .

ويقول جافر عزام (٣٢ عاماً) إنه قام بعملية استخراج رصاصة من الرأس بوساطة اتصاله بالهاتف بأحد جراحي المخ والأعصاب في رام الله والتابعين للصليب الأحمر . . وبعدها بيوم كان عزام مع أستاذه جراح العظام بالأردن على الهاتف ليساعد صبياً في أن لا يفقد ذراعه التي أصابها الرصاص الإسرائيلي . . وتم إنقاذ الصبي .

مدير المستشفى زياد عياش يقول :« منذ أيام قليلة اتصلت سيدة من منزلها وقالت إنها في حالة وضع ، ووصفت لها ما يجب عليها أن تفعله ، وعندها قالت إن الطفل لا يتنفس قلت لها إنه مات ، وضعي اسمه على قائمة الشهداء الذين فقدهم المخيم . . »

هذه بعض الحكايات التي نقلها المراسل الأميركي ، بينما كتبت جوستين هاجلار مراسلة جريدة الأندبندنت البريطانية في جنين . . وفي اليوم نفسه ١٢ نيسان (أبريل) :« سيتمكن العالم أخيراً من أن يرى ما فعلته إسرائيل بمخيم جنين . . أكوام من الحجارة بدلاً من المنازل . . وما تبقى من المباني فهو مرصع بالفتحات من جراء قصفها . . أسلاك الكهرباء ممزقة والمياه تفيض من ماسورات مكسورة تغرق الشوارع المحطمة . . كانت تلك

هي ما رأيناه من النظرة الأولى لما تبقى من حطام على الطريق ، وهو مشهد لأسوأ حرب قاتلت فيها إسرائيل في الضفة الغربية . . مشاهد الدمار تلك هي أول ما سيقابل كولن باول بعد وصوله إلى القدس . . وهنا الحطام الذي شهد على مئات المدنيين الأبرياء الذين سجنوا داخل منازلهم في حين كانت طائرات الهليكوبتر تسقط القنابل من حولهم ، وحين كانت عربات الإسعاف غير مسموح لها بمعالجة الجرحى ، وحين كان يلقي الإسرائيليون القبض على الفلسطينيين ويجبرونهم على خلع ملابسهم أمام أسرهم . . وحين استطاع المقاتلون الفلسطينيون أن يتصدوا بالبنادق فقط ضد الهجمات الإسرائيلية لتسعة أيام . . وهنا حيث اعترف الجيش الإسرائيلي أنه قتل ١٠٠ فلسطيني . . ومن ذلك البؤس والإهانة والموت في جنين ، عادة ما يخرج الفلسطينيون بالأساطير . . ومن أكوام الحجارة تلك خرج صبي في الثالثة عشرة من عمره . . كان من آخر مجموعات المقاتلين الذين تصدوا لطائرات الهليكوبتر والدبابات . . وبدأت القصص بالفعل تدور من فلسطيني إلى آخر . . وكيف كان ذلك الصبي ينتقم لوالده الذي قتل وهو يقاوم إلى النفس الأخير القوات الإسرائيلية التي زحفت إلى المخيم في آذار (مارس) . . وعندما فرغت منهم الذخيرة بدأوا يلقون بالحجارة على الجنود الإسرائيليين . .»

سيدة فلسطينية تسكن في مخيم قريب من جنين قالت لمراسلة الأندبندنت : «أشعر بالفخر مما قام به المقاتلون وسوف أقص على أطفالي حكايتهم وأتمنى أن يقصوها أيضاً على أبنائهم» .

ومن بين اللاجئين الذين هربوا من جنين حكت المراسلة البريطانية عن صبي لم يفصح لها عن اسمه . . تاه عن أسرته ولا يستطيع أن يجدها . . أخبرها أنه سوف يقوم بعملية انتحارية . . وأكدت المراسلة أيضا

أن الفلسطينيين يقولون إن عدد الذين قتلوا في جنين هو أكبر بكثير من الـ ١٠٠ المعلن عنهم ، وعدد من الفارين قالوا إنهم رأوا بأعينهم المدنيين ومنهم النساء كانوا يذبحون من دون تردد . . وكان الشيء الوحيد الذي لم ترغب إسرائيل في أن تكشفه للعالم هو صور النساء المذبوحات في الشوارع . . .» .

تبقى هنا حرب قادمة هي حرب الذاكرة والتي تخاف منها إسرائيل كما تعبر عن ذلك صحيفة «يديعوت أحرونوت» التي قالت :« . . ستظهر لنا قريباً أسطورة جديدة اسمها جنينغراد (من اسم جنين) على نمط ستالينغراد وسندفع ثمن هذه الأسطورة في الأيام القريبة القادمة حين تبدأ صور دمار المخيم في الوصول إلى كل العالم . .» .

في هذه الصور التي تخاف منها إسرائيل سيرى العالم أن إسرائيل عنصرية فاقت كل عصابات الأبارتيد (أو التمييز العنصري) ، وأنها ليست دولة ، بل هي ميليشيات مسلحة تقوم على نهب الأراضي واغتصابها ، وأنها لا يمكن أن تحقق سلاماً لأنها تعتمد على الاستيطان .

وسيعرف العالم أيضاً الفرق بين المستوطنة والمخيم . في المستوطنة يعيش السارق مذعوراً لكنه يمتلك التكنولوجيا العسكرية والسطوة الإعلامية . وفي المخيم يعيش اللاجئ شجاعاً يدافع بجسده عن المربع الأخير الذي هرب إليه .

في المستوطنة تضيع كل يوم فكرة إسرائيل : وطن اليهود المضطهدين ، المشردين في كل أنحاء العالم ، ويظهر بدلاً منها دولة المستوطنات العنصرية التي تقوم على المجازر والمذابح العنصرية . دولة خارج القانون الدولي . لا تحميها سوى إيديولوجية البلاهة المتغطرسة في واشنطن ونيويورك وغيرهما من العواصم التابعة للأمبراطورية الأميركية .

بينما في المخيم ، تبدو فلسطين أقوى ، تحضر كل يوم جنة مسلوبة ،

وأحلام يدفع المقاتلون حياتهم في سبيلها . تبدو فلسطين هوية لرفض بلاهة أميركا المتغطرسة . فالمظاهرات تخرج كل يوم لفرنسيين وكنديين وإنكليز وبرازيليين ويونانيين . . من كل بقاع العالم يرتدون الحطة الفلسطينية . . وكأنهم خارجون من المخيم يهتفون : نحن فلسطينيون .

أهل مخيم جنين هم من أصل نحو ٦٠٨ آلاف لاجئ فلسطيني مسجلين في الضفة الغربية ، يسكن أكثر من ١٦٣ ألفاً منهم المخيمات ، لكنهم يشعرون بميزة عن الآخرين تسجلها لهم وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم «الاونروا» ، ذلك أنهم يستطيعون من مخيمهم أن يروا المدن والقرى التي أجبروا على مغادرتها وصارت داخل «الخط الأخضر» ، داخل إسرائيل .

كان ذلك عام ١٩٤٨ ، يوم نزح ألوف الفلسطينيين في اتجاه جنين من حيفا وأكثر من ٢٥ قرية أو بلدة محيطة بها ، مثل الخضيرة وزرعين ونورس والمزار والكفرين وصبارين والمنسي والضبية وحيفا وقيسارية وعين حوض والسنديانة ودالية الروحة وأجزم وأم الزينات وجبع وعين غزال والطيرة والطنطورة وقنبر وأم الشوف . مشوا بضعة كيلومترات وانتظروا في جنين . نصبوا الخيم وانتظروا وفي ١٩٥٣ بنت «الاونروا» المخيم ضمن الحدود البلدية للمدينة في جانبها الغربي على تلة صخرية تنحدر إلى أطراف مرج ابن عامر ، موقع كان حتى ١٩٤٨ معسكراً لجيش الانتداب البريطاني . وكانت النية آنذاك استيعاب نحو أربعة آلاف لاجئ . فشيد المخيم على مساحة ٣٧٢ دونماً توسعت لاحقاً لتبلغ ٤٧٣ دونماً أضيفت إليها مساحات قليلة في التسعينات ، ليرتفع عدد السكان المسجلين في «الاونروا» بحسب إحصاءات ٢٠٠٢ إلى ١٣,٠٥٥ شخصاً .

واسم المخيم تغير مرات . فقد أطلق عليه في البداية مخيم العودة ، ثم عرف بمخيم المحطة نسبة إلى محطة تركية للسكك الحديد موقعها في أسفل

المخيم ولا تزال قائمة . ولما بدأ الناس يستقرون فيه ، اكتسب اسمه الحالي ، مخيم جنين . كما بدأت المساكن الأكواخ المشيدة من طين بسقوفها من الزنك تتجاور وأكواخ من الإسمنت ، يبنيها الأهالي ويوسعونها مع مر السنين بإضافة غرف وملحقات تأكل من الطرق الضيقة جداً والأزقة لتلبي متطلبات عائلات تكبر في عدد أفرادها ليصل أحياناً إلى نحو ٢٠ شخصاً يعيشون في غرفتين .

وهذا جعل مخيم جنين بقعة مكتظة سكانيّاً . صحيح أنه ليس مثل مخيم رقم ١ المعروف باسم مخيم عين بيت الماء في الضفة ، والذي يزدحم سكانه في أكواخ متلاصقة إلى حد أنه عندما يموت أحدهم يكون على المشيعين نقل جثمانه عبر النوافذ أو السطوح من منزل إلى آخر حتى بلوغ الزقاق الرئيسي ، وليس بالطبع مثل مخيمات قطاع غزة التي يزيد عدد سكان أصغرها ، أي مخيم دير البلح ، عن عدد سكان أكبر مخيم في الضفة ، أي مخيم بلاطة . ولكن أن يعيش أكثر من ١٣ ألف شخص على مساحة تقل عن كيلومتر مربع واحد ، فأمر غير صحي وخصوصاً في ظل نقص حاد في الخدمات الأساسية .

فمدى العقد الأول من استقرارهم المؤقت في المخيم ، عاش أهله بلا شبكة مياه وكانوا يملأون الماء من نبع جنين وينقلونه إلى المخيم . ولعل الدمار الأخير أعادهم إلى ما يشبه هذه الحال ، بعدما خربت إسرائيل كل البنى التحتية . وتدريجاً وصلت المياه والكهرباء إلى المخيم بشبكات من المدينة . أمّا المجاري الصحية فلم يبدأ مدها إلاّ أواخر الثمانينات لتكتمل نسبيّاً في التسعينات . وحتى مطلع التسعينات لم يكن في المخيم إلاّ خط هاتفي واحد في مكتب «الاونروا» ، ثم صار انتشاره ممكناً لكنه ظل محدوداً في السنوات الأخيرة . ولعل من المشاكل العامة التي طالما أزعجت الأهالي ، أن مخيم

جنين هو الوحيد بين المخيمات لا مقبرة خاصة فيه . وكان على الأهالي دوماً دفن موتاهم في مقبرة مدينة جنين التي اكتظت في السنوات الأخيرة ولم تعد تستوعب أحداً .

أمّا الخدمات الصحية في المخيم فمحدودة جداً كما في بقية المخيمات ، مستوصف أو اثنان . والمدارس قليلة جداً ، مدرستان أقامتهما «الأونروا» واحدة للصبيان فيها ٧٥٠ تلميذاً والأخرى للبنات فيها ٧٢٧ تلميذة . وكما كل مدارس المخيمات ، تشكو هاتان المدرستان من ازدحام الصفوف ، إذ يفوق العدد في الصف الواحد ٥٠ تلميذاً وتضطر إدارتها إلى اعتماد دوامين يومياً . وهذا للمرحلة المتوسطة فقط ، وعلى من يريد الدراسة الثانوية أن ينتقل إلى جنين أو غيرها . وطبعاً رياض الأطفال تقتصر على واحدة أو اثنتين . وأزقة المخيم هي الملعب الأكبر للأولاد ومكان التقاء الشباب ، فإلى حين انتقال المخيم إلى السلطة الوطنية بموجب اتفاق أوسلو كان فيه مركز رياضي واحد يتجمع فيه الشباب ، أغلقته سلطات الاحتلال تكراراً بدعوة أنه يشكل خطراً أمنياً عليها . وكان لهذا الواقع التعليمي انعكاسه على الأمية في المخيم ، فقد أظهرت أرقام مركز الإحصاء المركزي الفلسطيني أن ٤ , ٣٣ في المائة من الإناث فوق ١٢ عاماً و٩ , ٢٠ في المائة من الذكور أميون أو لم ينتظموا في أي مدرسة ، وفي المقابل هناك ٩ , ١٨ في المائة من الإناث و٢٢ في المائة من الذكور بلغوا مرحلة التعليم الثانوي أو أعلى . لكن طموحات الأهالي كبيرة لتعليم أولادهم ، ففي دراسة أجرتها جامعة بيرزيت العام ٢٠٠١ قال نحو ٦٨ في المائة من الأهالي إنهم أرادوا تعليماً جامعياً لأبنائهم وبناتهم في هذا المخيّم الذي تتساوى فيه تقريباً نسبتا الذكور والإناث .

اقتصاد عبر الخط الأخضر

وللوضع الاقتصادي في المخيم وفرص العمل لأبنائه خصوصية . فهو شهد مراحل مختلفة كان العامل المؤثر الأكبر فيها قرب المخيم جغرافياً من فلسطين ١٩٤٨ وعلاقات القربى التي تربط سكانه بأهلهم في القرى والمدن المجاورة خلف الحدود . فحتى ١٩٦٧ كانت نسبة البطالة في المخيم مرتفعة مثل بقية المخيمات ، معظم شبابه ورجاله يعملون مياومين في الزراعة المحلية ويبحثون عن لقمة العيش بصعوبة في مدينة جنين والجوار . وغيّرت حرب ١٩٦٧ بعضاً من أحوالهم ، فبعد هجرة البعض منهم إلى الخليج والأردن ، سمحت الجغرافيا والروابط العائلية بنشاطات تجارية بين سكان المخيم وأهلهم عبر الحدود . وبدأ عدد كبير من العمال ينتقل إلى العمل في إسرائيل ، وخصوصاً في حيفا والخضيرة ومحيطهما معاً ، مّما أثر كثيراً في تراجع العمل الزراعي المحلي . وتدريجاً بدأت تتنامى أيضاً ظاهرة بناء حوانيت داخل المخيم وتتوسع تجارة البعض في جنين مع شركاء من المدينة . لكن الظروف التي نشأت عن الانتفاضة الأولى بتقييد انتقال العمال الفلسطينيين إلى إسرائيل شكلت نكسة لعمال المخيم كان لها أثر كبير في مداخيلهم . ومع أن الأوضاع أخذت تتحسن ولو بطيئة مع انتقال المخيم إلى السلطة الوطنية عام ١٩٩٥ ، فإن الحصار الإسرائيلي بعد انتفاضة الأقصى ومنع العمال الفلسطينيين من عبور «الخط الأخضر» كان بمثابة ضربة قاضية لأهالي مخيم جنين . فالإحصاءات الفلسطينية الرسمية لعام ١٩٩٧ أظهرت أن ٧٠ في المائة من الذكور و١٥ في المائة من الإناث فوق عمر ١٥ عاماً نشيطون اقتصادياً ومنخرطون في قوة العمل ، وهذا معدل أعلى من المعدل الوطني ، لكن «الاونروا» قالت بعد الانتفاضة إنه «في حين يعمل عدد من السكان في وظائف في القطاع الزراعي (المحلي) ، فإنّ كثيرين منهم لا يزالون يعتمدون

على العمل في إسرائيل» .

خسائر مضاعفة على المخيمات

وهذا إنما يعني أن النتائج الخطيرة التي انعكست على الفلسطينيين عموماً نتيجة الحصار الإسرائيلي كان وقعها أكبر على أهل مخيم جنين . والأرقام مرتفعة ، فاستناداً إلى مكتب المنسق الخاص للأمم المتحدة ، بلغ معدل البطالة في الضفة خريف ٢٠٠١ نحو ٥ , ٣١ في المائة وفي قطاع غزة ٤٨ في المائة . وجاء في تقديرات البنك الدولي في آذار (مارس) ٢٠٠٢ أن عدد الأشخاص الذين يعيشون على أقل من دولارين يومياً في الضفة الغربية ارتفع إلى ٥٠ في المائة في مقابل ٢٠ في المائة قبل الحصار . ولعل واقع الحال في مخيم جنين يتضح أكثر إذا ما قورن بحال مدينة جنين التي يشكل اللاجئون أيضاً نحو نصف سكانها (٧ , ٤٩ في المائة من أصل ٢٦٦٥٠ فلسطينياً بموجب الإحصاء الفلسطيني الرسمي لعام ١٩٩٧) وتعتبر مع منطقة الخليل الأفقر في الضفة . وأظهرت الدراسة التي أجرتها جامعة بيرزيت أن ٤٨ في المائة من العمال في جنين موظفون أو لديهم أعمالهم الخاصة في مقابل ٢٥ في المائة فقط من العمال في المخيم . وقالت إن ثلث العمال في المخيم لا مؤهلات لهم وهم من المياومين العاطلين عن العمل عملياً . وتعادل نسبة البطالة في المخيم ثلاثة أضعاف نسبة البطالة في المدينة حتى قبل الانتفاضة .

أحداث جنين تعيد ذكرى النكبة

ظنّ فخري تركمان ، عضو المجلس التشريعي في جنين ، أنّ ما عايشه عام ١٩٤٨ عندما أجبر على الهجرة من قريته التي تبعد ١٧ كيلومتراً عن جنين لن يتكرر .

ولكنّ ما حدث في المخيم خلال عملية «السور الواقي» أثبت لتركمان ، ولمئات العائلات الفلسطينية القاطنة في المخيم ، أنّ النظرية غير صحيحة ما دام الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مستمراً .

وقال تركمان - بعد نجاته - إنه تمكّن من الخروج من المخيم إلى منزل آخر له ، في مدينة جنين المطلة على المخيّم ، وتابع «كنت أراقب الجرّافات العسكرية الإسرائيلية وهي تمسح معالمه عن الأرض ، كان الدخان يتصاعد كالبركان من منازل المخيم المتلاصقة ، وكنّا نسمع مكبّرات الصوت الإسرائيلية تطالب أهالي

المخيم بالاستسلام مما اضطر العديد منهم إلى النزوح» .

ومضى قائلاً «لجأ إلى بيتي ٧٠ شخصاً ممن استطاعوا الوصول إلى منزلي خارج المخيّم . هذا المشهد لعشرات النازحين أعاد إليّ ذكرى مأساة ١٩٤٨ عندما كنت في العاشرة من عمري» .

وأضاف أن مئات الفلسطينيين خرجوا من منازلهم لا يملكون سوى ما عليهم من ملابس إذعاناً لمطالب إسرائيل بالاستسلام والإخلاء الفوري للمخيم ، وقال إن قسماً منهم ذهب إلى منازل معارفهم أو أقربائهم ، وذهب آخرون إلى جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني التي تبعد ١٢٠ متراً فقط من المخيم .

يقول أبو جورج ، مدير عام الهلال الأحمر في جنين « نزح عشرات الفلسطينيين إلى جمعية الهلال الأحمر كل يحمل معه قصة تقشعر لها الأبدان ، لدينا عائلات مشتتة ، زوجة وأطفالها دون أب أو أطفال دون أبويهم وهكذا» .

وينقل تركمان على لسان «مصطفى أبو خون» وهو أحد النازحين قوله له قبل خروجهما من المخيم – حين دخول الإسرائيليّين – إنه شاهد الجرافات الإسرائيلية وهي تحفر في منطقة ساحة المخيم وحارة الحواشيم حفراً كبيرة كانت تدفن فيها ما يشبه الجثث ثم تسوّي الأرض .

وقالت هيفاء عبد الله «٤٠ عاماً» بحسرة إنها خرجت من منزلها لأن الجنود الإسرائيليين هدّدوها بهدم المنزل فوق رأسها إذا بقيت ، وأضافت «رأيت الجثث في طرق المخيّم ورأيت منازل كثيرة مهدمة ، كنت أسأل نفسي أين أنا؟ أين العرب؟ وأين العالم؟» .

أمّا أبو جورج فيتحدث عن استمرار منع سيارات الإسعاف من نقل المصابين أو إجلاء الجثث ، ويقول «حتى الآن ممنوع علينا أن ندخل إلى مخيم جنين لنقل الجثث . لا نستطيع أن نعطي أية إحصائيات حول عدد القتلى والجرحى هناك ولكنّنا نقدرها بالمئات» .

جنين غراد.. النصر أو الموت

المشاهد . . مشاهد حرب . . المطر الغزير والوحل العميق يضيفان أجواء حقيقية على مشاهد الحرب ، عشرات المصفحات والدبابات وسيارات الوقود والإسعاف والمروحيات الحربية تحلق في أجواء المخيم ، وتطلق بين الحين والآخر النيران على هدف في المخيم بناء على طلب من القيادة الموجودة على الأرض ، وبين الحين والآخر تصل مروحيات لإخلاء الجرحى والقتلى .

ليست هذه مقتطفات من مشاهد الحرب التي اعتاد المواطن العربي مشاهدتها في أحد الأفلام الأميركية العسكرية . . والعسكرية فقط ! ! ! بل هي مشاهد حقيقية نجح في تجسيدها أحد الكتاب بعد أن استقاها من وحي النفسية المتحطّمة للجنود الإسرائيليين من هول ما رأوه من بسالة الشعب

الفلسطيني ، وضراوة المقاومة الفلسطينية في مخيم جنين ، الذي أضحى لعنة على الجنود الإسرائيليين حسب وصف الصحافة الإسرائيلية .

يقول أحد الضباط الذي شارك في عمليات القتل والتدمير في مخيم جنين واصفاً بسالة المقاومة الفلسطينية : «لديهم محفزات جنونية . إنهم يحاربوننا بإصرار كبير ولا يتنازلون» .

أمّا الضابط (نوعم) فيقول : « كان الفلسطينيون يرفضون الاستسلام رغم أنهم فقدوا العشرات من المقاتلين من رجالهم ، واصلوا التشبّث



بأظفارهم رغم أن التوازن العسكري يميل بشكل حاد ضدهم . . إنني مندهش من جرأتهم على إطلاق النار من كلاشيناتهم من داخل البيت حتى عندما يعرفون أنه خلال ثوان ستدخل قذيفة إسرائيلية من شباكه ، إنهم يرون الطائرات العمودية ويدركون أن صاروخاً سينسفهم ولكنهم لا يهربون» .

هذه هي الروح القتالية العالية للمقاومة الفلسطينية أمّا النفسية اليهودية ففي الحضيض . فقد نقلت صحيفة «هآرتس» شهادة أحد الجنود الإسرائيليين المكلّفين باقتحام أحد منازل الفلسطينيين في مخيم جنين بالضفة الغربية ، أوضح من خلال شهادته حالة الرعب التي تملّكته نتيجة المقاومة الفلسطينية في المخيم ، ووصف إحدى المعارك بأنها واحدة من المعارك القاسية التي دارت في مخيم جنين ، والتي أدّت إلى مقتل ٢٣ جندياً على الأقل .

يقول الجندي الإسرائيلي «رون دروري» - ٣٠ عاماً - في اعترافه للصحيفة العبرية الثلاثاء ٩/ ٤/ ٢٠٠٢ :«تلقيت مع عدد من الجنود مهمة محدّدة بالبدء في السير في طريق تمّ رسمه لنا من قبل القيادة ، ولم نصادف أي اعتراضات ، ثم بدأ قائدنا يفكر في إمكانية دخولنا إلى ثلاثة منازل فلسطينية في مخيم جنين للقبض على من يتحصّنون بداخلها ، ولكنه أقر بأن المهمة خطيرة ، ثم ترجلنا ببطء في أحد الأزقة الضيّقة . . وفجأة انفجرت عبوة ناسفة بين الجنود ، ولا أعرف من أين جاءت هذه العبوة؟ ولا كيف انفجرت بهذا الشكل؟ وعلى الفور بدأت في إطلاق النار من سلاحي . . طلقة تجر الأخرى ، وبعد فترة قليلة تساقطت الطلقات علينا بشدة من كل صوب ، إلاّ أنني قمت مرة أخرى بإطلاق النار ، إلاّ أن ذخيرتي نفدت ، فقمت بإطلاق قذائف من مدفعي المحمول» . أضاف الجندي الإسرائيلي :« نظرت خلفي فوجدت أحد الجنود لم ينجح في إطلاق أي رصاصة من سلاحه بسبب الخوف الذي كان يتملكه . أخذت منه ذخيرته

وعاودت إطلاق النار مرة أخرى إلى أن تمكّنت من الهرب بعد أن أُصيبت بطلق في قدمي ، وعندئذ تمكن بعض الجنود من إخراجي من المكان وتوصيلي إلى المستشفى» .

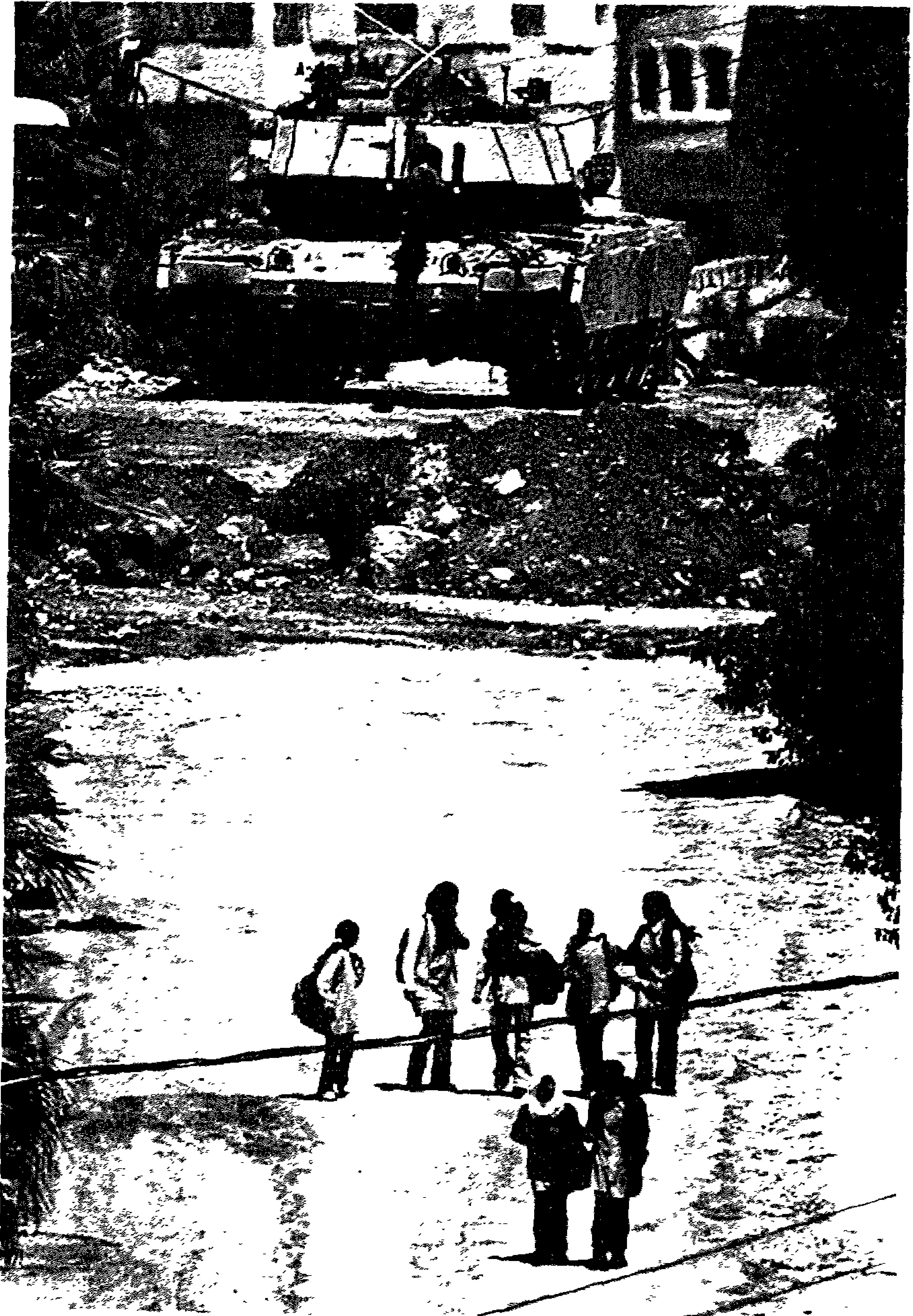
أمّا (نوعم) الضابط الذي مدح المقاومة الفلسطينية فيقول واصفاً نفسية الجنود الصهاينة :« كانت سيارة إسعاف عسكرية مصفّحة تدخل وتخرج ناقلة المزيد من الجنود المصابين ، جندي فقد إبهامه ومقاتل من وحدة «تسيفع» أصيب برصاصة في صدره ، إنه فيلم رعب ، ونريد فقط أن ينتهي بالسرعة الممكنة ، ولا أخجل من القول إن الوضع مخيف» . . وينهي (نوعم) حديثه قائلاً : لو سئلت لكنت أريد أن يأتوا بطائرتي (إف – ١٦) وبعض الجرافات ويطلبوا من المسلحين تسليم أنفسهم ويطلبوا من السكان الهرب ويدمروا هذا المكان ، ويضيف أنه ليس موقفاً سياسيّاً بل تعباً إنسانياً ! .

لقد بلغ اليأس مبلغه من الجنود الإسرائيليين ، ممّا حدا بأكثر من جندي إلى ترديد سؤال واحد :« هل بدأوا الضغط الدولي على حكومتنا من أجل الانسحاب؟ كم من الوقت سنبقى هنا بعد؟» . ومنبع هذا اليأس كما يقول أليكس فيشمان المعلق العسكري في صحيفة «يديعوت أحرونوت العبرية» أن خصمك ينظم صفوفه ، يدرس خطواتك ويكتشف نقاط ضعفك ، فيما تفتقد أنت بعض اليقظة ، ويسودك الشعور بأن الأمر يقارب على النهاية . ويعتبر هذا الفاصل الزمني شديد الإشكالية ويستدعي المزيد من الحوادث ، وسندفع نحن ثمن هذه الأسطورة في الأيام القريبة ، عندما تبدأ صور الدمار في المخيم بالوصول إلى أنحاء العالم .

ولكن يبقى هناك سؤال يلح في طرح نفسه باحثاً عن إجابة : لماذا مخيم جنين؟ ! ولماذا هذا التنكيل الإسرائيلي بالأطفال والشباب والنساء؟ ! ولماذا لم يقتصر الاعتقال على المقاتلين؟ ! ! !

يجيب الصحفي روني شكيد عن هذا السؤال اللغز فيقول : لقد تحوّل مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين ، في الأيام الأخيرة ، إلى أسطورة فلسطينية أخرى ، إلى رمز القتال الفلسطيني العنيد ، تحت شعار «النصر أو الموت» . ولا تعتبر مقدرة الصمود ، والمحفّزات العالية لدى الفلسطينيين ، السبب الوحيد الذي يجعل محاربة الجيش الإسرائيلي في مخيم اللاجئين صعبة وخطيرة إلى هذا الحد ، ففي الشهر الأخير كان المخيم كله عبارة عن مختبر واحد وكبير لإنتاج المواد المتفجرة . وكان أحد سكان المخيم قد قال ، قبل ثلاثة أسابيع ، إن المخيم تحوّل إلى مصنع كبير ، يعمل فيه كل ولد في الـ ١٤ من العمر ، وكل امرأة بإنتاج العبوات الناسفة ، وإن الإنتاج يتم في المنازل ، وفي الأزقة وفي شوارع وساحات المخيم . لقد زرع الفلسطينيون العبوات في كل زاوية ، على المداخل وفي الأزقة وعلى أعمدة الكهرباء ، وفي السيارات المتوقفة وفي البيوت ، ،خصوصاً تلك التي قدّروا بأن الجيش الإسرائيلي سيدخلها . وتم جمع الأسلحة والذخيرة من كل أرجاء منطقة جنين ، واستدعي المطلوبون من كل قرى المنطقة للمشاركة في المعركة . وقامت كل عائلة ، وكذلك اللجنة القومية الإسلامية ، التي تقود الانتفاضة في المخيم ، بتخزين كميات كبيرة من المواد الغذائية والماء والأدوية . وتقرر قبل بدء المعارك توحيد القوات ، فتحولت فتح وحماس والجهاد إلى قوة واحدة تعمل تحت اسم «المقاومة الفلسطينية» .

ألا يحق لنا بعد هذه المقاومة الباسلة في وجه النازية اليهودية لمقاتلي مخيم جنين أن نطلق على هذه الأسطورة الجديدة أسطورة :«جنين غراد» .. على وزن «ستالينغراد» ، المدينة الروسية التي قاومت الاحتلال النازي بصلابة»؟!!



ارادة الحياة تواجه دبابات شارون

جنين: مجزرة أم معركة عسكرية ؟!

كما هي الحال في العقود الأخيرة من الصراع مع الصهاينة ، ومع مرور وقت ، وإن غير بعيد عن أي فظاعة يمارسها الجيش الإسرائيلي ، يبدأ قلم الرقيب العسكري بالتراخي لتقديره عدم الضرر الأمني المباشر من الانكشاف ، وتبدأ الكلمات تخرج من هنا وهناك واصفة هول الحدث وما خبئ في حينه بغض النظر عن دافع الانكشاف ، إذ إن معظمه يكون انكشافاً تجاه الرأي العام الإسرائيلي لتوصيف مدى الضرر الذي لحق بالدولة تجاه الرأي العام العالمي «كمجتمع ديمقراطي غربي» .

مجزرة جنين هي حلقة أخرى تُضاف إلى سلسلة كبيرة من المجازر التي نفذها الصهاينة حتى من قبل نشوء الدولة العبرية وخلالها ، وبالطبع لن تكون الأخيرة ، مع بقاء هذه الدولة المصطنعة قائمة في محيطنا العربي

والإسلامي .

بحسب رواية الهيئة الإعلامية الإسرائيلية ، وهي الهيئة التي شُكّلت مؤخراً إثر مجازر جنين ، فإن «الجيش كان يستطيع محو مخيم جنين بعدة ضربات دقيقة من طائرات إف ١٦» إلا أن هذا الجيش تضيف الهيئة ، «هو جيش إنساني ، وفضّل القتال على ذلك ، وهذا ما أثبته» . أمّا وزير الحرب الإسرائيلي بنيامين بن أليعازر ، فيُشدّد على عدم وقوع مجزرة ، بل مجرد «معركة عسكرية» ، ويزعم «أن هناك فقط ٤٥ قتيلاً فلسطينياً في المخيم» .

الرواية الإسرائيلية الرسمية هي تلك ، إلا أن الواقع يدحضها بشدة ووضوح ، والشهادات والصور التي التقطها الإعلام بعد مرور أكثر من عشرة أيام على انتهاء المعركة في المخيم ، تثبت عكس ذلك تماماً ، وهي صور ما زالت حية وشاهدة على فظاعة ما جرى . .

الأسئلة التي يجب طرحها من قبل الجميع ، وعلى رأسهم لجنة تقصي الحقائق التي شُكلت من قبل الأمين العام للأمم المتحدة ولم يمكّنها الإسرائيليون من الوصول إلى نتيجة ، هي الأسئلة التالية :

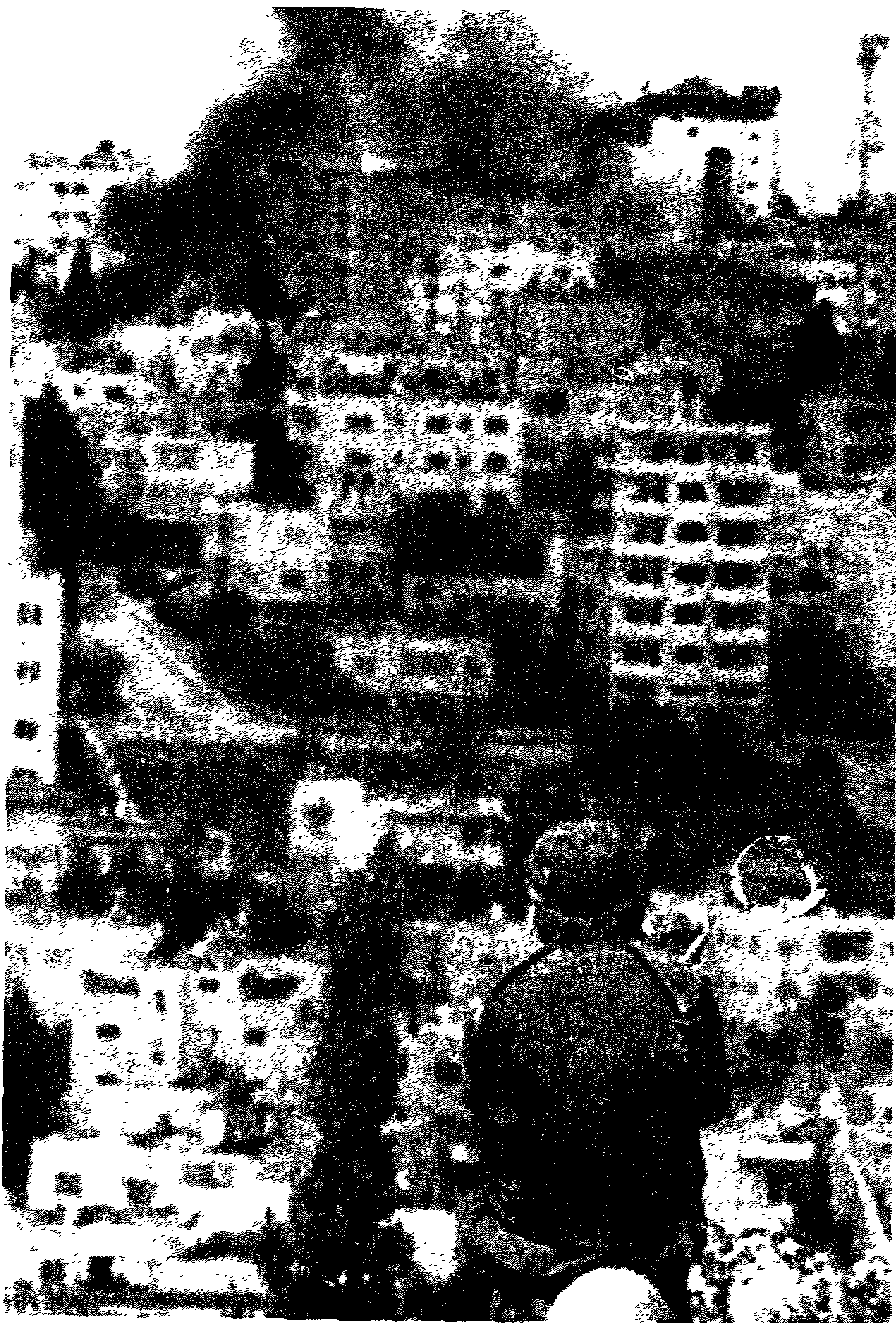
بما أن الرواية الإسرائيلية تتحدث عن معركة عسكرية سقط فيها عشرات من الفلسطينيين المسلحين ، فما هو سبب الذعر الكبير الذي انتاب المسؤولين الإسرائيليين السياسيين والعسكريين ، عما تمكن أن يحدث لصورة «إسرائيل» تجاه الرأي العام العالمي بعد انكشاف الوقائع؟ وما هو سبب الإعلان عن أن مخيم جنين ، ولمدة تزيد عن الأسبوع ، منطقة عسكرية مغلقة محظور دخولها للإعلاميين ورجال الإغاثة؟ ثم ما هو سبب طرح - وربما العمل أيضاً - على سحب الجثث الفلسطينية الملقاة في الشوارع والأزقة ودفنها في مقبرة جماعية مسيطر عليها من قبل الإسرائيليين؟ وكيف لـ«إسرائيل» أن تفسر - بما أن لديها جيشاً إنسانياً - قيام الجرافات العسكرية ، بدم بارد وبقتل بطيء ، بهدم المنازل على رؤوس ساكنيها من النساء

والشيوخ والأطفال ، ومحو القسم الشرقي والأوسط من المخيم من الوجود ، وهو عمل لم تكن لتجيد تنفيذه بهذه الدقة حتى طائرات «إف ١٦» غير الإنسانية؟

عوفر شيلح المحرر في «يديعوت أحرونوت» (١٩/ ٤/ ٢٠٠٢) يروي نقلاً عن شهادات جنود الاحتياط الإسرائيليين الذين شاركوا في مذبحة مخيم جنين : «أن الأوامر كانت واضحة جداً ، إطلاق النار تجاه كل نافذة ، وملء كل منزل بالثقوب ، سواء أكانوا يطلقون النار منه أم لا . . كان الشيوخ والنساء والأطفال يمكثون هناك طيلة الوقت . . ولم يعطوا فرصة لهم للخروج من المخيم . .»

وتقول تانيا راينهرت المحاضرة في جامعة «تل أبيب» في الصحيفة ذاتها (٢١/ ٤/ ٢٠٠٢) :«كل دعايتنا عن أنه لم تقع مذبحة في جنين تسقط هناك أمام مشاهد الخراب والدمار والجثث ، فالناس خارج فقاعة إعلامنا يرون الأمور بطريقة مغايرة ، أمّا نحن فنحتاج إلى وقت آخر كي نستوعب ما فعلناه هناك . .» .

لا يضر الحكومة الإسرائيلية ورجالاتها ، وحتى الشارع الإسرائيلي ، مجزرة جديدة تضاف إلى المجازر التي قاموا بها ، إذ يحوزون حصانتين نادرتي الوجود معاً في التاريخ الحديث : الأولى حصانة دولية تقدمها الولايات المتحدة الأميركية حكومة وإعلاماً ، منعاً للإدانة وللانكشاف حتى لو كان ذلك على حساب «المصداقية» الأميركية ، والثانية ذاتية ، فقد اعتادوا وتعوّدوا على أن المصائب والمعاناة والفجائع التي تصيب غير اليهود بأيد يهودية ، لن تكون إلاّ في إطار «المشروعية والدفاع عن النفس» ، ولو أسماها العالم كله بتسميات مختلفة .



صور مأساوية ومقابر جماعية

كانت لحظات الألم والحزن الأشد تأثيراً عندما حرمت بشاعة المجزرة أسر الشهداء من إلقاء نظرة الوداع الأخيرة عليهم ، ما فجر موجة من السخط والحزن والأسى أبكت البشر والشجر والحجر في جنبات المستشفى الذي تحوّلت ساحته إلى قبر جماعي . وبينما كانت تفتح القبور وتُخرج الجثث انشغلت طواقم الإسعاف بإسعاف وعلاج ذويهم ممن أصيبوا بالإغماء والصدمة .

لم تشفع للمواطنة أم عبد الفايد استغاثاتها السماح لها برؤية وجه ابنها أمجد الفايد (٢٤ عاماً) الذي استشهد خلال المقاومة في مخيم جنين ، وحاولت مع ابنتها سائدة إقناع الأطباء والطواقم المختلفة بفتح الكيس الذي سجي جثمان الشهيد داخله للمس رأسه أو يده ، ولكنهم رفضوا لأن الجسد



تحلّل بشكل كامل . وتتضاعف معاناة عائلة الفايد لأن أخبار ابنها الثاني محمد (٢٠ عاماً) ما زالت مقطوعة .

قبور جماعية

مصير المئات من سكان مخيم جنين ما زال مجهولاً ، وفور رفع الحصار الإسرائيلي عن مستشفى جنين الحكومي تدافع آلاف المواطنين من المدينة والمخيم إلى ساحته للبحث عن أبنائهم وأقربائهم ، والمساهمة في تشخيص هوية الشهداء الذين سقطوا في أثناء العدوان الإسرائيلي ، بعدما اضطرت الطواقم الطبية التي لم تتمكن من التعرف إليهم إلى تحويل ساحات المستشفى إلى قبور جماعية مؤقتة للحفاظ على الجثث بالرغم مما أصابها من احتراق وتشويه وتحلّل ، لأن ثلاجة المستشفى الوحيد في المحافظة لا تتسع

سوى لثلاث جثث .

الإجراءات الإسرائيلية وإطلاق نيران الرشاشات الثقيلة صوب الموقع المحاذي لقبر الشهداء الجماعي ، إضافة إلى حالة الجثث ، دفعت الأهالي لتشييع الشهداء في سيارات وشاحنات جابت شوارع المدينة والمخيم بمشاركة مئات المواطنين ، ودفن ٣٧ شهيداً في المقبرة الجماعية التي أقيمت قرب مدرسة وكالة الغوث الدولية .

صور مأساوية

وسط مشاعر الحزن بدأت عملية فتح القبور الجماعية وجمع الشهداء الذين دفن بعضهم في وسط المخيم لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة عليهم في الأكياس البيضاء التي وضعوا داخلها ، وكتب على كل منها اسم الشهيد دون السماح لأحد بفتح الأكياس . وبكت أسر الشهداء وأطفالهم بمرارة وسخط ، كعائلة الشهيد محمد النورسي الذي استشهد في اليوم الخامس للعدوان ، وأجهشت والدته بالبكاء عندما شاهدت زوجها يسقط مغشياً عليه بعدما شاهد فلذة كبده يوضع في جرار ينقل إلى المقبرة مخلفاً وراءه زوجة وأربعة أطفال ، وحزناً شديداً وثوب حداد . تقول زوجته : لن أخلعه إلا بالنصر وتحقيق الهدف الذي استشهد في سبيله محمد وكل الشهداء .

وبعد جهد وبكاء نجح الشاب نضال مطاحن وزوجته في فك الكيس الذي سجي داخله شهيدهم نزار (٢٢ عاماً) الذي عاد من الأردن مؤخراً واستقر في مسقط رأسه جنين وبدأ يعمل في إحدى المكتبات ، وقال شقيقه وهو يقبّل يديه ويحاول أن يخفف من روع وثورة زوجته التي أصرت على فتح الكيس ووداع نزار : « منذ أيام لم أتوقف عن البحث عن أخي الذي قتل الاحتلال أحلامه إلى الأبد . وبعد تبلغنا نبأ استشهاده توجّهنا إلى المستشفى

فمنعونا من مشاهدته بسبب وضع الجثة ، وأبلغونا أنهم تأكدوا من شخصيته من بطاقته التي عثروا عليها في ملابسه» ، وأضاف : دفن أخي بهذه الطريقة أصعب من نبأ استشهاده .

عائلة واحدة

وبينما جلس والد الشهيدة يسرى أبو خرج فوق رأسها يتلو ما تيسّر من الذكر الحكيم ، ويردّد دعواته للشهداء ضارعاً إلى الله العلي القدير أن يخفف آلام وصدمة أقربائهم وأسرهم ، فإن جميع عائلة النوباني سقطوا واحداً تلو الآخر وسط حالة من الصدمة بعدما تأكد نبأ استشهاد الشقيقين نضال (٣٥ عاماً) وشادي النوباني (٢٠ عاماً) . وقالت والدتهما أم نضال :«الله أكبر . . إثنان في وقت واحد ، والله حرام يا عالم . . هدم وقتل وتشريد أين هي الأمم المتحدة والدول العربية؟» . وقبل أن تنهي كلماتها أغمي عليها ونُقلت لتلقى العلاج في المستشفى ، ولسانها لا يتوقف عن ترديد نداء واحد : أريد مشاهدة نضال وشادي . . ارحموني يا ناس . . ولكن دون جدوى .

وتعالت صرخات الغضب عندما تقدمت والدة الشهيد نضال السويطي لوداع ابنها الثاني . أمّا والدة الشهيد عبد الرحمن حسين أبو فرج فأبكت الجميع وهي تعترض الجرار الذي نقل جثمان فلذة كبدها إلى مثواه الأخير ، ثم صعدت عليه ورغماً عن الجميع مزقت الكيس الذي لف فيه الجثمان وأصرت على رؤية وجهه ووداعه ودعت الله أن يتقبل شهادته .

أمّا المواطنة أم محمد فقد قاومت حزنها وجلست فوق قبر ابنها الشهيد علام القتيري ٢٧ عاماً ، تارة تطلق الزغاريد وأخرى تردد الأهازيج والأغاني الشعبية ، وودعته إلى بوابة المقبرة وهي تغني :«سبل عيونه ومد

إيده بحنونه . . يا أم الشهيد زغردي كل الشباب ولادكي» . وبدت والدة الشهيد زياد زبيدي أحد قادة شهداء الأقصى أكثر قوة وصلابة عندما عانقت جثمانه وأطفاله ومنعت النساء من العويل والبكاء وودعت شهيدها بالزغاريد وهي تقول : مع السلامة يا بطل فلسطين والله سنأخذ بثأرك .

ولعدة ساعات جلس مروان وشاحي وأشقاؤه قرب جثماني والدته وشقيقه مروان يتلون آيات من الذكر الحكيم ، وأمسك أحدهم بالجثمان وقال :«ستبقى حكاياتنا شاهداً حياً على الظلم والعدوان . . فوالدتي أصيبت خلال محاولتها إنقاذ أخي والاثنان نزفا حتى الموت دون سبب أو تهمة سوى أنهم فلسطينيون يسكنون المخيم» .




الشاهد على موت
الأخلاق عند الأسياد
الجدد للعالم

حقائق أغرب من الخيال
وجرائم لا تنسى
«انتزاع أعضاء الشهداء»

لم تقتصر وحشية العدو الصهيوني على ارتكاب المجازر البشعة في حق المدنيين والأبرياء في فلسطين المحتلة ، تحديداً في نابلس ومخيم جنين ، فالوقائع الواردة من هناك والمشاهد الحية أصعب من الوصف والتصديق ، لتصير كل كلمات الإدانة والتصاريح عاجزة عن حقيقة الوصف «فما جرى في جنين فظاعة لا يمكن وصفها» .

أحياء بالكامل هدمت فوق رؤوس قاطنيها ، وعائلات أبيدت تحت الركام دون أي رحمة وشفقة . ولكن ما هو أشد وأصعب من الوصف والتصوّر هو أن يتحوّل الإنسان الفلسطيني إلى قطع للغيار ، يقتله العدو الصهيوني ، ثم ينكّل به ، ويبشع في صورته ، وأخيراً يستخدمه وهو جثة

هامدة لانتزاع ما يريد منه من أعضاء .

هذا الأمر ليس خرافة أو قصة من محض الخيال ، فما وصل إلينا من صور تدل بوضوح على مدى وحشية العدو واستهتاره بكل القوانين الدولية وشرعة حقوق الإنسان ، فالصور كشفت بوضوح مدى البشاعة التي يقوم بها الاحتلال من التنكيل بالمقاوم إلى التعذيب والقتل ، وتشويه الجسد ، وحتى الوجه والعينين ، ثم شقّه وسرقة الأعضاء منه ، في أبشع جريمة تقترف في القرن الواحد والعشرين .

سرقت أعضاء الإنسان ، فأين منظمات حقوق الإنسان؟

أين الأمم المتحدة ومجلس الأمن؟

أين شرعة المجتمع الدولي؟

كل ذلك أمام «إسرائيل» لا شيء ! . .

والصورة . . تؤكد حقيقة هذه المجازر .

إنها من الصنع الإسرائيلي !

يهود ضد اليهود

أن ترى عدوك يتظاهر ضد عدوك منددا بما ارتكبت يداه ، معتبراً إياه سرطاناً لبني جلدته ، ومطالباً بوقف مجازره ، لهو أمر غريب !

ولكن لو علمنا أن هذا العدو هو «إسرائيل» فلن يكون في الأمر غرابة . فهؤلاء اليهود في معظم أرجاء العالم خرجوا منددين بـ «إسرائيل» معلنين صراحة بأنهم ضد «إسرائيل» لأنهم يهود ، وأن «إسرائيل» سرطان

بالنسبة إليهم .

ربما قال البعض إنهم يهود يساريون ، أو من الداعين إلى السلام ، ولكنهم من اليهود المتديّنين ، بل من الحاخامات ، فما من أحد منهم إلاّ وقد أطلق العنان للحيته وارتدى القبعة ، ولكنهم ضد «إسرائيل» وسرطانها .

ترى ما الغرابة في هذا الأمر؟

أوليست «إسرائيل» صاحبة السجل الأكبر في المجازر والجرائم؟

ولكن ما يستوقف العالم أجمع أن تكون تلك الجرائم بدعم كامل مادياً وآلة حربية أميركية !

فهل يسمع قادة الولايات المتحدة صوت هؤلاء؟

أم سيصمّون آذانهم عنهم كما فعلوا مع العرب والمسلمين والمسيحيين؟ !



الدمار والخراب
في مخيم جنين

لجنة حقوق الإنسان تدين إسرائيل

تلقّت إسرائيل «المسخ» صفعة موجعة من الأمم المتحدة في مؤشر إضافي رافض لما تقوم به في الأراضي المحتلة . فقد دانت لجنة حقوق الإنسان التابعة للمنظمة الدولية بغالبية كبيرة إسرائيل بارتكاب «قتل جماعي» ضد الفلسطينيين وطالبتها بإنهاء حملتها العسكرية في الأراضي الفلسطينية ، فيما اتهمتها وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (اونروا) بانتهاك معاهدة جنيف خلال «الحرب على المخيمات» .

ووافقت اللجنة ، ومقرّها جنيف ، في جلستها السنوية على مشروع القرار الذي تقدمت به دول عربية وإسلامية أساساً وينتقد إسرائيل أيضاً بسبب «انتهاكات خطيرة» لحقوق الإنسان ويؤكد «حق الشعب الفلسطيني المشروع في المقاومة» .

وصوتت أربعون دولة من أصل ٥٣ عضواً مع القرار الذي قدمته باكستان والصين وكوبا والدول العربية ، في حين صوّتت خمس دول ضده وامتنعت سبع أخرى عن التصويت ، ولم تتخذ دول الاتحاد الأوروبي موقفاً موحّداً .

ولم يشر القرار إلى مخيم جنين في الضفة الغربية حيث يتهم الفلسطينيون القوات الإسرائيلية بارتكاب مذابح قتل فيها نساء وأطفال بالإضافة إلى المقاتلين .

وانتقد القرار «الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي» ، كما «ينتقد بشدة الحرب التي أطلقها الجيش الإسرائيلي ضد المدن والمخيمات الفلسطينية ، والذي أدى حتى الآن إلى مقتل المئات من المدنيين الفلسطينيين بينهم النساء والأطفال» .

وأعرب القرار عن قلقه حيال «رفض إسرائيل الالتزام بقرارات الأمم المتحدة وفرضها عزلة على الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات» . كما عبّرت لجنة حقوق الإنسان عن قلقها الشديد «خصوصاً إزاء القتل الجماعي الذي ترتكبه سلطات الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني» .

وتوجّه اللجنة دائماً في جلساتها السنوية انتقادات لإسرائيل لمعاملتها للفلسطينيين ، ولكن هذا القرار يعتبر الأكثر حدة .

وتفاوضت الدول الأوروبية مع دول منظمة المؤتمر الإسلامي لإلغاء بعض التعابير التي تدين إسرائيل والتي اعتبرت قوية في النص ، إلا أن لندن وبرلين صوتتا ضد القرار بعد أن اعتبرتا أن التعديلات لم تكن كافية .

وتضمنت صيغة القرار النهائية تشديداً على «شرعية كفاح الشعوب ضد الاحتلال الأجنبي» بينما حذفت التكملة التي كانت تقول «عبر كل الوسائل التي بمتناولها ومن ضمنها الكفاح المسلح» .

وتضمّنت الصياغة الأولى من النص تطرّقاً إلى «إرهاب الدولة» في

إشارة إلى الممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية . وقد أُدخل تعبير «القتل الجماعي» بدلاً من «إرهاب الدولة» ، كما تم استبدال كلمة «الشهداء» للدلالة على القتلى الفلسطينيين بكلمة «القتلى» .

وكان ديبلوماسيون أشاروا إلى أن مشروع القرار سيحظى بتأييد أوروبي كبير بعدما وافقت الدول العربية والإسلامية على تخفيف لهجته .

وصوتت فرنسا وإسبانيا والسويد والبرتغال والنمسا وبلجيكا وروسيا مع القرار ، في حين صوّتت ألمانيا وبريطانيا وكندا وجمهورية تشيكيا وغواتيمالا ضده ، بعد أن اعتبرت أنه غير متوازن ولا يدين بشكل قوي الإرهاب لدى الجانب الفلسطيني .

أمّا الدول الممتنعة عن التصويت فهي إيطاليا واليابان وكرواتيا وبولندا والأورغواي وبوروندي والكاميرون .

وفي توضيح لمواقفهم قال مندوبو بريطانيا وألمانيا وإيطاليا إن النص غير متوازن ولم يتحدث بوضوح كاف عن أعمال «إرهابية» مثل التفجيرات الاستشهادية التي ينفّذها فلسطينيون ضد مدنيين إسرائيليين .

وقال السفير الألماني فالتر ليفالتر «ألمانيا ما زالت قلقة للأوضاع البالغة الخطورة لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة» . أضاف أن بلاده أيّدت دعوة للانسحاب الإسرائيلي الفوري .

لكنه قال إن ألمانيا لم تؤيد القرار لأن «النص يتضمّن صياغات يمكن تفسيرها باعتبارها تأييداً للعنف» .

إلى ذلك ، اتهم رئيس وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (اونروا) إسرائيل بانتهاك معاهدة جنيف خلال «الحرب على المخيمات» وقال إن القوات دمّرت عمداً إمدادات طبية تابعة للأمم المتحدة .

وصرّح بيتر هانسن رئيس المنظمة التي تدعم مشاريع التعليم والصحة للاجئين الفلسطينيين في كل أنحاء الشرق الأوسط ، في مقابلة ، أن المنظمة

حاولت مراراً الوصول إلى مخيمات للاجئين الفلسطينيين منذ أن بدأت إسرائيل حملتها في الضفة الغربية .

وأوضح هانسن خلال زيارة إلى لندن أنّ رد إسرئيل على المناشدات «كانت سلبية» في تحد للاتفاقات الدولية التي تدعو إلى وصول الهيئات الإنسانية إلى ضحايا الحرب . وقال «لا يمكنني أن أقول إننا لم نتمكن من الاتصال على الإطلاق ، إلاّ أنني بإمكاني القول إننا لم نصل إلى درجة الاتصال التي من الممكن توقعها في حالة الالتزام بمعاهدة جنيف . . كما أننا أوضحنا كيف أن سيارات الإسعاف التابعة لنا كانت مستهدفة ، كما تم تدمير الأدوية والمعدات في بعض مراكزنا الطبية ، واستخدام مدارس اونروا كمراكز للاستجواب» . أضاف «بحثت هذا مع زملاء يعملون في المجال الإنساني في أماكن أخرى في العالم . . لا يمكن لأي منا أن يفكر في أوضاع لا يكون فيها أي مراعاة للمناشدات الإنسانية» .

وذكر هانسن أنه في مخيم الأمعري للاجئين الواقع على أطراف رام الله تم اقتحام مركز طبي تابع للاونروا ، حيث «تم ركل أو جرّ بعنف بالغ كرسي طبيب أسنان كان مثبتاً على الأرض ، حتى أن الكرسي بأكمله كسره الجنود . لذا كان الأمر يبدو كتدمير متعمد ووحشي» .

كما أفاد بأن جميع سيارات الإسعاف الأربع التابعة للاونروا في الضفة الغربية تلفت أثناء القتال . كما أنه يلقي بشكوك على اتهامات إسرائيلية بأن الفلسطينيين يستخدمون سيارات الإسعاف لإخفاء ونقل أسلحة في كل أنحاء الضفة الغربية .

ولفت إلى أنه «قبل شن الحرب على المخيمات وضع جنود إسرائيليون ذخيرة في سيارات اونروا مرتين وضبطهم العاملون» مضيفاً أن الجنود قالوا إنهم إنما كانوا يمزحون .

وفي بلدة جنين بشمال الضفة الغربية ، والتي شهدت أعنف قتال في

الأيام الأخيرة ، قال هانسن إن الاونروا سجلت فرار ثلاثة آلاف لاجئ من المخيم . وقال «من الممكن أن يكونوا موجودين بيننا إلا أن الأمور تتطور بسرعة كبيرة . . نعرف أن الكثيرين قتلوا إلا أننا لن ندخل في لعبة الأرقام . . حتى نتمكن بشكل كامل من الوصول إلى اللاجئين لن نتمكن حتى من ذكر عدد تقريبي» .

وذكر هانسن أنه لم يتبق الشيء الكثير من البنية الأساسية للسلطة الفلسطينية التي يتزعمها الرئيس ياسر عرفات ، فقد هوجمت الوزارات ونهبت بما في ذلك وزارة التعليم ومكتب الإحصاءات المركزي .

وقال «نحن الآن في وضع تنفد فيه إمدادات الطعام في كل أنحاء البلاد . . لم نتمكن من تقديم أي إمدادات في غزة أو الضفة الغربية لوقت طويل ، وهناك خطورة من أن تنفد الإعانات الغذائية في أواخر الصيف ما لم نحصل على الواردات ونحصل على ثمنها» .



في الطريق إلى نابلس



بيت لحم



قصف مباشر



بيتونيا

«إخراج مسرحي» إسرائيلي لمجازر جنين

كشفت إسرائيل تدريجاً عن حجم الجرائم التي ارتكبها جيشها في مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين ، وذلك بطريقة «إخراج مسرحي» مدروسة تحاول فيها الخروج من «معركة الجثث» بأقل قدر من الأضرار ، كما قال أحد المعلقين العسكريين الإسرائيليين ، وبعدما بحّت أصوات الناجين والفارين من المجزرة التي تعرض لها المخيم على مدى تسعة أيام متواصلة استصرخوا فيها ، عبر هواتفهم الخليوية ومن داخل المخيم الذي انتشرت فيه رائحة الموت ، الضمير الإنساني للتدخل ووقف ما يرتكب من جرائم ضد النساء والشيوخ والأطفال من قصف وتجريف وقتل ، بدا أن عامل الزمن لا يعمل لمصلحة الجيش الإسرائيلي الذي رفض ، بعد توقف القتال داخل المخيم ، أن يفك قبضته عنه أو أن يسمح لأي مؤسسة إنسانية أو ممثلي

الصحافة من دخوله ، فيما لا يستطيع تقديم أي تفسير منطقي لهذا الإجراء سوى ما تكشف من خلال الإسرائيليين أنفسهم بأن الجيش «يتدارس أفكاراً تتيح الخروج من اللعبة الفلسطينية بأقل قدر ممكن من الأضرار» .

وقد أقر الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي الجنرال رون كيتري للمرة الأولى منذ بدء الهجوم بقتل «مئات الفلسطينيين» داخل مخيم جنين خلال مقابلة مع إذاعة الجيش الإسرائيلي ، وذلك قبل أن يتدارك ما سُمي بـ «زلة اللسان» من خلال بيان توضيحي قال فيه إنه كان يعني «أن مئات الفلسطينيين قتلوا أو جرحوا خلال العملية العسكرية ، ومعظمهم في أثناء القتال» ولاحقاً ، في إطار سياسة «بلع الجريمة على جرعات» ، قدّر كيتري عدد الشهداء بـ ٢٥٠ شهيداً ، مضيفاً أن الجيش «لا يعرف عدد الشهداء بالضبط» .

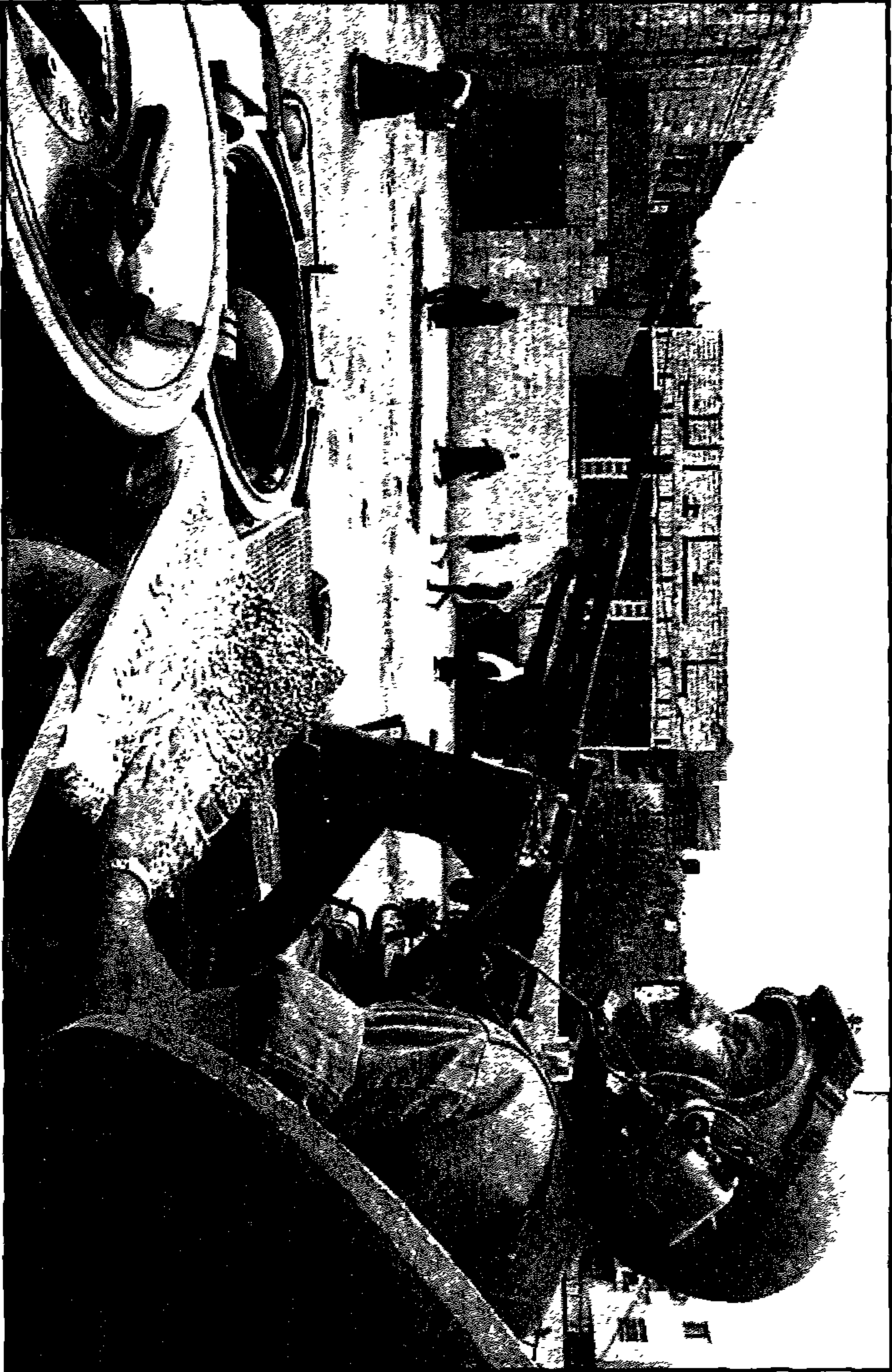
وما لم يقله الجنرال الإسرائيلي ، أقرّ به المعلق العسكري المعروف أليكس فيشمان في صحيفة «يديعوت أحرونوت» ، كبرى الصحف الإسرائيلية ، إذ قال في مقال إن الجيش في مخيم جنين «كمن يجلس على غطاء طنجرة ضغط ضخمة وهائجة» ، مضيفاً أن «حكاية الجثث تهدد بالتضخم والوصول إلى مقاييس بشعة تصل حد المذبحة الجماعية وبالتالي إشعال الفتيل في شوارع الدول العربية المعتدلة ، ولذلك لا يمكن لإسرائيل الخروج الآن من مخيم اللاجئين في جنين» ، وتابع :«يجب الوصول أولاً إلى الجثث المخبأة ودفنها من خلال إيجاد ترتيب يتيح للعائلات الفلسطينية الوصول كل عائلة على حدة لأخذ الجثث ودفنها» .

واتبعت إسرائيل فعلاً هذا النهج لإخفاء جرائمها في البلدة القديمة في نابلس ، من خلال السماح لبعض الفلسطينيين بالدخول لانتشال أعداد محددة من الشهداء ودفنهم على «دفعات» ، في محاولة للتخفيف من وطأة المشهد المأسوي لعشرات الشهداء الذين سقطوا في البلدة القديمة ، وتم دفن

٢٦ منهم في المرحلة الأولى قبل انتشال جثث أفراد عائلتين فلسطينيتين هدمت بيوتهم فوق رؤوسهم ، وجلهم من الأطفال والنساء ، في حارة «القرويون» في البلدة .

وبدا أن الجيش الإسرائيلي ، الذي كان لا يزال موجوداً داخل المخيم المنكوب ، لا يدري بالضبط ما الذي يفعله بمئات الجثث لشهداء أعدم عدد كبير منهم ميدانياً ، في حين تولت الجرافات العسكرية الضخمة مهمة دفن البقية وهم أحياء تحت أنقاض بيوتهم ، خصوصاً أن الناجين من مذبحة جنين يؤكدون أن عشرات الجثث بقيت ملقاة لأيام في الشوارع ، وأن الحيوانات بدأت تنهش بلحمها ، وتخشى إسرائيل أن عملية «الردم» المنهجي الذي قامت به لأنقاض بيوت الفلسطينيين وتحويله إلى أرض منبسطة للتخفيف من وقع المشاهد ، لن تحجب بشكل كامل الشهداء ، خصوصاً أن «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة» (اونروا) تملك سجلات كاملة عن عدد سكان المخيم .

في غضون ذلك ، بدأت إفادات مئات الفلسطينيين الذين أبعدوا إلى قرى مجاورة لمدينة جنين ، خصوصاً قرية رمانة التي وصل إليها نحو ٥٠٠ فلسطيني ، تكشف مزيداً من تفاصيل الجرائم ليس أقلها إعدام شبان أمام آبائهم وأقاربهم بعد الإمعان في إهانتهم والتنكيل بهم وحملهم على خلع ملابسهم بشكل شبه كامل . ولا يزال نحو ثلاثة آلاف فلسطيني ، جلهم من النساء والأطفال ، يبحثون عن أقربائهم من الذكور بين مشرد وسجين ومفقود .



يضرب ويقصف على الخريطة

الجيش الإسرائيلي يدفن مئات الجثث لفلسطينيين

بعد إعلان الجيش الإسرائيلي إحكام سيطرته على مخيم جنين في الضفة الغربية ، الذي شهد قتالاً عنيفاً بينه وبين مقاتلين فلسطينيين طوال عشرة أيام ، تتوالى الروايات عن قيام هذا الجيش بدفن مئات الجثث في أماكن لا تزال مجهولة . وبسبب السكوت الذي يلزمه الجيش الإسرائيلي حول مكان هذه الجثث ، رغم إعلانه عن سقوط نحو مائتي قتيل فلسطيني في مخيم جنين ، ونتيجة الإبقاء على منطقة المخيم منطقة عسكرية مغلقة ، كثرت المعلومات المتضاربة حول مكان هذه الجثث .

وأكّد نواب عرب في الكنيست الإسرائيلي أنهم تلقّوا يومياً اتصالات هاتفية من مواطنين يؤكدون أنهم شاهدوا عمليات دفن جماعية في أماكن

متباعدة . ويتهم الفلسطينيون الجيش الإسرائيلي بأنه يحاول إخفاء «مجازر بشعة» ارتكبها جنوده في مخيم جنين أو في البلدة القديمة في مدينة نابلس . وقال النائب العربي في الكنيست الإسرائيلي أحمد الطيبي إنه تلقى اتصالاً من فلسطيني يؤكد أنه شاهد عملية دفن جماعي في منطقة الجفتلك في مدينة أريحا بالضفة الغربية . وأضاف «يومياً تصلنا إشارات تؤكد أن هناك محاولة إسرائيلية لإخفاء مجزرة وجريمة حرب ارتكبت في مخيم جنين ويحاول الجيش الإسرائيلي إخفاءها» .

وأشار الطيبي إلى أن «إصرار الجيش الإسرائيلي على منع الصليب الأحمر والصحافة من دخول المخيم هو دليل على أنهم يقومون بإخفاء جريمة لا يريدون أن يعرفها أحد» . وتقدم النائب الطيبي والنائب محمد بركة بالتماس إلى محكمة العدل العليا الإسرائيلية طلبا فيه إصدار قرار يمنع نقل الجثث من مخيم جنين إلى الخارج «حتى تتم عمليات الدفن وفق التقاليد الإسلامية» ، كما قال الطيبي . وأضاف الطيبي أن الحكومة الإسرائيلية أعربت عن استعدادها لتسليم الصليب الأحمر عدداً محدّداً من الجثث شرط الإسراع بدفنها . ووصف هذا الاقتراح الذي رفض بأنه «عملية مساومة» .

وأصدرت المحكمة الإسرائيلية قراراً يمنع الجيش الإسرائيلي من التصرف بالجثث التي في حوزته من أجل مواصلة بحث الالتماس المعروض عليها . ولم يصدر حتى الآن أي رقم دقيق لعدد الذين سقطوا من الفلسطينيين ، فيما قالت مصادر إسرائيلية إن عدد القتلى والجرحى يصل إلى «المئات» . وقال وكيل وزارة الصحة الفلسطينية منذر الشريف إن «عدد

الشهداء في مخيم جنين قد يصل إلى ٥٠٠» . وأضاف أن عدد القتلى الذين نقلوا إلى مستشفى جنين وصل إلى ٢٣ فقط . وأوضح «إذا كان الإسرائيليون يعترفون بمئات الشهداء فأين باقي الجثث؟» .

وأكد الشريف أن «الجيش الإسرائيلي ارتكب مجزرة بشعة في مخيم جنين ، وأن إصرار الجيش الإسرائيلي على منع الصليب الأحمر أو الهلال الأحمر والعديد من المؤسسات الحقوقية من دخول المخيم دليل على أنهم يقومون بعملية إخفاء لجريمتهم» .

وتلقى مراسل وكالة الصحافة الفرنسية في القدس مكالمة هاتفية من مسؤول فلسطيني في مؤسسة تعنى بالبحث عن الذين اعتقلهم الجيش الإسرائيلي ، قال فيها إنه تلقى اتصالاً من فتاة من قرية أبو كف البدوية داخل إسرائيل أكّدت أنها شاهدت عمليات دفن في قرية نبّاطين القريبة .

وأضاف المسؤول الذي فضل عدم الكشف عن هويته أن الفتاة «بدت خائفة جداً» وقالت «شاهدتهم بأم العين وهم يسحبون جثثاً من شاحنتين ويضعونها في حفر ثم يدفنونها بالجرافات» . وقالت الفتاة أيضاً إن «الجنود الذين قاموا بسحب الجثث كانوا يرتدون قفازات ويغطون أقدامهم بالبلاستيك» .



هيومن رايتس ووتش: لا مجزرة بل جرائم حرب في جنين

أعلنت منظمة «هيومن رايتس ووتش» الأميركية للدفاع عن حقوق الإنسان أن الجيش الإسرائيلي لم يرتكب مجزرة في مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين بل «انتهاكات للقانون الإنساني» تصنف «للوهلة الأولى» في إطار «جرائم الحرب».

وقالت المنظمة في تقرير صدر رسمياً بعدما أجرت تحقيقات استمرت سبعة أيام في الموقع إنها «لم تجد أي دليل يسمح بتأكيد الاتهامات بارتكاب القوات الإسرائيلية مجزرة أو عمليات إعدام تعسفية على نطاق واسع في مخيم جنين».

وقال بيتر بوكيرت، أحد أعضاء الفريق التابع للمنظّمة، الذي زار المخيم في تقرير إن «الوقائع التي حققنا فيها في جنين خطيرة جداً وتبدو في

بعض الحالات جرائم حرب» .

وأضافت المنظمة التي تتخذ من نيويورك مقراً لها أنّها أعدّت تقريراً عن «المسؤولين أيضاً عن عمليات انتحارية تستهدف مدنيين إسرائيليين» ، موضحة أن ٥٢ فلسطينياً بينهم ٢٢ مدنياً قتلوا خلال الهجوم الإسرائيلي على مخيم جنين الذي يضم ١٤ ألف لاجئ .

وذكرت المنظمة بين انتهاكات قانون الحرب استخدام الجنود الإسرائيليين فلسطينيين «دروعاً بشرية» .

ونقلت المنظمة عن شهود أن «جنوداً إسرائيليين أجبروا ثمانية مدنيين على حمايتهم بالإبقاء عليهم على شرفة أحد المنازل بينما كانوا يطلقون النار على فلسطينيين مسلحين» .

وقال أحد المدنيين إن «الجنود أبقوهم ثلاث ساعات على خط النار وأسندوا رشاشاتهم على كتفيه وكتفي ابنه» .

وأشارت المنظمة أيضاً إلى مقتل رجلين كانا على كرسيين متحركين في أثناء العملية بعدما دهست الدبابات الإسرائيلية أحدهما مع أنه كان يرفع العلم الأبيض .

وقد قتل الرجل الثاني في انهيار منزله لأن الجيش الإسرائيلي لم يمهل أسرته بعض الوقت لإخراجه .

وأطلق الجنود الإسرائيليون النار على فتى في الرابعة عشرة من عمره بينما كان في طريقه لشراء حاجيات بعد رفع حظر التجول ، وقتلت امرأة تبلغ من العمر ٥٢ عاماً في انفجار متفجرات وضعها أمام منزلها جنود كانت تستعد لفتح الباب لهم .

وحول مسؤولية الفلسطينيين عمّا حدث في المخيم ، قالت المنظمة إن «مقاتلين فلسطينيين عرضوا للخطر المدنيين في المخيم باستخدامه قاعدة لتنظيم شن هجمات» ، منتقدة قيامهم بوضع ألغام فيه واختلاطهم بالمدنيين .

وحول الشهادات التي جمعتها عن الاتهامات الموجهة إلى الإسرائيليين أوضحت المنظمة أن «كل حالة أوردها التقرير تتطلّب تحقيقاً إضافياً معمّقاً يتسم بالشفافية والموضوعية ويجب أن تنشر نتائجه» .

وأضافت أن «المسؤولية الكبرى في إجراء التحقيقات تقع على عاتق إسرائيل ، لكن الأسرة الدولية تتحمل أيضاً مسؤولية التأكد من أن هذه التحقيقات جارية» .

اعتراض الجيش الإسرائيلي

إلى ذلك ، اعترض الجيش الإسرائيلي على تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش .

وقال الناطق باسم الجيش اللفتنانت كولونيل أوليفيه رافويكس إن «التقرير يتجاهل كلياً الأسباب الحقيقية وراء عملية الجيش الإسرائيلي في جنين» .

وأضاف أن التقرير «لا يتناول تعقيد البنية التحتية الإرهابية في المخيم ، وواقع أنه أقيم في قلب منطقة آهلة ذات كثافة بشرية كبيرة» .

كذلك رفض الناطق الاتهام الموجه إلى الجنود الإسرائيليين باستخدام مدنيين «دروعاً بشرية» ، متهماً بدوره الفلسطينيين بأنهم عرضوا حياة المدنيين للخطر عبر تمركزهم في وسط المخيم .

وبخصوص الدمار قال الناطق الإسرائيلي إن الجيش دمّر ١٣٠ مسكناً «أي أقل من ١٠٪ من منازل المخيم» .

روبنسون

وصرحت رئيسة المفوضية العليا لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة

ماري روبنسون ، في مؤتمر صحافي في فيلنيوس ، أن التقرير الذي أعدته منظمة «هيومن رايتس ووتش» للدفاع عن حقوق الإنسان حول جنين يتمتّع بالمصداقية» .

وقالت روبنسون التي كانت تتحدث على هامش اجتماع لمجلس أوروبا «لدينا تقرير يتمتع بالمصداقية لمنظمة «هيومن رايتس ووتش» يثير قلقاً في ما يتعلق بانتهاكات القانون الإنساني واستخدام القوة غير المناسب ضد السكان المدنيين في المخيم» .

ودعت روبنسون «الدولة المسؤولة إسرائيل إلى بدء تحقيق مستقل وملاحقة الذين يتحملون مسؤولية انتهاكات القانون الإنساني الدولي» .

وأضافت أن «هناك مسؤولية واضحة جداً بسبب الظروف الخاصة للدولة التي وقعت اتفاقية جنيف» .

شارون وموفاز كهانا وإيتام

اتهمت وزيرة إسرائيلية سابقة كلاً من رئيس الحكومة الإسرائيلية أرييل شارون ورئيس أركان جيش الاحتلال شاؤول موفاز بأنهما ارتكبا جرائم حرب ضد الشعب الفلسطيني . وفي تصريحات أدلت بها قالت شولاميت ألوني ، التي شغلت منصب وزيرة التعليم في حكومة إسحق رابين ، إنه ليس من المستبعد أن يُستدعى الاثنان للمثول أمام المحاكم الدولية الخاصة بمعاقبة مجرمي الحرب للنظر في الجرائم التي ارتكباها ضد الإنسانية .

وانتقدت ألوني ، التي كانت زعيمة لحزب ميريتس اليساري ، الذي ضم أفي إيتام الزعيم الجديد لحزب المفدال الديني القومي ، حكومة شارون ووصفته بأنه «كهانا (زعيم حزب كاخ اليهودي العنصري الذي اغتيل في

نيويورك عام ١٩٩٥) ذكي» . واعتبرت ألوني إيتام الذي دعا إلى طرد العرب من أرض فلسطين بأنه أكثر خطورة من كهانا . وشددت على أن النصوص التي تصدر عن إيتام تشبه إلى حد كبير النصوص التي كانت تصدر عن زعيم الفاشية الإيطالية موسوليني . وسخرت ألوني من الذين يدعون أن إسرائيل دولة ديمقراطية ، وقالت« صحيح أن إسرائيل دولة ديمقراطية لكن الديكتاتوريين أمثال هتلر ونابليون انتخبوا بصورة ديمقراطية» .

من ناحية ثانية أطلق العديد من كبار المعلقين الاستراتيجيين انتقادات لاذعة إلى حملة «السور الواقي» التي تواصلها حكومة شارون ضد الشعب الفلسطيني .

وفي تصريحات للقناة الأولى في التلفزة الإسرائيلية قال رؤفين فدهيستور ، أحد كبار المعلقين الاستراتيجيين ، إن إسرائيل خسرت المعركة في هذه الحملة سيّما على معسكر جنين . واعتبر فدهيستور أن نجاح رجال المقاومة الفلسطينية في تنفيذ عملية فدائية في قلب إسرائيل ، رغم أن جيش الاحتلال كان في أوج حملته ، يدل على فشل هذه الحملة . ووصف فدهيستور صمود رجال المقاومة الفلسطينية في جنين بأنه «أسطوري» ، وشدد على أن الفلسطينيين سيحرصون على اتخاذ مخيم جنين كنموذج يتوجب الاقتداء به في أي عملية مستقبلية .

واستخف فدهيستور بتباهي قادة جيش الاحتلال بأنهم دمروا البنية التحتية للمقاومة الفلسطينية ، قائلاً إن هذا مجرد سخف لا يتوجب الردّ عليه . وتساءل قائلاً «ماذا يحتاج فلسطيني يريد أن يفجّر نفسه في قلب مجموعة من الإسرائيليين؟ إنها مجرد مواد بسيطة يمكن الحصول عليها من أي مكان» . من ناحية ثانية اتخذ عوفر شيلح المعلق في صحيفة «يديعوت أحرونوت» معاملة إسرائيل لجبريل الرجوب مدير جهاز الأمن الوقائي

الفلسطيني كنموذج على فشل الحملة . وأشار شيلح إلى أن جيش الاحتلال جعل من الرجوب في نظر الفلسطينيين عميلاً يتوجب قتله ، وذلك بتأكيد الأجهزة الاستخباراتية الإسرائيلية أن الرجوب هو القائد الأمني الفلسطيني الوحيد الذي حال دون مشاركة عناصره في عمليات المقاومة ضد الاحتلال .



حقوق الإنسان في جنين من خلال ثقب باب

لم يكن بوسع لقية تومي أن تشاهد الأشياء إلاّ من خلال ثقب الباب . وقد رأت من خلال ذلك الثقب أن جارها قد ضُرب بالرصاص وهو يرفع يديه ، وصرخت عندما أبصرت امرأة طاعنة في السن تسقط برصاص أحد القناصة . ولكن لم يعد بوسعها أن تبقى في مكانها عندما رأت طفلة تسير دون هدى في شارع مليء بالألغام .

قالت لقية : « أمرني الجنود ألاّ أخرج من منزلي ، ولكنني لم ألتزم بذلك . لم يكن بمقدوري أن أبقى حيث كنت » . وقد خرجت لقية ، الممرضة الفلسطينية ، وأمسكت بالطفلة لتنقذها من موت محقّق . وقد ظهرت شواهد دامغة ومتزايدة ، بعد أسبوعين من أكثر المعارك دموية ، التي خاضها الجيش الإسرائيلي بالضفة الغربية ، منذ ١٩٦٧ ، أن النصر الذي

تحقق له في معسكر جنين للاجئين ، كان ملطّخاً بخروقات حقوق الإنسان . فقد أطلق الجنود الإسرائيليون رصاصهم على المدنيين العزل ، وهدموا المنازل على أهلها بالبلدوزرات ، وأغلقوا كل سبل الوصول إلى المستشفيات ومراكز العناية الطبية ، وأدلى بشهادات تثبت أن الجيش قام بهذه الأفعال كلها عشرات من الشهود العيان ، تمكّنوا من الحديث وهم يقيمون في مأوى مؤقت خارج المخيم الذي كانت لا تزال تشتعل فيه الحرائق .

وتدل الشهادات التي أدلى بها هؤلاء ، كشهود عيان ، أنه دارت معركة بشعة ، انتقلت من بيت إلى بيت ، بين الجنود الإسرائيليين وبين المسلحين الفلسطينيين الذين كانو يقيمون في الحي مع سكانه الآخرين من المدنيين العزّل . اصطحبت القوات الإسرائيلية ، ولأول مرة منذ بداية الهجوم ، الصحافيين في جولة على هذا المخيم . كانت جثة رجل فلسطيني ملتح لا تزال على الأرض في أحد الشوارع ، يغطيها الذباب ، بعض المنازل والمباني تمت تسويتها بالأرض . وقال الجنود الإسرائيليون إنهم وجدوا مصائد مموهة في كل أنحاء المخيم . ولكن بعد فترة من مغادرة الصحافيين ، اندلع القتال من جديد ، وسمعت أصوات انفجارات قوية ، قال المواطنون إنها عبوات ناسفة تستخدم في تحطيم الأبواب ، وسمعت كذلك أصوات المدافع الآلية وأصوات قذائف الدبابات ، وتعالت ألسنة اللهب والدخان من أحد جوانب المعسكر الذي كان يؤوي ١٣ ألف شخص قبل بدء الهجوم .

وقال رجل من سكان المخيم في محادثة هاتفية إنه لم يبق من سكان المخيم إلا قلة من الناس ، فقد انعدمت المياه وخدمات الهاتف ، رغم أن الإمداد الكهربائي قد أُعيد .

قال الرجل ، واسمه وليد آغا ، وهو أب لثلاثة أطفال :« نحن أصابنا اليأس ، إننا نشم رائحة الجثث المتحللة» .

وقال الإسرائيليون إن عدد القتلى كان ٢٣ من الجنود الإسرائيليين

وحوالى ٧٠ من الفلسطينيين . ولكنهم قالوا إنّ مزيداً من الجثث يمكن أن تستخرج من الحطام الذي يصل ارتفاعه إلى ٢٥ قدماً في بعض المواقع . ولكن الفلسطينيين يصرون على أنه قد مات بين ٣٠٠ و ٥٠٠ شخص نتيجة الهجوم الذي استمر أسبوعين . ويمكن أن يبقى عدد الضحايا موضعاً للجدل . فقد رفضت المحكمة العليا طلباً من السياسيين العرب بإسرائيل وبعض جمعيات حقوق الإنسان ، بمنع الجيش الإسرائيلي من دفن الموتى وقالت المحكمة إن من حق الجيش أن يدفن الموتى إذا فشلت السلطة الفلسطينية في عمل ذلك . ولكن المحكمة قالت إنه من الأفضل أن تساهم في العملية جمعية الصليب الأحمر الدولي . ونفى المسؤولون العسكريون أن تكون قد حدثت مجازر أو أية خروقات لحقوق الإنسان .

ومع هدير الدبابات وانتشارها في شوارع المخيم المهجورة والمخربة ، في الساعات الأولى من يوم ٣ نيسان (أبريل) وهو اليوم الأول لبداية الهجوم ، وحتى لحظة الإخلاء شبه التام للمخيم يوم السبت ، قال أكثر من عشرة من الشهود ، أدلوا بأقوالهم باستقلال عن بعضم البعض ، أنهم شاهدوا نمطاً محدّداً للاعتداء على المدنيين . وقال هؤلاء الشهود إن الجنود الإسرائيليين عمدوا منذ البداية إلى إطلاق الرصاص على المواطنين العزل وإلى هدم البيوت على ساكنيها . وجاءت في شهادة آخرين أن الإسرائيليين منعوا الناس من الوصول إلى مراكز العلاج . وقال آخرون إن الإسرائيليين اعتقلوهم وهددوهم بالقتل قبل أن يطلقوا سراحهم .

وفي اليوم الأول للهجوم هربت لقية تومي من مركز صحي تابع للأمم المتحدة بحثاً عن الأمان في منزل أحد أقربائها . وعندما كانت تنظر من ثقب الباب رأت رجلاً بالشارع يسير وهو يمسك بطنه ، لم يكن يحمل سلاحاً . وقالت تومي إنه كان يقول :

«أريد طبيباً أريد أن أذهب إلى المستشفى» فقد ضربوه بالرصاص .

وتحدثت تومي وأكد ما قالته بهاء عوض (٢٠ سنة) وهو موظف في الإسعاف ، عن حادثة وقعت في الأيام الأولى من الغزو ، عندما أمر الجنود الإسرائيليون إحدى الأسر بالخروج من منزلها ، وبعد ذلك هدموه بالبلدوزر ، وكان أفراد الأسرة يصرخون ويقولون إنهم اضطروا للخروج من منزلهم وتركوا وراءهم ابنهم المعوق ، ومع ذلك فإن المسؤولين في الجيش الإسرائيلي يقولون إنهم لم يدفنوا المدنيين الأبرياء وهم أحياء !

قال الضابط المسؤول وهو يتحدث للصحافيين :« نحن لا نحطم أية منازل إذا كنا نعلم أن هناك مدنيين بالداخل ، ولكننا نفعل ذلك في حالة تكرار نداءاتنا بالاستسلام واستمرار إطلاق النار من داخل المنزل المعيّن» .

لارسن في جنين: الصدمة والفزع

منذ زيارته لمخيم جنين للاجئين وحديثه عن المأساة والفظائع التي رآها هناك، تعرض تيري رود - لارسن، كبير ممثلي منظمة الأمم المتحدة والرجل الذي بدأ الاتصالات السرية التي أدت إلى اتفاقيات أوسلو، إلى هجوم شخصي قاس وغير عادي من الحكومة الإسرائيلية، إذ اتهم بـ«الوقاحة» و«حمل أفكار معادية للسامية»، كما أن مسؤولي حكومة أرييل شارون تحدّثوا عن طرده.

ربما يكون الهجوم الأخير الذي تعرض له رود- لارسن من الحكومة الإسرائيلية الأكثر غضباً وانفعالاً، لكنه ليس الأول بأية حال، إذ تعرض لانتقادات عنيفة من المعارضين لاتفاقيات أوسلو وسط العرب والإسرائيليين، علماً بأنه معروف بتأييده لصيغة «الأرض مقابل السلام» التي

ساعدت في التوصل إلى اتفاقيات أوسلو ، فضلاً عن أن إدانته للهجمات الانتحارية أثارت بعض الاتهامات من جانب الفلسطينيين .

وقال رود - لارسن إنه يشعر بثقة تامة لأنه متأكد من أنه «فعل ما يعتقده صحيحاً» ويدرك أن «ما يفعله هو الصحيح» فقد قال :« أي إنسان منصف ينظر إلى الجثث المتعفنة وهي تخرج من تحت سطح الأرض مباشرة لا بد أن يشعر بالصدمة والفزع .هذا ليس اتهاماً وإنما رد فعل إزاء مأساة إنسانية» .

وكان كوفي أنان أعلن أن فريقاً لمنظمة الأمم المتحدة سينظر في ما حدث في مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين ، وقال إنه يشعر بخيبة الأمل إزاء تعرض رود - لارسن لهجوم علني من المسؤولين الإسرائيليين . وأضاف أنان أن رود لارسن لم يتهم إسرائيل بارتكاب مجزرة مؤكداً أنه لم يستخدم حتى كلمة «مجزرة» .

جاءت انتقادات الحكومة الإسرائيلية المكثفة على نحو مفاجئ . فالدمار الذي تعرض له مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين كان موضوعاً ركزت عليه الكثير من التقارير التي أوردتها مختلف وسائل الإعلام والمسؤولون الأجانب الذين زاروا المخيم ، بمن في ذلك وليام بيرنز مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأدنى ،إذ أعرب كل هؤلاء عن أسفهم للدمار الذي حدث . كما أن وزير الخارجية الأميركي كولن باول كان قد ناشد إسرائيل بالسماح لعمال الإغاثة بدخول المعسكر ، إلا أن حكومة شارون صبّت جام غضبها فيما يبدو على لارسن ، وهو منسق الأمم المتحدة الخاص لعملية السلام في الشرق الأوسط ، خصوصاً عقب اتخاذ القرار الخاص بإرسال فريق لتقصي الحقائق إلى مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين .

الجدير بالذكر أن لارسن كان قد أدلى بالعديد من التعليقات

للصحافيين واصفاً الدمار الذي ألحقه الجيش الإسرائيلي بالمخيم بأنه «بغيض أخلاقيّاً» وقال كذلك إنه «مثير للصدمة» ، إن عمال الإغاثة لم يسمح لهم بدخول المخيم على مدى ١١ يوماً . وعلق لارسن في هذا السياق بقوله : «مكافحة الإرهاب لا تعطي أي جهة شيكاً على بياض لقتل المدنيين» كما أثار غضب الحكومة الإسرائيلية استدعاء لارسن للسفراء الأجانب لإطلاعهم على ما شاهده في جنين .

دافع عن لارسن مسؤولون إسرائيليون عملوا معه على مدى سنوات مثل داني ياتوم ، المدير السابق لجهاز «الموساد» ، الذي قال إن لارسن يعتبر بصورة عامة «صديقاً عظيماً لدولة إسرائيل» . كما وصف يوري سافير ، المفاوض الإسرائيلي السابق الذي عمل مع لارسن في اتفاقيات أوسلو ، التهم التي وجهت إلى مبعوث الأمم المتحدة بـ «الخزي» ، كما وصف رون بونداك ، وهو أكاديمي شارك في الاجتماعات السرية في أوسلو ويرأس حالياً «معهد بيريس للسلام» ، الهجوم الذي تعرض له لارسن بأنه «مشين» . وأضاف بونداك أنه يعرف لارسن لمدة عشر سنوات تقريباً وأنه على يقين من أنه ليس عدواً لإسرائيل ، كما وصفه بأنه «وسيط أمين للغاية» ، مؤكداً أنه ظل باستمرار في مقدمة من ينتقدون ياسر عرفات كلّما وقع هجوم انتحاري في إسرائيل . وبكل المقاييس ، فإن عداء شارون للارسن يعود إلى ما قبل الضجة الراهنة ، إذ تعود جذور عداء شارون له إلى اتفاقيات أوسلو ، إذ رفض منذ انتخابه الاجتماع به ، كما أعرب كذلك عن امتعاضه إزاء مساعي لارسن للعمل كوسيط بين عرفات والحكومة الإسرائيلية .

وكانت زوجة لارسن ، منى جوول ، قد عملت سفيرة للنرويج لدى إسرائيل ، كما أسس لارسن عام ١٩٨١ «معهد العلوم التطبيقية» . وعندما انتقلت زوجته للعمل كدبلوماسية في مصر ، أجرى لارسن دراسة حول

الأوضاع المعيشية في فلسطين .

وبفضل العلاقات التي أقامها لارسن مع الإسرائيليين والفلسطينيين ، إلى جانب صداقته مع وزير الخارجية النرويجي ، أثمرت عام ١٩٩٢ الاتصالات السرية في أوسلو بين المسؤولين االإسرائيليين والفلسطينيين . وبانتخاب حكومة تابعة لحزب العمل في إسرائيل في حزيران (يونيو) ١٩٩٢ ، حول وزير الخارجية في ذلك الوقت ، شيمعون بيريس ، وياسر عرفات ، الذي كان قائداً لـ«منظمة التحرير الفلسطينية» ، اتصالاتهما إلى قناة سرية للمفاوضات .

اختتمت تلك المفاوضات بتوقيع إعلان المبادئ في البيت الأبيض في ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ . وفي العام نفسه جرى تعيين لارسن مستشاراً خاصاً لوزير الخارجية النرويجي ، وفي العام التالي منسّقاً خاصاً للأمم المتحدة بالأراضي المحتلة مقيماً في غزة .

عاد لارسن إلى النرويج نهاية عام ١٩٩٦ ليصبح وزيراً للتخطيط ، لكنه عاد سريعاً وأصبح عام ١٩٩٩ منسّقاً خاصاً للأمم المتحدة لجهود السلام في الشرق الأوسط ، ثم مبعوثاً خاصاً للأمين العام للأمم المتحدة ، كوفي أنان ، لدى السلطة الفلسطينية .

منذ اندلاع أعمال العنف الحالية (قبل ١٩ شهراً) جمع لارسن سفراء الولايات المتحدة وروسيا ودول الاتحاد الأوروبي للمساعدة في التوسط بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي . ومعروف عنه وسط زملائه إلمامه الواسع بتعقيدات العلاقة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية ، كما معروف عنه كذلك المرح وخفة الظل . ومنذ بدء محاصرة عرفات في مقره بمدينة رام الله ، كان لارسن واحداً من بضعة مسؤولين أجانب بوسعهم الوصول إلى عرفات بسهولة .

ويقول لارسن إنه باستثناء شارون له علاقات طيبة مع كل رؤساء

الحكومات الإسرائيلية منذ عام ١٩٩٣ . وعلق قائلاً إنه مندهش لاتهامه بالحديث عن وقوع مجزرة في مخيم جنين للاجئين وإنه لم يصدر إدانة علنية ضد الهجمات الانتحارية ضد الإسرائيليين ، مؤكداً أنه أدان كل الهجمات الانتحارية التي وقعت ووصفها بأنها «بغيضة أخلاقياً ووحشية» .

وأكد لارسن أن مكافحة الإرهاب لا تعني حظر الحقوق الإنسانية وحقوق الفلسطينيين ، وأضاف أن تعليقه إزاء ما حدث في جنين لم يكن حول ما حدث خلال المعركة في جنين وإنما ما حدث بعد المعركة ، أي الوضع الإنساني .

لجنة جنين وابتزاز الأمم المتحدة

كان كوفي أنان قد أعلن أنّ فريقاً تابعاً لمنظمة الأمم المتحدة سينظر في ما حدث في مخيم جنين للاجئين ، ثم جاء التراجع الإسرائيلي الرسمي عن قرار استقبال لجنة تقصي الحقائق الدولية في جنين محاولة أخرى لابتزاز الأمم المتحدة وتضييق نطاق عملها وصلاحيات اللجنة والتأثير في نتائج تحقيقاتها ، حتى لا تدين إسرائيل بارتكاب مجزرة في المدينة الفلسطينية ومخيّمها .

فبعد أن كان وزير الخارجية ، شيمعون بيريس ، قد أبلغ الأمين العام للأمم المتحدة ، كوفي أنان ، موافقة إسرائيل على تركيبة اللجنة ، مع إبداء بعض التحفّظات عليها ، واستعداد إسرائيل لاستقبالها والتعاون معها ووضع جنود وضباط الجيش الإسرائيلي ، الذين عملوا في منطقة جنين ، تحت تصرفها ، اجتمع الطاقم الوزاري المصغّر ، لبحث سبل التعاون مع اللجنة ، وفي ختام الاجتماع ، قبيل منتصف الليل ، أصدروا قراراً يقول إن إسرائيل قرّرت تجميد موافقتها ، والتوجه إلى الأمين العام للأمم المتحدة

لإجراء تغيير في تركيب اللجنة وفي المهام الموكولة إليها .

واتضح أن هذا التغيير هو خطوة تكتيكية ، اتفق عليها الحاضرون ، بعد أن تحدّث الخبراء عن أفضل سبل التأثير في اللجنة . إذ سادت القناعة بأن رئيس اللجنة وعضويها المدنيين سيخرجون باستنتاجات قاسية ضد إسرائيل «فهؤلاء ليسوا عسكريين . ثلاثتهم نشطاء في مهمات إنسانية في العالم ، ومواقفهم تبنى على أسس عاطفية» . وأحدهم ، وهو رئيس منظمة الصليب الأحمر الدولي السابق ، كورنليو سماروجا ، يذكرون له في إسرائيل تصريحات معادية بسبب سياستها ضد الفلسطينيين ، ويقولون إنه لاسامي !!

وزعم رئيس الوزراء ، أرييل شارون ، أن هذه التركيبة سيئة بالنسبة إلى إسرائيل ، ويزيدها سوءاً تصريحات كوفي أنان بأن «اللجنة ستبحث في البداية الوضع في جنين ، ممّا يعني أن هذه بداية فقط ، وأن الأمور ستتسع أكثر» .

وقال هؤلاء الخبراء إن من مصلحة إسرائيل أن تدخل في صدام مع الأمم المتحدة ، الآن ، في هذه المرحلة ، حتى يتم تحديد الأمور بالدقة اللازمة . فكل ضغط اليوم مفيد ، وكل تأجيل للضغط سيكون بلا معنى .

وإثر ذلك ، اجتمع المندوب الإسرائيلي الدائم لدى الأمم المتحدة ، يهودا لانكري ، مع أنان وأبلغه القرار . وكما توقع ، فإن الأمين العام للأمم المتحدة راح يفاوضه على حل وسط ، فأبلغه أنه لن يوافق على تغيير تركيبة اللجنة ، لكنه يتعهد بالامتناع عن توسيع نطاق بحثها ، ويوافق على أن تفحص «الأسباب التي أدت بالجيش الإسرائيلي إلى أن يجتاح جنين» ، أي العمليات الفدائية الفلسطينية . واعتبر لانكري هذا التفاهم إنجازاً ، وقال «هذه بداية جيدة» .

وسافر إلى نيويورك ، بعد ذلك ، وفد إسرائيلي شُكّل للتفاوض مع

اللجنة ، برئاسة المحامي موشيه غومونوفسكي ، نائب المدير العام لوزارة الخارجية ، واجتمع الوفد مع أنان وكذلك مع الوفد الأميركي .

وتجاوب أنان مع الطلب الإسرائيلي بتأخير إرسال الوفد ليبدأ عمله في جنين .

وكان الفلسطينيون قد استنكروا الموقف الإسرائيلي ، وقال أمين سر مجلس الوزراء ، أحمد عبد الرحمن ، إن السلطة الفلسطينية ترفض أي تغيير في تركيبة اللجنة أو كتاب تعيينها .وقال :«إن التصرف الإسرائيلي مستهجن . فالاقتراح الأول كان يقضي بإقامة لجنة تحقيق دولية في مجازر إسرائيل ، لكن الأمم المتحدة مسخته إلى لجنة تقصي حقائق باسم الأمين العام وليس مجلس الأمن ، بضغط من الولايات المتحدة ، أي أن قرار تعيين اللجنة وتحديد مهماتها هو قرار أميركي . فكيف تتجرأ إسرائيل على سيدها الأميركي؟ وماذا يعني هذا التجرؤ؟ هل هي محاولة جديدة لإفراغ اللجنة من مضمونها؟ !» . وقال عبد الرحمن : إن هناك ٢٠ مستشاراً سيرافقون اللجنة ، بعضهم عسكريون سابقون وبعضهم مهندسو بناء وبعضهم أطباء ، أي أن اللجنة متكاملة من هذه الناحية ، وإسرائيل تعرف ذلك جيّداً .

وفي المقابل صرح وزير الدفاع الإسرائيلي ، بنيامين بن أليعازر ، بأن بلاده لم تتراجع عن استقبال اللجنة «بل جمدنا ترحيبنا بها حتى تجري بعض التغييرات الضرورية» . وقال :«أردنا أن نفهم أعضاء اللجنة ورئيسها ومن أرسلها بأن المذبحة لم تبدأ في جنين ، بل قبل ذلك بكثير ، في العمليات الإرهابية الفلسطينية ، فقد ذبح الفلسطينيون ٣٧ يهودياً فقط في شهر آذار (مارس) ٢٠٠٢ ، وجرح أكثر من ثلاثمئة ، فلماذا لم يفكر أحد في لجنة تحقيق»؟

هل تعيد الدموع الحياة إلى مخيم جنين؟

«أرجو العفو لأننا لم نستطع قبل هذا الوقت وقف الدمار والوصول إلى السلام وإلى ما هو مختلف عن الحالة الفظيعة التي نشهدها حالياً» . بهذه العبارة خاطب ألكسي بوغودين مبعوث الرئيس الروسي للشرق الأوسط الحاج أبا محمد أحد اللاجئين في مخيم جنين ، الذي وقف على أطلال منزله الذي دمرته الدبابات الإسرائيلية خلال العدوان الذي تعرض له المخيم . أمّا تيري رود لارسن مبعوث الأمين العام الخاص بعملية السلام في الشرق الأوسط فلم يكن أمامه إلا أن يصف ما حدث في مخيم جنين إلا بـ «الزلزال المدمّر» .

بوغودين ولارسن كانا من بين عدة وفود دولية وصلت مخيم جنين بعد أن سمحت قوات الاحتلال للصليب الأحمر والأمم المتحدة بالوصول إليه .وقد حاول بوغودين التخفيف عن أحد اللاجئين بعد أن بعثرت الدموع كلماته ، فواصل الشد على يديه دون أن يقوى على إخفاء صدمته ومشاعره من هول ما شاهده من دمار وتخريب في جنبات مخيم جنين الذي وصله في زيارة رسمية للاطلاع على حقيقة الأوضاع والمآسي التي يعيشها أهالي المخيم ، والذين أصروا على العودة إليه وبنائه وإعماره بالرغم مما حل به من دمار شامل .

معاينة ميدانية

تجول بوغودين برفقة رئيس البلدية وليد أبو مويس والنائبين جمال الشاتي وبرهان جرار ومدير عام مكتب المؤسسات في المدينة قدورة موسى ، وأطلعه أبو مويس على آثار العدوان حيث دمر الاحتلال البنى التحتية بشكل كامل وأعاد المدينة ومخيمها عشرات السنوات إلى الخلف ، وما زال يفرض حصاراً شاملاً عليها ويعزلها عن العالم . وطالب أبو مويس روسيا الاتحادية بالوقوف الجاد والمسؤول إلى جانب شعبنا وخصوصاً في مخيم جنين الذي تعرض لمجزرة كبيرة وخطيرة ، حيث ما زال مصير المئات من المواطنين مجهولاً

بسبب عمليات التهجير القسري والاعتقال التعسفي والهدم والتخريب .

النائب جمال الشاتي ، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني ، قال للممثل الروسي «إن إسرائيل دفنت السلام تحت أنقاض المخيم الذي سيبقى شاهداً حياً على الجرائم التي نفذت على مرأى ومسمع من العالم على مدار أسبوعين ، قتل خلالها عدد كبير من المدنيين العزل الذين ما زال مصير عدد كبير منهم مجهولاً ، كما هدمت المئات من المنازل وشردت آلاف العائلات» .

بين الأنقاض

وبينما لزم المبعوث الروسي الصمت في مستهل جولته في محيط مباني وكالة غوث اللاجئين (الأونروا) ثم ساحة المسجد ، فإنه لم يتمكن من إخفاء معالم وجهه التي عكست تأثره البالغ وصدمته الشديدة عندما وصل إلى جورة الذهب وحي الحواشين والتقى المئات من المواطنين الذين توزعوا بين أنقاض منازلهم وتحت الركام يبحثون عن أقاربهم المفقودين أو ما تبقى من أغراضهم وممتلكاتهم التي أجبرهم الجيش الإسرائيلي على تركها ومنعهم حتى من إخراج هوياتهم الشخصية ، بل إن بعضهم خرج حافي القدمين ، فأم محمود جلست تبكي على أطلال منزلها وقالت لبوغودين : «ما زال مصير أبنائي مجهولاً فهل ستساعدوننا؟ أين العالم وحقوق الإنسان» . أمّا إبراهيم سليمان فقال له :« أصدرتم قرارات كثيرة ضدإسرائيل فلماذا لم تنفذوها؟ إلى متى ستبقى إسرائيل تقود مجلس الأمن والأمم المتحدة؟» . وصافح علي الدمج الممثل الروسي بحرارة وقال له :« أهالي المخيم يتطلعون لكل الشرفاء في العالم لإنصافهم وتحريرهم من هذا الظلم والعبودية ، نريد حقنا وليس أكثر ، فأي شريعة تجيز هذا الدمار والتشريد في هذا المخيم ، أحياء كاملة أزيلت» ، وأشار بيده صوب حي الحواشين والدمج وقال :« هذه المنطقة كانت أكثر كثافة سكانية في المخيم ، لم يكن فيها شوارع ولكن جيش الاحتلال مسحها من الوجود وشردنا كما ترى بالشوارع» .

المأساة الإنسانية

وواصل بوغودين رحلته الصعبة في المخيم لأكثر من أربع ساعات سيراً على الأقدام في شوارع تفوح منها روائح الموت ويتناثر فيها الركام وينتشر أطفال ونساء ورجال صمموا على العودة إلى المخيم والحياة فيه بالرغم من الدمار، ليعبر عن صدمته مرة أخرى مما تعرض له أحد المساجد من قصف ودمار، وعن تضامنه الكامل مع اللاجئين وتمنياته بنجاح طواقم الإغاثة في الوصول إلى المفقودين ومساعدتهم، وليصف ما شاهده بأنه مأساة إنسانية مؤلمة، وأنه يعيش انطباعات رهيبة بعدما شاهد المأساة الحقيقية وعايشها في المخيم.

النائب برهان جرار دعا ممثلي الأمم المتحدة لنقل صورة الواقع للمؤسسة الدولية، وحثها على لعب دور فاعل بدعم قضية ونضال شعبنا الذي لن يتوقف ما دام الاحتلال جاثماً على أرضه يضرب بعرض الحائط كل الأعراف والقوانين ويرفض تنفيذ الشرعية الدولية. كما أن الادعاء الإسرائيلي حول الانسحاب من جنين عار من الصحة وفقاً لما أكده قدورة موسى، فالدبابات ترابط في مناطق (أ) التابعةً للسلطة الفلسطينية وتلاحق المواطنين وتطلق عليهم النار وتمنعهم من التنقل والحركة وتغلق كل مداخل المدينة والمخيم.

وتبقى تجربة الفلسطينيين مع الأمم المتحدة غاية في التشاؤم، فهم لاجئون منذ عشرات السنين ولم تنجح الجهود الدولية في إعادتهم، وقرارات كثيرة اتخذت ضد «إسرائيل» لم تنفذ حتى لو كانت متعلقة بمجازر على غرار صبرا وشاتيلا التي يقود منفذها حكومة العدو الحالية ويصفه الرئيس الأميركي جورج بوش بأنه «رجل سلام».

مخيم جنين يرفض مساعدات رأس الأفعى الأميركية

«أميركا وبوش عدو شعبنا اللدود ونرفض تلقي أي مساعدات من رأس الأفعى التي وفرت للعدو الصهيوني الأسلحة القاتلة التي يحاربنا ويقتلنا بها» . بهذه الكلمات خاطب الشاب عثمان حسن من مخيم جنين ممثل وكالة الغوث الدولية في ساحة مخيم جنين خلال محاولته إقناع الأهالي بقبول المساعدات الأميركية ، وزاد بالقول وسط حالة من السخط والغضب : لتقطع اليد التي تحمل أية سلعة أميركية ، ونفضل الموت جوعاً وعطشاً نحن وأطفالنا على هذا الموت الأميركي المغلف في إطار إنساني .

ورغم معاناتهم وحاجتهم الماسة إلى كل شيء رفضوا استلام واستقبال المساعدات الأميركية التي نقلتها شاحنات وكالة الغوث الدولية (الاونروا) للمخيم ، والتي كانت عبارة عن ملابس وألعاب للأطفال وخيم

لاستيعاب الفلسطينيين الذين شردوا بعد تدمير منازلهم، وقالت زوجة الشهيد ناصر أبو حطب «تجوع الحرة ولا تأكل من ثدييها»، ونجوع ونعطش ونتقطع ولكن لن نقبل خيم وملابس وألعاب العدو الأميركي المجرم. وأريد أن أذكر العالم، الذي تساءل عن كيفية رفضنا لمساعدات نحن بأمس الحاجة إليها، أن جنود شارون قصفوا منزلي بطائرة «أباتشي» أميركية، وعندما اقتحموه ولدى قيام زوجي بفتح بوابته لهم أطلقوا النار عليه بسلاح أميركي، ومنعوا الصليب الأحمر من نقله للمستشفى، وأبقوا جثّته داخل المنزل أمام أطفاله.. لعنة الله على أميركا وكل عملائها العرب وأقول لهم باسم أطفالي لا نريد منكم أي مساعدات.

وبينما كان فريق تابع للاونروا يقوم بتفريغ المساعدات الأميركية في ساحة مدرسة الوكالة تدافع المئات من الاهالي شباناً ونساءً وأطفالاً ومسنين نحو الشاحنة وسط حالة من السخط والغضب الشديد، وقال مروان وشاحي الذي استشهدت والدته وشقيقه: «إنها وقاحة كبيرة واستهتار أميركي خطير بمشاعرنا.. يحاولون تضليل العالم بإرسال المساعدات لنا، إنها لعبة قذرة ومكشوفة ولن تنطلي على سكان المخيم الذين يعتبرون أميركا و«إسرائيل» وجهان لعملة واحدة». وتدافع الشبان إلى الشاحنة ليمزقوا أعلام أميركا التي ألصقت عليها وداسوها بأقدامهم. وقال مفيد رباح «هكذا سندوس أميركا وإسرائيل وكلابهما، فجميعهم شركاء في المجزرة والمؤامرة القذرة علينا، ومحاولتهم التنصل من دمنا والظهور بمظهر البراءة والإنسانية لن تمر علينا». وبدت علامات الفرح والابتهاج على وجوه الأطفال والشبان وهم يلقون المساعدات الأميركية على الأرض وداخل الشاحنة، ومزق الأطفال علم أميركا وداسوا عليه وهو يقولون: «تسقط أميركا.. الموت لبوش وشارون».

كنيسة المهد من الحصار إلى القرار

هل كُتب على كنيسة المهد أن تعايش كل الفاتحين والغزاة والمحاربين والطغاة من كل الجنسيات والأمم والأديان، وأن يتعاقب على تدنيسها جهلة موتورون حاقدون!؟

وهل قُدِّر لأعتق الكنائس المسيحية وأقدسها في القدس أن تحمل صلواتها وقرابينها وصلبانها ورهبانها وتسلم أمرها للأقدار والأمزجة والأهواء كلما هبّت رياح أو عصفت أقدار بأرض شاءها الله أرضاً لأنبيائه وأديانه لا أرضاً للأشرار والحاقدين.

ويبدو أن الخطأ الذي وقع فيه القيّمون على كنيسة المهد اعتقادهم أنّ المقدسات فوق الصراعات، وأنّ الإسرائيليين يحترمون الديانات!

كنيسة المهد بين التقديس والتدنيس

هل كُتب على كنيسة المهد أن تعايش كل الغزاة والفاتحين والمحاربين والاستعماريين من كل الجنسيات والأمم والأديان ، وأن يتعاقب على تدنيسها جهلة وطغاة وحاقدون ومجانين . . كلّما خطر في بال أحدهم أن ينصّب نفسه حامياً لها أو مشرفاً عليها أو حارساً على بابها أو مغتصباً داخل وخارج أسوارها . . . ؟

هل قدّر لأعتق الكنائس المسيحية وأقدسها في القدس أن تحمل صلواتها وقرابينها وصلبانها ورهبانها وتسلم أمرها للأقدار والأمزجة والأهواء كلّما هبّت رياح أو عصفت أقدار بأرض شاءها الله أرضاً لأنبيائه وأديانه لا أرضاً للأشرار والحاقدين؟

فهذه الكنيسة التي حاصرها الدخان والنار لأسابيع شيّدت في العام

٣٢٦ بعد الميلاد في عهد الأمبراطور قسطنطين وفي المكان الذي ضم المغارة التي ولد فيها السيد المسيح . . ومع وجود بقايا من موزاييك الكنيسة الأولى ، تمثل الكنيسة الحالية تلك التعديلات التي أدخلها عليها الأمبراطور جوستنيان في العام ٥٢٦م ، أي بعد مائتي عام ، ثمّ التعديلات الأخرى التي شهدتها على يد الصليبيين في القرن الحادي عشر .

وقد تم ترميمها للمرة الأولى في العام ١٦٧١م وثانية في العام ١٨٤٢م ، وهي تضم مغارة المهد التي تقع في آخر الجزء الشرقي من السرداب ، وتدل إليها نجمة فضية نقش عليها : هنا من مريم العذراء ولد يسوع المسيح . . وفي الجانب الجنوبي من الكنيسة كوة رخامية في الصخر ترمز إلى المزود الذي حضن الطفل «يسوع» . . .

وليس بعيداً من الكنيسة تقع مغارة تضم معبداً صغيراً وقبر القديس جيروم الذي قام بترجمة الإنجيل المقدس . .

تتميّز الكنيسة بمدخل منخفض أقيم عمداً لمنع الغزاة من اقتحام المكان على ظهور الخيل ، ولحمل الداخلين إليها على الانحناء أمام قدسية المكان ورهبته .

ويبدو أن الخطأ الذي وقع فيه القيّمون على كنيسة المهد اعتقادهم أن المقدسات فوق الجنون والصراعات ، وأن السلام الذي جاء من أجله السيد المسيح قد رمى أحماله واستقر رهينة في أرض السلام ! .

من تماثيل بوذا إلى كنيسة المهد

لا خلاف في أن أرواح البشر هي أعلى قيمة من أي شيء على سطح الأرض ، لكن لمباني بعض المقدسات والشواهد الروحية والدينية والإنسانية والثقافية والحضارية قيمة تتعدى مفهوم مقارنتها بأرواح البشر ، لأنها تراث وقيمة تتوزع على البشرية برمتها ليس في عهد أو عقد أو قرن وإنمّا لمئات وآلاف السنين ، لكن الغريب أن العالم الذي استنكر قيام حركة طالبان بإتلاف تماثيل بوذا المنحوتة في صخور جبلية بعيدة تماماً عن مرأى البشر ، التزم الصمت إزاء جريمة إسرائيل المتمثلة بإحراق كنيسة المهد التي يمكن أن تعد أعلى قيمة روحية ليس للمسيحيين وحدهم .

مدينة بيت لحم حيث ولد المسيح عليه السلام قبل أكثر من ألفي عام ونشر ديانة الأخلاق والتسامح والمحبة بين الناس ، يعيش فيها وفي البلدات المحيطة بها نحو مائة ألف فلسطيني عانوا ما عانوا طوال خمسة عقود من قبل



كنيسة المهد حيث ولد سيدنا المسيح وحيث أغمض العالم
خوفاً عينيه والتزم الصمت حيال ما تفعله إسرائيل

وأكثر من ستة أشهر اليوم من مهانة وويلات منع التجول الذي فرضه الجيش الإسرائيلي منذ الأول من نيسان (أبريل) ٢٠٠٢، ويرفعه كل خمسة أيام لبضع ساعات لا تكفي السكان لتأمين حاجياتهم. وتربط القوات الإسرائيلية فك حصارها عن المحافظة بأكملها، بحل قضية حصار كنيسة المهد حيث يتحصن حوالى ١٨٠ فلسطينياً بينهم نحو أربعين تلاحقهم الدولة العبرية. وقد شلت الحركة تماماً في محافظة بيت لحم، بما فيها بلدات بيت جالا وبيت ساحور والدوحة والخضر ومخيمات الدهشية والعزة وعايدة، بسبب منع التجول الذي ترفعه القوات الإسرائيلية كل خمسة أيام لبضع ساعات.

وقالت «ميس ميكيل» التي تقيم في مدينة بيت لحم: ننتظر بفارغ الصبر الإعلان عن رفع حظر التجول لنهرع إلى السوق لشراء حاجياتنا ولقاء أهلنا الذين نبقى قلقين عليهم، لكنها أكدت أن «أربع ساعات من رفع منع

التجول بالكاد تكفي للذهاب إلى الأسواق التي تبدو خالية من البضائع بسبب الحصار والوقوف في طوابير لشراء الخبز أو الدواء أو الوقود أو الغاز» .

وفي مخيم الدهيشة للاجئين الفلسطينيين ، قال أحمد عباس (٤٣ عاماً) العامل المياوم في قطاع البناء الذي يعيل أسرة من سبعة أشخاص ، إن «الجوع يتربص على باب كل منزل (. .) والسيولة (النقدية) مفقودة تماماً . وأشار إلى «التعاضد بين المواطنين ومساعدة بعضهم البعض» ، موضحاً أن سكان المخيم «يكتفون بوجبة رئيسية (في اليوم) ويحصلون على ما تقدمه الأونروا (وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين) ومؤسسات أخرى من بعض المعلبات تنقذنا» . من جهته ، قال رئيس الغرفة التجارية الصناعية في محافظة بيت لحم سمير حزبون إن «حالة انهيار اقتصادي كامل تسيطر على محافظة بيت لحم» ، مشيراً إلى أن «نحو ستين بالمائة من السكان يعيشون تحت خط الفقر» . وأضاف «نحن بحاجة إلى فترة لإعادة البناء والشفاء قبل التفكير في انطلاقة اقتصادية جديدة» . وأشار إلى «لجنة لتقدير الخسائر شكلت واجتمعت عدة مرات في أثناء رفع حظر التجول» .



دعاة سلام أجانب يدخلون إلى كنيسة المهد

أدى نجاح عدد من دعاة السلام الأجانب، في الدخول إلى كنيسة المهد المحاصرة رغم أنف الجيش الإسرائيلي، إلى قلب معطيات الحصار الإسرائيلي للكنيسة رأساً على عقب. فقد تمكن الناشطون الأجانب العشرة من الجنسين، وهم أربعة أميركيون وسويديان وإيرلندية وكندية ودنماركي وبريطاني، من «تدويل» اختبار القوة القائم حول الكنيسة على حد قول أحدهم. وتمكنت هذه المجموعة من عبور ساحة المهد التي تطل عليها الكنيسة المحاصرة ثم التسلل عبر الباب الخلفي الصغير للكنيسة حيث يتحصن حوالى ١٨٠ فلسطينياً بينهم أكثر من ثلاثين تلاحقهم إسرائيل و ٣٠ راهباً. وذكرت كريستين شور (أميركية): «لقد كنّا مجموعة من ٣٥ شخصاً توزعنا على ثلاث مجموعات وأخذنا الجنود الإسرائيليين على حين غرة، فتمكن عشرة منّا من الدخول وتم جر البقية واعتقالهم». وشاهد المصورون

دعاة السلام هؤلاء محملين بالمؤن وهم يقفزون من فوق سياج من الأسلاك الشائكة يقف خلفه الصحافيون ، وركضوا مسرعين ليقطعوا ساحة المهد التي أعلنها الجيش الإسرائيلي منطقة عسكرية مغلقة ، وفتح الباب الكنيسة عند اقترابهم .

وكانت محاولة أولى قامت بها المجموعة ذاتها التي تنتمي إلى «إنترناشونال سوليداريتي موفمنت (حركة التضامن العالمية) قبل ذلك قد باءت بالفشل .» وقالت جورجينا ريفيس منسقة «عملية الكومندس» هذه «لقد كان التنسيق أفضل هذه المرة . كان من بالداخل يعرفون بدقة ساعة قدومنا ، وقد صرخ قناصة النخبة في الجيش الإسرائيلي طالبين منا التراجع ولكننا مضينا قدماً» . وتمكنت مصورة تعمل لصحيفة «لوس أنجلس تايمز» من الدخول إلى الكنيسة . وقدرت ريفيس عدد المعتقلين من قبل الجيش الإسرائيلي بـ١٥ شخصاً . ويحاصر الجيش الإسرائيلي كنيسة المهد منذ أكثر من شهر – في ذلك الوقت – مع بداية الهجوم رافضاً السماح بتموين من بداخلها الذين يتهمهم بـ«الإرهاب» . وبفضل تمكن المجموعة من إدخال تموين إلى الكنيسة فإن معطيات اختبار القوة ربما تكون قد تبدلت . وقالت جورجينا ريفيس البريطانية التي تعيش في الأراضي الفلسطينية «لقد حرصنا على أن يحمل الذين يتمكنون من الدخول أكبر كمية ممكنة من المواد الغذائية» .

وأكدت كريستين شور من داخل الكنيسة قائلة «لدينا أرز وعدس وقنبيط وملح وسكر وغيره» . وبعض هؤلاء الأجانب كانوا ضمن الذين حاولوا الدخول إلى مقر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في رام الله بعد إعلانه منطقة عسكرية مغلقة ، على ما ذكر أحد أفراد المجموعة .

كنيسة المهد المحاصرة

قطع الإسرائيليون المياه عن المجمع ، وأجبروا من بالداخل على الاعتماد على مياه الآبار ، وسرعان ما انخفض مستوى المياه فيها بحيث وصل إلى قاع الآبار الطينية التي تنتشر فيها الحشرات .

وبدأت الأوضاع تؤثر في الفلسطينيين ، مثل التكتيكات السيكولوجية الإسرائيلية . ففي بعض الأيام كان الجنود يلقون عبوّات بلاستيكية تحتوي على عبارات تتعهد بتقديم الغذاء والملاذ الآمن . كما كانت هناك محادثات هاتفية ، ومن بين العبارات «لا تفكر في الآخرين . فكر في نفسك» . وبالنسبة إلى جثث القتلى فقد جرى تخزينها في غرفة في دير الكنيسة اليونانية الأورثوذكسية وبدأت في التحلل . وكانت دورات المياه محدودة ، وبسبب نقص المياه أصبحت مجارير تنبعث منها روائح كريهة انتشرت في جميع أنحاء بهو الكنيسة ، ولا يمكن الهرب منها .

وارتفعت حدة التوتر في ٢١نيسان (أبريل) ٢٠٠٢ ، فقد كانت مجموعة من الفلسطينيين في دير الرهبان الأرمن ، الذين ابتعدوا بأنفسهم عن الفلسطينيين أكثر من غيرهم من رهبان الكنيستين اليونانية الأورثوذكسية والفرنسيسكان . وأدت عمليات التخريب التي امتدت إلى دير الكنيسة الأورثوذكسية ، إلى إنذار من القسيس المصري إبراهيم فلتس ، وهو من كنيسة سانت كاثرين ، المتاخمة لكنيسة المهد . وقال حنا ناصر عمدة بيت لحم إن فلتس أنذر من هم خارج الكنيسة «نعطيكم مهلة ٤٨ ساعة . إذا لم تفعلوا شيئاً ، فسيترك القساوسة الكنيسة» . وكان التهديد واضحاً ، والمعروف أنه إذا ترك القساوسة ، فلن توجد حماية للفلسطينيين بالداخل . وبعد مرور يومين بدأت الحادثات .

وعقد فريقا المفاوضات أول اجتماعاتهما في ٢٣ نيسان (أبريل) ورأس الفريق الإسرائيلي الكولونيل أفيف ، بينما رأس الجانب الفلسطيني صلاح التعمري عضو المجلس التشريعي . وجاءت النتيجة سريعاً ، إذ وافق الإسرائيليون على إخراج الجثتين من الكنيسة ، واختار الفلسطينيون بالداخل ٩ أطفال لحمل الجثث . وسرعان ما أصبح مصير الرجال المطلوبين أصعب نقطة في المفاوضات ، وأصبح ينظر إلى اثنين من المتطرفين في داخل كنيسة المهد على أنهما قادة المسلحين . وكان إبراهيم عبيات القائد المحلي لكتائب الأقصى ، قد ذكر لصحيفة «لوس أنجليس تايمز» الأميركية ، في آذار (مارس) ، أنه أمر بقتل مستوطن إسرائيلي ، بينما اتهم عبد الله داود خضر وهو مدير قسم للاستخبارات الفلسطينية ، بتهريب الأسلحة .

فالحكومة الإسرائيلية تريد محاكمة الرجال في إسرائيل أو نفيهم ، غير أن الفلسطينيين يعتبرون ذلك سابقة خطيرة ويصرون على بقاء الرجال في الأراضي الفلسطينية لمواجهة المحاكمة هناك .

وأحاطت تساؤلات أيضاً بمصير رجال آخرين داخل الكنيسة . فإسرائيل تريد التحقيق مع كل واحد منهم ، غير أن الفلسطينيين قاوموا ذلك ، خوفاً من تعذيبهم أو سجنهم دون وجه حق .

وبعد أيام ، قتل خلالها فلسطينيان آخران برصاص القناصة وأصيب اثنان آخران بجراح ، توقفت المفاوضات الرئيسية يوم الاثنين . ولكنها استمرت مفاوضات على مستوى أقل ، أو تركزت معظمها على الإفراج عن المحاصرين داخل الكنيسة الذين يريدون الخروج . وخرج ٢٦ شخصاً يوم الثلاثاء ، وكان من المتوقع خروج مجموعات أخرى . وبالرغم من أن المفاوضات ظلت مجمدة فإن رفع الحصار عن مقر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في رام الله ، جدد الأمل في العملية ، ويمكن أن يقدم مثالاً لإنهاء الأزمة في بيت لحم .

وقد ذكر الفلسطينيون أنهم على استعداد لقبول حراس بريطانيين وأميركيين للإشراف على عملية النقل ، والمحاكمة وسجن أي من المطلوبين داخل الكنيسة . ولم تستبعد إسرائيل مثل هذا الحل . لكن الوضع انفجر حول الكنيسة وقتل الإسرائيليون فلسطينياً آخر وجرحوا اثنين آخرين .

وكان بعض الفلسطينيين قد توقعوا حلاً خلال الأيام القليلة القادمة ، ربما خلال احتفالات عيد الفصح للكنيسة الأورثوذكسية في ذلك الحين ، والتي يحتفل بها في تاريخ مختلف من احتفالات البروتستانت والكاثوليك ، غير أن البعض لا يأمل خيراً .



كنيسة المهد
في قبضة لصوص الهيكل
السجن أو النفي
أو القتل للمحاصرين

كانت قوات الاحتلال تراهن على نفاد الطعام والدواء الذي بحوزة المحاصرين في كنيسة المهد في بيت لحم ، الذين يربو عددهم على مائتين ، لدفعهم إلى الاستسلام حفاظاً على أنفسهم من الموت ، وبالتالي تقدم على اعتقال من تشاء وإطلاق سراح من تشاء أو تقتل من تشاء . ولذلك ترفض إمداد المحاصرين بأي مواد تموينية أو دوائية وتبقي على الحصار ، بل تشدده وتصعد من حربها المعنوية والنفسية ضدهم ، جنباً إلى جنب مع عمليات القنص وإطلاق النار بشكل مستمر . إضافة إلى ما يخلفه بقاء جثث الشهداء والجرحى داخل الكنيسة من أوضاع معيشية ونفسية في أوساط المحاصرين ومنهم الأطفال والشبان ورجال الدين .

لم تفلح خمس جولات من المفاوضات في إنهاء الأزمة ، وبقي العدو يراوغ ويستثمر عامل الزمن ويضغط في الوقت نفسه من أجل إنهائها بأحد

حلين :الأول تسليم المحاصرين وتقديم المطلوبين منهم إلى المحاكم الصهيونية ، والثاني النفي والإبعاد لهم خارج فلسطين ، وهو ما رفضه الجانب الفلسطيني الذي أعلن بداية أن إنهاء الأزمة يكون فقط برفع الحصار وإطلاق سراح المحاصرين وعودتهم إلى ديارهم . غير أن هذا الموقف طرأ عليه تعديل أو تراجع بحل وسط هو قبول الوفد الفلسطيني بل مطالبته بإبعادهم إلى قطاع غزة كما حصل مع بعض المعتقلين من مدن الضفة الغربية في وقت سابق ، حيث جرى إبعاد المعتقلين الذين يسكنون قطاع غزة ويعملون في الضفة الغربية إلى القطاع ، لكن العدو رفض هذا الطرح ، برغم أن تصريحات صدرت على لسان بعض المسؤولين الصهاينة طالبت بإبعادهم إلى غزة في بادئ الأمر ، وعندما قبل به الفلسطينيون وأصبح مطلباً لهم ، تراجع الصهاينة خصوصاً مع تغير الأوضاع على الأرض وانتهاء حصار جنين ، والاتفاق على رفع الحصار عن رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات وسط شائعات تتحدث عن وجود ربط بين اتفاق رفع الحصار عن عرفات وتسوية الوضع حول كنيسة المهد ، بأن يُعتقل المطلوبون منهم في سجون فلسطينية في منطقة أريحا بإشراف حراس أميركيين وبريطانيين ، وهو ما رفض فلسطينياً .

إرهاب ممنهج

وقبل أن تكتّف طبيعة الاتفاق الذي حصل لتسوية هذه القضية ، أبقت قوات الاحتلال على حصارها ومضايقاتها وإطلاق النار بشكل مستمر ليلاً نهاراً تقريباً باتجاه الكنيسة وكل من يتحرك داخلها ، كما أطلقت مناطيد مزودة بكاميرات تصوير وأجهزة تنصت وتجسس في سماء مدينة بيت لحم خصوصاً فوق الكنيسة ، تزود الجنود الذين يتمركزون على سطوح البنايات

المرتفعة المشرفة عليها بالصور اللازمة لرصد أي جسم متحرك لإطلاق النار عليه فوراً ، كما حصل مع إبراهيم عبيات قائد «كتائب شهداء الأقصى» ، وذلك لإجبار المحاصرين على البقاء داخل غرفهم أو المغارات التابعة للكنيسة تحت الأرض ، ما يساهم في زيادة الضغط على المحاصرين ، لكن ذلك لم يتحقق ، فبرغم كل ذلك أبلغنا من داخل الكنيسة أن معنويات كل المحاصرين ما زالت مرتفعة وعالية ، وأنهم جميعاً يأبون الاستسلام ويرفضون الحلول الصهيونية ، وأنهم ملتزمون فقط بما يتوصل إليه من طريق الوفد المفاوض ما لم يتوصل إلى حل ينهي الأزمة بشكل جيد ، وكذبوا الشائعات التي تطلقها قوات الاحتلال حول استعداد ما يقرب من ثلاثين مطلوباً داخل الكنيسة للرحيل وقبول الإبعاد إلى دولة عربية ، وقالوا إن هذه مجرد شائعات ومحض افتراء . وذكرت وكالة الأنباء الكاثوليكية أنه توصل لاتفاق يقضي بطرد المتحصنين في الكنيسة إلى اليونان ، إلا أن مصادر إسرائيلية نفت صحة الخبر ، وقالت إن عدد المتحصنين الذين تطلب السلطات الإسرائيلية طردهم أو تسليمهم غير محدد وغير معروف بشكل مؤكد ، وطوال ساعات الليل ينادي جنود الاحتلال عبر مكبرات الصوت محاولين التأثير في المحاصرين بالطلب من كل شخص داخل الكنيسة «غير متورط بأعمال إرهابية» ، الخروج منها وسيكون في مأمن . ويستمرون في تكرار مثل هذه النداءات لكن من دون أن يخرج أحد ، بعد أن قرر المحاصرون الصمود في وجه قوات الاحتلال المحاصرة للكنيسة . كما أحضر العدو مكبرات صوت في صندوق كبير وضعت برافعة كبيرة يبث منها أصواتاً مزعجة جداً ، بينها بث أصوات أفلام إباحية ومنافية للأخلاق يسمعها جميع أهالي بيت لحم ، وسط إحراج للأطفال الذين لم يغادروا منازلهم .

. . وبقي الحصار

ويقيت مدينة بيت لحم بكاملها وكنيسة المهد محاصرة تعيش تحت احتلال منذ ما يقرب الشهر ، ولا يسمح للمواطنين بالخروج من منازلهم إلاّ في ساعات محددة للتزود بما تيسر من المواد الغذائية ، في حين أن مجالات الحياة الأخرى مشلولة ومتوقفة لشعب بأكمله في المدينة ، وكان فجر الثلاثاء (٢/ ٤) هو الموعد لتقدم حوالى مائتين وخمسين دبابة آلية مدرعة مدعومة بعدة طائرات مقاتلة من طراز «أف١٦» ومروحيات «الأباتشي» أغارت على جميع المحاور . وما إن وصلت عقارب الساعة إلى الرابعة وثلاثين دقيقة من فجر اليوم نفسه حتى كانت القوات الإسرائيلية قد سيطرت على أغلب أحياء تلك المدن ، باستثناء وسط مدينة بيت لحم التي تضم مناطق كنيسة المهد والبلدية والبلدة القديمة .

ومنذ ذلك الوقت يؤكد المواطنون أن الحياة بالنسبة إليهم توقفت ، ولا يسمح لسيارات الإسعاف بالتحرك لإنقاذ حياة المصابين أو نقل الشهداء إلاّ في ظروف خاصة وتحت حراسة خاصة ، وحتى الصحافيون محجوزون في أحد فنادق المدينة ولا يُسمح لهم بالمغادرة أو التعرف إلى ما يجري في المدينة كما يجب ، حتى أن المواطنين لم يستطيعوا التعرف إلى مدينتهم عندما رفع عنها حظر التجوال ساعة أو ساعتين خلال الأيام الماضية (قبل الانسحاب) .

تدمير كلي

وخلال عملية الاجتياح اقتحمت قوات الاحتلال عدة مبان سكنية وتعليمية وخدماتية ، واستولت عليها بعد قصفها مرات متتالية وحولتها إلى ثكنات عسكرية ونقاط حربية تطلق من خلالها مباشرة نيران قذائفها ومدافع

الرشاشات الثقيلة والمتوسطة ، وقام جنود الاحتلال بحشر القاطنين في تلك المباني من الأسر في زوايا غرف ضيقة ، قاطعة عنهم الاتصال بالعالم الخارجي ، واحتياجاتهم الإنسانية ، وحسب شهود عيان فإن قوات الاحتلال واصلت أعمال التدمير للبنى التحتية والمؤسسات الرسمية والأهلية ، وتدمير المكاتب الخاصة والعامة ، حتى أن القصف والعدوان الإسرائيلي استهدف في الأيام الأخيرة معظم المكاتب الإعلامية ومكاتب المحامين والمهندسين ، وجرى الاستيلاء على أجهزة الحاسوب التي بداخلها بعد تدمير محتوياتها ، وجهدت قوات العدو لجمع أي معلومات من المناطق التي أعادت احتلالها ، وتقوم بدراسة الأقراص الصلبة في أجهزة الحاسوب ، إلى درجة أنهم كانوا يعتقلون صاحب أي حاسوب يجدونه في المكان الذي يداهمونه حتى لو كان منزلاً .

ولتحقيق الهدف نفسه اقتحمت قوات الاحتلال مبنى شركة الاتصالات الفلسطينية في مدينة بيت لحم واستولت على بيانات المشتركين ، كما أكد مسؤولون في الشركة ، وأخذت تتنصت على المكالمات وتحدد مواقع بعض المطلوبين من طريق الهواتف الخلوية التي يستخدمها هؤلاء .

اعتقالات ومداهمات

وتشير معلومات مراكز حقوق الإنسان إلى أنه منذ احتلال المحافظة وقراها جرت مداهمة يومية تجاوزت ٩٥٪ من البيوت ، وقامت قوات الاحتلال باعتقال المئات من المواطنين من دون أن تفرق بين طفل وطالب وفتاة وامرأة ، مشيرين إلى أنه بعد التحقيق يفرجون عن العشرات بعد أيام من الضرب والتعذيب ، موضحين أنه يوجد حالياً في مدينة بيت لحم وحدها قرابة ١٥٠ دبابة تمنع على أي كان التجوال ، حتى سيارات الإسعاف

قلما تشاهد داخل المدينة ، وأهلها لا يتحركون إلا ودبابة أمامهم . . وبعد نقل المصاب يوقف الاحتلال السيارة ويبحث عما إذا كان المصاب مطلوباً أم لا ، فإذا كان مطلوباً يعتقل حتى وهو مصاب . ويروي جورج حزبون ، وهو عضو مجلس بلدي ، كيف توفي والده بسبب عدم وصول سيارة الإسعاف ، ويقول : إن والده توفي بعدما لم تستطع سيارة الإسعاف الوصول إلى منزله . وقال : عندما عانى أبي من الجلطة لم نستطع استدعاء سيارة إسعاف لنقله إلى المستشفى ، وتوفي أمام أعيننا ولم نستطع أن نفعل شيئاً . ولم تقتصر الانتهاكات الإسرائيلية الدينية في المدينة المقدسة على حصار الكنائس وقصفها ، بل اقتحم جنود الاحتلال مسجد صلاح الدين في شارع الصف في مدينة بيت لحم ومقر جمعية اليتيم قرب المسجد ، وعاثوا في المسجد والمقر فساداً وصادروا بعض الأغراض .

واللافت وفق ما أكد العديد من المصادر ، أن الكثير من العملاء الذين كانوا منضوين في ميليشيا العملاء في جنوب لبنان يشاركون في الاعتداءات على بيت لحم ، وهم لا يخفون ذلك ويلفظون ، بلكنة لبنانية واضحة ، عبارات التهديد والوعيد والانتقام .

المحاصرون في جنيسة المهد

وسط أعمدة الرخام الكهرماني التي أصبحت قاتمة اللون بحكم الزمن ، وضع الأشخاص الذين كانوا محاصرين فراشاً متسخاً تغطيه ملاءات بنية ، وفي المدخل المنخفض الذي يطلق عليه اسم «باب التواضع» كانت روائح كريهة تنتشر في كل مكان ، وتحت أسقف الكنيسة الخشبية ، تناثرت معلبات السردين ، المبلّلة بالزيت وسط الشموع .

وكان الدمار الوحيد الواضح هو الذي لحق بدير الرهبان إلى جوار الكنيسة ، التي ظهر عليها آثار الحريق من جراء إطلاق الإسرائيليين النار عليها خلال المحاصرة ، إلى أن أصبح ما تبقى هو سقوف وأرضية تغطيها آثار الحريق .

غير أن القساوسة يؤكدون أن الأمر كان يمكن أن يكون أسوأ من

ذلك ، وكان أكثر من ١٣٠ من الفلسطينيين المسلحين والمدنيين ، بالإضافة إلى المحتجين الأجانب ، خرجوا من كنيسة المهد بعد حصار استمر ٣٩ يوماً .

ويعد ساعات من خروج الفلسطينيين من الكنيسة ، جمع الجنود الإسرائيليون الذين حاصروا الكنيسة والمدينة كل ما يخصهم من مولدات كهربائية إلى صناديق ذخيرة وخرجوا في قافلة من سيارات الجيب والعربات المدرعة عبر ساحة المهد ، وتركوا المكان هادئاً ، ولكن لعدة دقائق .

فقد بدأ السكان ، بشيء من الخوف والرهبة في البداية ، ثم بشيء من الحماسة فيما بعد ، في الخروج من منازلهم بعدما قضوا فيها أكثر من شهر ، ولكنهم خرجوا إلى شوارع مدمرة ، واندفعوا نحو باب التواضع في الكنيسة التي يعود تاريخها إلى نحو ١٧٠٠سنة . ثم وقفوا يحدقون .

فقد ظهر جرن التعميد ممتلئاً بقوارير مواد التنظيف ، حيث كان يبدو أنه يستخدم في غسيل الأطباق ، وتحول المذبح إلى مائدة طعام ، وتناثرت في البهو أفران غازية مع ملابس عسكرية ، وملأت أكياس القمامة السوداء الممرات . وكانت رائحة القمامة المحترقة تنتشر في أنحاء الكنيسة مثلما هي منتشرة في كل بيت لحم .

إلاّ أن البعض من مسيحيي الضفة الغربية تجاهلوا كل ذلك وتوجهوا إلى السلالم الرخامية المؤدية إلى المغارة التي تحدد المنطقة التي يقال إن المسيح عليه السلام ولد فيها ، وهناك ركعوا يصلون والدموع تنهمر من أعينهم . وأشعل البعض الشموع ، وتباركوا بالأيقونات ، وتجاهلوا غير المسيحيين والمراسلين الذين يحملون الكاميرات ويسجلون ما يشاهدونه .

ومّا لا شك فيه أن أيام الحصار ستدخل التاريخ الفلسطيني ، أحداث يصبح فيها البقاء على قيد الحياة انتصاراً على القوة العسكرية الإسرائيلية الهائلة . حقاً إن حصار الكنيسة صاحبه حظر تجول زاد الضغوط على هؤلاء بالداخل من أجل الاستسلام . ولذا فإن انسحاب إسرائيل يعني في الواقع

الإفراج عن سكان المدينة بأكملها وعددهم ١٠٠ ألف نسمة .

وطبقاً لما ذكره البعض من الفلسطينيين الذين كانوا داخل الكنيسة فإن مجموعة من الشباب المسلح كانوا يتولون مسؤولية المجموعة كلها ، ويطلق على هؤلاء تعبير الشباب وهو الاسم الذي يطلق على الناشطين منذ الانتفاضة الأولى في أواخر الثمانينات .

فقد شكّلوا لجاناً لتوزيع المواد الغذائية ، ولاتخاذ القرارات في قضايا مثل ما إذا كان عليهم مغادرة الكنيسة ، كما فعل عشرات خلال فترة الحصار . واحتفظوا باتصال مع العالم الخارجي من طريق الهاتف المحمول وأجهزة اللاسلكي . وانخفضت المواد الغذائية ، بحيث أصبح الجميع يتناولون وجبة واحدة من حساء الأرز والمكرونة ، طبقاً لما ذكره هؤلاء الذين غادروا الكنيسة .

وقال قس فرانسسكاني قضى ٣٩ يوماً في الكنيسة إنهم «أسرى فقط للسلام» مؤكداً أنه كان بوسعهم المغادرة ، لكنهم اختاروا البقاء داخل الكنيسة .

وقال قساوسة يونانيون إن بعض المسلحين والشبان ناموا في البداية في مغارة المهد التي ولد فيها المسيح ، لكنهم أقنعوا بالنوم في مكان آخر خلف الجدران السميكة . وقال بعض الفلسطينيين الذين كانوا داخل الكنيسة إن القساوسة بقوا في الأقسام الخاصة بهم ، فيما كان الفلسطينيون يستلقون على الأرضية الرخامية للكنيسة .

وقال صلاح العجرمي (٢٩عاماً) إن هناك بئراً داخل الكنيسة مما مكّنهم من الاغتسال ولكن دون توفّر خصوصية للأفراد . وقال محمد مدني ، أحد كبار ممثلي عرفات ، إنهم كوّنوا لجنة للتخلص من جثث الموتى ، وأضاف أن القوات الإسرائيلية قتلت ثمانية وجرحت ٢٧ من المحاصرين من بينهم قارع أجراس الكنيسة .

وفيما يقول العجرمي إن أيام الحصار انقضت في نقاش بشأن القضايا الكبرى ، يقول مسؤولون إسرائيليون إن الأمر غير ذلك . فقد جمع رجال أمن أميركيون عشرات البنادق الهجومية التي تركها المسلحون خلفهم حسب الشروط التي أطلق سراحهم بموجبها . وقال مسؤولون إسرائيليون إن خبراءهم عثروا على ٤٠ عبوة ناسفة ، إلاّ أن هذه الادعاءات تتناقض مع الأحداث اللاحقة .

فعندما انسحبت القوات الإسرائيلية تدفق الناس داخل الكنيسة ولم يجدوا أي أثر لأي عبوات ناسفة ، ولدى فتح الكنيسة زارها بيترو سامبي ، ممثّل الفاتيكان في القدس ، وأعلن أنّ ما وجده في الكنيسة لدى معاينته للأوضاع داخلها عقب انتهاء الحصار لا يعتبر تدنيساً لحرمتها . ولا يزال الصليب الفضي المنمّق معلّقاً فوق صحن الكنيسة ، كما لا تزال الشمعدانات والأضواء الكهربائية معلقة على السقف ، ولا يبدو أن الفسيفساء أعلى الجدران تعرضت لأي أضرار .

وجاءت سيدة أبعد ابنها مع من جرى نقلهم إلى قبرص إلى الكنيسة لتشكر مريم العذراء لحماية ابنها وتأكيداً على أن الكنيسة مكان «آمن» .

بعد مرور وقت قصير على تدفق المواطنين على ساحة المهد نادى المؤذن للصلاة في مسجد عمر المقابل لكنيسة المهد لأول مرة منذ ٣٩يوماً ، حسبما قال سكان المنطقة .

قصة حصار كنيسة المهد من الداخل

جثث متحلّلة ملقاة إلى جوار أقبية القديسين ، أطفال ينامون في المكان الذي يقال إن المسيح ولد فيه ، مسلحون ينزفون حتى الموت في بهو كنيسة من أكثر المواقع المسيحية قدسية .

وفي الوقت الذي دخلت فيه المواجهة في كنيسة المهد المحاصرة يومها الواحد والثلاثين بإطلاق مفاجئ للنار أسفر عن جرح شخصين ومقتل ثالث ونشوب حريق ، فإن من في الداخل يبدون كأنهم يعيشون في دراما سيكولوجية معقدة تتراوح ما بين عملية احتجاز رهائن ومواجهة داخل سجن .

وبدأت رواياتهم في التكشف ، بعد أن تم تجميعها من أحاديث هاتفية مع هؤلاء الذين لا يزالون في الداخل وهؤلاء الذين تركوا الكنيسة . ولا يزال



ما يقدر بحوالى ٤٠ قسيساً وراهباً وراهبة داخل الكنيسة منذ ٢ نيسان (أبريل) الماضي ، عندما لجأ مئات من الفلسطينيين إليها هرباً من القوات الإسرائيلية الغازية . وذكر القساوسة والرهبان أنهم يشعرون بمسؤولية تجاه تقديم الملاذ ولكنهم يشعرون بالانزعاج من وجود المسلحين .

والفلسطينيون يواجهون صراعاً هم أيضاً ، وقد انقسموا إلى أجنحة في مواقعهم ، فالبعض يريد النفي إلى الخارج ، في انتظار فرصة قتال في يوم آخر ، بينما تسعى جماعة صغيرة إلى المواجهة . ويقول عمر حبيب وهو شاب في السادسة عشرة من عمره غادر الكنيسة في (الأسبوع الماضي) قبل رفع الحصار كما ذكر البعض «سأبقى في الكنيسة ، أفضل الموت في الكنيسة» . وهم يشعرون أن ما يحدث داخل كنيسة المهد سيساهم في تحقيق الدولة الفلسطينية .

ومن بين ما يقدر بـ ٢٠٠ فلسطيني لجأوا إلى الكنيسة ، لا يزال فيها حوالى ١٥٠ ، معظمهم من المسلحين وتزعم إسرائيل أن عشرة منهم على الأقل ، ٥٠ على أكثر تقدير ، من المطلوبين لديها .

أمّا الماء والطعام فقد أخذا في النفاد داخل الكنيسة . والقناصة

الإسرائيليون يطلقون النار بصفة مستمرة على من يخرج إلى باحتها الخلفية . وتواصل إسرائيل حملتها لإضعاف الروح المعنوية ، وإثارة الرعب ، وتطلق صفارات الإنذار لعدم إتاحة الفرصة لهم للنوم .

ويصر الإسرائيليون على أن رجال الدين والمدنيين الفلسطينيين رهائن ، ولكن لم يذكر أو يشر القساوسة الذين غادروا الكنيسة أنهم أُجبروا على البقاء داخل الكنيسة .

وذكر الفلسطينيون الذين خرجوا في الأيام الأخيرة أن المجموعة التي لا تزال داخل الكنيسة مشتتة بين الولاء للرفاق والخوف من الجنود الإسرائيليين ، الذين قتلوا خمسة فلسطينيين خلال فترة الحصار . ولكنهم أشاروا أيضاً إلى الضغوط من أجل البقاء متحدين في المواقف فيما يخص البقاء أو الخروج ، وتجدر الإشارة إلى أن استمرار وجود القساوسة والمدنيين هو ضمانة لسلامة المطلوبين من الأجنحة العسكرية المتهمة بقتل المدنيين الإسرائيليين .

وأوضحت السلطة الفلسطينية وقادة الفصائل أن باستطاعة الجميع الخروج ، طبقاً لما قاله من خرج بالفعل ، ولكن القادة حذروا ، أن القيام بذلك ، سيبدو كنوع من الخيانة أي حكم إعدام في مجتمع تقتل فيه الجماهير الغاضبة المتعاونين . ويقول ثائر محمد مناصرة وهو شاب في العشرين من عمره نقل إلى مستشفى إسرائيلي بعدما أطلق عليه قناص النار عندما خرج لجمع نبات الخبيزة لكي يأكل : لم أكن أرغب في المغادرة لأنني خفت أن أتهم بالعمالة .

والموقف معقد أيضاً خارج أسوار الكنيسة العالية كما هو داخلها . فالقيادة الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية والفاتيكان والبطريركية اليونانية الأورثوذكسية والكنيسة الإنجليكية والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة والعديد من الدول الأخرى ، تشارك في جهود دبلوماسية حثيثة .

وذكر الإسرائيليون أنهم يريدون إنهاء الأزمة بسلام ، ولذلك تجنبوا معركة مسلحة داخل الكنيسة ، ولكنهم لم يستبعدوا حلاً عسكريًا . وذكر الكابتن غول ليدن المتحدث باسم الجيش «نبذل كل جهد إنساني بقدر الإمكان لإخراج الرهائن المدنيين والإرهابيين من الكنيسة في أسرع وقت وبسلامة ، ولكن ليست العملية بلا نهاية» .

وفي دليل آخر على التوتر القائم ، سمعت أصوات الطلقات النارية وشب حريق في دير الفرنسيسكان الملاصق للكنيسة . وذكر الجيش الإسرائيلي أن الفلسطينيين أطلقوا النار عليهم ، مما دفعهم إلى إطلاق مجموعة من الطلقات التحذيرية . وقال الفلسطينيون إن الإسرائيليين حاولوا اقتحام الكنيسة ، ولم يكن من الواضح من أطلق النار أولاً .

تجدر الإشارة إلى أن المواجهة في الكنيسة بدأت بعد ظهر الثاني من نيسان (أبريل) الماضي ، ففي الوقت الذين كان السكان يخزنون فيه المواد الغذائية ، استعداداً لغزو إسرائيلي متوقع ، والمسلحون يتجمعون في ساحة المهد أمام الكنيسة لإعداد خطط المقاومة ، ظهرت فجأة القوات الإسرائيلية من جميع الاتجاهات . وانطلقت الصيحات من كل مكان «اركضوا إلى الكنيسة ، اركضوا إلى الكنيسة» .

وكان حبيب ، الشاب البالغ من العمر ١٦ سنة ، في الشارع يعدو لشراء أدوية لوالدته المصابة بمرض السكر عندما سمع الطلقات ، وجرى نحو المسجد المحلي ، ثم سمع الصياح بالتوجه إلى الكنيسة فخرج من المسجد وتوجه إلى الكنيسة ، وعندما دخل وجد حوالى ٢٠٠ فلسطيني داخل الكنيسة المظلمة التي لا يضيئها إلا مجموعة من النوافذ المرتفعة والشموع .

وكان العديد من الرجال والأولاد غرباء ، وإن كان هناك بعض الأصدقاء هنا وهناك . كما كان هناك عناصر من فصائل معارضة مثل حركتي الجهاد الإسلامي وحماس وكتائب شهداء الأقصى - الجناح

العسكري لفتح . ويضيف حبيب «شعرت بالخوف . لا أعرف كيف سيمكننا الخروج من هناك» . ولم يستغرق الأمر طويلاً لكي تتخذ المواجهة شكلاً أكثر عنفاً . ففي ٤ نيسان (أبريل) الماضي يبدو أن سمير إبراهيم سلمان ، وهو رجل أصم يبلغ من العمر ٤٥ سنة ، قضى معظم حياته العملية يدق أجراس الكنيسة ، قرر العودة إلى منزله ، وخرج من المدخل الجنوبي للكنيسة ، متجاهلاً أو ربما لم يستوعب صيحات القناص الإسرائيلي ، الذي أطلق النار عليه خوفاً من أن يكون انتحاريًا فقتله . ويقول الكولونيل مارسل أفيف رئيس عمليات الجيش الإسرائيلي في منطقة الكنيسة «لقد قتل ، وأنا آسف على ذلك» .

غير أنّ ظروف عملية القتل الأخرى لم تكن واضحة . ففي الساعات المبكرة من ٨ نيسان (أبريل) الماضي شب حريق في دير الفرنسيسكان ، في قاعة الطعام ومنطقة المطبخ في الطابق الثاني .

وادعى الفلسطينيون في الداخل أن الحريق شب خلال محاولة فاشلة للقوات الإسرائيلية الخاصة ، وأنه ربما كان نتيجة طلقات مضيئة وقنابل صاعقة ، غير أن الإسرائيليين قالوا إنهم لم يدخلوا الكنيسة أو المجمع . وبغض النظر عن السبب ، فقد قتل خالد صيام وهو ضابط شرطة فلسطيني عندما حاول إطفاء الحريق ، بينما ذكر الإسرائيليون أنهم شاهدوا رجلاً داخل المنطقة يحمل سلاحاً ، وأصابته الرصاصة تحت عينه اليسرى ، وقتل على الفور . وطبقاً لعدد من الذين تمكنوا من الفرار من الكنيسة فإن محافظ بيت لحم محمد مدني ، الذي يوجد بداخل الكنيسة منذ بداية المواجهة تمكن من توحيد الفلسطينيين في الكنيسة . وأوضح جهاد أبو كامل (١٦ سنة) الذي يعتبر أول من غادر الكنيسة أنه قال لهم «إذا أردتم الخروج فاخرجوا ، ولكن إذا خرجتم ، ستعتبرون من المتعاونين» .

وبعد خمسة أيام من مقتل صيام ، أصبح عثمان ناصر ، وهو ضابط شرطة فلسطيني ، ثالث فلسطيني يقتل خلال الحصار . وقد تمكن من الزحف من مبنى قريب إلى الكنيسة الرئيسية ، حيث نزف حتى الموت . وقال لجماعات الإنقاذ داخل الكنيسة وهو يحاول طلب المساعدة «لا أريد أن أموت ، لا أريد أن أموت» .

ومرت الأيام بتثاقل ، وتمركز الفلسطينيون في الكنيسة الرئيسية ، يتنقّلون بين الأعمدة العالية ، وأركان الكنيسة المزدحمة بالمصابيح الذهبية ونقوش دقيقة تعود إلى العصر البيزنطي .

أمّا بالنسبة إلى الطعام فقد زادت ندرته بمرور الوقت . ففي الأسبوعين الأولين ، كان الطعام من المواد المخزنة في العديد من الأديرة الموجودة بالمجمع ، وكان الفلسطينيون يتناولون وجبة غذائية يوميًا - الفول والأرز بل ودواجن- ثم نفدت الإمدادات الغذائية .

وكان الإسرائيليون يأملون في البداية في تجويع الفسطينيين ، طبقاً لما ذكره المسؤولون العسكريون الإسرائيليون ، ولكن وجود رجال الدين قضى على هذه الخطة ، وتبيّن للإسرائيليين أن عليهم الاستمرار في إمداد رجال الدين بالمواد الغذائية أو المخاطرة بتجويع القساوسة والرهبان والراهبات ، أيضاً . ولذلك أقاموا نظاماً سريًا لتسليم المواد الغذائية ، حيث كانوا يسلمونها عبر مداخل عديدة للمجمع .

دعوة إلى تدخل «إنساني عاجل»

دعت الكنيسة الفرنسيسكانية إلى «تدخل إنساني عاجل» في كنيسة المهد في بيت لحم ، واقترح الفاتيكان تشكيل لجنة مشتركة فلسطينية إسرائيلية للتفاوض على «شروط استسلام» الفلسطينيين الذين لجأوا إلى داخل الكنيسة ، فيما أطلقت قوات الاحتلال النار على الكنيسة وسمع دوي انفجارين واندلع حريق في شارع قريب في الكنيسة .

ودعا رئيس الرهبان الفرنسيسكان جياكومو بيني في بيان قوي اللهجة إلى «تدخل إنساني» ، وقال «يتعين على إسرائيل أن تسمح لنحو ٢٠٠ فلسطيني يحتمون داخل الكنيسة منذ نحو أسبوعين بمغادرتها مع ضمانات بشأن سلامتهم» .

وقال «اعتباراً من مساء الأربعاء ٣/ ٤/ ٢٠٠٢ لم يعد هناك ماء أو

غذاء في مجمع الكنيسة . إن التيار الكهربائي مقطوع منذ أيام عدة» . أضاف بيني «لا يمكن لإسرائيل أن تعتبر الرهبان الفرنسيسكان رهائن لأنهم اختاروا بإرادتهم الحرة البقاء مع الفلسطينيين داخل المجمع وسيستمرون في ذلك» .

واقترح سكرتير الشؤون الخارجية لدى الفاتيكان المونسينيور جان لوي توران تشكيل لجنة فلسطينية إسرائيلية مشتركة للتفاوض على «شروط استسلام» الفلسطينيين الموجودين داخل الكنيسة . وقال توران في حديث نشرته صحيفة «لوموند» الفرنسية «ليس من شأننا اقتراح حل تقني ، لكن يمكننا اقتراح بعض الأفكار وعلى سبيل المثال لجنة مشتركة إسرائيلية-فلسطينية للتفاوض حول استسلام الأشخاص الموجودين داخل الكاتدرائية» .

وأوضح «إذا طلب الجانبان ذلك ، فمن المحتمل أن يسهل الفاتيكان الأمور نظراً إلى امتلاكه الصدقية كونه تصرف دائماً بعدم انحياز إلى هذا الطرف أو ذاك» .

أضاف توران أن «مسألة الكاتدرائية هي قضية خطرة أولاً من وجهة نظر إنسانية لوجود مائتي شخص معظمهم مسلمون فضلاً عن خمسين رجل دين مسيحيًا» .

وسئل توران إذا كان هؤلاء «رهائن» فأجاب أن «رهبان الفرنسيسكان يشددون على القول أنهم ليسوا رهائن» .

وقال «أكد الرئيس الإسرائيلي موشي كتساف في رسالة وجهها إلى البابا مؤرخة في التاسع من نيسان (أبريل) أن الإسرائيليين ليس في نيتهم أبداً انتهاك التزاماتهم والهجوم على الأماكن المقدسة ، وما يريدونه هو خروج الأشخاص الموجودين في البازيليك والدير أحياء» .

مفاوضات بشأن رفع الحصار عن كنيسة المهد

تم إجلاء ثلاثة فلسطينيين ، أحدهم أصيب إصابة خطرة بالرصاص ليل الثلاثاء - الاربعاء٣/ ٤ ، كانوا محاصرين مع نحو ٢٠٠ شخص في كنيسة المهد في بيت لحم ونقلوا إلى مستشفى إسرائيلي ، فيما أصيب ثلاثة أشخاص بجروح خلال تبادل إطلاق نار بعد الظهر في محيط الكنيسة قبل استئناف المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية لليوم الثاني بشأن رفع الحصار الإسرائيلي عن الكنيسة .

وقال صلاح التعمري ، الذي يرئس الوفد الفلسطيني المكلف التفاوض لوضع حد للحصار المضروب على كنيسة المهد ، إن الجريح «أصيب ليلاً وتوصلنا إلى اتفاق (مع الجيش الإسرائيلي) ليتم نقله إلى مستشفى» . وأشار إلى أن الجريح في حال «خطرة» ولكنه لم يوضح هويته

والظروف التي أصيب بها بالرصاص .

وقالت ناطقة باسم الجيش الإسرائيلي إن القوات الإسرائيلية أصابت مسلحاً أطلق النار عليهم من مجمع الكنيسة في ساعة متأخرة الثلاثاء ونقلته إلى المستشفى ، وأشارت إلى «أنه بين لائحة الأشخاص المطلوبين للاستجواب» .

وفي أعقاب الجلسات الأولى من المفاوضات الثلاثاء ٢/ ٤ كان قد تم الاتفاق على إجلاء أربعة جرحى آخرين كانوا ما زالوا في كنيسة المهد .

وأعلن فلسطيني من داخل كنيسة المهد في اتصال هاتفي أن رجلي شرطة كانا بين أربعة مرضى تم الاتفاق على إجلائهم مساء الثلاثاء بين مفاوضين إسرائيليين وفلسطينيين .

وأعلنت ناطقة باسم الجيش الإسرائيلي أن الرجلين خرجا «من دون سلاح وبهدوء» . وأوضحت أنهما «منهكان» على ما يبدو لكنهما يسيران ، ونفت أن يكونا من رجال الشرطة .

وجرى تبادل إطلاق نار غزير في محيط الكنيسة قبل استئناف المفاوضات .

وقال المحامي الفلسطيني طوني سلمان الموجود داخل الكنيسة في اتصال هاتفي إن اثنين من الفلسطينيين المحاصرين أُصيبا بجروح .

وأعلن المفاوض الفلسطيني عماد النتشه أن جندياً إسرائيلياً أصيب في المركز من أجل السلام الواقع في ساحة المهد أمام الكنيسة وحيث كان يفترض أن تجري المفاوضات .

وسمح الجنود الإسرائيليون للصحافيين الإسرائيليين بالدخول إلى المركز من أجل السلام ، غير أنهم أمروا المراسلين الأجانب بالمغادرة وإلا تم توقيفهم ، ورفض الصحافيون الامتثال لهذا الأمر ، فقام الجنود بإلقاء قنابل مسيلة للدموع في اتجاههم وأوقفوا ثلاثة منهم .

وشاهد الصحافيون لدى مغادرتهم المحامي سلمان وراهباً ينقلان أحد الجريحين الفلسطينيين خارج الكنيسة .

ويدأ مفاوضون إسرائيليون وفلسطينيون يوماً ثانياً من المحادثات بشأن رفع حصار القوات الإسرائيلية عن الكنيسة .

ودخل مفاوضون فلسطينيون ، بينهم رئيس بلدية بيت لحم حنا ناصر وصلاح التعمري عضو المجلس التشريعي الفلسطيني ، مكتب السياحة بالقرب من ساحة المهد في جلسة محادثات ثالثة مع مسؤولين إسرائيليين للخروج من الطريق المسدود الذي بلغته أزمة كنيسة المهد . وقال التعمري للصحافيين قبل دخول المبنى «إنهم يريدون خروج هؤلاء الرجال من فلسطين» .

ويوجد عشرات من رجال الدين المسيحي والمدنيين الفلسطينيين محصورين داخل الكنيسة . وتصر إسرائيل على ضرورة استسلام المسلحين المطلوبين داخل الكنيسة وأن يختاروا بين محاكمة في إسرائيل أو النفي . ورفض الفلسطينيون هذه المطالب وطالبوا بأن يمثل هؤلاء أمام القضاء الفلسطيني في غزة .

وقال التعمري :« حتى لو قبل المحاصرون داخل الكنيسة الترحيل فإننا سنرفضه» . وأضاف أن الفلسطينيين عانوا كثيراً من النفي . وتابع «لا نريد أن نضع سابقة هنا . لا يمكن لأحد أن يضمن ألا يقوم هؤلاء بأعمال عنف من الخارج إذا كانوا مدانين . يمكننا السيطرة عليهم في غزة» .

وأشار إلى أن الفريق الإسرائيلي قبل في البداية اقتراحاً فلسطينياً بإرسال هؤلاء إلى غزة حيث ستمنعهم السلطات الفلسطينية من المشاركة في العنف بمقتضى اتفاق يضمنه طرف ثالث . وأضاف أن الفريق قبل ذلك في البداية ثم تراجعوا ، وأن المفاوضين الإسرائيليين كانوا مستعدين لقبول الاقتراح الفلسطيني لكن القيادة الإسرائيلية لم تقبله لاعتبارات داخلية .

وقال التعمري إن الجانب الفلسطيني ما زال في انتظار أن تقدم إسرائيل قائمة بالمطلوبين الموجودين داخل الكنيسة . وأضاف أن إسرائيل تنوي إرهاق الموجودين داخل الكنيسة لتجنب تقديم تنازلات ، وأن هذه الاستراتيجية لن تفلح . وتابع أن الإسرائيليين يخطئون الحسابات إذا ظنوا ان الموجودين داخل الكنيسة على استعداد لقبول أي اتفاق يتم التوصل إليه لإنهاء الازمة .

وقال التعمري إنه قد يتعين على المحاصرين في كنيسة المهد دفن جثتين في مجمع الكنيسة عاجلاً إذا لم توافق إسرائيل على إخراجهما لدفنهما خارجها ، مشيراً إلى أن الجثتين تتحللان . وأضاف أنه أبلغ الإسرائيليين بذلك في أثناء المحادثات لكنهم «راوغوا» ووصف موقفهم بأنه «غير مقبول وغير أخلاقي» .

وقال مسؤولو مستشفى إن القتيلين مسلمان قتلا بنيران إسرائيلية ، ودفن مسلمين في موقع يعتبره المسيحيون مهد السيد المسيح قضية دينية وسياسية حساسة .

انتهاء حصار كنيسة المهد وإبعاد ١٣

انتهت أزمة الحصار المفروض على كنيسة المهد في بيت لحم مع خروج ١٢٣ فلسطينياً كانوا متحصنين فيها بينهم ١٣ ناشطاً تعتبرهم إسرائيل «خطرين » نقلوا إلى قبرص حيث سينتظرون نفيهم إلى بلدان أخرى .

ويدأ الفلسطينيون يخرجون من الكنيسة واحداً تلو الآخر اعتباراً من الساعة السابعة تقريباً بالتوقيت المحلي . وبعد خروجهم مروا تباعاً عبر جهاز لكشف المعادن تحت إشراف الجنود الإسرائيليين ، ومن ثم صعدوا إلى حافلات راكنة قرب المدخل .

وأفاد مصدر عسكري إسرائيلي أن الفلسطينيين الـ١٢٣ المتحصنين في كنيسة المهد منذ الثاني من نيسان (أبريل) خرجوا منها جميعاً .

وقبّل أحد الفلسطينيين الأرض لدى خروجه ، في حين راح آخرون يلوحون باتجاه نحو عشر فلسطينيات وقفن على شرفة مطلة على المكان . وتجاهل الفلسطينيون الخارجون مائدة وضع عليها الجيش الإسرائيلي مشروبات وأغذية لهم .

وكان ١٣ فلسطينياً تعتبرهم إسرائيل «خطرين جداً» أول من خرج من الكنيسة ، ونقل هؤلاء إلى قبرص حيث سيقيمون مؤقتاً بانتظار أن توافق دول أوروبية على استقبالهم . وخرجت أيضاً مجموعة تضم ٢٦ آخرين يعتبرون أقل خطورة رافقهم الجيش الإسرائيلي إلى قطاع غزة .

وأفرج عن ٨٤ فلسطينياً ليس لإسرائيل أي مأخذ عليهم مبدئيًا بعد التدقيق بهوياتهم .

ونقلت المجموعتان اللتان تضمّان ١٣ فلسطينياً و٢٦ فلسطينياً في مرحلة أولى إلى مجمع غوش عتصوين قرب بيت لحم ، حيث قام الجيش الإسرائيلي بعمليات تدقيق في هوياتهم .

وبعد ذلك ، وصل الفلسطينيون الـ١٣ إلى مطار بن غوريون الدولي في تل أبيب حيث سينقلون منه إلى قبرص .

وأعرب مدير دائرة التخطيط في قيادة الأركان الإسرائيلية الجنرال إيفال غيلادي عن ارتياحه للاتفاق الذي تم التوصل إليه لرفع الحصار المفروض على كنيسة المهد .

وقال : «إن جميع الإرهابيين يغادرون المكان وأفرج عن جميع الرهائن» في إشارة إلى الفلسطينيين وإلى رجال الدين الموجودين داخل كنيسة المهد .

وأوضح أن الفلسطينيين الـ١٣ الذين أبعدوا إلى الخارج ، لن يتمكنوا

من العودة إلى الضفة الغربية أو قطاع غزة إلاّ بموافقة إسرائيل .

وأضاف :«لقد احترمنا قداسة المكان ولم ندخل الكنيسة ولم يكن بنيتنا أن نفعل ذلك ، وبات بإمكان جميع الأبرياء العودة إلى منازلهم» .

وخرج دعاة السلام العشرة الأجانب الذين بقوا في كنيسة المهد بعد مغادرة الفلسطينيين اللاجئين فيها ، وفق ما أعلن ناطق عسكري إسرائيلي . وقال الكابتن موريس غليك إن «الناشطين العشرة خرجوا من الكنيسة وأوقفتهم الشرطة الإسرائيلية» .

وأوضح الناطق باسم الشرطة الكومندان رافي يافي أنهم «سيطردون في أسرع وقت ممكن لأنهم دخلوا منطقة عسكرية مغلقة» . وقد وضعوا في هذه الأثناء قيد التوقيف .

وخرج دعاة السلام بعد أن أعلنت الإذاعة الإسرائيلية عن احتمال تدخل الشرطة في الكنيسة ، رغبة منهم بعدم توفير ذريعة لمواصلة الحصار .

وبدأ خبراء أميركيون بجمع الأسلحة التي بقيت في كنيسة المهد بعد خروج آخر الفلسطينيين منها ، وأوضح ناطق عسكري إسرائيلي ، الكابتن رون إيدلهايت أن هذه الاسلحة تتضمن بصورة رئيسية أسلحة رشاشة ، ولم يوضح ما إذا كان الخبراء ينتمون إلى وكالة الاستخبارات المركزية (سي .أي .إيه) .

وأعلن ايدلهايت للصحافيين أن الخبراء الاميركين «عثروا على عبوات مفخخة داخل المباني وتولوا معالجة بعض منها» . ولم يكن في وسع الكابتن إيدلهايت ، تحديد عدد العبوات أو إن كانت وُضعت تحديداً في الكنيسة أو في الأديرة المجاورة لها . وتابع أنّ بطريركية الروم الأرثوذكس طلبت من القوات الإسرائيلية على إثر ذلك تفتيش المباني ، وقال إن عشرين جنديًا إسرائيليًا دخلوا عندها المجمع الديني للتحقّق من عدم وجود أي عبوة باقية فيه . وأشار بيان للجيش الإسرائيلي إلى أنه عثر على ٩٠ قطعة سلاح

في مجمع الكنيسة بينها بنادق هجومية من نوع كلاشينكوف و«إم-١٦» ومسدسات ، إضافة إلى ذخائر وأسلحة بيضاء .

وصرح وزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز بعيد وصوله إلى مطار روما أن أنسحاب القوات الإسرائيلية من بيت لحم «مسألة ساعات أو أيام»» .

وقال :« ما لم تحدث مفاجآت ، «سننسحب» ، مرحباً بإنهاء أزمة كنيسة المهد حتى وإن كان ما حدث يشكل «سابقة سيئة» ، كما قال .

وقال إنه كان «يفضل محاكمة» الفلسطينيين الثلاثة عشر الذين تم إبعادهم ، والذين تصفهم إسرائيل بأنهم «خطرون» على أمنها . وأضاف بيريز أن «إسرائيل لا تنوي اجتياح غزة ، لكنها تريد الوصول إلى مراكز الإرهاب» .

وعن الفلسطينيين الـ٢٦ الذين تم ترحيلهم إلى قطاع غزة ، قال بيريز : «ننتظر أن تتم محاكمة أولئك الملطخة أيديهم بالدماء» .

وقال إن ايطاليا ستكون «مكاناً جيداً» لاستضافة مؤتمر السلام الذي سيطلق المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين .

وأشار رئيس وزراء إسرائيل أريل شارون إلى منتجع ريميني على ساحل الأدرياتيكي كمكان محتمل لعقد المؤتمر .

في المقابل أعرب الوزير الإسرائيلي من دون حقيبة داني نافيه عن «اشمئزازه» للسماح للفلسطينيين الـ١٣ بالذهاب إلى الخارج .

وقال نافيه (ليكود يمين) في تصريح للإذاعة العامة :«لم أشارك في المفاوضات في هذه القضية ، لكني مشمئز عندما ألاحظ أن هؤلاء المجرمين سيغادرون بدلاً من أن يتعفنوا في السجون» .

وأشاد رئيس «السلطة» الفلسطينية ياسر عرفات بالاتفاق حول إنهاء حصار الجيش الإسرائيلي عن كنيسة المهد ، معرباً عن أمله في أن تنسحب القوات الإسرائيلية من مدينة بيت لحم سريعاً .

وقال للصحافيين عقب صلاة الجمعة في مقره في مدينة رام الله : «إنها خطوة مهمة وآمل أن يتم الانسحاب (الإسرائيلي) من مدينة بيت لحم» .

وأضاف :« أخيراً (رفع الحصار) بعد نضال طويل وتردد الجيش الإسرائيلي الذي واصل جرائمه ضد هذا المكان المقدس» .

وقال ضابط فلسطيني رفيع المستوى إن الفلسطينيين الـ١٣ الذين نقلوا إلى قبرص لن يسجنوا في الدول التي سينفون إليها .

وأعلنت مصادر ديبلوماسية أوروبية أن الفلسطينيين الثلاثة عشر سيكونون أحراراً في الدول التي ستستقبلهم وأن لا مأخذ للاتحاد الأوروبي عليهم .

وقال مصدر ديبلوماسي إسباني إن مسألة وضعهم القانوني والدولة المضيفة ستناقش خلال اجتماع لمجلس الشؤون العامة في الاتحاد الأوروبي في بروكسل في ما بعد .

وأوضح :«لا نعرف كيف نصف هؤلاء السادة ، فلم يصدر أي قرار قضائي بنفيهم أو إبعادهم . إنهم يغادرون لأن ذلك شرط فرضته إسرائيل لتسوية مسألة كنيسة المهد في بيت لحم» .

وأكد المصدر أن الدول التي ستستقبلهم لم تتحدد بعد وليس مستبعداً أن تتكفل منظمات غير حكومية أو الصليب الأحمر بأمر هؤلاء الفلسطينيين في مختلف الدول المضيفة .

ووصل الفلسطينيون الثلاثة عشر المبعدون إلى مدينة لارنكا الساحلية جنوب قبرص حيث وضعوا في أحد فنادق المدينة .

الخطوط العريضة لاتفاق الكنيسة

أتاح الاتفاق الذي تمّ التوصّل إليه في ٩/ ٥/ ٢٠٠٢ خروج ١٢٣فلسطينياً ، كانوا محاصرين في كنيسة المهد في بيت لحم منذ الثاني من نيسان (أبريل) الماضي . وفي ما يلي أبرز النقاط الواردة في هذا الاتفاق والذي يتضمن نقاطاً لا تزال غامضة ، حسب ما علم من المتفاوضين الفلسطينيين والإسرائيليين :

-تمّ نفي ١٣ من الفلسطينيين المحاصرين والذين تعتبرهم إسرائيل «إرهابيين خطرين جداً» . وقد غادروا إسرائيل على متن طائرة عسكرية بريطانية نقلتهم إلى قبرص التي وعدت باستقبالهم لفترة محددة ، حيث أنزلوا في أحد فنادق مدينة لارنكا الساحلية . ومن المقرر أن يتمّ توزيعهم لاحقاً على بلدان أوروبية مثل إيطاليا والبرتغال وإسبانيا والنمسا واليونان .

وأعلن الجنرال إيفال غيلادي رئيس دائرة التخطيط في قيادة الأركان الإسرائيلية أن عودتهم إلى الأراضي الفلسطينية مرتبطة بضوء أخضر من السلطات الإسرائيلية .

-وهناك مجموعة ثانية من ٢٦ رجلاً من الذين تلاحقهم إسرائيل أيضاً إلا أنهم يعتبرون «أقل خطورة» وقد نقلوا بموجب الاتفاق إلى قطاع غزة .

وأفاد مسؤول في أجهزة الأمن الفلسطينية هو العقيد سالم دردونه أن هؤلاء الفلسطينيين لن يسجنوا كما لن يحاكموا ، وكانت تسربت صيغ سابقة للاتفاق أشارت إلى سجنهم في قطاع غزة .

-أمّا الفلسطينيون المتبقون وهم ٨٤ والذين لا تلاحقهم إسرائيل فمن المفترض أن يخلى سبيلهم بعد التحقق من هوياتهم .

-وحسب ناطق باسم الجيش الإسرائيلي فإن أميركيين سيقومون بجمع الأسلحة التي تركها الفلسطينيون في مجمع كنيسة المهد ، على أن يقوم لاحقاً بعض الخبراء بالبحث في مصيرها . كما سيقوم الأميركيون بالتأكد من أن المكان خال من أي متفجرات قبل عودة الكنيسة إلى نشاطاتها الدينية التقليدية .

وساهم ديبلوماسيون أوروبيون وأميركيون في التوصل إلى هذا الاتفاق الذي أنهى حصاراً لكنيسة المهد استمر ٣٨ يوماً .

رام الله والغزو الإسرائيلي

باعتبار رام الله المركز التجاري والسياسي الأساسي للضفة الغربية فإنها تعكس قمة التطلعات بالنسبة إلى أغلب الفلسطينيين، ولكنها في الوقت نفسه تدفع أفدح ثمن وأعلى ضريبة للمواجهة مع إسرائيل التي بدأت مع اندلاع الانتفاضة بعد انهيار محادثات السلام في كامب دايفيد.

لقد وجد الفلسطينيون أنفسهم، في هذه المدينة التي يسكنها ٤٠ ألفاً، أغلبيتهم من الطبقة الوسطى، في مواجهة الجريمة والصدمات الاجتماعية والفرص الضائعة والرغبة العارمة في الانتقام.

رام الله مدينة دفعت ثمنا فادحا

إن التحولات التي طرأت توضح إلى أي مدى تغيرت الخريطة الفلسطينية – المؤسسات المدنية والاقتصاد والنسيج الاجتماعي والنفسي – من جراء الغزو الإسرائيلي لرام الله وخمس مدن فلسطينية أخرى في الضفة الغربية . فبعد فترة من التفاؤل والرخاء النسبي في أعقاب اتفاقية أوسلو للسلام عام ١٩٩٣ ، وجد الفلسطينيون في هذه المدينة التي يسكنها ٤٠ ألفاً ، أغلبيتهم من الطبقة الوسطى ، والتي تقع على بعد ١٢ ميلاً إلى الشمال من القدس ، وجدوا أنفسهم في مواجهة الجريمة والصدمات الاجتماعية والفرص الضائعة والرغبة العارمة في الانتقام .

وربما تكون رام الله من النقاط الجيدة التي يمكن الانطلاق منها لتقويم تداعيات الغزو الإسرائيلي وآثاره على الفلسطينيين . وباعتبار رام الله المركز

التجاري والسياسي الأساسي للضفة الغربية ، فإنها تعكس قمة التطلعات بالنسبة إلى أغلب الفلسطينيين ، ولكنها في الوقت نفسه تدفع أفدح ثمن وأعلى ضريبة للمواجهة مع إسرائيل التي بدأت مع اندلاع الانتفاضة قبل سنتين تقريباً ، بعد انهيار محادثات السلام في كامب دايفيد .

ألحقت إسرائيل دماراً هائلاً بالبنية التحتية والمؤسسات المدنية برام الله ، بما فيها مختبر للطب الشرعي ، بني بمساعدة فرنسية ، ودمر بشحنات ناسفة ، حسب تقارير الشرطة . وكانت آثار العدوان على الاقتصاد ماحقة ، إذ توقفت الإمدادات عن التجار واختفى الزبائن والمشترون لانعدام المال والوظائف ، كما أن أعمال البناء توقفت تماماً .

ولكن الآثار الأعمق والأكثر بقاء هي في الوقت نفسه مستعصية على القياس . ويقول بعض الفلسطينيين إنهم يلاحظون توتراً خطيراً في العلاقات الاجتماعية التي ظلت تشد مجتمعهم خلال ٣٥ سنة من الاحتلال العسكري الإسرائيلي ، وخلال انتفاضتين بدأت أولاهما عام ١٩٨٧ . ويورد هؤلاء حادثة إعدام ثلاثة فلسطينيين في ميدان المهد ، يوم ٢٢ نيسان (أبريل) لاتهامهم بالتعامل مع الإسرائيليين ، كما يشيرون إلى ازدياد حالات النهب التي قام بها فلسطينيون اقتحموا بعض المحال وسط المدينة في خضم القتال الذي كان دائراً .

قال محمود شويل ، أخصائي الأمراض النفسية الذي يدير مركزاً لعلاج ضحايا التعذيب : « ينتابني قلق حقيقي بالنسبة إلى المجتمعين الفلسطيني والإسرائيلي ، فكل من يتعرض للعنف يمكن أن يسقط نزعاته العدوانية على المجتمع ، سواء أكان ذلك سرقة أو قتلاً » .

وعلى المنوال نفسه يقول خبراء الصحة العقلية إن هناك ارتفاعاً حاداً في حالات الاكتئاب والتوتر النفسي وغير ذلك من الأمراض النفسية . وفي إحدى هذه الحالات التي أثارت اهتماماً واسعاً ، أصيبت الصيدلانية إيمان

طيطي ، بثلاث طلقات في رجليها عندما اقتحمت موقعاً عسكرياً إسرائيلياً خارج مقر ياسر عرفات مطالبة بإطلاق سراح زوجها ، وكانت في حالة من الانفعال الهستيري الشديد . .

قالت إيمان ، (٣١ سنة) ، وهي تتماثل للشفاء في شقة أسرتها :«لم أكن أستطيع النوم ، فقدت عقلي تماماً» .

إن كثيرين من الفلسطينيين قد تمكّنوا من التحكم في مصائرهم بعد ست سنوات من تسليم المدينة إلى السلطة الفلسطينية ، ولكنهم وجدوا أنفسهم وبصورة مفاجئة يواجهون مستقبلاً مجهولاً .

قالت عديلة العيدي (٣٥ سنة) ، مديرة مركز ثقافي برام الله : «الدمار الذي حدث في التركيبة النفسية كبير ، كنا نعيش في أمان ، ولكننا الآن نتوقع عودة الإسرائيليين في كل لحظة» .

وقال برهان عودة ، (٣٧ سنة) ، مدير فندق سيتي إن :« في الحقيقة نواجه واقعاً مظلماً ، مظلماً ، ودون نهاية الاحتلال لا يمكن أن يكون هناك استقرار مطلقاً» . وقد أسس الفندق الذي يديره قبل عام واحد بدعم من ممول فلسطيني أميركي كان يأمل في الاستفادة من فترة الرخاء .

ويقول الكولونيل منصور إن سبعة من أعضاء شرطة المرور لقوا مصرعهم . كانت القوات الإسرائيلية قد غادرت رام الله يوم ٢١ نيسان (أبريل) وانسحبت من المنطقة حول مقر عرفات صباح الخميس بعد موافقة عرفات على محاكمة ستة من الفلسطينيين المطلوبين من قبل إسرائيل .

ولكن الفلسطينيين يبذلون قصارى جهدهم للعودة إلى الحياة العادية . وقد تمكنت الجرافات من إعادة فتح الطريق المغلقة وأزيلت الأوساخ من جوانب الطرق ، وعادت الكهرباء والمياه إلى أغلب أحياء المدينة ، وفي قاعة مجلس المدينة يحاول الموظفون استعادة المعلومات من أجهزة الكومبيوتر التي حطمها الإسرائيليون ، وكان بستاني يعتني بالزهور قريباً من

مدخل البناية .

قال عمدة المدينة يعقوب رباح ، الحاصل على درجة في الهندسة المدنية من جامعة ديترويت : «نحن في الواقع أفقنا ، ويحاول كل شخص في فريقنا إعادة الأمور إلى سابق عهدها ، وبأسرع فرصة ممكنة» .

ولكن رباحاً اعترف بأن الحياة ليست عادية عندما حوصر بالأسئلة ، فالمدينة تعتمد على الضرائب والتراخيص للصرف على الخدمات الأساسية ، مثل تصريف الأوساخ ، ولكن لأن البطالة وصلت إلى ٥٠٪ فلا أحد يستطيع أن يدفع الضرائب كما قال رباح ، وأضاف «إنني أتوقع أن يكون دخلنا صفراً» .

ويقدر منصور ، مدير شرطة المرور ، أن الإسرائيليين ربما يكونون قد دمروا ٨٠٪ من البنية التحتية الخاصة بالشرطة خلال الـ ١٩ شهراً الماضية ، ومن ضمنها المعمل الجنائي وأغلب زنازين السجون ، وقد وجهت إسرائيل ضرباتها إلى مباني الأمن الفلسطيني في مناسبات عديدة ، وخاصة بعد حدوث هجوم انتحاري ، مدعية أن عرفات لم يبذل الجهد الكافي لإيقاف الانتحاريين .

كثير من الأعمال متعثر وبعض المعامل والمحال أغلق أبوابه تماماً . كان راجي نجار ، على سبيل المثال ، وحتى وقت قريب ، يدير محلاً لتسليف شرائط الفيديو في مبنى بوسط المدينة ، ولكن القوات الإسرائيلية حولت المبنى إلى مركز للتحقيق وهو يتهمها بسرقة ٦٠٠ شريط وبلاي ستيشن وأجهزة فيديو .

وينتاب الفئات الأكثر حظاً مثل المحاضرين بالجامعات شعور مماثل باليأس . وتذكر إصلاح جاد ، المحاضرة بالجامعة ، حادثة تتعلق برجل شرطة فلسطيني شاب ، كان صديقاً لابنها وكان زائراً منتظماً لمنزلها . كان الشاب ، مع ٤٠ من رجال الشرطة المسلحين ، داخل مبنى حاصرته القوات

الإسرائيلية ، وقد اتصل بمنزلهم طلباً للمساعدة ، وقد اتصلت إصلاح جاد في قمة يأسها بالهيئة البلدية للكهرباء ، وترجت المسؤولين قطع الإمداد عن الحي الذي يحاصر فيه الشاب حتى يتمكن هو والآخرون الذين معه من الهرب تحت جنح الظلام ، ولكن العامل على الطرف الآخر ضحك وقال لها إنه لا يستطع مغادرة الحمام الذي يختفي فيه نسبة لكثافة النيران المصوبة إلى مبنى الهيئة ، ثم اتصلت بالهلال الأحمر الفلسطيني دون جدوى ، قالت السيدة جاد :« كان يتصل بنا كل دقيقتين ، وشعرت أنني سأفقد عقلي» .

في النهاية توقف الشاب عن الاتصال وعرفت هي بعد ١١ يوماً أنه قتل . قالوا إنه قتل في مواجهة مع الإسرائيليين ، ولكنها لم تعرف التفاصيل .

قالت السيدة جاد إنها ، مثلها مثل كثيرين ، كانت تعتقد أن السلطة الفلسطينية ستتحول من منظمة ثورية إلى دولة ديمقراطية تتسم بالشفافية «كنت أعتقد أننا نتجه نحو بناء دولة» ولكن الأحداث هزت قناعتها .

وبالنسبة إلى المجتمع الفلسطيني فالجرائم الكبرى تعتبر أحداثاً نادرة ، ويفخر الفلسطينيون بأنهم قادرون على التمسك بالقيم التقليدية والروابط الاجتماعية في وجه الاحتلال وعلى الرغم منه . ولكن الهجوم الإسرائيلي الأخير جعل بعض الفلسطينيين يشكون في هذه المسألة أيضاً . ومع أن رجال الأعمال يتهمون الإسرائيليين بأغلب السرقات وأعمال النهب التي حدثت ، إلا أنهم يقولون إن بعض الفلسطينيين مسؤولون عن عدد من الجرائم . وقال يوسف طاحون (٢٦ سنة) ، إن الفلسطينيين سرقوا ما قيمته ١٦, ٧٣١ دولاراً من المعدات من محله لأجهزة الكومبيوتر بوسط رام الله ، وإن ذلك حدث في الأيام الأولى من الغزو .

وأصيب آخرون بانزعاج كبير من جراء الفوضى التي سادت أنحاء رام الله في الساعات الأولى من انسحاب إسرائيل من المدينة . ولأن الشوارع كانت خالية من الشرطة ، فقد قام مسلحون بنقل الرجال الثلاثة المتهمين

بالتعاون مع إسرائيل ، في اليوم التالي للانسحاب ، إلى ميدان المهد وسط المدينة وأطلقوا النار على أيديهم وأرجلهم من مسافة قريبة وهم يطلقون صيحات الألم . ومع أن مثل هذه المشاهد حدثت في بعض الأماكن بالضفة الغربية ، ولكنها لم تكن حدثاً مألوفاً في رام الله ، وكان بعض المشاهدين يرسلون صيحات الاستحسان وبعضهم حاول عرقلة سيارات الإسعاف من الوصول إلى الجرحى . وقد توفي أحد الرجال فيما بعد .

قال عمدة المدينة رباح :«لا أحد يمكن أن يوافق على هذا العمل ، الشرطة عادت الآن إلى الشوارع وسيتم تطبيق القانون» .

وربما يتضح أن استعادة التوازن النفسي للفلسطينيين تمثل تحدياً كبيراً . وقال شويل ، الطبيب النفسي ، إن ٥٥٪ من الأشخاص الذين أجرت منظمته بحوثاً عليهم كانوا يعانون من اضطرابات نفسية من أثر الصدمات ، مثل الأرق والقلق وصعوبة التركيز ، وقال إن هذه النسبة ستكون أعلى حالياً . وأحد الأمثلة التي يوردها شويل هي الصيدلانية إيمان طيطي ، وهي إحدى مريضاته ، وتعاني مما يصفه شويل بأنه «اضطراب نفسي حاد» وذلك على أثر اعتقال الإسرائيليين لزوجها في اليوم الثاني لغزوهم .

وتذكر إيمان وزوجها سمير ، أن الإسرائيلين في بداية غزوهم ، كانت قواتهم تذرع الشوارع بمكبرات الصوت وهي تأمر الرجال بين ١٦ و٤٥ بالتجمع في مدرسة قريبة من هناك . واعتقد زوجها سمير ، الذي تلقى تعليمه في بريطانيا ، أنه لن يستغرق سوى ساعات قليلة يعود بعدها إلى منزله ، ولكنه اعتقل ونقل إلى معسكر اعتقال مؤقت خارج رام الله ولم يعد لمدة أسبوع كامل . ولم يكن لدى زوجته أية فكرة حول مكان اعتقاله ، كما لم تعرف ما إذا كان على قيد الحياة ، ولذلك انتابها قلق شديد على زوجها وعلى نفسها وعلى بناتها الثلاث اللائي تبلغ أعمارهن بين ستة أشهر وخمس سنوات . كانت المدينة خاضعة لحظر التجول وكان قتال عنيف يدور

في الشوارع ، مما جعلها عاجزة عن مغادرة منزلها لجلب الطعام أو الشراب .

قالت إنها أصيبت بانهيار عصبي بعد ذلك ، وجرت حتى مقر عرفات حيث ضربتها القوات الإسرائيلية بالرصاص ، ربما لأنها اعتقدت أنها انتحارية .

قال سمير الطيطي ، الذي عاد من المعتقل ليجد زوجته بالمستشفى بينما تقوم شقيقته برعاية بناته ، إنه لن يغفر للإسرائيليين ما فعلوه هنا . قال :« أنا أشعر بمرارة شديدة ، ليس هناك أي شعور بالأمان هنا ، يمكنهم في كل لحظة أن يقتلوا كما يحلو لهم ، يمكنهم أن يعتقلوك إذا فعلت شيئاً أو لم تفعل . أنا رجل يؤمن بالسلام ، لكن ليس هذا السلام الذي يحاولون فرضه علينا» .





خيمة على أنقاض منزل مدمّر

شهادة أم من رام الله

إنها شهادة أم تسكن مدينة رام الله ، شهادة عن الدمار ، عن تدنيس الأرض والمنازل ، عن حلم الأطفال بالسلام وعن الحياة الآمنة .

يتواصل مشهد جرائم الحرب والعدوان في كل الأراضي الفلسطينية عاكساً ظلالاً رمادية في أعماق الناس . حظر التجول والحصار المذل في رام الله ، ويتفنن الاحتلال باستخدام تقنيات قمعية تتصاعد يومياً . مداهمة البيوت وسرقة الممتلكات مستمرة ، إطلاق الرصاص والقذائف يتواصل ليلاً نهاراً ، اقتراف المجازر في مخيم جنين والمدينة القديمة في نابلس ، هدير الدبابات والجنزرات يقطع شريط الأحلام ، وينفي النعاس من عيون أطفالي إلى مساحات ومسافات بعيدة ، عجلات الجنزرات تطحن الطرقات ماسحة آثار أقدام أهالي المدينة وعجلات عربات الأطفال التي أمسكتها أيادي الأمهات والآباء في أثناء النزهات المسائية . يتواصل القنص على كل

الأجسام المتحركة ، ويستمرّ الحرص على إدخال جرعات الألم والغضب لتتدفق في مسامات جسدي وروحي وتمزج مع دمائي ، وتثقل أنفاسي .

تفترشني حالة من الاغتراب لكل الأشياء التي من حولي ، ألجأ إلى ذاكرتي المتقدة والمتوهجة بضوء شعلة النضال من أجل الحياة والكرامة والمتشحة بألوان الحب المشعة بالدفء لأواجه هذا الثقل البغيض . وها أنا أجد صيغة للتوافق ما بين قدمي والشارع عندما رفع منع التجوّل .

اندفعت مع جموع النساء الغاضبات إلى مركز المدينة ، حيث التقتنا الدبابات الجاثمة على صدر رام الله ، والجنود المعلّبون بداخلها يخرجون فوهات البنادق في كل الاتجاهات ، تحركت أصابعنا راسمة إشارة النصر ، وضربت أقدامنا الأرض ، وانطلقت من حناجرنا كلمات واضحة وعميقة لا للاحتلال نعم للاستقلال . تداخل الرجال والشباب ببطء في تجمعنا . تلاصقت أرواحنا وتلاحمت كلماتنا ، انطلق عويل البنادق ودخان الغاز ، ليحمي الجنود من الكلمات المغموسة بالدماء وأشلاء الأطفال . ثار غضبهم ، ليتعارك مع غضب المدينة المجروحة في معركة ما زالت مستمرة . أعود إلى البيت ، لأتقاسم مع العائلة صوراً من مشهد العدوان واكتشاف المزيد من الجثث في البيوت التي دوهمت في رام الله ، وتدمير مبنى البلدية والمؤسسات المدنية ومسرح المدينة ومراكزها الثقافية ، وصور الأبواب التي فجرت لمنازل ومحلات تجارية ، وسرقة الممتلكات والأموال ، وسجن العائلات في شقة واحدة والاستيلاء على المبنى السكني بالكامل وتدمير غرف الأطفال وتمزيق صورهم وأحبائهم من على الجدران . تنفجر ابنتي سيرين بالبكاء فهي أيضاً لديها صور بوجوه وقسمات أليفة تمنح المشهد العام خصوصية وانفعالاً متميزاً ، صديقها عامر بقي وحيداً مع أخيه سامر ذي العشر سنوات ، فقد هاجم الجنود بيتهم واعتقلوا والده الذي رفض الانصياع لأوامر الجنود وتسليمهم مجوهرات الأم نسرين التي رحلت منذ عام بسبب

مرض عضال ، وتركت لهم أشياءها مع حب كبير ممزوج بآلام الفقدان . دافع الأب موسى الكردي عن حضور زوجته ، وهو محام نشيط في مجال حقوق الإنسان ، استفز الجنود الذين اقتادوه أمام طفليه اللذين بقيا وحدهما ، إلى أن استطاعت جدتهما الوصول إليهما . سيرين حزينة لأن الجنود لم يحترموا موت أم عامر وأيقظوا ألمه على فراقها ، ولأن والده في المعتقل ، وأيضاً لأنها لم تستطع أن تقدم المساعدة له . مشاعر مركبة تزيد من خوف سيرين القلقة دوماً من فكرة اعتقال والدها وأخيها حسام ، لماذا لا يرحلون؟ كنت أعتقد أن هناك يهوداً طيبين يريدون السلام ، أين هم؟ وما علاقتهم بالجنود؟ ماما إنني أتذكر المرأة الإسرائيلية التي زارتنا منذ سنتين في البيت ، حدثتني عن أحفادها ، وعندما شاهدت المستوطنة من نافذة الشرفة قالت ماذا يفعل هؤلاء المتعصبون هنا؟ لا بد من إخلائهم حتى يعم السلام . لماذا أحضروا شارون؟ ألا تستطيع «غاليا جولان» المرأة التي تؤمن بالسلام وأصدقاؤها وقف الحرب؟ ماما إياك أن تموتي . كانت مفاجئة لي أن أكتشف أن سيرين ما زالت تتذكر زيارة غاليا لنا ، ضممتها إلى صدري وأخبرتها أننا نناضل من أجل الحياة ، وكذلك قوى السلام الإسرائيلية ، شعرت في هذه اللحظة مدى أهمية إشراك أبنائنا في الحوار من أجل السلام والأمن لكلا الشعبين ، وهذا يتطلب جهداً كبيراً من الذين يقاتلون من أجل غد يتغلب على مشاعر الكراهية والانتقام ،ويؤمن حرية وسيادة الشعب الفلسطيني في دولة مستقلة إلى جانب دولة إسرائيل ، لم أشعر سابقاً بمعظم مسؤولية نشر ثقافة السلام على أرضية السلام مقابل الأرض ، وأن السلام والعدل وحقوق الإنسان حلقات متداخلة في سلسلة الأمن ، كما شعرت في تلك اللحظة التي عانق فيها رأس ابنتي صدري الذي يضم مشاعر خوف شديد على أولادي من الموت أو الغرق في بحر الكراهية الهائج االذي تغرق أمواجه المنطق والأمن والقيم الإنسانية .



مدافن جماعية لشهداء رام الله

الخليل
تحت القصف والدمار

منذ أنشئت أول مستوطنة يهودية في مدينة الخليل لم يمض يوم واحد من دون أن يسجل فيه حادث أو اعتداء أو استفزاز يقوم به المستوطنون ضد الوجود العربي في المدينة، وقد ازدادت هذه الاعتداءات في انتفاضة الأقصى لتصل إلى ذروتها خلال عملية «السور الواقي» حيث وافقت حكومة الاحتلال على تحويل بعض المباني المؤقتة (الكرافانات) إلى منازل ثابتة، وهو ما قد يجعلها نقطة تفجير جديدة بين سكان المدينة والمستوطنين.

المرة الأولى في الخليل

عام ١٩٩٤ ، وبعد المجزرة التي ارتكبها المستوطن باروخ غولدشتاين في ٢٥ شباط (فبراير) في الحرم الإبراهيمي في الخليل ، أصدر مجلس الأمن قراره الرقم ٩٠٤ (١٨ آذار (مارس) ١٩٩٤) ودعا فيه إلى «اتخاذ إجراءات لضمان أمن المدنيين الفلسطينيين وحمايتهم في الأراضي المحتلة بما في ذلك وجود دولي أو أجنبي مؤقت» .

وعلى رغم صدور هذا القرار ، لم تستند قوة «الوجود الدولي المؤقت في الخليل» (TIPH) إلى تفويض من الأمم المتحدة ، بل إلى اتفاق بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية والدول الأوروبية الثلاث المشاركة فيها وهي نروج والدانمارك وإيطاليا . وقد تشكّلت القوة لمراقبة الوضع في الخليل على أن يكون مرجعها إسرائيل والسلطة الفلسطينية ، وترسل تقاريرها السرية إلى

الأمم المتحدة . وضمّت القوة ١٦٠ مراقباً مزودّين أسلحة خفيفة وصلوا إلى الخليل في أيار (مـايـو) ١٩٩٤ ، حـيـث أكـثـر من ألفي جندي إسـرائيـلي يحرسون ٤٠٠ مستوطن .

وكانت هذه المرة الأولى تقبل إسرائيل بوجود مراقبين مسلحين في المناطق الفلسطينية . ولكن عندما انتهى تفويضها بعد بضعة أشهر رفضت الموافقة على التجديد لها .

ووضع اتفاق أوسلو ٢ في أيلول(سبتمبر) ١٩٩٥ تصوراً خاصاً لدور هذه القوة . واتفق على هذا الدور في ٩أيار (مايو) ١٩٩٦ ، وقد فوّض إلى القوة «المساعدة في ترويج الاستقرار ومراقبة الجهود للحفاظ على حياة طبيعية في مدينة الخليل وتقديم تقارير عنها» . ومدّد تفويض هذه القوة كل ثلاثة أشهر إلى حين توقيع اتفاق على مهمتها في ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٧ . وزاد هذا الاتفاق عدد أفراد القوة إلى ١٨٠ لكنه لم يغيّر تفويضها .

الخليل:
برميل بارود متفجر

عملية الاغتيال البشعة التي تعرّض لها قائد «كتائب شهداء الأقصى» في الخليل الشهيد مروان زلوم ومرافقه سمير رجب، عندما استهدفت مروحية صهيونية سيارتهما بأربعة صواريخ أحرقتهما بالكامل في أحد شوارع المدينة، سلطت الضوء على هذه المدينة التي استثناها العدو مبدئياً من الاجتياح الواسع الذي شنه ضد الضفة الغربية عموماً. وكان لافتاً أن المواطنين الغاضبين سارعوا إلى إعدام ثلاثة من أخطر العملاء في المكان الذي اغتيل فيه زلوم.

منذ أن أسست أول مستوطنة يهودية في مدينة الخليل لم يمض يوم واحد من دون أن يسجل فيه حدث أو اعتداء أو استفزاز يقوم به المستوطنون ضد الوجود العربي في المدينة، وقد ازدادت حدة هذه الاعتداءات في انتفاضة الأقصى لتصل إلى ذروتها خلال عملية «السور الواقي»، حيث

وافقت حكومة الاحتلال على تحويل بعض المباني المؤقتة (الكرفانات) إلى منازل ثابتة ، وهو ما قد يجعلها نقطة تفجير جديدة بين سكان المدينة البالغ عددهم ١٢٠ ألفاً و٤٠٠ مستوطن يقطنون في المدينة .

تاريخ دامٍ

أقل ما يوصف به الوضع في الخليل بأنه يوجد صراع تاريخي وحضاري بين أهالي مدينة الخليل والمستوطنين ، وخصوصاً أن المدينة كانت تحتوي على عدد ضئيل من المستوطنين قبل عام ١٩٢٩ ، وكان هؤلاء المستوطنون يعيشون بين الفلسطينيين بصورة عادية ومنسجمة مع طبيعة أهالي المدينة الأصليين . وفي عام ١٩٢٩ ، وقعت معركة بين أهالي المدينة ، الذين أدركوا الخطر الصهيوني ، والمستوطنين ، قتل فيها عدد من يهود المدينة في قضية مشهورة ، فيما رحل الباقون إلى أماكن أخرى ، وبعضهم هاجر وترك فلسطين نهائياً ، مع العلم أن المستوطنين الذين يسكنون الخليل حالياً ليسوا من سكانها السابقين ولا يمتون إليهم بصلة . ومنذ ذلك التاريخ بدأت قصة عداء غير طبيعية بين الجانبين تخللتها العشرات من المواجهات الدامية التي تعرض لها الفلسطينيون ، خصوصاً بعد عودة المستوطنين من جديد إلى قلب الخليل ، حيث سمح لهم بالدخول إليها كسياح أجانب في عهد رئيس بلدية الخليل سابقاً محمد الجعبري . إلا أن وجودهم الفعلي بدأ بعد حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ ، حيث أخذوا يستولون على مواقع حساسة في قلب الخليل بحجة أنها منازل كانت في السابق ملكاً لهم ، مثل «بيت هداسا» ، «الدبويا» ، بيت «رومانو» و«مدرسة أسامة بن منقذ» .

ويرجع اهتمام المستوطنين بهذه المدينة إلى زعمهم بأن الحرم الإبراهيمي الشريف في المدينة هو من الآثار اليهودية المقدسة لديهم ، بالرغم

من أن الحفريات التي قام بها المستوطنون أنفسهم تحت الحرم الإبراهيمي أثبتت زيف ادعائهم . وقد كشف النقاب عن حفريات قاموا بها قبل ٢٠ عاماً أثبتوا من خلالها أن الآثار الموجودة تحت المسجد الإبراهيمي ما هي إلاّ آثار إسلامية وبيزنطية ، ولا يوجد لليهود علاقة بها .

جيوب استيطانية للإرهاب

ومنذ ما يزيد عن ثلاثين عاماً ، تاريخ احتلال الكيان الصهيوني للمدينة ، والتطرّف يزداد ويتعاظم في قلب الخليل . وما يساعد المد الاستيطاني على التعاظم أن حكومات العدو المتعاقبة تشرف على هذا الأمر الذي يأتي في الغالب على شكل خطط مدروسة ودعم منظم من قبل جمعيات ورجال أعمال يهود يعملون خارج الأرض المحتلة .

وقد تولى ثلاثة من غلاة المستوطنين الحملة ضد الفلسطينيين وهم : «باروخ مارزيل» ، «موشيه ليفنغر» و«نوعام أرنون» ، وهم من الشخصيات المعروفة بحقدها ضد كل ما هو عربي . وقد دأب هؤلاء منذ عام ١٩٦٨على تحويل الأحياء الفلسطينية في المدينة إلى أحياء يهودية خالصة ، وجرى الاستيلاء على العديد من المنازل الفلسطينية وترميمها وتحويلها إلى جيوب استيطانية تتزايد مساحتها وتكبر يوماً بعد يوم . وهذه الجيوب هي الكنيس اليهودي (أبراهام أبينو) الذي يقع قرب سوق الخضار القديمة (الحسبة) ، أهم أسواق المدينة التي أغلقت منذ مجزرة الحرم الإبراهيمي ، حيث يخطط المستوطنون لضمها إلى الكنيس ، وشارع السهلة الممتد حتى الحرم الإبراهيمي الشريف . والحي الثاني هو «بيت رومانو» ، مدرسة أسامة بن منقذ سابقاً ، الذي أصبح الآن يحتوي على العديد من الطوابق . والجيب الثالث هو «بيت هداسا» الذي كان يعرف سابقاً بـ «حي الدبويا» والجيب

الرابع «رامات شاي» المعروف بحي تل الرميدة ، المكوّن من منازل مؤقتة في طريقها إلى التثبيت بعد موافقة حكومة شارون على ذلك ، وتضم الجيوب حراسات أمنية بالغة التعقيد يقوم بها أكثر من ٦٠٠ جندي يطلقون النار على كل من يتحرك .

وترتبط جميع البؤر المذكورة بالخط الالتفافي (رقم ٦٠) الذي يخترق معظم أحياء البلدة القديمة في الخليل ، ليصبح قلب المدينة بأكمله من الناحية العملية تحت السيطرة الاحتلالية .

مستوطنات صهيونية

الاستيطان الصهيوني لم يقتصر على قلب المدينة ، بل أقيمت ثلاث مستوطنات على أرض بلدة يطا وهي : «سوسيا» ، «ماعون» و«كرمئيل» ، ومستوطنة واحدة على أرض بلدة بني نعيم هي «بني حيفر» ، ومستوطنة على أرض بلدة الشيوخ . وفي منطقة الخليل وحدها يوجد سبع مستوطنات أقيمت عام ١٩٨٤ ، منها «عتنائيل» المقامة على أراضي بلدة السموع «كفار عصيون» على أراضي مدينة حلحول ، و«روش تسوريم» و«كرمي تسور» القريبتان منها أيضاً . وعلى حدود مدينة الخليل هناك ثلاث مستوطنات هي : «خارصينا» ، «كريات أربع» و«حجاي» . وعلى أراضي بلدة الظاهرية أقيمت مستوطنة «دهاريا» ومستوطنة «مجدال عوز» المقامة على أراضي بلدة بيت أمر ، هذا عدا المستوطنات العسكرية والزراعية .

الاحتلال يجتاح الخليل

احتل الجيش الإسرائيلي مدينة الخليل في الضفة في عدوان جديد أسفر عن استشهاد تسعة فلسطينيين ، ودخلت عشرات الدبابات ووحدات كوماندوس أولاً إلى المدينة من مداخل عدة وبدأت باحتلالها ، وتبعها عدد كبير من سلاح المشاة مدعومين بآليات مصفحة ومروحيات هجومية .

وأطلقت هذه المروحيات النار على فلسطينيين مما أدى إلى استشهاد شرطي ، في حين جرح ثمانية فلسطينيين آخرين تعذر نقلهم إلى المستشفيات حسب مصادر طبية .

وقام جنود إسرائيليون مدعومون بآليات مصفحة بعملية توغل في قسم المدينة الذي يشرف عليه الفلسطينيون ، وقاموا بعمليات تفتيش واعتقال . وقال شهود عيان إن دبابات الاحتلال ومدرعاته دخلت الخليل من اتجاهين وإن المروحيات أطلقت أربعة صواريخ على الأقل ، وإن الغارة أعقبها معارك بين الجنود الإسرائيليين ومسلحين فلسطينيين .

وذكرت مصادر أمنية فلسطينية أن بين التسعة الذين سقطوا في اجتياح الخليل اثنين من الناشطين يدعى أحدهم رجائي أبو شاوي ، وهو من كتائب «شهداء الأقصى» وثلاثة من رجال الأمن استشهدوا برصاص قوات الاحتلال ، إضافة إلى نحو ٢٥ جريحاً بينهم عمر نصر الدين قائد كتائب «شهداء الأقصى» في الخليل الذي اعتقل بعد إصابته في أثناء التوغّل .

وبسبب حظر التجول المفروض على المدينة ، بقيت بعض الجثث في مكانها وتعذر التعرف إليها .

وذكرت عدة منظمات إنسانية دولية عاملة في الخليل أن سيارات الإسعاف الفلسطينية اضطرت إلى الانتظار ساعات طويلة قبل الحصول على إذن من الجيش الإسرائيلي لإجلاء الجرحى إلى المستشفيات .

وأفاد شهود أن أعنف المواجهات المسلحة دارت في محيط مبنى في القسم الجنوبي من المدينة ، حيث جرح الجيش عنصرين من كتائب شهداء الأقصى واعتقلهما .

وأوضحت مصادر عسكرية إسرائيلية أن الاحتلال انتهى ، وجاء في بيان عسكري أن الجيش أوقف ١٧ فلسطينياً يشتبه في مشاركتهم في هجمات مناهضة للإسرائيليين .

وبين الموقوفين ناشطان من حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أوقفا وبحوزتهما متفجرات وبنادق رشاشة وصواريخ مضادة للدروع وفق المصادر ذاتها التي لم تشر إلى وقوع جرحى أو قتلى في الجانب الإسرائيلي .

وأوضح ناطق عسكري في بيان أن «هذا الاحتلال حصل إثر العملية التي استهدفت مستوطنة أدورا الواقعة بالقرب من الخليل ، والتي قتل خلالها فلسطينيان أربعة إسرائيليين وجرحوا سبعة آخرين» .

وأشار إلى أن العملية ستكون «محدودة في الزمن» ولا «تستهدف السلطة الفلسطينية وإنما البنى التحتية الإرهابية فقط في هذه المدينة» .

وأعلن بنيامين بن أليعازر وزير الدفاع الإسرائيلي للصحفيين أن القوات الإسرائيلية اعتقلت في الخليل ١٧ من بينهم أشخاص مطلوب إلقاء القبض عليهم ، بالإضافة إلى ضبطها أسلحة ومتفجرات وسيارة ملغومة . وقال للصحفيين «لم نتوجه إلى هناك لنبقى ، ذهبنا إلى هناك لندمر البنية التحتية للإرهابيين ونرحل» .

وفي المقابل ، وصف مسؤول الإعلام في السلطة ياسر عبد ربه الهجوم بأنه استفزاز من جانب الإسرائيليين ، وقال في رام الله «هدفهم في الحقيقة توسيع الهجمات وإعادة احتلال المدن الفلسطينية» .

واعتبرت القيادة الفلسطينية أن احتلال الخليل جزء من المخطط العسكري الإسرائيلي «النازي» ، معتبرة أن التصعيد العسكري يؤكد إصرار الحكومة الإسرائيلية على مواصلة «العدوان الإرهابي» .

وقال ناطق باسم القيادة في بيان بثته وكالة الأنباء الفلسطينية أن «إسرائيل تابعت تنفيذ مخططها العسكري العنصري النازي واحتلت مدينة الخليل بالكامل بالهجوم على المدينة من كل الاتجاهات ، وتم فتح نيرانها وقذائفها وصواريخها على مختلف أحياء الخليل مما أدى إلى استشهاد ثمانية مواطنين وجرح حوالى ٢٥ شخصاً» .

وأكد أن «هذا التصعيد العسكري الإسرائيلي الهمجي وارتكاب العديد من المجازر البشعة بحق شعبنا ومقدساتنا المسيحية والإسلامية يؤكد إصرار حكومة شارون على مواصلة عدوانها الإرهابي ويكل الوحشية ضد شعبنا البطل» .

وأوضح الناطق أن حكومة إسرائيل «تدير ظهرها لكل شعوب العالم وقادته ومؤسساته الدولية والاممّية التي طالبت وتطالب بوقف هذا العدوان البربري وانسحاب القوات الإسرائيلية بشكل فوري في إدانة واضحة جداً لجرائم هذا الاحتلال النازي الجديد» .

وأضافت القيادة «تتصاعد الحرب التدميرية الإجرامية التي يشنها جيش الاحتلال الإسرائيلي ضد شعبنا الفلسطيني ، والذي يرتكب المجازر الوحشية بحقّه وبحق مقدساتنا المسيحية والإسلامية» .

وأكدت القيادة أن «القوات الخاصة الإسرائيلية النازية ما زالت تقوم بحملة دهم كبيرة في كل أنحاء المدينة وتفتش منازل أبناء شعبنا بصورة وحشية وتسرق بعض محتوياتها الثمينة وتدمّر ما تبقى منها» .

وأعلنت حركة «حماس» أن الجيش الإسرائيلي قتل أحد أعضائها وأحد منفذي عملية مستوطنة أدورا في الخليل خلال اشتباك مسلح في أثناء الاجتياح الإسرائيلي للمدينة .

وكشفت «حماس» على موقع قريب منها على شبكة الإنترنت «عن استشهاد المهندس القسامي طارق دوفش (٢١ عاماً) من أبطال كتائب الشهيد عز الدين القسام في الخليل خلال اشتباك مسلح مع قوات الاحتلال الصهيوني في منطقة تفوح غرب الخليل .

وأضافت أن «الشهيد دوفش يدرس الهندسة في جامعة بوليتكنيك فلسطين بالخليل سنة ثانية هندسة وهو أحد منفذي عملية أدورا البطولية» .

يشار إلى أن مدينة الخليل هي الوحيدة مع أريحا التي لم يكن قد احتلها الجيش الإسرائيلي منذ بدء عملية «السور الواقي» في ٢٩ آذار (مارس) ٢٠٠٢ .

وأعادت مصادر أمنية إسرائيلية هذا السبب إلى أن المدينة هادئة نسبياً بفضل جهود أجهزة الأمن الوقائي الفلسطيني بقيادة العقيد جبريل رجوب .

والخليل هي المدينة الوحيدة التي تنتشر فيها قوة مراقبين تجدد مهمتها كل ستة أشهر ، وهذه القوة المعروفة باسم «الوجود الدولي المؤقت في الخليل» مؤلفة من مراقبين نروجيين وإيطاليين ودانماركيين وأتراك وسويديين وسويسريين .

الدخول إلى نابلس

لم يتمكّن سكان نابلس المختبئون في بيوتهم من نقل الجثث إلى المستشفيات، مما أجبرهم على الاحتفاظ بها لديهم، من ثمّ قطعت خطوط الهاتف فلم تعد البلدية قادرة على الاتصال بالأسر. وقد تحدّثت السلطات المحلية عن سقوط عدد كبير من القتلى، لكنّ هناك عدداً لم يحدّد من الجثث التي لم يتم التعرّف عليها.

لقد عاشت نابلس ليلة «إرهابية» على وقع القذائف الصاروخية التي لم تتوقّف المروحيات القتالية الإسرائيلية عن إطلاقها بلا هوادة على أزقّتها.

ليلة من النيران والدماء في نابلس

عاشت البلدة القديمة في مدينة نابلس ليلة «إرهابية» على وقع القذائف الصاروخية التي لم تتوقف المروحيات القتالية الإسرائيلية عن إطلاقها بلا هوادة على أزقتها .

وتحدثت السلطات المحلية عن سقوط عدد كبير من القتلى . وقالت حنان عطيرة ، الناطقة باسم المحافظة ومنسقة الإغاثة الطبية في المدينة ، إن السلطات أكدت استشهاد ٢١ فلسطينياً على الأقل منذ بدء الهجوم ، لكن هناك عدداً لم يحدد من الجثث التي لم يتم التعرّف عليها .

ولم يستطع السكان ، المختبئون في بيوتهم ، نقل الجثث إلى المستشفى ، مما أجبرهم على الاحتفاظ بها لديهم ، ومن ثمّ قطعت خطوط الهاتف فلم تعد البلدية قادرة على الاتصال بالأسر .

من جهة أخرى ، لم يسمح الجيش الإسرائيلي لسيارات الإسعاف بإنقاذ الجرحى ونقلهم إلى المستشفى .

وفي الحي القديم ،الذي كان مسرحاً لأعنف المعارك ، حيث لا يمكن للصحافيين دخوله ، كان خمسة فلسطينيين أصيبوا بجروح خطيرة قاتلة ينتظرون «الوصول الواهم» لسيارة إسعاف تابعة للهلال الأحمر الفلسطيني في مركز أعد على عجل .

وقالت عطيرة :«إن الجيش الإسرائيلي لم يعط حتى الآن الضوء الأخضر» . وأضافت أن مقاتلاً أصيب برصاصة في فكه وينزف بشدّة في مخيم بلاطة للاجئين .

ولم تدخل الدبابات الحي القديم بأزقته الضيقة التي لا تسمح لها بالتحرك في داخلها ، بينما تحصّن فيه عدد كبير من المقاتلين . وتطلق الدبابات قذائفها من الخارج وتساندها المروحيات القتالية التي لم تتوقف عن إطلاق القذائف طوال الليل .

وأدّى هذا القصف المكثّف جداً إلى تضررّ عدد كبير من البيوت في البلدة القديمة ، وبعضها قديم جداً .

وأضافت عطيرة «أن ٦٠ شخصاً كانوا في أحد هذه المنازل لا نعرف إذا كانوا تمكّنوا من الخروج أو قتل بعضهم» .

وتمركز الجنود أيضاً على المباني التي تحيط بالبلدة القديمة ليتحكموا بأزقتها ، كما يحتل الجيش تلّتين يستطيع أن يطلق النار منهما بحرية .

وتقع نابلس ، التي استشهد فيها ١٤ فلسطينيًا في الهجوم ، في واد تحيط به تلتان ، وهي سمة غير مناسبة على الصعيد الاستراتيجي .

حصار عرفات والمساعي الدولية

لم يحتمل أحد لا من الزعماء ولا من السياسيين العرب ولا الأجانب ما تحمَّل عرفات، ولا يمكن إلاَّ الإقرار بأنَّ صموده تحت الحصار الإسرائيلي قد غسل عاراً عربيًا من الولاء المذلِّ وطوى دهراً عربيًا من الهوان؛ وفضح مواقف الكبار والصغار من الدول التي تدَّعي الديمقراطية وحقوق الإنسان ومحاربة الإرهاب. ولم يكن بمقدور عرفات أن يقاوم وأن يظل على قيد الحياة لولا بسالة شعبه، فلم يسجِّل التاريخ الحديث ولا القديم أنَّ شعباً فضَّل الشهادة على الاستسلام كما فعل ويفعل الفلسطينيون.

مقر عرفات سجن أقامه البريطانيون في الثلاثينات

في عملية «السور الواقي» التي دفعت إسرائيل إلى إعادة احتلال مدن الضفة الغربية تبادل الجنود الإسرائيليون إطلاق النار مع حرس رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات ، داخل مجمّع صمّم كسجن وبني وقت الانتداب البريطاني لفلسطين في الثلاثينات .

وبنى السير تشارلز تيغارت ، الذي أشرف على بناء العديد من مراكز ونقاط الشرطة في المنطقة ، المجمّع الذي عرف باسم «المقاطعة» ، لكن رغم أنه صمّم ليكون سجناً ، استخدم المجمّع كمبنى إداري للحاكم العسكري البريطاني في ذلك الوقت .

وأصبح المجمّع الآن مركز حكم السلطة في الضفة الغربية . وداخل المقر المحاط بالأسوار مبان تضم مكتب عرفات وأجنحة نوم مستقلة وغرفة

خاصّة لاستقبال الشخصيات الأجنبية المهمة .

وللأجهزة الأمنية الفلسطينية المختلفة ، ولرئيس البلدية ، مكاتب في المجمع . وتحقيقاً لما صمّم من أجله ، يضم سجناً أيضاً .

وقام عرفات الذي حدّدت إسرائيل إقامته في رام الله منذ أوائل كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢ بتجديد المبنى بعد عودته من منفاه في الخارج عام ١٩٩٤ وأضاف إليه غرفاً وجمّله .

وكان المجمّع قبل ذلك مقرّاً للحاكم العسكري الإسرائيلي لمنطقة رام الله . وكانت مجمعات مماثلة في قطاع غزة والضفة تستخدم تحت حكم السلطات المصرية والأردنية قبل احتلال إسرائيل للمنطقتين في حرب عام ١٩٦٧ .

وقال المؤرخ والأستاذ الجامعي الفلسطيني سالم المبيّض في قطاع غزة . «هذه المباني كانت تستخدم كسجون . آلاف الفلسطينيين الذين عارضوا الاحتلال في فلسطين كانوا ذات يوم سجناء هناك» . وأضاف :«إنه يبدو كقلعة . وتعرف هذه المباني منذ تلك الحين بمباني تيغارت» .

وكانت إسرائيل أطلقت صواريخ على العديد من المباني في غزة والضفة منذ بدء الانتفاضة .

التسلسل الزمني لخمسة أشهر من حصار عرفات

خضع رئيس السلطة الوطنية الفلسطينيّة ياسر عرفات ، الذي انسحب الجيش الإسرائيلي ليل ٥-٦ كانون الأول (ديسمبر) من المواقع التي كان يتمركز فيها لتطويق مقره العام في رام الله ، لحصار استمر نحو خمسة أشهر :

٢٠٠١

٨ كانون الأول (ديسمبر) : إسرائيل تعلن أنها تحتفظ لنفسها بحق منع عرفات من مغادرة رام الله للتوجه إلى الخارج .

١٣ كانون الأول (ديسمبر) : منع عرفات من مغادرة رام الله ، وإسرائيل تنشر دبابات على بعد مائتي متر من مقره العام . وقد دمرت الطائرات محطة البث التلفزيوني والإذاعة الفلسطينية القريبة من مكاتب

رئيس السلطة .

٢٤ كانون الأول (ديسمبر) : منع عرفات من التوجه إلى بيت لحم لحضور القداس لمناسبة عيد الميلاد .

٢٠٠٢

٢ كانون الثاني (يناير) : رئيس الوزراء الإسرائيلي أريل شارون يعلن أن عرفات سيبقى في رام الله ما لم يوقف الذين قتلوا وزير السياحة رحبعام زئيفي في تشرين الأول (أكتوبر) الماضي ٢٠٠١ .

٥ كانون الثاني (يناير) : إسرائيل تؤكد مجدداً معارضتها زيارة عرفات لبيت لحم للمشاركة في عيد الميلاد الأرثوذكسي .

٢١ كانون الثاني (يناير) : عرفات يطلب من الاتحاد الأوروبي وضع حد لـ «العدوان الإسرائيلي» .

٣ شباط (فبراير) : ٣٠٠ من الإسرائيليين اليهود والعرب يلتقون عرفات في رام الله لإدانة الاحتلال الإسرائيلي .

١٤ شباط (فبراير) : وزير الخارجية البريطاني جاك سترو يدعو عرفات ، في لقاء طويل في رام الله ، إلى وقف العنف .

١٦ شباط (فبراير) : وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر يجري محادثات مع عرفات .

١٩ شباط (فبراير) : لقاء بين عرفات ووزير الخارجية الأردني مروان المعشر .

٢٥ شباط (فبراير) : الدبابات الإسرائيلية تنسحب من القطاع المحيط بمكاتب عرفات طبقاً لقرار اتخذته الحكومة .

٩ آذار (مارس) : وزير الخارجية القطري الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني يقوم بزيارة «تضامنية» مع عرفات .

١٥ آذار (مارس) : المبعوث الأميركي أنتوني زيني يجري محادثات

مع عرفات في رام الله التي انسحبت منها القوات الإسرائيلية بعدما أعادت احتلالها لساعات .

١٩ آذار (مارس) : شارون يصرح أن عرفات يستطيع أن يغادر الأراضي الفلسطينية «فور تطبيق خطة تينيت» لوقف النار .

٢٦ آذار (مارس) : عرفات يمنع من التوجه إلى بيروت للمشاركة في القمة العربية .

٢٩ آذار (مارس) : بدء عملية «السور الواقي» في الضفة . الجيش الإسرائيلي يدخل رام الله ويطوق مقر عرفات ويدمر كل المباني باستثناء مكاتبه .

٣١ آذار (مارس) : نحو ٤٠ من دعاة السلام الغربيين يشكلون «درعاً بشريّةً» حماية لعرفات . إسرائيل تعلن رام الله «منطقة عسكرية مغلقة» .

٢ نيسان (أبريل) : الجيش الإسرائيلي يستولي على مقر جهاز الأمن الوقائي الفلسطيني في رام الله ، وشارون يقترح على عرفات «رحلة ذهاب» فقط إلى الخارج . عرفات يرفض الاقتراح .

٤ نيسان (أبريل) : شارون يعارض لقاء بعثة أوروبية مع عرفات .

١٣نيسان (أبريل) : عرفات يدين باسمه وباسم القيادة الفلسطينية «كل الأعمال الإرهابية التي تستهدف مدنيين سواء أكانوا إسرائيليين أم فلسطينيين ، والإرهاب سواء أمارسته دولة أم مجموعات أم أفراد» .

١٤نيسان (أبريل) : وزير الخارجية الأميركي كولن باول يجري محادثات في رام الله مع عرفات ثم مع شارون .

١٧نيسان (أبريل) : لقاء ثان بين عرفات وباول .

٢١ نيسان (أبريل) : شارون يعلن انتهاء المرحلة الأولى من عملية «السور الواقي» بانسحاب الجيش الإسرائيلي من نابلس والجزء الأكبر من

رام الله .

٢٥ نيسان (أبريل) : محكمة عسكرية تعقد جلسة في مقر عرفات تصدر أحكاماً بالسجن لمدة تتراوح بين عام و١٨ عاماً على المتهمين باغتيال وزير السياحة الإسرائيلي . شارون يطالب بتسليمهم .

٢٨نيسان (أبريل) : وفد أميركي يقوده قنصل الولايات المتحدة في القدس رونالد شلايكر يلتقي عرفات .

الإسرائيليون والفلسطينيون يوافقون على اقتراح أميركي يقضي بأن يرفع الجيش الإسرائيلي الحصار المفروض على عرفات شرط سجن المتهمين باغتيال زئيفي واثنين آخرين من الفلسطينيين تطالب بهما إسرائيل تحت حراسة أميركيين وبريطانيين .

٣٠ نيسان(أبريل) : الخبراء الأميركيون والبريطانيون يقومون مع السلطات الفلسطينية بتسوية التفاصيل التقنية لرفع الحصار عن مقر عرفات «خلال ٢٤ ساعة» .

١ أيار (مايو) : قنصلا بريطانيا والولايات المتحدة يباشران محادثات مع عرفات حول طرق نقل الفلسطينيين الستة .

في اليوم نفسه ، تمّ نقل هؤلاء الفلسطينيين إلى سجن فلسطيني في أريحا بإشراف أميركي -بريطاني .

٢ أيار (مايو) : الجيش الإسرائيلي يغادر موقع مقرّ رئيس السلطة .

صور من داخل المقر- السجن

يؤكد الصحافي الفلسطيني رشيد هلال أن الجوع والعطش وقلة النوم جعلت حياة المحاصرين منذ أكثر من شهرين في مقر ياسر عرفات برام الله لا تطاق ، لكن الرئيس الفلسطيني دائم الحركة وحريص على «رفع معنويات الجميع» .

ويروي هلال (٣٩عاماً) عن عرفات (بعد عشرة أيام من الحصار) أنه «دائم الحركة ، يأتي إلينا ، يصافحنا ، يطمئن علينا ، ويعمل على رفع معنوياتنا ويدعونا إلى أن نصمد» .

ويضيف هلال أن الجوع والعطش و« الحاجة إلى السيجارة» حالت دون تمكّنه من مواصلة تدوين تفاصيل الحياة اليومية داخل المقر الذي تحاصره الدبابات الإسرائيلية منذ فجر ٢٩ آذار (مارس) .

ويعمل هلال مراسلاً لإذاعة «صوت فلسطين» والمحطة الفضائية الفلسطينية وكذلك لصحيفة «وطن» العمانية . وكان موجوداً في مكتب عرفات حين بدأت عملية الحصار .

ويؤكد هلال أن عدد الموجودين داخل مكتب عرفات يصل إلى ٣٠٠ شخص ، غالبيتهم العظمى من الإداريين العاملين في المكتب . ويُحاصر هؤلاء ضمن ثلاث غرف على ثلاث طبقات وينام معظمهم في قاعة واحدة .

ويضيف أن «الوضع بات لا يطاق بسبب الازدحام وقلة المياه وتراكم القاذورات» .

ويستطرد «لدينا بعض الماء للشرب ، ويحصل كل منا على كاس صغير من الماء يوميًا ، لكن المياه لم تلمس وجهي منذ عشرة أيام ، التواليت تنبعث منها روائح كريهة جداً ، كذلك من بقايا الأطعمة المكدسة على باب الغرفة التي نتواجد فيها» .

ويتابع «لا نستطيع المغامرة برمي الفضلات خارجاً بسبب القناصة الإسرائيليين المتربصين على نوافذ مبنى لا يبعد سوى عشرة أمتار عنا» .

ويؤكد هلال«لم نحصل على أي مواد غذائية منذ خمسة أيام . إننا نعيد تقليب بقايا الأطعمة بحثاً عن فتات» .

وأكدت كلود ليو ستيك ، عضو «الحملة المدنية لحماية الشعب الفلسطيني» الموجودة مع المحاصرين ، أن زيارة المبعوث الأميركي أنتوني زيني لعرفات الجمعة أتاحت إدخال كمية قليلة جداً من الأكل و١٥ زجاجة من الماء .

وقال هلال «تنفسنا الصعداء عندما جاء الأجانب ، لأن وصولهم وبقاءهم شكل حماية لنا من هجوم الجيش الإسرائيلي على المقر» .

وبالإضافة إلى نقص الطعام والماء والدواء ، يعاني المحاصرون داخل

المقر خصوصاً من الحاجة الشديدة إلى النوم .

ويقول هلال «منذ عشرة أيام نحن غير قادرين على النوم بسبب الحذر والترقب ، وعندما نأخذ غفوة ننام على البلاط من دون أي غطاء» .

واعتاد غالبية المحاصرين على التجمع داخل القاعة المخصصة لاجتماع القيادة الفلسطينية ، إلا أن الجيش الإسرائيلي قصف القاعة مساء السبت ، ما أدى إلى إصابة ثلاثة من حرس عرفات أحدهم كانت إصابته بالغة واعتقله الجيش الإسرائيلي في أثناء نقله بسيارة الإسعاف إلى خارج المقر .

التحرك النهاري والمسائي

ويقول هلال «كنا نقف داخل القاعة وفجأة دوّى انفجار كان من القوة بحيث أن بعضاً من الموجودين طار في الهواء» .

ويتحرك المحاصرون داخل المقر بحرية أكبر نهاراً ، أما مع المساء ، فيسود جو من الترقب والانتظار .

ويقول هلال «كل ليلة نتوقع أن يهاجمنا الجيش ، ولذلك نحضّر أنفسنا للموت أو الاعتقال . وتسود حالة الترقب طيلة الليل ، وهذا يمنعنا بالطبع من النوم» . ويضيف «نسمع طوال الليل أزيز الدبابات الإسرائيلية التي ترابط على بعد أمتار من المقر ، كما نسمع تحركات سريعة للجنود الذين يحاصروننا بأعداد كثيفة» .

ويقول «تسود حالة خوف مما هو قادم . والكل يشعر بأنه معرض للقتل في أي لحظة . وأفكر بأسرتي وأولادي الأربعة» .

ويعاني كثير من المحاصرين من أمراض مزمنة . فمن بينهم مصابون بأمراض القلب أو السكري . ويقول هلال «إنها معاناة حقيقية ، خاصة وأنه لا يوجد بالمقر مستودع للأدوية» .

وعمّا يفعلونه طيلة النهار يقول هلال :«مع بداية كل يوم جديد ، لا شغل لنا سوى رسم السيناريوهات المحتملة للاستيلاء على المقر . فمرة نتوقع أن يلقوا علينا الغاز المسيل للدموع ، ومرة نتوقع قصفاً مجنوناً يدمر المبنى على رؤوسنا ، ومرة أن تقوم مجموعة كوماندوس باقتحام المقر خاصة بعد أن فتحوا عدداً من الثغرات في الجدران القريبة» .

في سؤاله عن سبب تقطُّع الاتصال معه يقول هلال إن «الجيش الإسرائيلي وضع على ما يبدو في غرفة العمليات ، داخل مقر المخابرات الملاصق تماماً لمقر عرفات ، جهازاً يعمل على التشويش على الاتصالات الهاتفية» .

ويؤكد هلال أنه لم يتمكن من الاتصال مع صحيفة «وطن» العمانية التي يعمل معها بسبب هذا التشويش .

ويقول «أنجح في بعض الأحيان في الاتصال بأسرتي لكنني مضطر للوقوف في زوايا معيّنة لتجاوز التشويش» .

كوب من الماء في اليوم نصيب عرفات

روى مواطن بلجيكي من أصل عربي يدعى سمير الآسي ، كان موجوداً ضمن عدد من الأوروبيين المحاصرين داخل مبنى القيادة الفلسطينية في مدينة رام الله برفقة الرئيس ياسر عرفات وأفراد حرسه ، في اتصال هاتفي أجرته معه صحيفة (دي مورخن) البلجيكية ، أنّ عدد الأوروبيين الذين كانوا محتجزين داخل المبنى وصل إلى ٥٠ شخصاً ، وأن معظمهم كانوا من الفرنسيين والألمان إضافة إلى مائتي فلسطيني .

وأضاف الآسي أن عدد الدبابات التي كان يراها خارج المبنى زاد على

٢٠ دبابة ، وأن الغرفة التي وُجد فيها مع رفاقه كان يفصلها باب عن غرفة مجاورة فيها عدد من الجنود الإسرائيليين . وقال «إن الظروف التي عشنا فيها مع الرئيس عرفات كانت قاسية للغاية ، مما جعلنا نقوم بتقسيم الكميات القليلة المتوفرة لدينا من الأكل والشراب ، وأن الرئيس عرفات كان يحصل على كوب واحد من الماء في اليوم شأنه في ذلك شأن الآخرين .

وعن تطورات الأحداث في الساعات الأخيرة قال سمير إن رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون «أرسل إلى الرئيس عرفات عرضاً بإرسال طائرة هليكوبتر تنقله إلى الخارج مع ضمان عدم تعرضه لأي مخاطر من جانب الجنود الإسرائيليين الموجودين بالخارج بشرط أن لا يصطحب عرفات أحداً معه ، وقد رفض عرفات ذلك فوراً قائلاً إنه يفضّل الشهادة من أجل فلسطين» . وأضاف البلجيكي من أصل عربي ، الموجود منذ تشرين الأول (أكتوبر) الماضي في مدينة رام الله ضمن وفد يمثل عدداً من المنظمات الأوروبية الداعية للسلام ، بأن الواضح من سياسة شارون «أنه كان يريد فعلاً التخلص من عرفات» .



النيران تشتعل في موقع الامن الفلسطيني التابع لجبريل الرجوب بعد قصفه بالصواريخ من قبل قوات الاحتلال

عرفات: مهما كان الثمن.. لن أتنازل عن شبر واحد من القدس أو عن عودة اللاجئين

هذا الرجل بات بعشر أرواح . إنها الحقيقة حتى وإن كانت معظم تبعات الأمور التي جرت ، والتي كان مكتبه وأمنه وسلامته هدفاً رئيسيًا فيها ، غير واقعية . فلم يحتمل أحد لا من الزعماء ولا من السياسيين العرب ولا الأجانب ما تحمّل عرفات . ورجل في سنّه وفي حالته الصحية وفي الحصار النفسي والبدني الذي تعرّض له ، وفي مواجهة الضغوط الأميركية والإرهاب الإسرائيلي المدجّج بقوة السلاح ، لا يمكن إلاّ الإقرار بأنّ صموده قد غسل عاراً عربيًا من الولاء المذلّ وطوى دهراً عربيًا من الهوان ، وفضح مواقف الكبار والصغار من الدول التي تتمنطق بالديمقراطية وحق الإنسان ومحاربة الإرهاب . ولم يكن بمقدور عرفات أن يقاوم وأن يظل على قيد الحياة لولا بسالة شعبه ، فلم يسجّل التاريخ الحديث ولا القديم أن شعباً

فضّل الشهادة على الاستسلام كما فعل ويفعل الفلسطينيون . ومع ذلك فإن عرفات لغة خاصة ومفردات أصيلة يشكّل بها مع قدرة شعبه الهائلة على افتداء قضيّته بأعزّ ما يملك الفرد وهي الروح وأعزّ ما يملك المجتمع وهو الفرد . وقد لا يكون الرجل من الباقين على قيد الحياة إن مضى رئيس الوزراء الإسرائيلي في استخدام الضوء الأخضر الأميركي إلى الآخر ، لكنه صاحب مأثرة تستحق التدوين . فعندما اختار الرئيس الفلسطيني الشهادة والدبابات تدكّ أبواب مكاتبه ، والرصاص والقذائف تزلزل الأرض في منطقة المقاطعة التي ظلّ حتى آخر لحظة يدير أمور ثورته وصمود شعبه منها ، لم يبق فرد في الكون لم يقف تحيّة للرجل الذي نام وعمل وناضل على ضوء الشموع ، بعد أن قطعت عنه إسرائيل الماء والكهرباء والدواء والغذاء لعدة أيّام . مع عرفات كانت هناك ثلّة باسلة من المستشارين ومن أفراد الحماية يصعب وصفهم بأي لغة ويصعب اختيار أي مفردات تفي وتلخّص مهمتهم النبيلة ، فقد كانوا على مبعدة ثوان من الموت في بعض الحالات .

التراجع عن حصار عرفات

بعد تراجعه عن شرط «الأيام السبعة» من الهدوء الكامل ، قدم رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون تنازلاً جديداً بإعلان موافقته على تخفيف الحصار المفروض على الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وتمكينه من التحرّك داخل المناطق الفلسطينية ، تمهيداً لفك الحصار عنه بالكامل خلال الفترة القريبة المقبلة . وأعلن وزير الخارجية الأميركي كولن باول أن أعمال العنف لن تمنع الموفد الخاص الأميركي أنطوني زيني إلى المنطقة من القيام بمهمته ، مشيراً إلى أن زيني سيبقى في المنطقة ليحاول إقناع الجانبين بوقف العنف ، كاشفاً عن أن بلاده مستعدة لإرسال عدد من المراقبين الأميركيين مع زيني للبدء في مراقبة ما يقوم به الطرفان لإنهاء العنف .

وبرّر شارون تنازله لمجلس وزرائه ، كما في اجتماع لضباط سلاح

الهندسة ، بـ«أن عرفات التزم ما تعهد به وعلينا التزام تعهداتنا» في إشارة إلى قيام السلطة الفلسطينية مؤخراً بالقبض على آخر المطلوبين في قضية اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي . ولكن المصادر الإسرائيلية تؤكد أن قرار شارون هذا جاء استجابة لطلب طرحته الإدارة الأميركية بإلحاح ، في سعيها لإنجاح مهمة زيني ، إذ كان باول أعرب عن أمله في أن يعيد شارون التفكير في مسألة الحصار المفروض على عرفات .

وكما تراجعت الإدارة الأميركية عن شرط «الانخفاض الملموس» في حجم العنف ، وقررت إيفاد زيني في ذروة المواجهات المرشحة للاستمرار والتصاعد ، اقتنع شارون أخيراً بتحويل «وقف إطلاق النار» من شرط مسبق للمفاوضات إلى هدف ملح يستحق التضحية بـ«الثوابت» وحتى بحلفائه الأقربين في الائتلاف الحكومي . واستطاع شارون تمرير قراره في الحكومة الإسرائيلية رغم المعارضة الشديدة التي أبدتها أحزاب اليمين وبعض وزراء الليكود ، ودفع القرار حزب «الاتحاد القومي-يسرائيل بيتنا» اليميني المتطرف (٧نواب ووزيران) إلى الانسحاب من الحكومة ، ووصف الوزيران أفيغدور ليبرمان وبيني إيالون القرار بـ«الخنوع» للإرهاب الفلسطيني ، لكنهما تعهدا تأييد الحكومة من الخارج في كل خطوة تتخذها ضد «الإرهاب» .

وغطى شارون تراجعه بإعلان تصميمه على مواصلة العمليات العسكرية الواسعة والشديدة ضد الفلسطينيين ، وهذا ما قررته الحكومة ومارسته عمليًا على قاعدة «الرد على كل هجوم فلسطيني بهجوم أشد وأكثر إيلاماً» ، وقال شارون إنه أبلغ الإدارة الأميركية قراره هذا . واستبعد شارون أن يسمح لعرفات بالسفر «خلال أيام » لكنه أكد أن ذلك سيتم قريباً إلاّ إذا حصلت تطورات استثنائية .

وفي السياق اعتبر رئيس الأركان الإسرائيلي شاؤول موفاز «الحرب»

الحالية التي تخوضها إسرائيل واحدة من أقسى الحروب في تاريخها ، وتوقع في لقاء مع وسائل الإعلام العبرية أن تطول هذه الحرب لفترة طويلة قادمة ، متوعّداً بأن تستخدم قواته أعنف ما لديها من أسلحة جوية وبرية وبحرية ، رافضاً في الوقت نفسه دعوات بعض الأوساط الإسرائيلية إلى إعادة احتلال المناطق الفلسطينية ، وادعى موفاز أن الجيش الإسرائيلي اعتقل ١٨٠٠ فلسطيني مسلح وقتل ٢٠٠ خلال عملياته الأخيرة في مخيمات شمال الضفة ، وهي حصيلة لم تؤيدها أي تقارير فلسطينية أو إسرائيلية من قبل . ويبرر استهداف سيارات الإسعاف بزعم أن الفلسطينيين استخدموها لتهريب المسلحين والأسلحة .

ورأى موفاز أنه ليس هناك أي بوادر هدوء في العمليات الفلسطينية ضد إسرائيل ، وقال إن الجيش سيواصل حملته ضد أهداف في الأراضي الفلسطينية .

ولم يكن لتراجع رئيس الوزراء الإسرائيلي عن شرط الأيام السبعة أي انعكاس على عمليات جيشه الميدانية ، فقد وصلت القوات الإسرائيلية الليل بالنهار في غاراتها وعمليات القصف والتوغل والاغتيال ، وتعمّدها إلحاق مزيد من الدمار بالمرافق والبنية التحتية الفلسطينية . وفي عدوان ربط المراقبون بينه وبين عملية التفجير الاستشهادية في مقهى مجاور لمنزل شارون ، وجهت إسرائيل «رسالة» مضادة عندما قصفت مروحياتها العسكرية مقر الرئيس الفلسطيني في مدينة غزة المعروف بـ«المنتدى» فدمرته تدميراً كاملاً بعد أن أصابته بأكثر من ٣٥ صاروخاً بحسب المصادر الفلسطينية ، وأدى القصف إلى تدمير الطبقتين الأولى والثانية وغرفة نوم عرفات ومكتبه الخاص ومكتبته ومكاتب عدة ملحقة بالمقر الذي دأب عرفات على العمل فيه قبل احتجازه في رام الله .

واعتبرت السلطة الفلسطينية ذلك عدواناً خطيراً واختراقاً لكل

الخطوط الحمر ومساساً خطيراً بالكرامة الوطنية الفلسطينية ، محذرة من الأبعاد الخطيرة لهذا العدوان . واعتبر بعض المسؤولين الفلسطينيين العدوان دليلاً على إفلاس حكومة شارون واستفزازاً لن يجر إلاّ المزيد من التصعيد . وأشارت المصادر الفلسطينية إلى القيمة المعنوية لهذا العدوان على المقر الذي استقبل عرفات فيه عدداً من زعماء العالم وبينهم الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون . وقال وزير الإعلام والثقافة ياسر عبد ربه إن وثائق سياسية وتاريخية في غاية الأهمية أتلفت بفعل الهجوم والحرائق التي سبّبها ، وبين تلك الوثائق نسخ نادرة من القرآن الكريم تعود إلى ١٢٠٠عام ونسخة من التوراة يعود عمرها إلى ٧٠٠عام .

في غضون ذلك ، قال باول في حديث لشبكة «سي . بي . إس .» التلفزيونية «ينبغي أن يفكر شارون في الوضع ويكوّن لنفسه وجهة نظر . لكن يتحتم وضع الأزمة خلفنا . ليست هذه مسألة يمكن حلّها في غضون يوم أو يومين» . وأضاف «لدينا رؤية وخطة لحل هذه الأزمة ولكن ذلك يبدأ بوقف العنف» . وأشار إلى اعتقال نشطاء مشتبه بهم بقتل زئيفي .

وتابع باول «آمل أنه مع تحركنا إلى الأمام (خلال الأسبوع أو الاثنين المقبلين قبل القمة العربية) التي (عُقدت في بيروت) أن يلقي رئيس الوزراء (شارون) نظرة على الموقف ليحكم إن كان السماح للسيد عرفات بحضور القمة سيكون في مصلحته أو في مصلحة تخطي هذه الأزمة» .

وأكد باول أن أعمال العنف لن تمنع زيني من القيام بمهمته ، مشيراً إلى أن زيني سيبقى في المنطقة المضطربة ليحاول إقناع الإسرائيليين والفلسطينيين بوقف العنف المتصاعد . وقال «سيمكث في المنطقة ويناضل من أجل حل الأزمة . . ولن نسمح لأعمال العنف أن توقف الجنرال زيني عن أداء عمله» .

وأعرب وزير الخارجية الأميركي عن سعادته بموافقة شارون على

التخلي عن مطلبه المتعلق بشرط هدوء الأيام السبعة ، وقال «يحدوني الأمل في أن يكون ذلك بداية النهاية للعنف . . وهذا هو الوقت المناسب للطرفين لممارسة أقصى درجات ضبط النفس لضمان أن يكون بوسع الجنرال زيني القدوم في ظروف مؤاتية» . كما أعرب باول عن استمرار القلق بشأن ارتفاع مستوى العنف ، وقال إن زيني سيحاول إقناع الطرفين بـ«الموافقة على تنفيذ خطة تينيت» لاستئناف التعاون الأمني بصورة فورية وفرض وقف لإطلاق النار وتبادل المعلومات بشأن التهديدات وبدء العمل لوضع خطة لإعادة انتشار القوات الإسرائيلية . وأضاف أن الخطوة الأولى التي يعقبها تحرك نحو خطة السناتور السابق جورج ميتشل «ستقودنا إلى المفاوضات» .

وأوضح وزير الخارجية الأميركي أن «ما سيحاول الجنرال زيني عمله هو جمع الطرفين معاً وإقناعهما بالجلوس وبدء المناقشات الأمنية وخفض درجة العنف ، ولكن ليس مجرد كلام لا يقدّم ولا يؤخّر بل (إقناعهما) بتنفيذ ذلك في إطار خطة تينيت» . وكشف أن بلاده مستعدة لإرسال مزيد من المراقبين الأميركيين مع زيني للبدء في مراقبة ما يقوم به الطرفان لإنهاء العنف . وقال «المراقبون الأميركيون في البداية عددهم صغير . . وربما يزداد (العدد) مع الوقت . . إذا قبل الطرفان» .

وقالت مستشارة الأمن القومي الأميركي كوندوليزا رايس في برنامج تلفزيوني «لا يجري شيء حالياً لتحسين الأوضاع من الجانبين . . نحن نطلب من الطرفين التراجع وإلقاء نظرة على الموقف والبحث في إمكانية خلق أوضاع أفضل للسلام» .



الرئيس ياسر عرفات مع الموفد الاميركي انتوني زيني الذي قال الكثير دون أن ينفذ أي شيء

بنود اتفاق رفع الحصار

جاء فك الحصار عن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات إثر اتفاق سرّي جرى ويلزم السلطة الفلسطينية بتنفيذ سلسلة من الإجراءات ، أهمها جمع الأسلحة من غزة ، وإعلان وقف العنف ، مقابل فك الحصار عنه وعن كنيسة المهد وتسليم المتّهمين بقتل وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي والأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أحمد سعدات وفؤاد الشوبكي المتهم بقضية سفينة الأسلحة .

أما تفاصيل هذا الاتفاق ، فقد كشفت بعض بنوده مصادر رفيعة المستوى مؤكدة أنه تم بين محمد رشيد ، المستشار الاقتصادي لعرفات ، عن الجانب الفلسطيني ، وعن الجانب الإسرائيلي وزير الدفاع بنيامين بن أليعازر ، وأدى إلى تسليم المتهمين باغتيال وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام

زئيفي وفك الحصار عن عرفات .

وإذ ينص الاتفاق على مهلة مدتها ٦ أشهر لإجراء تغييرات على الأرض ، فإنه يلزم الفلسطينيين بما يلي :

١-انتقال عرفات إلى قصر هشام في أريحا كمقر رئاسي .

٢- إجراء تعديلات في المؤسسات والأجهزة كافة ، وفي هذا الإطار فإن الولايات المتحدة وضعت خطاً أحمر على بعض الشخصيات ، وطلبت إبعادها من السلطة مقابل أسماء جديدة مطلوبة منها سري نسيبة مسؤول ملف القدس .

٣-البدأ بترتيبات ملائمة لإعلان المنظمات الفلسطينية تخليها عن العنف والانخراط في مؤسسات السلطة ، وعلى عرفات أن يكفل ذلك .

٤-تبدأ بعدها عمليات الإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين .

٥- ترهن المساعدات المالية الأوروبية والأميركية لإعادة تأهيل البنى التحتية لمعطيات الوضع ولا تُسلم للسلطة أموال مباشرة بل توضع في مصارف وفق حسابات بأسماء المؤسسات التي سيتم انتخابها حديثاً ومعرفة وجهة صرفها .

٦-يشمل الوضع الأولي جمع الأسلحة من قطاع غزة الذي سيكون بمثابة امتحان أولي .

٧-ستبقى إسرائيل مسيطرة على الضفة الغربية حتى بدء سيطرة عرفات على الوضع بشكل مقبول .

٨-بعد المرحلة الأولى ونجاحها يمكن أن ترعى الولايات المتحدة الأميركية لقاء يضم شارون وعرفات وقد يكون في واشنطن .

وحول هذه الورقة ، تقول المصادر الفلسطينية ، رغم ثقلها على عرفات وصعوبة تنفيذها على أرض الواقع ، فإن قبول مبدأ فك الحصار حصل بضغط من مستشاريه المقربين له . وأضافت المصادر أن عرفات

يحتاج إلى مشاورات عربية كثيفة لمساعدته في الخروج من الواقع الراهن .

النص الحرفي لبيان عرفات

في ما يلي النص الحرفي للبيان الصادر عن رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات ، الذي دان فيه «كل الأعمال الإرهابية ضد المدنيين» . ويحمل البيان ختم «منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية مكتب الرئيس ياسر عرفات»

«بيان باسم السيد الرئيس والقيادة الفلسطينية» . .

«يعبر الرئيس ياسر عرفات والقيادة الفلسطينية عن إدانتهم لكل الأعمال الإرهابية التي تستهدف المدنيين سواء أكانوا إسرائيلين أو فلسطينيين ، وسواء أكان هذا الإرهاب إرهاب دولة أو جماعات أو أفراد ، انطلاقاً من مبدأ راسخ يرفض اللجوء إلى العنف والإرهاب ضد المدنيين ، أو كوسيلة لتحقيق أغراض سياسية» . «وانطلاقاً من هذا الموقف الذي أعلناه منذ عام ١٩٨٨ ولدى التوقيع على اتفاق أوسلو في البيت الأبيض والذي كررناه مرات عدة بما فيها ما أعلناه في ١٦-١٢-٢٠٠١ ولم نجد بعد ذلك أي استجابة إسرائيلية لها وإنما تصعيداً عسكرياً وحصاراً خانقاً واحتلالاً مستمراً لشعبنا ومخيماتنا ومدننا وقرانا ، وتدميراً لبنيتنا التحتية تدميراً شاملاً ، فإننا ندين في شدة العمليات العنيفة التي تستهدف المدنيين الإسرائيليين وبخاصة العملية الأخيرة في القدس ، كما ندين بقوة وفي شدة المذبحة والمجازر التي ارتكبتها وترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد المدنيين واللاجئين الفلسطينيين في مدينة نابلس ومخيم جنين وضد كنيسة المهد في بيت لحم وغيرها من المناطق الفلسطينية على مدى الأسبوعين الماضيين» . «وإننا لندعو المجتمع الدولي ومجلس الأمن والسيد كولن باول

الذي يقوم بمهمة دولية من أجل السلام ، إلى الاطلاع على هذه المجازر والمذابح التي حلّت بشعبنا بسبب الاحتلال الإسرائيلي وإصرار الحكومة الإسرائيلية على قمع تطلّع شعبنا إلى الحرية والاستقلال بالقوة العسكرية وبالدبابات والطائرات والصواريخ والقذائف والرشاشات» .« إنّنا باسم الشعب الفلسطيني نؤكّد مجدداً التزامنا خيار السلام العادل بين الشعبين والدولتين ، السلام الذي يوفّر الأمن للإسرائيليين والاستقلال والحرية في دولة مستقلة للشعب الفلسطيني . فبالسلام وحده يتحقق الأمن للجميع وليس بالاحتلال والقوة العسكرية والمجازر والأعمال الإرهابية وخاصة ضد المدنيين ، فإنها لن توفّر لا الأمن ولا السلام لا للإسرائيليين ولا للفلسطينيين» . «وعلينا أن نعمل جميعاً خصوصاً بعد قرارات مجلس الأمن والقرارات الدولية وتصريحات الرئيس بوش ووزير خارجيته وكذلك بيان اللجنة الرباعية (الأميركية والروسية والأوروبية والأمم المتحدة) في مدريد ، وكذلك جولة السيد كولن باول ووجوده بيننا ، لوقف هذه الحرب والانسحاب الفوري للإسرائيليين والبدء الفوري بتنفيذ تفاهمات تينيت وتقرير ميتشل والمفاوضات الفورية على أساس ما قررته القمم العربية والمبادرة السعودية التي تبنتها القمة العربية في بيروت ولحماية مقدساتنا المسيحية والإسلامية وأهمية وجود قوة سلام دولية لمتابعة تنفيذ ذلك» .

عرفات تقاسم مع رابين جائزة نوبل للسلام وهو في نظر شارون «العدو الأول» !

شارون-عرفات : المواجهة المؤجلة والأخيرة

بعد توقيع اتفاقية أوسلو اتُهم ياسر عرفات بالتفريط بالقضية الفلسطينية وبالتنازل عن الأرض وعن حق الشعب الفلسطيني . وفي أحد اللقاءات الرئاسية العربية ، وكان منعقداً في القاهرة ، سئل عرفات عن هذا التفريط فأجاب وقد افتعل الذهول : «وهل عرضوا عليّ كل فلسطين ولم أقبل بها؟» .

سؤال أحد الرؤساء وجواب عرفات ، يشكلان في الحقيقة لبّ الصراع العربي-العربي حول القضية الفلسطينية ، فهناك استراتيجية عربية تقول إن عرفات هو رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية لكنه لا يملك «صك

تصرف» بالقضية لأنها أمانة في أعناق كل العرب؟

الاستراتيجية المقابلة التي التزمها عرفات ، منذ «الرصاصة الأولى» في كانون الثاني (يناير) من العام ١٩٦٩ ، قامت على مقولة أن الأنظمة العربية فشلت (وبعضها تواطأ) في استرداد الحقوق الفلسطينية ، ولا بد بالتالي من أن تتولى القيادة الفلسطينية القتال والتفاوض لاستعادة الحقوق .

نزاع هاتين الاستراتيجيتين عمره من عمر القضية الفلسطينية ، ولكل استراتيجية أنصارها في عواصم القرار ، أما عاصمة القرار الكبرى ، واشنطن ، فكانت إلى جانب استراتيجية أن تتولى القيادة الفلسطينية التفاوض منفردة : وهذا ما حصل في مدريد ثم في أوسلو ثم في «واي بلانتيشن» ، فكانت النتيجة هي التالية :

-إقامة سلطة فلسطينية لم تبلغ مستوى الدولة الفلسطينية .

-معارضة «الصقور الفلسطينيين» للاكتفاء بالحد الأدنى من الحقوق ، وفي المقابل معارضة «الصقور الإسرائيليين» لما اعتبروه أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تتنازل عن «الحقوق المقدسة» للشعب اليهودي .

-أما المعارضة العربية فكانت على مستويين : مستوى الاعتراض المبدئي المنطلق من عدم حق عرفات بالتفرد في توقيع الاتفاقات مع الإسرائيليين ، ومستوى الاعتراض العملي على هزالة ما تم تحصيله بالنسبة إلى الشعب الفلسطيني .

حيال هذه الاعتراضات وقع الرئيس الفلسطيني في مأزق متعدد الأبعاد والتحديات ، فهو حيال الإسرائيليين أمام استحقاق ضبط الاعتراضات الفلسطينية لأنه «وقّع اتفاقاً عليه أن يحترمه وينفذه ويعاقب محاولي تخريبه وعرقلة تنفيذه» ، كما يقول الإسرائيليون ، وفي هذا السياق كان له صراع مرير مع صقور الفلسطينيين كحركة «حماس» والجهاد

الإسلامي والتنظيمات التي تتخذ من دمشق مقراً لها ومنطلقاً لتحركها ، وغالباً ما دخل عرفات في نزاع علني مع بعض هذه التنظيمات حتى إنه اتهم طهران بأنها تقف وراء حركة «حماس» وتغذيها بالمال و«العقيدة الانتحارية» .

وهو حيال الدول العربية في مأزق ولا سيما مع الدول التي تتحمّل أكثر من غيرها عبء اللاجئين الفلسطينيين كلبنان وسورية ، وبدرجة أقل بكثير الأردن . وهذه الدول تعتبر أنه رضي بـ«دولة» لا تملك مقومات الحياة والبقاء والاستمرارية .

وهكذا كان على عرفات أن يجيب على التحديات التالية :

التحدي الأميركي-الإسرائيلي بأنه قادر على ضبط الأرض التي تقوم عليها السلطة الفلسطينية .

-التحدي العربي بأنه لم يتنازل عن حق فلسطينيي الشتات بالعودة إلى أرضهم .

-التحدي الفلسطيني بأنه حريص على إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية ، لكنه في نهاية المطاف سقط في امتحان هذه التحديات مجتمعة : فهو لم يفِ بالتزاماته حيال واشنطن وتل أبيب ولم يستطع ضبط الأرض الفلسطينية فوقع في «حصار» حركة حماس ومنظمة الجهاد الإسلامي إلى درجة أنه اضطر إلى استحداث «كتائب شهداء الأقصى» التي يقودها أمين سر حركة فتح مروان البرغوثي لمجاراة حماس والجهاد في عملياتهم . هذا المخرج أبعد عن عرفات كأس الحرب الأهلية الفلسطينية إن هو رضخ للمطالب الأميركية-الإسرائيلية بضبط الساحة الفلسطينية ، لكن هذا الكأس لم يعد بإمكان عرفات إبعاده أكثر من ذلك ، فاختار ان تُشنّ عليه حرب إسرائيلية بدل أن يشنّ هو حرباً على صقور الفلسطينيين ، وما يجري في الأراضي الفلسطينية اليوم هو «الخيار الأول»

الذي حقّق «وحدة فلسطينية» على حساب «السلطة الفلسطينية» .

سيناريو الاحتمالات

وفي تقرير تلقّته سفارة غربية من دوائر وزارة خارجية إحدى الدول العربية ، ورد سيناريو عن الاحتمالات المرتقبة لنتائج الصراع القائم :

-الاحتمال الأول أن تقوم إسرائيل بالمهمة التي كان يفترض بالرئيس الفلسطيني ياسر عرفات القيام بها ، وهي «القضاء على الرؤوس المحركة للعمليات ضد الإسرائيليين» وعلى رأسهم مروان البرغوثي ومحمد دحلان وجبريل رجّوب ، مما يُسهّل على عرفات لاحقاً ضبط الوضع في الأراضي الفلسطينية وتنطلق مجدداً المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية على ترتيب الوضع النهائي .

-الاحتمال الثاني أن تعمد إسرائيل إلى تصفية ياسر عرفات ثم تكون لها الكلمة الأولى واليد الطولى في اختيار خليفته ، ومعايير الاختيار شبيهة برجل التحالف في أفغانستان «قرضاي» ما يؤسس لحرب أهلية فلسطينية تنتظر إسرائيل أن يخرج منها جميع الأطراف منهكين فيصبح تدخلها مطلباً دوليّا وتعيد ترتيب الأمور وفق مصالحها .

لكن تقريراً آخر يتعمق أكثر في تحليل الاحتمالات وينطلق من النتائج الدموية التي بلغها الصراع ، يقول التقرير :« قبل انتفاضة الحجارة الأولى التي حركها من الخارج خليل الوزير (أبو جهاد) ، كان الفلسطينيون ثلاث فئات منفصلة : فئة تعيش في الدولة الإسرائيلية ويحمل أفرادها الجنسية الإسرائيلية وهؤلاء يُعرفون بعرب٤٨ ، وفئة تعيش في المناطق التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، أمّا الفئة الثالثة فهي فئة الشتات التي تمّ تهجيرها في مراحل متعاقبة» .

ويتابع التقرير :« ما يجري اليوم بحق الشعب الفلسطيني وحّد هذه الفئات تحت راية الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الذي أصبح زعيماً دون منازع لأربعة ملايين ونصف مليون فلسطيني (مليون ونصف مليون من عرب ٤٨ ، ومليون في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومليون ونصف مليون في الشتات) . لكن المشكلة الأكبر بالنسبة إلى الإسرائيليين تكمن في «عرب إسرائيل» ، فهؤلاء تحولّوا بين ليلة وضحاها إلى «كتلة عدوة» يخشى أن يخرج منها انتحاريون على غرار انتحاريي الضفة الغربية وقطاع غزة ، ما يجعل إسرائيل دولة غير آمنة فتنقلب الهجرة اليهودية من هجرة إلى «أرض الميعاد» إلى هجرة من «أرض الميعاد» .

هذه المشكلة العضوية ، يتابع التقرير ، ستدفع بالإسرائيليين إلى الضغط على حزبي الليكود والعمل من أجل الانتهاء من النزاع مع الفلسطينيين ، وهذا يعني قيادة بديلة من قيادة أريل شارون الذي يعتبر آخر رجال الرعيل الأول ، وأيّا كان الآتي من بعده سيكون وعده لناخبيه «الأمن للإسرائيليين في دولة إسرائيل» وهذا الأمن لا يمكن له أن يتحقق إلاّ في الإقرار بوجود دولة فلسطينية . ويختم التقرير :« المعادلة بسيطة وواضحة ، وقف العمليات الانتحارية رهن بوقف السياسة الانتحارية التي يقودها أريل شارون» .

الرئيس الأقوى في «الدولة» الأضعف

حوّل الحصار الإسرائيلي الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات إلى «عبد الناصر» آخر تمتد زعامته من موريتانيا إلى العراق ، وسبّب صموده تحت الحصار تحدّياً لمعظم الدول العربية : ففي ليبيا كان العقيد معمر القذافي على رأس المتظاهرين استنكاراً لما يتعرض له الشعب الفلسطيني وقيادته ، وفي

اليمن «اعتكف» الرئيس علي عبد الله صالح بعيداً من صنعاء احتجاجاً على عدم اتخاذ الدول العربية خطوات بحجم ما يجري في الأراضي الفلسطينية ، وفي معظم العواصم العربية حيث التظاهرات ليست من تراث تلك البلاد ، تجاوزت الشعوب هذا التراث ونزلت إلى الشارع تأييداً لعرفات ، ومعظم تلك الدول حليفة لواشنطن ما قد يدفعها إلى فتح قنوات مع عاصمة القرار بغية حثها على إيجاد مخرج لرئيس السلطة الوطنية الفلسطينية وإلاّ تحوّل إلى «رئيس للشعوب العربية» كما وصفه أحد الرؤساء العرب الذين حضروا قمة بيروت .

وفي اعتقاد مصادر ديبلوماسية عربية في بيروت فإن التفاهم مع الرئيس الفلسطيني وحده لا يكفي ، وإذا شاءت واشنطن التوصل إلى معالجة ثابتة فلا بد لها من فتح قنوات مع كل من طهران ودمشق ، حيث لم يعد سراً «من أسرار الدولة» أن جانباً من عمق الانتفاضة في الأراضي الفلسطينية منبعه دمشق حيث للفصائل الفلسطينية الناشطة مكاتب و«غرف عمليات» ، أمّا دور طهران فيتمثل في «التثقيف الجهادي للعمليات الاستشهادية» وفي الدعم المادي الذي يتلقاه غير تنظيم داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة ، وهذه المعطيات تجعل من الصعب الحديث عن معالجة شاملة من دون الأخذ بعين الاعتبار طروحات سورية وإيران .

بين ١١ أيلول (سبتمبر) و٢٩ آذار (مارس)

كما شكل تاريخ ١١ أيلول (سبتمبر) محطة فاصلة في علاقة أميركا بدول العالم ، وحوّلها من «شرطي» على بعض النقاط الاستراتيجية إلى «حاكم عرفي» للكرة الأرضية ، يُشرع الأحكام ويُصدر القوانين (وقرارات مجلس الأمن الدولي) فأدى ذلك إلى صورة سياسية جديدة للدول

والشعوب ، هكذا ٢٩ آذار (مارس) (حين بدأت الحرب على عرفات) ، فما قبل هذا التاريخ ليس بالتأكيد كما بعده ، وأيّاً تكن الصورة التي ستستقر عليها الأمور فإن شيئاً جديداً سيولد في الأراضي الفلسطينية حدّه الأدنى احتلال إسرائيلي لها إلى حين تحويلها إلى أرض منزوعة السلاح (وربما منزوعة البشر) وحده الأقصى «دولة» تحت الانتداب الإسرائيلي ، وأيّ الحدين رهنٌ بمن يخلف أرييل شارون ، فعرفات مع إسحق رابين نال جائزة نوبل للسلام ، ومع أرييل شارون نال صفة «العدو» و«الإرهابي» فأيُّ عرفات ستختار إسرائيل؟ الجواب رهنٌ بما ستُسفر عنه الوقائع العسكرية على الأرض . ولكن وسط هذه المعمعة ، مَن ما زال يتذكر مبادرة السلام العربية؟



حياة ام عذاب الاحتلال اليومي للطفولة والكبار!

قطاع غزة

إنّ اجتياح قطاع غزة يحتاج إلى قوة كبيرة أكبر من القوات التي اجتاحت الضفة الغربية حسب قول المصادر الإسرائيلية، وهم يعرفون جيداً أنّ هناك ستوجد مقاومة شديدة قد تكلّف الإسرائيليين ثمناً غالياً...

ولذلك ستكون حسابات إسرائيل، وشارون بالطبع، مغايرة لتلك التي حدثت في مدن الضفة الغربية، والسيناريوهات ستكون مختلفة في هذا القطاع، الذي استعدّ أبناؤه لأعظم صمود في وجه عدو شرس.

قطاع غزة في سطور

المساحة : ٣٦٠ كيلومتراً مربعاً يحده من الغرب البحر المتوسط ، ومن الجنوب الشريط الحدودي مع مصر ، ومن الشرق والشمال أسلاك شائكة تفصله عن إسرائيل .

عدد السكان : ٢٦, ١مليون نسمة حسب تقديرات المركز الفلسطيني للإحصاء منتصف هذا العام ، منهم نحو ٨٥ في المائة لاجئون يعيشون في ثمانية مخيمات موزعة على طول القطاع .

وتشير إحصاءات وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين «اونروا» إلى أن نحو ٨٠٨٤٩٥ لاجئاً يعيشون في القطاع ومسجلون لديها ، منهم ٤٤٢٩٤٢ يعيشون داخل المخيمات الثمانية ، ونحو ٣٦٥٥٥٣ يعيشون خارج هذه المخيمات .

وحسب «اونروا» فإن توزيع اللاجئين في المخيمات كالآتي :

(١) جباليا (شمال) ٩٧٨٩٥ ، (٢) الشاطئ (غزة) ٧٣٦٧٥ ، (٣) النصيرات (وسط) ٥٩١٢١ ، (٤) البريج (وسط) ٢٨٦٢٨ ، (٥) دير البلح (وسط) ١٨٨٢٩ ، (٦) المغازي (وسط) ٢١٣١١ ، (٧) خان يونس (جنوب) ٥٧٤٩٥ ، (٨) رفح (جنوب) ٨٥٩٨٨ يعيش نحو ثلثهم في مخيم الشابورة في مساحة لا تزيد عن كيلومتر واحد ، ما يعني أنها أعلى كثافة في العالم .

المستوطنات : يوجد في قطاع غزة نحو ٢١ مستوطنة يهودية تقوم على نحو ثلث مساحة القطاع ، تتوزع على كتلتين استيطانيتين ، وعدد من المستوطنات المعزولة .

الكتلة الأولى : شمال غزة (إيزر ، نيتسانيت ، دوغيت ، إيلي سيناي) ، الكتلة الثانية : جنوب غزة وتمتد من دير البلح (وسط) حتى رفح جنوباً ، وهي مجمع «غوش قطيف» الذي يضم فرعاً لجامعة «بار إيلان» ومدارس ومصانع ، إضافة إلى مستوطنة «موراغ» شمال رفح ومستوطنة «كفار داروم» شرق دير البلح و «نيتساريم» جنوب مدينة غزة . ويبلغ عدد المستوطنين في القطاع نحو خمسة آلاف مستوطن .

من مخيم جنين
إلى مخيمات غزة؟!

كتب الإسرائيليون كثيراً عن المقاومة في جنين ، وعن فظاعة ما ارتكب في جنين ، وعن المواجهات غير المتوقعة في جنين ، لكن كلام الإسرائيليين لم يشر بقوة إلى حقيقة لا يزال أهل المخيم المشردون غير قادرين على الإحاطة بها لأجل رسم صورة ما حصل بالفعل خلال عشرة أيام إلاّ ساعات هزت كيان إسرائيل ، كما أثقلت ضمير الآخرين من حول المخيم وبعيداً عنه .

بعد أن انتهت معارك إراقة الدماء والدمار هناك تحوّل مخيم جنين إلى ساحة لمعركة إعلامية من الدرجة الأولى بين الجانبين . عدد القتلى ونقل الجثث ودفنها وحجم الدمار ، من المحتمل جداً أن يكون من الواجب الاستفادة من عبرة مخيم جنين فيما قد يحدث من معارك في ظروف مشابهة في قطاع غزة الذي يحتوي على تنظيمات إسلامية متشددة وأكبر

من مثيلاتها في الضفة بعدة أضعاف . حماس والجهاد الإسلامي ظهروا في غزة ، ومن مخيمات اللاجئين هناك جاء أحمد ياسين والدكتور فتحي الشقاقي (الذي قتل في عام ١٩٩٦ في مالطا) ، الحركتان تضمان الآن جموعاً حاشدة من النشطاء الذين يعتبر الموت وحتى التشوق إليه سلاحاً أساسياً لهم .

في جنين تعلمنا ألا نهرب قال أحد النشطاء الإسلاميين في غزة ، وأضاف «إسرائيل لم تعد تخيفنا فلدينا إيمان بالله والوطن ومن الأفضل لنا أن نموت وأن نقتل أعداءنا» . هذا الناشط ورفاقه سيواصلون عملياتهم سواء من خلال إيجاد السبل للتسلل إلى إسرائيل أو من خلال استخدام الراجمات والصواريخ التي ستصبح أكثر تطوراً وأكثر مدى بوتيرة متسارعة ، وإذا قررت حكومة إسرائيل إدخال جنودها لمخيمات اللاجئين في غزة فإن الصورة قد تكون أصعب وأشد مرات ومرات .

مخيم جنين بسكانه الثلاثة عشر ألفاً هو حي صغير بالمقارنة مع مخيم جباليا الموجود في شمالي غزة وتعداده ١٠٢ ألف نسمة . وفي موقع غير بعيد من جباليا على شاطئ غزة يوجد مخيم الشاطئ ذو الستة وسبعين ألف نسمة . ولاحقاً يأتي مخيم خان يونس المجاور لغوش قطيف والذي يوجد فيه ٦٠ الف نسمة . وفي نهاية المطاف تأتينا مخيمات رفح البالغة ٩٠ ألف نسمة . هذه المقاييس مغايرة تماماً لما يوجد في جنين ، عدد السكان والاكتظاظ في المجتمعات الغزية تسبب بالمصائب لجيش الدفاع في السنوات السابقة ، وهذا عندما كان عدد سكانها صغيراً نسبياً ، ولم يكن هناك حكم فلسطيني أو سلاح ، ووضع اللاجئين الذين كانوا يعملون في إسرائيل كان أفضل بكثير مما هو عليه الآن . كما أن ما حدث الآن في حي القصبة في نابلس لا يمكن أن يقارن هو الآخر بما قد يحدث في أحياء غزة المكتظة في الشجاعية والشيخ رضوان وحي الزيتون والتفاح ، إذا دخل الجيش الإسرائيلي إلى هناك . بكلمات أخرى يجب أن تكون العبرة المستخلصة من جنين أن الفظائع التي حدثت في مخيمها الصغير قد تبدو أشبه بنزهة

اضربوهم.. ولكن بجرعات

ماذا يقول المعلقون العسكريون في الدولة المسخ «إسرائيل» بعد عملية «السور الواقي» في الضفة؟

الجيش قرر ، وقائد المنطقة يضغط ، ورئيس هيئة الأركان العامة يوصي ، يجب ترتيب الأمور واستكمال حملة «السور المنيع» في قطاع غزة .

بل إن هناك خطة رائعة ، ستقوم حسبها قوات كبيرة من ألوية الدبابات وسلاح المشاة النظامي والاحتياطي ، تقودها وحدات خاصة ، بتمزيق قطاع غزة إرباً إرباً ، التوقيت المحلي جيد ، فالشعب «يستشيط غضباً» بعد عملية ريشون ليتسيون ، أمّا التوقيت الخارجي فمحتمل : إنهم سيتفهموننا . ولكنّ هناك سؤالاً واحداً : هل هذا ضروري حقاً؟

لقد بنيت الخطة التي يعرضها الجيش على أساس استخلاص العبر- العسكرية والسياسية- من عملية «السور المنيع» الأولى ، التي تحدد أن جدول الأعمال السياسي للعملية العسكرية هو محدود . لقد عاد شارون من أميركا حاملاً التفهم الرئاسي الواضح لحق إسرائيل في الدفاع عن النفس : شيء مثل «اضربوهم ولكن بجرعات محددة وليس لفترة طويلة» .

وبالفعل ، إن الجيش الإسرائيلي يقدم خطة تنطوي على تركيز كبير للقوات ، بحيث يمكنها احتلال المناطق المأهولة بسرعة ، ومن المفروض أن يكون لتركيز مثل هذه القوة فاعليتها الرادعة التي تتسبب للجانب الثاني بالامتناع عن الدخول في مواجهة حقيقية ، الأمر الذي يمكنه أن يقلص عدد الضحايا المتوقع في الجانبين ، خلال المحاربة داخل أكثر المناطق المدنية اكتظاظاً في العالم .

من المؤكد أن قطاع غزة يستحق المعالجة العسكرية ، بصفته أكبر قاعدة لمنظمات الإرهاب الفلسطينية ، لكن الدولة يجب أن لا تكون عادلة ، فقط ، وإنما يجب أن تكون حكيمة أيضاً ، وقد سبق لنا أن شاهدنا ذلك في قضية كنيسة المهد في بيت لحم .

لا حاجة إلى احتلال غزة في سبيل إحراق كل الأوراق في السلطة الفلسطينية وتحييد عرفات إلى هامش الحلبة ، وفي المقابل ، منح الأوروبيين والأميركيين فرصة إعلاء شأن الجهات الفلسطينية التي تدعو إلى الإصلاح التنظيمي والشخصي ، كما أن تمكين رئيس جهاز الـ «سي . آي . إيه» من تحقيق الإصلاحات في جهاز الأمن الفلسطيني وبناء الجهاز الأمني الواحد ، لا يحتم - حالياً على الأقل- تحطيم قوة محمد دحلان في قطاع غزة ، كما تم عمله مع جبريل الرجوب في الضفة . لقد عاد شارون لتوه من أميركا يحمل ما يكفي من التفهم الأميركي لحقيقة أنه لا يمكن الوصول إلى أي

مكان مع السلطة الفلسطينية الحالية ، وبدء إعادة بناء مراكز القوة داخلها .

إن شارون هو من أنصار التوجه القائل «قبل أن نمنحهم دولة ، تعالوا نفحص كيف يتدبر الفلسطينيون أمورهم من خلال إدارة سيادتهم في غزة» وسيكون من الصعب إجراء مثل هذا الفحص بعد دخول ألوية الدبابات إلى القطاع .

صحيح أن البنية التي قادت عملية «ريشون ليتسيون» تتخذ من غزة مقراً لها ، لكن منفذ العملية ، الذي لم يشخص حتى الآن ، لم يخرج بالضرورة من غزة ، فالآن ، أيضاً ، بعد إحباط العملية بالقرب من مفترق مجيدو ، مازال هناك تحذيران واضحان في شأن استشهاديين تم تجهيزهم بالعبوات الناسفة وبدأوا البحث عن طريق للوصول إلى هنا ، إن هذه التحذيرات تصل من الضفة ، ورغم عملية ريشون ليتسيون فإن غزة مازالت مغلقة ، وتم صد غالبية محاولات الخروج منها لتنفيذ عمليات داخل إسرائيل ، إن المساهمة الأساسية التي تقوم بها البنى الإرهابية في غزة تكمن في محاولاتها المساعدة على ترميم البنى الإرهابية في الضفة .

فهل هذا إقحام مئات عدة من الدبابات وآلاف مؤلفة من الجنود داخل قطاع غزة؟

إن العمليات التي ينفذها الجيش الإسرائيلي اليوم لمحاربة الإرهاب لا تحقق أي مكاسب سياسية في كل ليلة يتم بنجاح ودون أي إزعاج من قبل العالم ، اجتياح القرى والبلدات الفلسطينية- على أساس المعلومات الاستخبارية المتراكمة من خلال التحقيقات مع الفلسطينيين الذين تم اعتقالهم ، هذا هو التوجه الصحيح ، وما زال هناك الكثير من العمل في طولكرم وقلقيلية والخليل .

إن الدخول إلى أكبر المدن الفلسطينية وأكثر المدن اكتظاظاً في العالم- وهي العملية التي يستعد الفلسطينيون جيداً لمواجهتها والتي يمكن

أن تكلف الكثيرين : جنود ومدنيين- يجب أن تتم فقط عندما لا يكون أي خيار آخر ، إذا قرر الطاقم الوزاري تأييد القيام بهذه العملية- فسيكون ذلك قراراً عادلاً ، ولكن وكما عوّدنا شارون ، فإن عدله يقود إلى جسر واحد بعيداً جداً .

غزة تستعد لمواجهة اجتياح إسرائيلي

بعد العملية الاستشهادية في ريشون لتسيون أجرت السلطة الفلسطينية اتصالات واسعة النطاق مع عدد من الدول العربية والغربية من أجل الحيلولة دون قيام إسرائيل بهجوم عسكري في قطاع غزة أو عمليات انتقامية .

وقال نبيل أبو ردينة المستشار الإعلامي للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات إن القيادة الفلسطينية أجرت اتصالات مع أطراف عربية ودولية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة ، من أجل ثني إسرائيل عن حملتها الوشيكة على قطاع غزة ، وأضاف أن قيام جيش الاحتلال باجتياح قطاع غزة سيصعد الأمور بشكل غير مسبوق ، وحث المجتمع الدولي على التدخل لوقف العدوان الخطير والواسع الذي أعلنت إسرائيل أنها تستعد للقيام به .

ووفقاً للتوقعات الفلسطينية فإن الأهداف المنتظر أن تجتاحها القوات الإسرائيلية والموضوعة على قائمة الجيش الإسرائيلي هي ، مخيم جباليا ومخيم البريج للاجئين الفلسطينيين ، أكبر مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الوطن والشتات ، ومن أكثر بقاع الأرض كثافة سكانية ، حيث يعيش فيه نحو ٩٠ألف لاجئ فلسطيني شردتهم إسرائيل من أراضيهم على مساحة لا تتجاوز كيلومترين مربعين . ويرمز هذا المخيم إلى حالة اللجوء الفلسطيني والثورة خاصة ، حيث أطلق عليه اسم «مخيم الثورة» نظراً لان الانتفاضة الأولى التي اندلعت في الثامن من كانون الأول(ديسمبر) ١٩٨٧ كانت شرارتها انطلقت منه على أثر إقدام شاحنة إسرائيلية على دهس أربعة عمال من المخيم ، حيث اندلعت المظاهرات من ذلك المخيم ، وامتدت إلى بقية الأراضي الفلسطينية لتستمر سبع سنوات .

كما أن هذا المخيم كان هدفاً لبلدوزرات أرييل شارون مع مطلع السبعينات ، حين حاول تدميره عندما كان قائداً للمنطقة الجنوبية في جيش الاحتلال ، حيث كانت الثورة المسلحة في ذلك الوقت .

أمّا مخيم البريج للاجئين الفلسطينيين ويطلق عليه الفلسطينيون اسم «مخيم الصمود» نظراً لصموده الذي أبداه خلال الانتفاضة الكبرى (١٩٨٧-١٩٩٤) في المظاهرات مع قوات الاحتلال ، حيث لم تتمكن القوات الإسرائيلية من اقتحامه بمساندة المروحيات الإسرائيلية ، رغم أن الفلسطينيين كانوا يتسلحون فقط بالحجارة والزجاجات الحارقة ، وكذلك لصموده أمام الكثير من المحاولات الإسرائيلية لتركيع سكانه .

ويقطن هذا المخيم الذي يقع وسط القطاع على مقربة من الحدود الشرقية ٣٠ ألف لاجئ يعيشون على مساحة ٥٣٨ دونماً . ويحده من جهة الجنوب مخيم المغازي للاجئين ، والذي يبلغ عدد سكانه ١٨ألف نسمة ، ومن جهة الغرب مخيم النصيرات والذي يبلغ عدد سكانه ٥٠ ألف نسمة

ومن جهة الجنوب قرية حجر الديك التي يقطنها المئات من المزارعين الفلسطينيين .

ويقوم المقاومون الفلسطينيون اليوم بتشحيم أسلحتهم وتجهيز عبواتهم الناسفة وجمع أكبر كمية من الذخيرة لمجابهة الدبابات والطائرات الإسرائيلية التي من المتوقع أن تقتحم في أي لحظة المخيم ، كما أنه تبرع عدد كبير من الشبان ليكونوا استشهاديين لإعاقة تقدم تلك الدبابات .

ويقول أحد القادة الميدانيين في المخيم ، في أثناء قيامه بتوجيه الشبان في المخيم وتدريبهم على كيفية التصدي للقوات الإسرائيلية ، إنه يعرف أن التضحيات ستكون كبيرة إذا ما اجتاحت قوات الاحتلال المخيم ، ولكنه ليس أمامنا إلا الدفاع عن مخيمنا ولن نستسلم للقوات الإسرائيلية ولو كلفنا ذلك عشرات الشهداء والمئات من الجرحى » ، مشيراً إلى أنه يمتلك العشرات من الاستشهاديين وعدداً كبيراً من المسلحين للدفاع عن المخيم ، مضيفاً «أن ذلك يتم بطريقة علمية وخطط محكمة لإدارة المعركة والنصر من رب العالمين» كما قال .

وأضاف القائد الميداني والذي يكنى بـ«أبو إبراهيم» أنه توجه الى مخيم جباليا والتقى بعدد من المقاومين في المخيم الذين شاركوا عدة مرات سابقة في التصدي للقوات التي اجتاحت مخيمهم وسمع منهم طرق تلك القوات والأساليب التي تستخدمها من أجل إبطالها ، مشيراً إلى أنه قرر الاستعانة بعدد من هؤلاء المقاتلين في حال اجتياح القوات الإسرائيلية لمخيمهم نظراً للخبرة التي اكتسبوها في معركتهم ضد قوات الاحتلال في مخيم جباليا ، منوهاً إلى أنه قام كذلك بزيارة الجرحى الذين أصيبوا في هذه المعركة وسمع منهم كذلك الثغرات التي يمكن أن تحدث في أثناء عملية الاجتياح لدى الفلسطينيين من أجل تفاديها وعدم الوقوع بها وما هي نقاط

الضعف لدى القوات الإسرائيلية من أجل استغلالها . وبدا مخيم البريج كخلية نحل وذلك من خلال تعاون جميع سكانه من كل الفصائل والتنظيمات السياسية من أجل حماية مخيمهم ، حيث هناك مجموعات حراسة ليلية للمناطق الحدودية ويتم من خلال طرق اتصال معينة إبلاغ القيادة الميدانية بالتحركات التي تحدث في المخيم من أجل أتخاذ التدابير اللازمة ، بالإضافة إلى أن هناك مجموعة من الأشبال الصغار حضروا المئات من الزجاجات الحارقة من أجل استخدامها في تلك المنطقة وأخذوا مواقعهم جيداً بانتظار ساعة البداية .

ومما يثير قلق القادة العسكريين الإسرائيليين كمية العبوات الناسفة التي نشرها الفلسطينيون تخوفاً من اجتياح إسرائيلي ممكن . وتفيد التقارير الواردة من الجيش الإسرائيلي أن الفلسطيتين توصلوا إلى قدرات تمكنهم من إنتاج مواد متفجرة حتى وإن كانت بمستوى متدن نسبياً .

غزة تخلي أجهزة الكومبيوتر والملفات من مكاتبها تحسبا للهجوم الإسرائيلي

شهد قطاع غزة استعدادات رسمية وشعبية على جميع الأصعدة لمواجهة اجتياح إسرائيلي متوقع . وفي هذا الإطار أخلت المؤسسات ، الرسمية وشبه الرسمية ، مكاتبها تماماً من الوثائق وأجهزة الكومبيوتر تحسباً لعملية تدمير شاملة قد تتعرض لها المؤسسات الفلسطينية في غزة على غرار ما فعله جيش الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية .

وقالت مصادر فلسطينية إن بعض المؤسسات الحساسة مثل وزارة الداخلية تحتوي على بيانات المواطنين وأرشيف خاص بالأحوال المدنية والجوازات لا يمكن تعويضها في حالة تعرّض مثل هذه البيانات للتدمير أو النهب على يد قوات الاحتلال ، لذلك قامت الوزارة بتخزين كافة البيانات على أقراص كومبيوتر وحفظها في مكان آمن بعيداً عن مباني الوزارة .

وقال العميد مازن عز الدين المفوض العام للتوجيه الوطني إن الشعب الفلسطيني ، الذي يتطلع للسلام العادل والشامل وفقاً للقرارات الدولية ، سيظل صامداً وصابراً بالرغم من العدوان الإسرائيلي المستمر الذي بات يستهدف الإنسان الفلسطيني ومدنه وقراه وممتلكاته . وأضاف «أن السلطة تعمل دائماً للمحافظة على الإنجازات التي حققها شعبنا خلال مسيرة نضاله ، حيث تقوم المؤسسات الوطنية بالعمل على وضع ترتيبات خاصة للمحافظة على جميع الأجهزة وغيرها في حالة اجتياح القوات الإسرائيلية لقطاع غزة للاستفادة من التجربة المريرة التي حدثت في مدن الضفة الغربية ، حيث أقدم الاحتلال على «تدمير كل الإنجازات والمقرات والأجهزة في المؤسسات الوطنية الفلسطينية كافة» ، مشيراً إلى أن هذا يدل على همجية الاحتلال وأساليبه الوحشية والذي لا يزال يقوم بعدوانه الغاشم على شعبنا متحدياً العالم أجمع .

وحول المرحلة الثانية التي يتحدث عنها رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون ، قال العميد مازن عزالدين ، «إن الحكومة الإسرائيلية بعدوانها على شعبنا ومحاصرة القيادة الفلسطينية برهنت للعالم أجمع أنها لا ترغب في تحقيق السلام العادل في المنطقة ، حيث قامت بوأد كافة الاتفاقيات مع السلطة الفلسطينية بالقوة ، الأمر الذي يتضح للجميع أن شارون لا يوجد عنده مرحلة ثانية أو ثالثة ، فالعدوان لا يزال مستمراً على شعبنا وقيادته بكل أشكاله ، وذلك بمساندة الإدارة الأميركية التي لا تزال تقف بجانب العدوان الإسرائيلي بالرغم من مطالبتها شارون بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية» .

وأكد عز الدين أن «الشعب الفلسطيني وقيادته بزعامة الرئيس ياسر عرفات سوف يستمران بالتصدي للعدوان الإسرائيلي بقوة الإرادة والعزم الذي لا يلين حتى تحقيق النصر وتحقيق آماله وطموحاته» . ورداً على سؤال

حـول إمكانيـة اجـتـيـاح القـوات الإسـرائيليـة قطاع غـزة أكـد أن الشـعـب الفلسطيني بأكمله سوف يواجه وبكل قواه العدوان الإسرائيلي دفاعاً عن الكرامة العربية والحق الفلسطيني ، ولكن حسب المعطيات الموجودة على الساحة لا يوجد حتى اللحظة ما يشير إلى أن القوات الإسرائيلية سوف تجتاح قطاع غزة . لكنه استطرد أن مدن قطاع غزة من الصعوبة لأي جيش احتلالها دون حسابات للخسائر التي قد تلحق به . وهناك أيضاً عدد من مخيمات اللاجئين التي سيحسب جيش الاحتلال ألف حساب لدخولها بعد الصمود الأسطوري الذي حدث في مخيم جنين . وقال «ولكن إذا أرادت إسرائيل اجتياح القطاع فالشعب الفلسطيني ليس أمامه إلا المواجهة التي ستفرض عليه دفاعاً عن أراضيه» .

وتابع : إن الاجتياح يحتاج إلى قوة كبيرة أكبر من القوات التي اجتاحت الضفة الغربية حسب قول المصادر الاسرائيلية ، وهم يعرفون جيداً أن هناك ستوجد مقاومة شديدة وقد تكلف الإسرائيليين ثمناً غالياً ، لذلك ستكون حسابات إسرائيل مغايرة لتلك التي حدثت في الضفة والسيناريوهات ستكون مختلفة في قطاع غزة ، لذلك يجب الاستعداد لأسوإ الاحتمالات .


□ شارون قادر
على خداع بوش نفسه □

غزة «قنبلة موقوتة»

يشكّل هذا القطاع مشكلة ربما تكون الأكثر استعصاء على الحل أمام المسؤولين الفلسطينيين والإسرائيليين ، وهي كيفية تنفيس وتخفيف الغضب الذي اجتاح كل الأراضي الفلسطينية منذ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ عندما اندلعت الانتفاضة .

كانت أنظار العالم مشدودة خلال شهر نيسان (أبريل) إلى الخراب الذي اجتاح مدن الضفة الغربية وأدى إلى قتل مئات الأشخاص . وكانت إسرائيل قد شنت هجومها بزعم تدمير مصانع المتفجرات ومطاردة المقاتلين ضدها . وقد ضرب الحصار حول قطاع غزة حتى لا يصل منها الانتحاريون إلى إسرائيل . ومع أن الهجوم تراجع حالياً ، إلاّ أن الحرب لم تنته بعد . فالمجموعات المسلحة في قطاع غزة باقية كما هي ، وهي التي تبعد ٨٤ ميلاً

إلى الجنوب الغربي من القدس . وقد تحملت حركة «حماس» المسؤولية عن الهجوم خارج تل أبيب .

ويعتقد المسؤولون على الجانبين أن مواجهة أخرى آتية لا ريب فيها ، ويقولون إن مثل هذا الهجوم لو حدث في قطاع غزة ، الذي يقطنه ١,٢ مليون فلسطيني ، فإن الانفجار الذي سيصاحبه سيكون أكثر عنفاً مما حدث في الضفة الغربية ، وامتنع الناطق باسم وزارة الدفاع الإسرائيلية ، ياردين فاتيكاي ، عن التعليق حول ما إذا كان الهجوم على غزة قد خضع للنقاش ، وقال : «حيثما يوجد الإرهابيون فإننا ستتصدى لهم ، ولا يوجد أي قيد على حركتنا» .

يقول راجي صوراني ، المحامي البارز في القطاع ، والذي يدير المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان : «قطاع غزة قنبلة زمنية توشك على الانفجار ، وستكون حماماً من الدماء» . وهو يقول إن المليشيات مثل ميليشيا سيف الدين هي الأكثر خطراً ، «إنها تتكاثر بسرعات كبيرة . ولا تخضع لأي ضبط أو سيطرة من جهة مسؤولة . إنهم شباب مستعدون تماماً لحماية أنفسهم» .

إن الإنجاز الذي تتيه به مجموعة سيف الدين فخراً هو تمكنها من تدمير دبابة إسرائيلية بمتفجرات صنعوها بأنفسهم . ويقول السكان إن غزة أصبحت سجناً خانقاً بعد الحصار الإسرائيلي ، ويراقب الجنود الإسرائيليون كل حركة من أبراج من الخرسانة المسلحة ومن داخل دباباتهم . وأقام هؤلاء نقطتي مراقبة وتفتيش من الشمال إلى الجنوب وهي الجهة الوحيدة التي يمكن أن تكون مخرجاً من القطاع ، وقد أصبحت بالتالي مواقع للمعارك اليومية بين الجنود الإسرائيليين والمواطنين الفلسطينيين .

وظلت إسرائيل تفكر منذ عدة سنوات في التنازل عن غزة التي استولت عليها من مصر في حرب عام ١٩٦٧ . ولكن هناك حالياً حوالى

١٩ مستوطنة يهودية يقطنها حوالى ٦٩٠٠ يهودي ، ويحرس هؤلاء حوالى ٧٠٠٠ جندي . وظل رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون يرفض أي اتجاه لإزالة المستوطنات ، مع أنَّ كثيراً من الإسرائيليين يشعرون بأن المستوطنين المتطرفين في غزة لا يستحقون كل هذا العناء وكل هذه الكلفة العسكرية والثمن السياسي الذي يدفع من أجل حمايتهم .

يشب أهل غزة ليس على الفقر واليأس فقط ، بل على المقاومة والقتال أيضاً . وتغطي حيطان المنازل الشعارات التي تنادي بالموت للإسرائيليين ، ويلعب الأطفال بدمى صنعت على هيئة البنادق والرشاشات . وقال مهند قلاب (١٣ سنة) إنه تعلم في المدرسة كيف يضمد الجروح ويكافح النيران ، ويضيف : «نحن لسنا مثل الضفة الغربية ، إنهم لن يفاجئوننا هنا» .

وفي روضة الأطفال التي يديرها والد مهند ووالدته ، علقت صورة أسامة بن لادن بجوار صور الأطفال وهم يتلقون دروسهم . وفي نيسان (أبريل) ألقى الجنود الإسرائيليون القبض على مجموعة من الأطفال الفلسطينيين بينما كانوا يحاولون التسلل إلى مستوطنة يهودية وهم يحملون متفجرات بدائية مصنوعة يدوياً .

ويقول بعض المسؤولين الإسرائيليين إن غزو غزة ، على غرار الضفة الغربية ، ليس أمراً حتمياً فحسب بل هو أمر حكيم كذلك . وقال الناطق باسم الحكومة الإسرائيلية دانيال سيمان : «إذا تركت غزة لحالها فإنها ستصبح خطيرة جداً جداً» .

ولكن غزة يمكن أن تكون معضلة بالغة الصعوبة بالنسبة إلى إسرائيل قياساً بالضفة الغربية . ويقول جهاد الوزير (٣٩ سنة) ، مساعد الوزير الفلسطيني للتخطيط والتعاون في السلطة الفلسطينية : « سنقاتل حتى آخر طلقة» .

ويقول المواطنون إن مليشيات مثل تلك التي يقودها سيف الدين ، بدأت منذ آذار (مارس) المنصرم ، تقيم دورات أسبوعية للتدريب . وقال محمد قلاب (١٧ سنة) إنه شعر بالفخر الشديد لأنه اختير لدورة تدريبية . وقد تلقى هو وأصدقاؤه سبعة دروس للسلاح في الفك والتركيب والتصويب . وقال إن مجموعات أخرى بدأت تتخصص في المتفجرات .

ويقول محمد ، الشاب الطويل القامة والرياضي الجسم ، إن كل من يستطيع القتال في غزة سيقاتل في حال غزو إسرائيل للقطاع . وقال إنه يتمنى أن يدرس الهندسة الكيماوية حتى بعد التخرج من المدرسة العليا في الشهر المقبل «حتى أتمكن من صنع قنابل تؤذي إسرائيل أذى بالغاً» .

ويقول سيف الدين وهو يجلس داخل مخبئه بمخيم الشاطئ :«حققت العمليات الاستشهادية الكثير . فقد حققنا طفرة في إشعار إسرائيل بعدم الأمان . وهم يعرفون الآن أننا نستطيع أن نقاتلهم في أي مكان» .

غزّة تستعدّ

بانتهاء المرحلة الأولى من الحملة الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ، أخذ سكان قطاع غزة يخزنون الأطعمة ويقيمون التحصينات على أساس أن دورهم قد جاء ، وهي فرضية يرحب بها المقاتلون بينما يخشاها المواطنون العاديون . قال راجي صوراني مدير المركز الفلسطيني لحقوق الانسان : يلوح المقاتلون بالأعلام الحمراء ويحاكون مصارعي الثيران الإسبانية وهم يقولون «تعالوا الآن . اعبروا هذه الخطوط» . ويعبر هؤلاء المقاتلون عن خيبة أملهم لأن الإسرائيليين لم يبتلعوا الطعم حتى الآن . وبالطبع يمكن أن تقول عن الناس هنا إنهم فقدوا عقولهم ، لأنهم لا يملكون شيئاً ، ولذلك

فإنهم لن يخسروا شيئاً .

واستجابة لنداء تنظيم «الجهاد الإسلامي» هبّ مئات الشباب من العاطلين عن العمل وتجمّعوا في موقف السيارات ، بينما تعاقب الخطباء على مكبرات الصوت وهم يدينون إسرائيل والولايات المتحدة ويشيدون بقيم الاستشهاد من أجل إقامة الدولة الفلسطينية .

جاء الحضور من معسكرات اللاجئين ومن أحياء مدينة غزة ليشاهدوا فيلماً على شريط فيديو عن الشابين محمد إبراهيم وسالم حسونة ، وهما يتدربان على هجوم على مستوطنة إسرائيلية يعلمان أنهما لن يعودا منه ، وبالفعل لم يعودا . وتزاحم أطفال لا تزيد أعمارهم على ٦و٧ سنوات ليصلوا إلى الصفوف الأمامية حتى يروا الفيلم بوضوح أكثر . وكان الأولاد الأكبر سناً يشاهدون الفيلم في صمت عميق ، ويومئون برؤوسهم تعبيراً عن الرضى من وقت إلى آخر . وكانت وجوهم هي وجوه المهاجمين الانتحاريين الذين قد يراها الناس غداً . كم من هؤلاء الشباب على استعداد لتفجير أنفسهم؟ قال عبد العزيز برارعة (٢٦ سنة) العضو في «الجهاد الإسلامي» الذي كان يضع قناعاً أسود لإخفاء هويته عن المتعاونين مع إسرائيل :«أعتقد أن بين ٨٠ و٩٠ في المائة من هؤلاء الشباب مستعدون لذلك ، فالشهيدان اللذان يعرض شريطهما الآن يعتبران بطلين بالنسبة إليهم» . وفي الشوارع المجاورة لموقف السيارات كانت الاستعدادات شبيهة بتلك التي كانت تجري أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ . فهناك حواجز رملية ارتفاعها ١٠ أقدام عند كل تقاطعات الطرق ورفوف محلات البقالة صارت فارغة من الدقيق ومن زجاجات المياه ، بينما نشطت حركة الناس المحمومة لتخزين الضروريات . وشيدت الخنادق والمخابئ في مخيمات اللاجئين ، وكان واضحاً أن عدد البنادق المعروضة في الشوارع كبير بصورة غير عادية .

وفي إطار الاستعدادات للحرب ، صارت الوزارات الفلسطينية تقيم فصولاً للإسعافات الأولية ، كما دربت ٧٠ امرأة كقابلات تحسُّباً لعدم تمكن النساء الموشكات على الوضع من الوصول إلى المستشفيات . ويتساءل جهاد الوزير ، نائب وزير التخطيط الفلسطيني «إذا كان بإمكان (رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون) أن يواصل حربه بينما كان (وزير الخارجية الأميركي كولن باول في القدس) ، فما الذي يمنعه (شارون) من الحضور إلى غزة؟ نحن نعرف أنه لا يوجد أي تكافؤ من الناحية العسكرية ، ولكن الفلسطينيين كانوا على الدوام يختارون المقاومة ، ليس الاستسلام بأية حال من الأحوال . إننا سننتصر لأننا قادرون على البقاء» .

ولكن رغم كل الاستعدادات فإنه ليس أكيداً أن غزة ستكون الهدف التالي لإسرائيل ، وذلك لأن الفلسطينيين هنا معزولون عن إسرائيل بسياج ، ومعزولون كذلك عن العالم بعد أن دمّرت إسرائيل مدرج مطار غزة . ولإثبات أن سياسة العزل خدمت غرضها بفعالية ، يشير المسؤولون الإسرائيليون إلى أن أياً من الانتحاريين الذين نفذوا الهجمات الأخيرة لم يكن من غزة .

ويقول صلاح عبد الشافي ، وهو مستشار اقتصادي «التعبير عن الرغبة في اشتعال الحرب ،مع إسرائيل ، موقف عاطفي لا يستند إلى التفكير العقلاني . وللأسف الشديد فإن نتائج المناخ الذي ساد أخيراً هي أن الأصوات العاقلة الكثيرة ، لم تعد مسموعة أبداً» .

ويضيف عبدالشافي «مثل كثيرين أدنت الهجمات الإرهابية وقلت إنها أعمال شريرة وغير أخلاقية ، بل مدمرة لصورة القضية الفلسطينية في العالم ، ولكن واحداً من أوجه قصورها أننا لم نوجه رسالتنا إلى الجمهور الإسرائيلي مباشرة ، إننا لم نقنعهم مطلقاً بأنّ الأغلبية منا توافق على وجود إسرائيل . كما أن زعماءنا لم يوضحوا أن كل هذه المعارك لا تهدف إلى

تدمير إسرائيل . إنها تتعلق فقط بنيل حقوقنا» .

ومع أن عزل الفلسطينيين في قطاع غزة زاد من شعور الأمان داخل إسرائيل ، إلا أنه لا يفعل ذلك إلا على حساب مستقبل العيش المشترك ، وإلا على حساب آمال الفلسطينيين في التخلص من الفقر والحصول على وطن لهم ، وهذا هو الأساس العميق للصراع الحالي .



ضغوط أميركية لتجنب مهاجمة غزة

تميل الحكومة الإسرائيلية على ما يبدو نحو عملية عسكرية محدودة في قطاع غزة بعد انسحاب قواتها من بيت لحم وإنهائها حصارها الطويل لكنيسة المهد. وبعدما خرج المسلحون والمدنيون ورجال الدين من الكنيسة، انسحبت القوات الإسرائيلية من ساحة المهد وباقي بيت لحم، آخر مدينة في الضفة الغربية كانت لا تزال محتلة في العملية العسكرية الإسرائيلية التي بدأت في ٢٩ آذار (مارس).

وقد شغل النقاش عمّا يجب القيام به في غزة الحكومة الإسرائيلية وترددت تقارير تفيد بأن وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن أليعازر قرر تأخير عملية غزة. وقال بن أليعازر إنه طلب من الجيش إعادة تقييم خططه بالنسبة إلى قطاع غزة، التي تم إعدادها قبل شهر، لعدة أسباب من بينها تسريبات

بخصوص تفاصيل العمليات .

وقد أشارت تقارير إلى أن العملية ربما تلغى بسبب «ضغوط أميركية قوية» .

وذكر مسؤول أميركي كبير أن واشنطن لم تبلغ رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون بعدم التحرك ضد قطاع غزة ، بل مجرد «إعادة التفكير في العواقب» .

وذكر مسؤول أن شارون سبق أن استخدم حجة الضغوط الأميركية لتبرير قرارات صعبة ، مثل موافقته على رفع الحصار العسكري عن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في مقره في مدينة رام الله .

وأوضح المسؤول الأميركي «أن قيام شارون بما يحتاج إلى القيام به وتعليقه على شماعة الضغوط الأميركية ليس بالأمر السيِّىء بالنسبة إليه» .
وقال مسؤول آخر «لا أعتقد أننا حاولنا إبلاغهم بما يمكن وما لا يمكن أن يفعلوه . توجد مناقشات مستمرة بخصوص التأكد من أن ما عليك أن تفعله للرد على موقف معين لا يحد من القدرة على التحرك إلى الأمام» .

وذكر مسؤول إسرائيلي كبير أن احتلال قطاع غزة بأكمله يتطلب أعداداً كبيرة من القوات ، وسيتسبب في العديد من الإصابات في الطرفين ، على ضوء كميات الأسلحة الموجودة في قطاع غزة والوقت الكافي الذي استعد فيه عناصر في «حماس» والجهاد الإسلامي .

غير أن هناك وجهة نظر قوية قدمها بعض القادة العسكريين الإسرائيليين من أمثال رئيس الأركان الجنرال شاؤول موفاز الذي ينتمي إلى جناح الصقور ، تقول إن الجهد الإسرائيلي لتدمير البنية الأساسية لما يصفونه بالإرهاب لن تكتمل دون سلسلة من الغارات ضد «حماس» في قطاع غزة .

وقد تعرض الجيش الإسرائيلي لانتقادات حادة للأساليب التي اتبعها في مخيم جنين للاجئين في الضفة الغربية ، غير أن مخيمات

اللاجئين في غزة أكبر ٦ مرات . وفي الوقت الذي يشير فيه العسكريون الإسرائيليون إلى أنهم تعلموا من دروس جنين ، فإن أي شيء آخر ، غير عمليات محدودة معتمدة على معلومات استخبارية جيدة ، ستؤدي على الأرجح إلى العديد من الضحايا المدنيين وانتقادات دولية على نطاق واسع ، كما ذكر رؤفين بيداتزور وهو ضابط سابق يعمل حالياً محللاً عسكرياً في جامعة تل أبيب . وقال بيداتزور «لا أعتقد أنها ستكون عملية كبيرة . هم يخشون من العواقب الدولية والداخلية» . وأضاف أن الضباط يجادلون ضد احتلال شامل ويركزون علي عملية ردع . وأوضح أن وجهة نظرهم هي «إذا لم نقبض عليهم جميعاً . علينا أن نقبض على الأقل على بعض منهم» . وقال إن استخدام الصواريخ أو الغارات الجوية ضد أهداف محددة من قبل عن طريق الاستخبارات ، أو حتى هجمات سريعة من البحر هي الأكثر ترجيحاً .

وكان وزير الخارجية الإسرائيلي شيمعون بيريس قد ذكر في روما إنه «لا توجد أية نية لغزو غزة» . وقال إن هدف العملية العسكرية سيكون «إعادة التفكير في ما يحدث في قطاع غزة» .

على صعيد آخر ذكر زيف شيف ، المحلل العسكري لصحيفة «هآرتس» أنه غير متأكد من وجود عملية في غزة . وقال «في غزة عليك أن تكون دقيقاً للغاية أو أنك ستقتل العديد من المدنيين بسبب كثافة السكان» .

وأضاف «إن النقاش لا يزال جارياً ، لا أعتقد أن فكرة احتلال غزة تدور في مخيلة أي عقل متوازن» .

وأوضح شيف بالنسبة إلى الجنرال موفاز «أن رئيس الأركان رجل متشدد ، ولكنه ليس الصوت الوحيد» .

وفي غزة اتخذ الفلسطينيون استعدادات للهجوم الإسرائيلي ، واشتروا المواد الغذائية ونشروا الشراك الخداعية للجنود الإسرائيليين . وفي مخيم جباليا ، حيث يعيش ١٠٠ ألف فلسطيني ، سد السكان مداخل المخيم بالمتاريس ، ويتجول المسلحون في الحارات .

وذكر محمد دحلان ، مسؤول الأمن الوقائي في غزة ، أن الفلسطينيين يتوقعون هجوماً ، «الجميع على أهبة الاستعداد ، ويعرف رجالنا كيف يواجهون الاحتلال» .

ومن مفارقات هذا الصراع أن الإسرائيليين يطالبون بأن يضرب دحلان وقواته الناشطين من الفلسطينيين «حماس» و«الجهاد» في الوقت الذي يتحدث فيه هو عن الاستعداد للحرب ضد إسرائيل .

وذكر يوسي ألفر ، المحلل الأمني ، أن القرار الإسرائيلي حول مهاجمة قطاع غزة وتوقيت مثل هذا الهجوم يتوقف على تقدير العواقب . ويرى أن على الحكومة الإسرائيلية «أن تقرر ما إذا كانت قوات عرفات الأمنية تتصدى بجدية لـ(حماس) كما تعهد . وفي الوقت ذاته ، ذكر المسؤولون في «حماس» أن قوات السلطة الفلسطينية قبضت على سبعة آخرين من عناصر الحركة وبذلك وصل عدد كوادر الحركة المعتقلين إلى ٢٣ . غير أنهم ليسوا من كبار الأعضاء .

وتجدر الإشارة إلى أن الهجوم الإسرائيلي ربما يقضي على رغبة عرفات في التعاون ، ولكن الإسرائيليين يأملون في أن يؤدي التهديد بالهجوم إلى ضغوط عليه للتحرك ضد الناشطين الفلسطينيين .

وقال ألفر إنه «كلما مر المزيد من الوقت ، تراجعت فرصة القيام بهجوم ، وزادت فرصة تبرير الحكومة للتعبئة كرسالة لعرفات» . وأضاف أنه إذا وقعت عملية انتحارية أخرى فإن القوات ستكون في وضع الاستعداد ويمكن أن يطلب منها التحرك فوراً ولكن «في الوقت ذاته هذه الرسالة لعرفات ليتصرف بجدية» .

وكان عرفات قد قال رداً على سؤال بخصوص اقتحام القوات الإسرائيلية لغزة «إن شعبنا صامد وسيستمر بكل قوته للدفاع عن مدننا المقدسة ، والمواقع المسيحية والإسلامية» .

المبادرات والتسويات

إنَّ اعتماد شعار السلام كخيار استراتيجي ثابت لا تراجع عنه أصبح شعار الخيار الوحيد الذي فضّل العرب التمسّك به والعمل من خلاله؛ على حساب جميع الخيارات والبدائل الأخرى التي كان من الممكن لهم الاحتفاظ بها أو حتى مجرّد التفكير باللجوء إليها، ولو من وجهة نظرية فقط، وهذا ما أدّى بالتالي إلى تحويل هذا الشعار من «خيار ثابت» إلى «خيار وحيد» لا بديل منه ولا غنى عنه، في الوقت الذي احتفظ فيه الجانب الصهيوني ببدائله وخياراته السياسية والاستراتيجية والعسكرية الأخرى كافةً، ولذلك يجد العرب أنفسهم حاليًا في وضع لا يحسدون عليه من حيث افتقارهم الكامل إلى الخيارات والبدائل المتاحة.

والحال.. أين هي التسويات والمبادرات؟

القمة العربية في بيروت: لماذا وماذا يمكن أن تحقق؟

القمة العربية التي تمّ الإعداد لانعقادها في بيروت خلال شهر آذار (مارس) ٢٠٠٢ كانت القمة العربية الدورية الثانية بعد قمة عمان التي عقدت في العاصمة الأردنية قبل عام، لكن هذه القمة، وما أحاط بها من ظروف وأوضاع سياسية وأمنية، كانت أشبه بالقمم الطارئة التي يفترض بها أن تلتئم بهدف التصدي لأزمات ملحة وقضايا عاجلة تستدعي أن يسارع الملوك والأمراء والرؤساء العرب إلى الاجتماع لمعالجتها على مستوى القمة، وبشكل لا يحتمل التردد أو التريث أو التأجيل. فبعد أن شكّل قرار جامعة الدول العربية بالمصادقة على مبدإ دورية انعقاد القمم العربية، عند اتخاذه قبل حوالى عامين، نوعاً من الانجاز على صعيد العمل العربي المشترك، نظراً لما كان يفترض فيه أن يكون مدخلاً نحو تكريس أسس التواصل والتشاور بين الزعماء العرب وإضفاء طابع مؤسساتي دائم على اجتماعات

القمة ومداولاتها والقرارات الصادرة عنها ، وجد الزعماء العرب الذين اجتمعوا في قمة بيروت أنفسهم في مواجهة مجموعة من الملفات والمسائل الشائكة وبالغة الدقة والصعوبة وإلى درجة كفيلة بإثارة العديد من التساؤلات الحيوية حول الجدوى من انعقاد القمة ، والآمال التي يمكن تعليقها على المقررات والنتائج التي قد تسفر عنها . وإذا ما أضيفت إلى ذلك طبيعة التعقيدات المحلية والإقليمية والدولية التي برزت على خط التحضير لهذه القمة ، وعلى صعيد مكان انعقادها وظروف هذا الانعقاد والانعكاسات المحتملة لها ، فإن الكثير من تلك التساؤلات يصبح بدوره على قدر مضاعف من الأهمية . فهل كان هناك من فائدة ترجى من قمة بيروت؟ وهل كان في مقدور هذه القمة الاستجابة ، في نتائجها ومقرراتها ، لمقتضيات المرحلة ومتطلباتها؟ وماذا سيكون ، عندئذ ، تأثير هذه القمة وأعمالها ومداولاتها ، في الوضع السياسي والاستراتيجي القائم حالياً في المنطقة العربية ، بكل تشعباته وتداعياته واحتمالاته المستقبلية؟

ربما كان الأمر ضرباً من ضروب الحظ السيّىء ، وربما كان ناجماً أيضاً عن تطورات وأحداث ضخمة لم يكن في مقدور أحد أن يتوقعها ، لكنها جاءت وتركت انعكاسات هائلة لا تزال تتفاعل حتى هذه اللحظة ، وعلى أكثر من صعيد إقليمي ودولي ، عشية الموعد المقرر لانعقاد أولى قمة عربية في بيروت منذ ما قبل الحرب الأهلية الدامية التي عصفت بلبنان على امتداد عقد ونصف العقد من الزمن ابتداء من أواسط السبعينيات . وفي جميع الأحوال ، فإن اجتماع الزعماء العرب في العاصممة اللبنانية ، والذي كان يفترض أن يكون في الأصل تتويجاً لخروج لبنان من محنة الحرب والصراع الأهلي ، وتكريساً لعودة عاصمته بيروت إلى موقعها التقليدي السابق كمركز سياسي وإعلامي وحضاري عربي ودولي في المنطقة ، إلى جانب

كونه إرساء لقاعدة الانعقاد الدوري لاجتماعات القمة العربية ، التي كانت جامعة الدول العربية قد أقرتها كوسيلة يفترض فيها أن تساهم في تشجيع توجهات العمل السياسي والديبلوماسي العربي المشترك وتعزيز أفق التعاون والتنسيق بين الأطراف ، بات مرشحاً الآن للتحول إلى واحد من أكثر اجتماعات القمة العربية صعوبة وحراجة في تاريخ المنطقة المعاصر .

فقمة بيروت كانت أولى القمم العربية التي تعقد في أعقاب الهجمات الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة يوم الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ ، وما أعقبها من تحولات جذرية على صعيد الخريطة السياسية والاستراتيجية الإقليمية والدولية . كما أن هذه القمة أتت في وقت تمر فيه المنطقة العربية نفسها في مرحلة أقل ما يمكن أن يُقال فيها إنها مرحلة فرز سياسي واستراتيجي وأمني تشعر فيها جميع دول المنطقة ، ومن دون استثناء تقريباً ، بأنها مواجهة بخيارات صعبة وقرارات شائكة في ما يختص بتوجهاتها السياسية الداخلية وعلى مستوى علاقاتها وتحالفاتها الإقليمية والدولية الخارجية . وفي الوقت نفسه ، فإن القمة عقدت في ظل ظروف لن يكون من المبالغ فيه وصفها بأنها شكلت على الأرجح الظروف الأكثر تعقيداً وصعوبة من نوعها في تاريخ المنطقة ، إن لم يكن منذ نكبة فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، فعلى الأقل منذ نكسة حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وما نجم عنها من نتائج وآثار لا يزال الشرق الأوسط يعاني من أزماتها ومعضلاتها حتى وقتنا الحاضر .

واقع عربي محرج . . .

في هذه المعطيات بمجملها وضعت القمة العربية أمام واقع محرج لا

يمكن حسد الزعماء العرب الذين شاركوا فيها عليه . فالملفات التي تعيّن على هذه القمة أن تواجهها كانت كثيرة ومتشعبة وملحة . لكن الإمكانات المتوافرة لمواجهة هذه الملفات ومعالجتها بشكل يضمن المصلحة العربية المشتركة ، ويؤمن الحد الأدنى المطلوب من آمال العرب وأهدافهم ، بدت ضئيلة ومحددة إلى درجة الانعدام الكامل تقريباً .

وهناك أسئلة عدة على هذا الوضع المثير للقلق ، من وجهة النظر العربية . فمن شأن إلقاء نظرة أولية عامة على المسار الذي اتخذته الأحداث في المنطقة منذ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ أن يظهر بوضوح أن اتجاه هذه الأحداث يصب في إطار زيادة التحديات التي تواجه العرب ، حكومات وشعوباً ، ويتطلب منهم اتخاذ قرارات وخيارات صعبة قد لا تكون غالبية الأقطار والمجتمعات العربية قادرة على ، أو راغبة في ، اتخاذها حالياً . وهذه الأمثلة تتضح من خلال الملفات التي يجد العرب أنفسهم أمامها في الوقت الحاضر ، وهي الملفات نفسها التي تعيّن على القمة العربية في بيروت التعامل معها ومحاولة العثور على معالجات لها خلال المرحلة المقبلة وأبرزها :

١ - القضية الفلسطينية والصراع العربي - الإسرائيلي ، حيث بات واضحاً أن الدول العربية عاجزة تماماً عن توفير أي نوع من الدعم أو المساندة للجانب الفلسطيني في المواجهة الشاملة التي يخوضها بشكل منفرد ضد الاحتلال الإسرائيلي ، وضد التصميم الأكيد الذي عقدت حكومة أرييل شارون العزم عليه للقضاء على معالم المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال ، وتفكيك مكونات السلطة الفلسطينية ، وإزالة أي مظهر من مظاهر الكيان الفلسطيني المستقل في الأراضي التي يفترض أن تقوم عليها الدولة الفلسطينية في حال التوصل إلى تسوية سياسية تنهي الاحتلال الإسرائيلي لتلك الأراضي وصولاً إلى الهدف الواضح الذي بات يتمثل الآن في إيجاد

قيادة فلسطينية بديلة تحل مكان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وقيادته الحالية التي لم يعد رئيس الحكومة الإسرائيلية ، ومن يؤيده من أركان المؤسسة السياسية والعسكرية والأمنية الحاكمة هناك ، يترددون في إظهار عزمهم على عدم التعامل معها وعزلها تمهيداً لإزاحتها تماماً من الصورة .

٢-الأزمة العراقية ومستقبل نظام الرئيس صدام حسين في بغداد ، بعد أن أصبح واضحاً أن الدول العربية ، وعلى الرغم من المواقف والتصريحات الرسمية والعلنية الصادرة عن مسؤوليها ، لن تكون قادرة على (أو أغلبية في) في لعب أي دور مؤثر يحول دون تنفيذ التهديدات المتصاعدة التي تُطلقها الولايات المتحدة حالياً ، والتي تؤكد بأن العراق سيكون المسرح المعتم للعمليات العسكرية الأمريكية خلال المرحلة التالية من الحرب الدولية المضادة للإرهاب التي يتم شنها بزعامة واشنطن في الوقت الحاضر .

٣-العلاقات مع إيران ، في ضوء التحول المفاجئ الذي طرأ على موقف الإدارة الأمريكية من طهران ، وعودة لهجة التصعيد المتبادل إلى الخطاب السياسي بين البلدين ، بعد مرحلة بدت فيها العلاقات الأمريكية-الإيرانية متجهة إلى نوع من التهدئة ، وحتى التعاون الصامت ، كما تبين خلال العمليات العسكرية التي نفذتها الولايات المتحدة والأطراف المتحالفة معها ضد نظام حركة «طالبان» وتنظيم «القاعدة» بزعامة أسامة بن لادن في أفغانستان . فالسياسة الأمريكية حيال إيران عادت ، وفي صورة اتضحت تماماً في خطاب الرئيس جورج بوش الابن أمام الكونغرس إلى اتباع موقف سلبي متشدد ركزت فيه واشنطن على ناحيتين رئيسيتين اتسمت كل منهما بامتدادات إقليمية ذات تأثير مباشر في الموقف بالنسبة إلى الدول العربية ، وهي مسألة أسلحة الدمار الشامل وسعي طهران المفترض إلى إنتاجها وامتلاكاها من جهة ، والعلاقة الإيرانية المزعومة بدعم الإرهاب وتشجيعه

من خلال مساندة طهران لحركات وتنظيمات إسلامية تعمل في المنطقة العربية ، وأبرزها طبعاً «حزب الله» في لبنان والفصائل الفلسطينية ذات التوجه الأصولي مثل «حماس» و«الجهاد» من جهة ثانية . ويعني هذا التصعيد المتجدد في العلاقات الأمريكية- الإيرانية ، وقرار واشنطن المفاجئ إلى حد كبير بضم طهران إلى «محور الشر» في المنطقة ، حسبما ورد على لسان الرئيس بوش في خطابه أمام الكونغرس ، أن الدول العربية ولا سيما في الخليج ، ستكون مواجهة بواقع جديد محرج من حيث اضطرارها إلى اتخاذ موقف ، لن تكون راغبة فيه أو مرتاحة إليه على الأرجح ، حيال هذا الاستقطاب المثير للقلق في المنطقة . كما أنه سيعني اضطرار دول عربية أخرى ، وتحديداً سوريا ولبنان ، إلى التعامل مع الاستحقاقات .

مبادرة السلام العربية

انعقد مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة في دورته العادية الرابعة عشرة .

-إذ يؤكد ما أقره مؤتمر القمة العربي غير العادي في القاهرة في حزيران (يونيو) ١٩٩٦ من أن السلام العادل والشامل خيار استراتيجي للدول العربية يتحقق في ظل الشرعية الدولية ، ويستوجب التزاماً مقابلاً تؤكده إسرائيل في هذا الصدد .

-وبعد أن استمع إلى كلمة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، ولي عهد المملكة العربية السعودية ، التي أعلن من خلالها مبادرته داعياً إلى انسحاب إسرائيل الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة منذ ١٩٦٧ ، تنفيذاً لقراري مجلس الأمن (٢٤٢و٣٣٨) واللذين عززتهما قرارات مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ومبدأ الأرض مقابل السلام ، وإلى قبولها

قيام دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة وعاصمتها القدس الشرقية ، وذلك مقابل قيام الدول العربية بإنشاء علاقات طبيعية في إطار سلام شامل مع إسرائيل .

-وانطلاقاً من اقتناع الدول العربية بأن الحل العسكري للنزاع لم يحقق السلام أو الأمن لأي من الأطراف .

١-يطلب المجلس من إسرائيل إعادة النظر في سياساتها ، وأن تجنح للسلم معلنة أن السلام العادل هو خيارها الاستراتيجي أيضاً .

٢-كما يطالبها القيام بما يلي :

أ-الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك الجولان السوري وحتى خط الرابع من حزيران (يوينو) ١٩٦٧ ، والأراضي التي ما زالت محتلة في جنوب لبنان .

ب- التوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ .

ج- قبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧في الضفة الغربية وقطاع غزة وتكون عاصمتها القدس الشرقية .

٣-عندئذ تقوم الدول العربية بما يلي :

أ- اعتبار النزاع العربي الإسرائيلي منتهياً ، والدخول في اتفاقية سلام بينها وبين إسرائيل مع تحقيق الأمن لجميع دول المنطقة .

ب- إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل في إطار هذا السلام الشامل .

٤-ضمان رفض كل أشكال التوطين الفلسطيني الذي يتنافى والوضع الخاص في البلدان العربية المضيفة .

٥-يدعو المجلس حكومة إسرائيل والإسرائيليين جميعاً إلى قبول هذه المبادرة المبينة أعلاه حماية لفرص السلام وحقناً للدماء وبما يمكن الدول

العربيـة وإسرائيل من العيش في سـلام جنباً إلى جنب ، ويوفـر للأجيال القادمة مستقبلاً آمناً يسوده الرخاء والاستقرار .

٦-يدعو المجلس المجتمع الدولي بكل دوله ومنظماته إلى دعم هذه المبادرة .

٧- يطلب المجلس من رئاسته تشكيل لجنة خاصة من عدد من الدول الأعضاء المعنية والأمين العام لإجراء الاتصالات اللازمة بهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والولايات المتحدة والاتحاد الروسي والدول الإسلامية والاتحاد الأوروبي .



ابكم اصم لا يسمع سوى الاوامر بالتدمير

نص وثيقة بيريز الجديدة التي وضعها في أيار [مايو] ٢٠٠٢

«طريق عملية للتسوية»

١-يؤمن حزب العمل أن الطريق لمنع المخاطر على وجود إسرائيل ، عبر تحويلها إلى دولة ثنائية القومية ومن دون أغلبية يهودية ، يتمثل في إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح إلى جانب دولة إسرائيل .

٢-يرى حزب العمل في انتهاء السيطرة على الشعب الفلسطيني استنتاجاً أخلاقياً من التاريخ اليهودي ومصلحة سياسية وأمنية لدولة إسرائيل .

٣-يمكن تحقيق ذلك فقط من طريق الاتفاق على الفصل الطوعي .

٤-إن الاتفاق على أفق سياسي مشترك ، يمكن أن يقود إلى وقف نار حقيقي كمدخل لسلام دائم .

٥-عندما رفض الجانب الفلسطيني اقتراحات الرئيس كلينتون في

كامب ديفيد ، زرع الشكوك في قلوب الكثيرين حول ما إذا كان هناك شريك فلسطيني في العملية السلمية . ويبدو أن حالة عدم الثقة التي نشأت في أعقاب هذا الرفض ، توجب شريكاً إضافياً يوفر المصداقية للمفاوضات والثقة بنتائجها . وعملياً بقي شريك كهذا- هو الرباعية التي تشكلت في مدريد (الولايات المتحدة ، الاتحاد الأوروبي ، روسيا ، والأمم المتحدة) والمخاطر التي تنشأ في الشرق الأوسط- التهديدات الصاروخية بعيدة المدى التي تتجاوز الأبعاد الجغرافية للشرق الأوسط ، والإرهاب الذي يتجاوز الحدود ، والسلاح غير التقليدي - يفرض على «الرباعية» التدخل العاجل ، والمتحد لخلق زخم سلمي متجدد .

٦-وينبغي لخطة السلام أن تعرض خطوات تحظى بالقبول في إسرائيل وعدم الرفض في العالم العربي . وأمر كهذا بات ممكناً بعد اقتراح السلام السعودي ، وبعد التفاهمات مع الفلسطينيين (تفاهمات بيريز- أبو علاء) .

٧-إن التفاهمات التي تم التوصل إليها بيننا وبين ممثلين فلسطينيين (برئاسة رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني) لم تحظ بالقبول أو الرفض رسمياً ، وهي سارية بقوة المنطق الذي يقرب المسافات الإيديولوجية داخل إسرائيل ويجسر على الهوة السياسية بيننا وبين جيراننا .

٨-وتعتمد هذه التفاهمات على أربع مراحل :

أ-المرحلة الأولى : إقامة سلطة فلسطينية واحدة تضع حداً للتشرذم المسلح الذي يمنح المنظمات المتطرفة إمكانية المساس بالسلام ، وتقويض الحكم الذاتي الفلسطيني ، ويقود إلى عمليات دفاعية إسرائيلية ، وفقط عبر إقامة قيادة واحدة تسيطر على جميع الوسائل القتالية وتشرف على جميع الأصابع الموضوعة على الزناد . يمكن التوصل إلى وقف نار حقيقي .

ب- المرحلة الثانية : وخلال وقت قصير (عدة أسابيع) يتم الإعلان عن الاعتراف المتبادل : إسرائيل تعترف بالحكم الذاتي الفلسطيني دولة سوف تتحدد حدودها في مفاوضات على أساس قراري ٢٤٢و٣٣٨

واعتراف الفلسطينيين بإسرائيل كدولة يهودية .

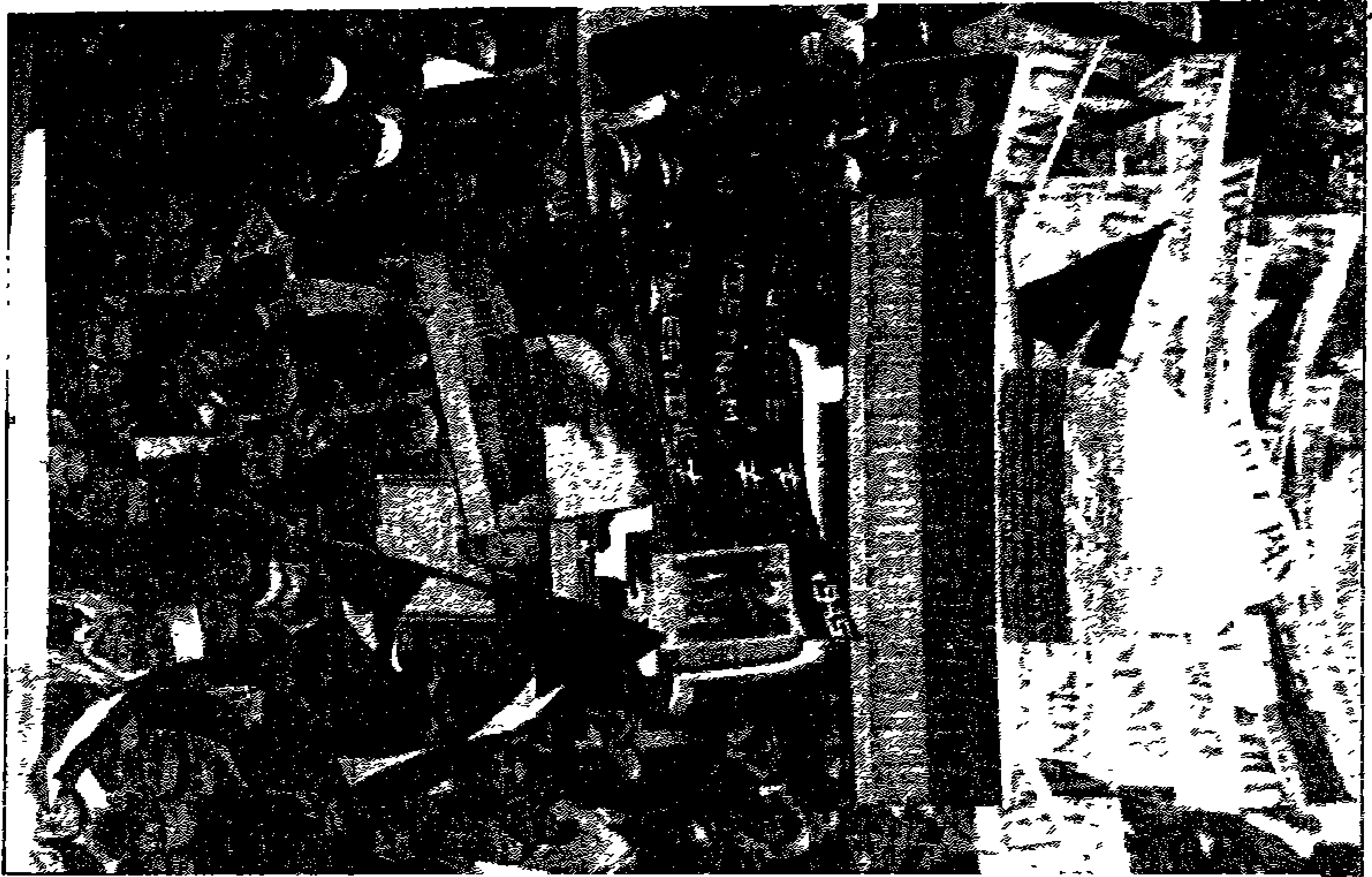
ج- المرحلة الثالثة : مفاوضات تستمر حوالى عام ، من أجل حل القضايا موضع الخلاف : الحدود ، القدس ، اللاجئين ، المستوطنات والترتيبات الأمنية .

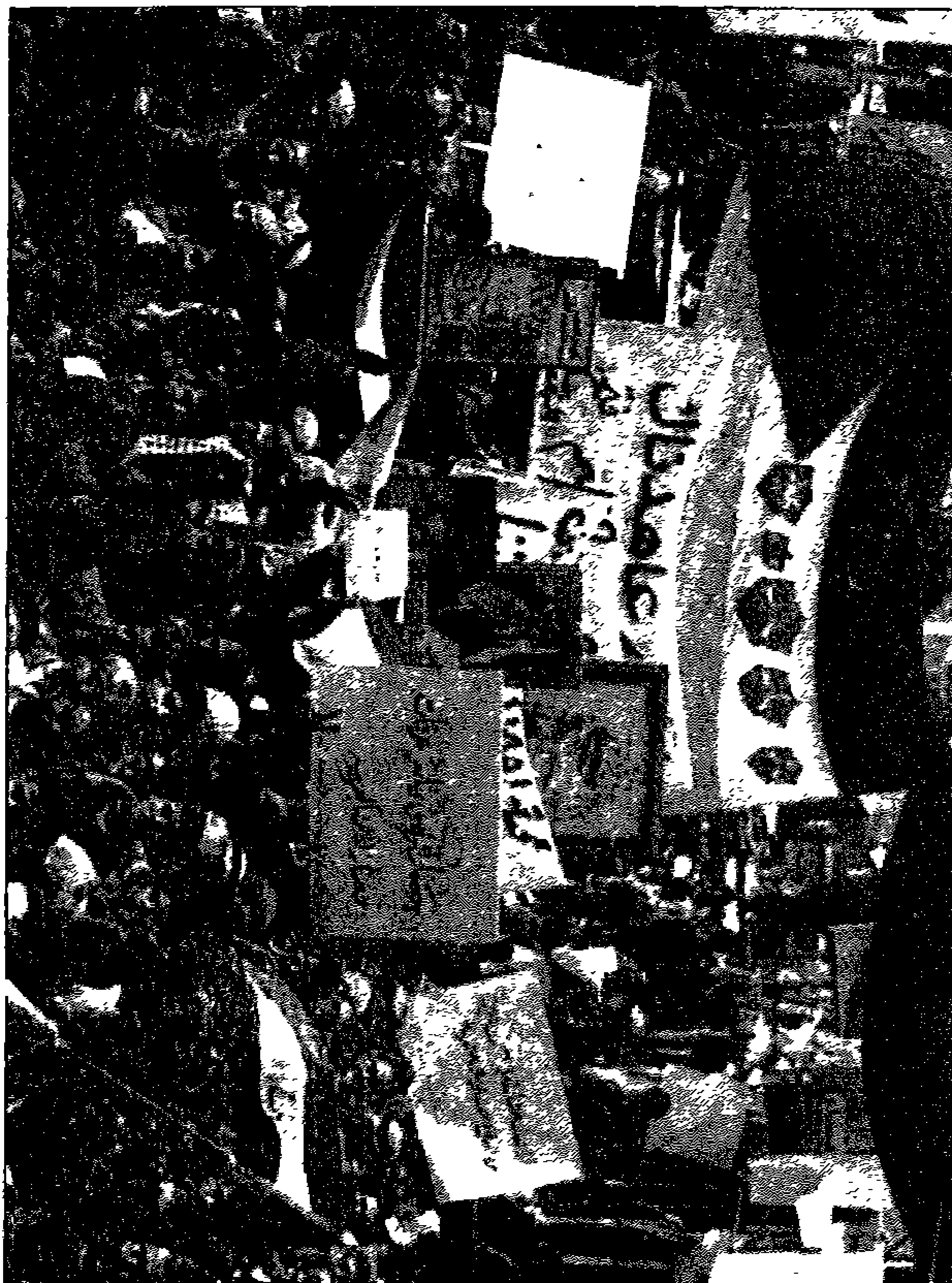
د- المرحلة الرابعة : تنفيذ الاتفاقات التي يتم التوصل إليها ، خلال سنة أخرى .

٩-هذه الاتفاقات وتلك التي يتم التوصل إليها سيتم دعمها من جانب الرباعية التي تمثل إلى درجة كبيرة الاتفاق العالمي . ومثل هذا الدعم له قيمة حقيقية لأن أي انتهاك للاتفاق قد يقود إلى نزع الشرعية الدولية بل وإلى وقف المساعدات الفعلية .

١٠-ولا جدوى من التدخل العسكري الخارجي من أجل تنفيذ الاتفاق أو حمايته . فالجيش لا يستطيع العمل إلا في ميادين الحرب أو الإشراف على وضع نشأ نتيجة اتفاق طرفين . وليس بوسع أي جيش أن يحل مكان الاتفاق ، كما ليس بوسعه عمل شيء في غياب الاتفاق . فالسلام يتحقق بالتسوية وليس بإطلاق النار .

١١- وليس من المتعذر أن نتكهن سلفاً بموقف «الرباعية» : تجريد المنظمات الإرهابية الفلسطينية من السلاح ، وتشكيل قيادة موحدة تشرف على كل حملة الأسلحة ، وقف الإرهاب ، وقف التحريض ، تجميد المستوطنات ، إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي خارج المناطق ، الشفافية المالية وتحرير الأموال ، إزالة الحواجز ، فتح الحدود ، إقامة مناطق صناعية مشتركة ، أسواق عمل مفتوحة ، ترميم اقتصاد الكيان الفلسطيني ، تطوير اقتصاد حديث لكل الشعوب يستند إلى قواعد الاقتصاد العالمي ، إجراءات الاتحاد الأوروبي ، قواعد منطقة التجارة الحرة الأميركية ، اقتصاد منفتح ، متنافس ، شفاف ومزدهر .





زيني بحث تطبيق خطة تينيت مع الفلسطينيين والإسرائيليين

بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من معظم المناطق «أ» الخاضعة للسلطة الوطنية الفلسطينية وانخفاض عدد العمليات الفدائية ، تقرّر أن تعود للالتئام اللجنة العليا المشتركة (الإسرائيلية- الفلسطينية) للتنسيق الأمني ، برئاسة المبعوث الأميركي ، الجنرال أنتوني زيني ، حيث يبدأ البحث في إعلان وقف إطلاق النار تماماً وبدء تطبيق خطة تينيت .

وأوضح الأميركيون للطرفين إصرارهم على تطبيق خطة تينيت وطلبوا منهما إبداء المرونة في ذلك ، وانضم إلى الجنرال زيني في طلبه ، نائب الرئيس الأميركي ، ديك تشيني ، الذي حث الوزراء الإسرائيليين على دفع المسيرة السلمية إلى الأمام . وأعلن تشيني أنه في حالة تطبيق خطة تينيت سيأتي إلى المنطقة خصيصاً ليلتقي الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وذلك في محاولة منه لاحتواء الغضب الفلسطيني من قراره عدم لقاء

عرفات .

وأرسل تشيني الجنرال زيني إلى عرفات لكي يطمئنه بأن عدم مقابلته لا يقصد المساس بمكانته كرئيس للفلسطينيين ، وأنه والرئيس جورج بوش معنيان بلقائه وأنهما متمسكان بالموقف الأميركي الواضح في إحقاق حقوق الشعب الفلسطيني وإقامة دولة مستقلة آمنة إلى جانب إسرائيل ، وفي وضع حد لمعاناته الطويلة وضرورة تعويضه عن هذه المعاناة ومساعدته على بناء اقتصاده .

ورأى وزير الإعلام والثقافة ، ياسر عبد ربه ، فيها رسالة إيجابية للغاية ، وقال إن السلطة الفلسطينية سترد على الرسالة بتوجه إيجابي نحو المطالب الأميركية لتطبيق تينيت .

وكان الجنرال زيني قد استغل فترة يومين لمناقشة الإسرائيليين والفلسطينيين ، في لقاءات ثنائية عديدة أجراها حول سبل تطبيق خطة تينيت . وأقنع الطرفين بأن هناك أموراً ينبغي أن تتغير في تفاصيل هذه الخطة من دون المساس بجوهرها . وتدارس مع إسرائيل الاقتراح الذي قدمه له أرييل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي وبدأ يدرس مع الفلسطينيين مشروعاً للرد على اقتراح شارون .

وجدير بالذكر أن المسؤولين الإسرائيليين واصلوا اتهام السلطة الفلسطينية بعدم الجدية في الموافقة على وقف إطلاق النار . وقال وزير الدفاع بنيامين بن اليعازر إن عرفات لم يفعل شيئاً بعد لوقف النار . وأضاف «نحن من جهتنا نعمل كل ما في وسعنا . لقد نفذنا بالكامل الانسحاب من المناطق «أ» وهناك نقاش حاد في الحكومة لكننا توصلنا إلى صيغة تسمح لعرفات بأن يغادر البلاد ويسافر إلى أي مكان يرغب فيه في العالم ، ويعود إلى هنا سالماً ، والآن لم يبق لنا سوى أن نأمل أن يغير الفلسطينيون موقفهم ويجنحوا هم أيضاً للسلام» .

وصرح رئيس أركان الجيش شاؤول موفاز ، بالروح نفسها «نحن نفذنا الانسحاب الكامل . كل التعهدات التي قطعناها على أنفسنا نفذت خلال ساعات . لكن الطرف الآخر غير معني بذلك . وما زال يستخدم الإرهاب أداة» .

بالمقابل هاجم رئيس المعارضة الإسرائيلية اليسارية ، يوسي سريد ، سياسة الحكومة المغامرة . وقال إنها لا تعود إلا بالأضرار على السياسة الإسرائيلية . ودعا شارون إلى عقد لقاء قمة فوري مع عرفات وقال : لقاء كهذا فقط يمكنه أن يوضح مواقف الطرفين ، فإذا كانت وجهتهما السلام سنرى ذلك ينعكس على حياة الشعبين .

النقاط الرئيسية في خطة تينيت

في ما يلي النقاط الرئيسية لخطة مدير وكالة المخابرات المركزية الأميركية (سي آي أيه) جورج تينيت التي باتت تعرف باسم «تفاهم تينيت» التي جرى التوصل إليها في ١٣ حزيران (يونيو) ٢٠٠١ :

أ- يجب على الفلسطينيين التعهد بما يلي :

-توقيف واستجواب وسجن أعضاء المنظمات الفلسطينية المتطرفة الذين تتهمهم إسرائيل بالتحضير لعمليات إرهابية والذين سلمت بشأنهم لائحة إلى السلطة الفلسطينية تتضمن عشرات من أسمائهم .

-تقديم أسماء الأشخاص المعتقلين إلى لجنة أمنية مشتركة .

-مصادرة مدافع الهاون والأسلحة الأخرى التي يحوزها فلسطينيون بطريقة غير شرعية في انتهاك لاتفاق أوسلو ١٩٩٣ .

-إغلاق ورشات صنع قنابل الهاون .

-تسليم إسرائيل جميع المعلومات الخاصة بالتخطيط لهجمات .

-منع تهريب الأسلحة .

-وضع حد للتحريض الرسمي على العنف والهجمات ضد إسرائيل والمستوطنات اليهودية .

ب- يجب على إسرائيل التعهد بما يلي :

-الامتناع عن مهاجمة المؤسسات المدنية أو العسكرية التابعة للسلطة الفلسطينية .

-الامتناع عن استخدام الأسلحة القاتلة لتفريق المتظاهرين .

-اتخاذ التدابير اللازمة ضد مواطنيها المسؤولين عن عمليات انتقام أو حض على العنف ضد الفلسطينيين .

-التحقيق في مقتل الفلسطينيين الذين لم يتورطوا في أعمال إرهابية والذين قتلوا في أثناء مواجهات مع الجيش .

-الإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين الذين لم يشاركوا في أعمال إرهابية وخصوصاً المتظاهرين الذين رشقوا الحجارة .

-إعادة نشر القوات الإسرائيلية في مواقعها السابقة لبدء الانتفاضة في ٢٨أيلول(سبتمبر) ٢٠٠٠ .

-رفع الإغلاق عن الأراضي الفلسطينية والحصار الداخلي المفروض على المدن الفلسطينية .

ج- يجب على الطرفين التعهد بما يلي :

-منع الأفراد والمجموعات من استخدام القطاعات التي تخضع لسيطرتهما كقواعد للقيام بأعمال عنف أو كملاذات بعد القيام بمثل هذه الأعمال .

- الالتقاء مرة في الأسبوع واتخاذ تدابير ملموسة لإعادة إطلاق تعاونهما الأمني .

-إعادة تنشيط مكاتب الاتصال الإسرائيلية- الفلسطينية .

-التشاور بانتظام على المستوى الأمني في مؤتمرات بالصوت

ثلاث مبادرات

رؤية اليمين الإسرائيلي للتسوية

أي حل يجب أن يكون موقتاً لا نهائيًا . تقبل إسرائيل بقيام دولة فلسطينية شروطها :

-أن تقوم على الأراضي التي يسيطر عليها الفلسطينيون الآن . أي ٤٢في المائة من الضفة الغربية و٨٠في المائة من قطاع غزة ، وتعرض إسرائيل إقامة جسور على الطرق التي تسيطر عليها لربط المناطق الفلسطينية بعضها ببعض .

-أن تكون دولة منزوعة السلاح .

-تسيطر إسرائيل على حدود هذه الدولة وتحتفظ لنفسها بمناطق أمنية في الضفة والقطاع .

-تحتفظ إسرائيل بالقدس مدينة موحدة ، أي تسيطر على كل القدس

بما فيها الأحياء العربية والحرم القدسي الشريف ، كما تحتفظ بوادي الأردن وبكل المستوطنات .

-في أفضل الأحوال يمكن لليمين أن ينظر في تقديم ما يراوح بين ٢٠في المائة و٣٠في المائة إضافية من أرض الضفة وقد يوافق على إزالة بعض المستوطنات .

-ترفض إسرائيل أي بحث في حق العودة .

-في المقابل توافق الدولة الفلسطينية الناشئة على بند «إنهاء النزاع» وعلى اتفاق عدم اعتداء وعلى تأجيل البحث في مسائل أخرى من ١٠إلى ١٥سنة .

وثيقة بيريس- أبو علاء

تقوم أساساً على ثلاث نقاط :

-العودة إلى الاستقرار وتثبيت الوضع الأمني بوقف كامل للنار وتنفيذ خطة العمل في تقريري متشل وتينيت . وتشمل هذه المرحلة إجراءات تهدف إلى بناء الثقة بين الطرفين ومنها المحاربة العنيدة للإرهاب وإخضاع جمع الأسلحة في المناطق لسلطة واحدة .

-الاعتراف المتبادل بين دولة إسرائيل ودولة فلسطينية فوراً . وتقوم هذه الدولة مؤقتاً على المناطق الخاضعة حالياً للسيطرة الفلسطينية الكاملة أو الجزئية . وفي المستقبل ترسم الحدود النهائية وتحدد على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢و٣٣٨ .

-مفاوضات الحل النهائي التي تتولاها دولة فلسطين تبدأ في الأسبوع الثامن بعد وقف النار وتنتهي بعد سنة . وهي تعالج المواضيع المتعلقة بالحدود واللاجئين والقدس والمستوطنات والأمن والمياه والعلاقات مع بقية الدول . ثم ينفذ الاتفاق في غضون سنة من تاريخ توقيعه .

مؤتمر شرم الشيخ والانعطافات الأميركية- العربية- الإسرائيلية

تبدل المشهد في الشرق الأوسط عمّا كان عليه في الأشهر الأخيرة . «عاصفة الدم» التي وحدت الفلسطينيين بدأت تنزاح عن تصدعات حادة بين السلطة ومعارضيها ، والحرب التي جمعت الإسرائيليين بدأت تتكشف عن خلافات عميقة حول أسس التفاوض . والموقف الأميركي بدوره بدا يميل إلى حد أدنى من التوازن بين الطرح العربي والطرح الإسرائيلي بعد انحياز طال ، والفترة المقبلة مرصودة على رهانات جديدة تزعزع زعامة أرييل شارون وتزيد في ضعف ياسر عرفات لمصلحة اختراقات مفاجئة ، يقف وراءها أصحاب المشروع السلمي .

فما هي هذه الانعطافات؟

أول الانعطافات كان تأجيل- وربما إلغاء- العملية العسكرية المقررة في غزة . في هذا التأجيل قيل إنه ناتج عن «تسرب خطط الهجوم» على

لسان بعض القيادات العسكرية الإسرائيلية الرافضة ، وقيل أيضاً إنه ناتج عن حسابات الخسائر المتوقعة في الهجوم ، بعدما شكل مخيم جنين درساً في المقاومة . وبين الاعتبارات التي دفعت إلى الإرجاء الضغوط الأميركية الفعلية في أعقاب المشاورات الأميركية- العربية التي أظهرت أن خيارات العرب السلمية استراتيجية ولا مبرر هناك لسفك مزيد من الدماء ، وفي هذا الإطار أعطى رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات الدليل تلو الآخر على رغبته في التلاقي مع المساعي الدبلوماسية الهادفة إلى تحضير الأجواء لحوار جديد .

والعملية الدبلوماسية المتسارعة تهدف أولاً إلى تأمين انعقاد مؤتمر إقليمي جديد ، هو عبارة عن «ميني مدريد المملكة العربية السعودية ومصر وسورية بشكل أساسي ، تحت سقف مبادرة السلام العربية التي أقرتها قمة بيروت ، بعدما تبلور مؤتمر شرم الشيخ الأخير عن إعادة اللحمة إلى أبرز عواصم القرار العربي (القاهرة-الرياض- دمشق) .

تحوّل

هذا الانعقاد يتزامن مع إعادة هيكلة السلطة الفلسطينية بصورة تجعلها أكثر مرونة وأكثر قابلية للانخراط في الخطط السياسية الجديدة . في هذا السياق يكثر الحديث عن «إعادة بناء الأجهزة الأمنية الفلسطينية وتوحيدها في جهاز واحد ، يكون أكثر طاعة لواشنطن وأكثر تعاوناً مع أجهزة الأمن الإسرائيلية في تعقب المتطرفين ، أي الفصائل الفلسطينية الرافضة» .

والتحوّل في الداخل الفلسطيني يقوم بصورة أساسية على وقف العمليات الانتحارية داخل إسرائيل ، وهي عمليات تستهدف المدنيين ، وحصر المقاومة في الأراضي المحتلة . هذا القرار موجه بصورة أساسية ضد

حركتي «حماس» و«الجهاد» وهو الذي أوجد في الأيام الأخيرة حالة تصدّع في الساحة الفلسطينية ، في ضوء اقتناع الجهاديين الإسلاميين بأن المرحلة المقبلة تستهدفهم بصورة مباشرة ، بعدما تم التلاقي الأميركي – الغربي – الإسرائيلي – الفلسطيني على مستوى السلطة ، على قاعدة أن كل تطرف ممنوع في المدى المنظور . والتصدع ليس محصوراً بالفلسطينيين ، لأن التطورات الأخيرة على مستوى تكتل «ليكود» كما على مستوى الشارع الإسرائيلي ، تنبئ هي الأخرى بتصدعات تتزايد داخل إسرائيل . بعدما برهنت تجربة الحكم الشارونية على أنها نجحت في تعطيل كل الحلول وسد المنافذ السلمية في كل الاتجاهات ، وفشلت في وقف العنف والإعصار الدامي الذي يضرب إسرائيل منذ أكثر من عام . ومن الواضح أن أرييل شارون يواجه اليوم نوعين من المشاكل الصعبة : داخل الحكومة من جانب حزب «العمل» وداخل حزبه من جانب بنيامين نتنياهو الذي كان وراء تصويت اللجنة المركزية ضد قيام الدولة الفلسطينية ، في اللحظة التي يحتاج إلى دعم هذه اللجنة . وخروج الخلافات بين شارون ونتنياهو إلى العلن لا يخدم بكل تأكيد مصلحة رئيس الحكومة الإسرائيلية .

اجتهادات

في هذه الأجواء تكثر الاجتهادات القائلة بأن مأزق عرفات الجديد لا يقل خطورة عن مأزق شارون ، وكل تصعيد عسكري محتمل من جانب رئيس الحكومة الإسرائيلية سوف يرتد عليه ، وربما عجل في تقرير انتخابات مبكرة في إسرائيل ، كما أن كل تصعيد جديد من جانب المتطرفين الفلسطينيين سوف يزيد في ضعف ياسر عرفات وقدرته التفاوضية ، لأنه يعني كسر قواعد اللعبة الجديدة التي يرعاها البيت الأبيض .

الانعطاف الثاني الذي صارت معاينته ممكنة هو الانعطاف السوري

في اتجاه الرؤية السعودية- المصرية ، بعدما احتفظت دمشق ولزمن طويل نسبياً ، بنوع من الاستقلالية في التعامل مع معسكر السلام العربي . والسلوك السوري الجديد تجسد بصورة واضحة في مشاركة الرئيس بشار الأسد في قمة شرم الشيخ الأخيرة ، إلى جانب الرئيس المصري وولي العهد السعودي ، وهي القمة التي أعادت إحياء محور عربي أساسي أرست دعائمه في أواسط التسعينات أيام الرئيس الراحل حافظ الأسد ، يشكل الدفع العربي الأساسي للمشروع السلمي في المنطقة . وكان لافتاً في البيان الذي صدر عن شرم الشيخ «تنديده بالعنف ورفض كل أشكاله» ، الأمر الذي فُسّر بأنه التزام سوري بضبط القوى الفلسطينية المعارضة من جهة ، وضبط «حزب الله» اللبناني من جهة أخرى ، من أجل الإفساح في المجال أمام الفرص الدبلوماسية الأخيرة .

في هذا المجال سجل قبل انعقاد قمة شرم الشيخ تصعيد لفظي أميركي ضد سورية ، إذ صنفها مساعد وزير الخارجية الأميركي بأنها إحدى «الدول المارقة» التي تسعى إلى امتلاك «أسلحة الدمار الشامل» ولا سيما البيولوجية منها ، بعدما كان «محور الشر» ، في القاموس الأميركي ومحصوراً بالعراق وإيران وكوريا الشمالية .

إلى جانب هذا التصنيف أقر الكونغرس الأميركي قانوناً اعتُبر تحذيراً مباشراً لدمشق ، قضى بمنع رعايا الدول المتهمة بالإرهاب من دخول الأراضي الأميركية وحتى من الحصول على تأشيرات قنصلية ، وهذا يعني أن البيت الأبيض ليس راضياً عن «التجاوب» السوري مع رغبات الإدارة الأميركية بعد ١١ أيلول (سبتمبر) ، وهو يتجه إلى ممارسة مزيد من الضغوط على الحكم السوري ، من أجل إقناعه بالانخراط في التوجهات المناهضة للإرهاب . هنا يمكن اعتبار التنسيق السوري مع مصر والسعودية خطوة سورية ذكية لتفادي الأسوأ ، والأسوأ هو المواجهة مع الأميركيين

والإسرائيليين في آن .

مرونة

والالتفاف السوري الجديد ليس الأول من نوعه في تاريخ الصراع ، وقد تكرر مرات حتى الآن في السنوات الأخيرة . ودمشق التي تعتبر المقاومة ضد الاحتلال حقاً مشروعاً حتى زوال هذا الاحتلال واستعادة الأرض ، تجد نفسها في بعض الحالات الحرجة مضطرة لممارسة «مرونة» ما في التعاطي مع القرار الأميركي ،الذي لا يميز في الوقت الحاضر بين المقاومة والإرهاب . على أن لهذه المرونة معنى آخر وهو إزالة الاجتهادات القائلة بأن وجهة النظر السورية ليست متطابقة مع وجهة النظر السعودية حول مضمون المبادرة السلمية السعودية ، باعتبار أن سورية تتبنى مشروعاً أكثر تشدّداً ، وقد كانت ولا تزال تطالب بالضغط العربي على الولايات المتحدة ، وتفعيل المقاطعة الاقتصادية ، وتأجيل البحث في أي «تطبيع» مع إسرائيل أو المشاركة في مؤتمرات دولية أو إقليمية جديدة تتبناها واشنطن ، من أجل عدم إفراغ مؤتمر مدريد من مضمونه الأساسي القائم على مبادلة «كل الأرض بكل السلام» .

وتخشى دمشق أن يعمل المؤتمر الدولي الجديد على فرض مرجعيات جديدة للعملية السلمية تختلف عما تم الاتفاق عليه في مدريد عام ١٩٩١ ، وتقترب من التصور الإسرائيلي ، وبصورة خاصة الشاروني ، للعملية ، وهو تصور ينطلق من الاتفاقات المرحلية الطويلة المدى ، ويتجنب صفقة السلام الشاملة التي تسعى إليها سورية . ومعروف أن لمخاوف دمشق ما يبررها ، لأن أرييل شارون كان قد دعا إلى استبعاد سورية من مؤتمر السلام الإقليمي ، بدعوى مساندتها «حزب الله» والفصائل الفلسطينية المعارضة واستضافتها مجموعات إسلامية معينة . وقد جاء مؤتمر شرم الشيخ يحسم الجدل حول طبيعة الموقف السوري ، إذ أكد وزير الخارجية

المصري أحمد ماهر : «نحن وسورية والسعودية نعرف متطلبات عملية السلام وشروطها وليس هناك شيء في هذا الشأن مختلف عليه» .

الانعطاف الثالث

الانعطاف الثالث في سياق التطورات الأخيرة إسرائيلي ، فالخمسون ألف إسرائيلي الذين تظاهروا في تل أبيب مطالبين بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية ، ظاهرة لم تشهدها إسرائيل منذ عشرين عاماً ، والتظاهرة في أي حال هي الأولى من نوعها منذ اندلاع الانتفاضة ، وقد دلت على أن حركة «السلام الآن» و«ائتلاف من أجل السلام» وحزب «ميريتس» اليساري ، وحركات «الكيبوتز القطري و «نتيفوت شالوم» و«العائلات الثكلى» و«حمائم العمل» ، ومنظمتي «الخيار الديمقراطي» و«الخط الأخضر» ومعظم مناصريهما من الطلاب ، لا تزال حركات تملك المبادرة على مستوى الشارع الإسرائيلي .

في موازاة هذه التظاهرات التي ردت على قرار اجتياح غزة ، تصاعد الصراع على السلطة داخل تجمع «ليكود» بين أنصار نتنياهو وأنصار شارون . وقد ربح نتنياهو الجولة الأولى لأن الأغلبية من أعضاء اللجنة المركزية صادقت ضد قرار رئيس الحكومة ، لكن شارون ربح بدوره جولة عندما وضع شروطاً للتفاوض أقرها الكنيست ، تقضي بوقف العنف بشكل كامل وإجراء إصلاحات داخل السلطة الفلسطينية ، وهذا يعني أنه لا يزال يحتفظ بالمبادرة داخل البرلمان الإسرائيلي ، الأمر الذي يستبعد معه إجراء انتخابات مبكرة في وقت قريب . والمفارقة التي سجلت على هامش الصراع المحتدم على السلطة داخل «ليكود» أن استطلاعاً للرأي أجري بين أعضاء اللجنة المركزية للحزب قبل انعقاد الجلسة ، أظهر أن نسبة المعارضين

للدولة الفلسطينية هو ٧١ بالمائة ، لكن نسبة المقتنعين بأن الدولة الفلسطينية ستقوم هو ٨٣ في المائة ، وهذا يعني أن الإسرائيليين المتشددين لا يريدون لهذه الدولة أن تقوم الآن . . . لكنهم مقتنعون بأن هذه الدولة سوف تقوم في المستقبل ، وأن تصويتهم الاعتراضي ضد قيام الدولة هو تصويت سياسي أكثر مما هو موقف ثابت وخيار استراتيجي نهائي .

وفي أي حال إن الانعطافات التي بدأت بإرجاء عملية غزة ، وتواصلت من خلال انضمام سورية إلى عرب السلام في قمة شرم الشيخ ، وسط حديث متزايد عن خلافات داخل القيادة العسكرية الإسرائيلية ، حول مردود العمليات الدموية التي نفذت ، كلها تعني أن هناك مناخاً دولياً جديداً ، أميركياً بصورة خاصة ، يوحي بأن التفاوض الإسرائيلي -الفلسطيني عبر مؤتمر جديد لم يعد بعيداً ، وأن هناك صفحة جديدة في الأفق تعكس رغبة عربية- أميركية في الضغط على إسرائيل ولو أن تفاصيل هذه المفاوضات لم تتبلور بعد بصورة كاملة .



دور أردني

١١يوماً من المحادثات المكثفة بقصد «إعادة عملية السلام إلى مسارها» ، بالتحالف مع واشنطن ، هذه باختصار حصيلة الرحلة الأخيرة للعاهل الأردني الملك عبد الله الثاني .

الزيارة لم تكن استثنائية بالطبع ، وهي تشكل جزءاً من «مشاورات روتينية» بين المملكة والولايات المتحدة حول كل ما يتصل بعملية السلام ، لكن كثيرين من المراقبين يعتقدون أن «التحالف» الذي يدعو إليه العاهل الأردني ، والذي يتطلب التركيز على «جدول زمني واضح وخطة عمل ونتائج عملية» قد قطع شوطاً بعيداً ، وأن الفرصة مؤاتية لمبادرات أردنية فاعلة في المستقبل القريب .

ومع أن الأردن لم يعلن رسمياً عن أي التزام عملي ، فإن هناك أخباراً تتردد عن أن تفاصيل كثيرة بحثت في اجتماعات واشنطن ، أبرزها احتمال

الإشراف الأردني المباشر على الأماكن المقدسة في القدس الشرقية ، لمرحلة انتقالية ، في انتظار أن تتبلور صيغة واضحة لمفاوضات «الوضع النهائى» في ظل حكومة إسرائيلية بديلة ، علماً أن علاقة المملكة بالأماكن المقدسة قبل حرب ١٩٦٧ وبعدها كانت دائماً قائمة .

قوات فصل

والغياب الأردني عن قمة شرم الشيخ استوقف الكثيرين من المراقبين ، وقيل في هذا السياق إن الإدارة الأميركية تحاول إقناع العاهل الأردني بإرسال قوات فصل إلى الضفة الغربية وغزة ، وتولي بعض المسؤوليات الإدارية في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، «ريثما يتم بناء سلطة بديلة» ، على أساس أن السلام المقبل سوف يبنى على مراحل ، وللأردن دور مباشر في هذه المرحلة . المسؤولون الأردنيون يعتبرون هذا الكلام مجرد اجتهادات صحفية ، والموقف الأردني المعلن معروف ، وهو يدعم الشرعية الفلسطينية دعماً قوياً ، لكن التصور الأميركي للمرحلة المقبلة قد يكون وراء المحادثات الطويلة التي أجراها العاهل الأردني ومرافقوه ، في هذه اللحظة الدقيقة من حياة المنطقة .

وبمعزل عن رحلة الملك الطويلة ، تتحدث مصادر رسمية عن «أسرار» كبيرة سوف تكشفها الأيام والأسابيع المقبلة في غمرة الجدل القائم حول «رأس شارون» و«رأس عرفات» . من هذه الأسرار ، مثلاً ، أن السلطة الفلسطينية كانت على علم مسبق بالاجتياح الإسرائيلي الأخير ، وأن رسائل بهذا المعنى نقلت على لسان ديك تشيني نائب الرئيس الأميركي وأنطوني زيني الموفد الأميركي إلى المنطقة ، مفادها أن المطلوب من السلطة الفلسطينية عدم عرقلة مهمة شارون في «القضاء على الإرهاب» ، وهي رسالة لم يتجاوب معها عرفات إلا جزئياً ، وهذا ما يفسر الإعدامات

الإسرائيلية لكوادر وعناصر تابعة للسلطة الفلسطينية ، وما يفسر أيضاً الاجتياح العسكري الإسرائيلي للأجهزة الفلسطينية الرسمية التي لم تتعاون مع شارون في قتل الفلسطينيين المطلوبين . ويبدو أن إظهار رئيس السلطة الفلسطينية- بضمانات عربية- استعداده للتعاون ، في حدود الممكن ، هو الذي أدى إلى تكريس شرعيته في انتظار أن يثبت بالدليل الحسي أنه ماضٍ في هذا التعاون .

رسائل أميركية

والظن الراجح أن الرسائل الأميركية الأخرى ، بعد انتهاء عملية «الجدار الواقي» ، تركزت على الحكومة الإسرائيلية ، وهي التي أدت إلى إرجاء عملية غزة . وفي هذا السياق يقول الإسرائيليون «إن العملية السياسية الدولية التي بدأت في شرم الشيخ وتتعاون عليها القاهرة ودمشق والرياض وعمان ، ترمي إلى تحييد ياسر عرفات لأنه عاجز عن ضبط الإسلاميين والبدء بتغيير البنية التحتية للسلطة الفلسطينية عبر توحيد الأجهزة الأمنية . إنها محاولة لعزل عرفات بغطاء عربي ، ودخول غزة كان يمكن أن يقوّضها . .» .

إعلان نوايا

إن التطورات على الأرض ، استمرار العمليات القاتلة في إسرائيل ، عملية «السور الواقي» ، الخوف من انزلاق الانتفاضة إلى دول عربية ، والأزمة الاقتصادية التي وقعت فيها دول المنطقة ، سرّعت تدخل الدول العربية وأثمرت عن اللقاءات بين الزعماء العرب والإدارة الأميركية ، والشعور العربي هو أن ثمة ضرورة ملحة لكبح جماح الطرفين ، كبح جماح الفلسطينيين عن مواصلة العمليات الاستشهادية وأعمال الإرهاب المستمرة ، والتي زرعت الخوف والدمار في إسرائيل دون أن تعطي ثماراً

سياسية ، وكبح جماح الإسرائيليين الذين تسببوا بانهيار البنية الفلسطينية وجردوا السلطة الفلسطينية من القدرة على تشغيل مؤسساتها .

وفي هذه المبادرة يعبر زعماء الدول العربية وللمرة الأولى عن موقف يتضمّن تجنيداً مشتركاً من جانبهم ومن جانب الإدارة الأميركية لتهدئة الأزمة وإيجاد إطار لحلها . وهذه الخلاصة نضجت وتحولت الى إعلان نوايا فعلي عندما توصل الأمير عبد الله إلى اتفاق مع الإدارة الاميركية على ما يشبه توزيع الأدوار : الولايات المتحدة تكبح جماح إسرائيل ، بينما ستقوم الدول العربية بالمطلوب منها ، أي ستعمل عل منع استمرار العمليات الإرهابية وستسعى لإعادة السلطة الفلسطينية إلى طاولة المباحثات .

إن هذه الجهود العربية تجد تعبيراً لها الآن من خلال الاتصالات مع السلطة الفلسطينية ، وأكثر من ذلك ، من خلال التصريحات العلنية للزعماء العرب الذين يدينون بشدة العمليات الاستشهادية . ويوضح هؤلاء الزعماء ، بأن العمليات الإرهابية لم توصل الفلسطينيين إلى أي إنجاز . فالتوجه الجديد الذي أوجده زعماء الدول العربية يوضح للأطراف بأن المواجهة العنيفة قد استنفدت فرصها ، وبأن الزعماء العرب غير مستعدين لجر المنطقة كلها إلى الحرب .

يجب النظر إلى قمة شرم الشيخ باعتبارها خطوة إيجابية وذات مغزى ، فبعد أن تضررت عملية السلام على طريقة أوسلو بشكل بالغ خلال ١٩ شهراً من المواجهة ، وبعد أن تضررت صدقية عرفات كشريك في العملية بشكل يصعب إصلاحه ، ثمة حاجة إلى وجود غطاء إقليمي في الطريق الى إعادة ترميمه» .

والأيام المقبلة قد تكشف مزيداً من «الأسرار» التي تعرفها معظم الحكومات ، لكنها لا تزال سراً على معظم الناس .

«السلام الواقي» بدل «السور الواقي»
الصفقة الممكنة بين شارون وعرفات

من الواضح أن الرؤية التي قدمها الأمير عبد الله، ولي العهد السعودي، إلى الرئيس جورج بوش ومعاونيه، خلال زيارته الأخيرة إلى تكساس، هي التي سمحت بالإفراج عن الزعيم الفلسطيني، وانعقاد قمة شرم الشيخ، والتحضير لمؤتمر إقليمي جديد لم تتضح معالمه بعد، تمهيداً لمؤتمر دولي جديد يضع الأسس النهائية لقيام الدولة الفلسطينية، وربما لتسوية شاملة في الشرق الأوسط.

ومن الواضح أيضاً أن وجهة النظر العربية، المستندة إلى مقررات قمة بيروت، لا تنسجم حتى للتسوية. العرب يريدون الانسحاب الإسرائيلي الكامل، وإنهاء الحصار العسكري للمناطق الفلسطينية، ووقف النشاط الاستيطاني، وتطبيق القرار ٢٤٢، وضمان حقوق اللاجئين.. في حين أن أرييل شارون يحاول تفصيل مؤتمر إقليمي على قياس رغباته، تحضره مصر

والأردن والسعودية ، وتغيب عنه سورية ولبنان والسلطة الفلسطينية ممثلة بياسر عرفات . إنه يريد فرض «تسويته» على العرب وعلى الفلسطينيين ، في غياب رؤية متوازنة للسلام ، بعدما أدت عملية «الجدار الواقي» إلى تقويض مدريد وأوسلو معاً ، وتدمير القدرة الفلسطينية على الرفض .

ومعروف أن رئيس الحكومة الإسرائيلية سبق أن وافق على إعطاء الفلسطينيين ٤٢ بالمائة من أراضي الضفة ، إلى جانب قطاع غزة ، على أن تقوم «الدولة» الفلسطينية على هذه المساحة ، شرط أن تكون مقطعة تحيط بها المستوطنات من كل جانب وغير قابلة للحياة إلا برعاية إسرائيلية متواصلة .

تحالف إقليمي

المؤتمر المقترح ، في هذه الحال ، مجرد تعبير عن تحالف إقليمي مع واشنطن ، يستهدف أولاً عزل سورية ولبنان وإيران ، والتحضير لضرب العراق ، وكل ذلك بقصد كسب الوقت وإنهاء العنف ، تمهيداً لإقرار اتفاقات مرحلية للهدنة والحدود . وقد تمضي سنوات طويلة قبل أن تصبح التسوية النهائية ممكنة . ومن خلال هذا المؤتمر يطمح شارون إلى إستبدال سياسة «الجدار الواقي» بسياسة «السلام الواقي» من خلال تعاون أميركي- عربي يساعد على تثبيت الهدنة التي يفترض أن تطول ، من دون أن يتبدل شيء على الأرض . فالقدس ستظل عاصمة موحدة لإسرائيل ، والمستوطنات ستظل تتوسع ، واللاجئون باقون حيث هم في المخيمات ، ولبنان وسورية وإيران دول محيدة أو «محايدة» في أحسن الحالات ، والعراق يعيش هاجس الدفاع عن نظامه ، و«عرب السلام» يراهنون على واشنطن .

كل هذا يعني أن الجبهة العربية المناهضة للسلام الشاروني لم تولد بعد ، إلا إذا اعتبرنا أنها قائمة من خلال مشروع السلام العربي . لكن طبيعة

العمل الدبلوماسي الذي ينشط في الفترة الاخيرة تدل على أن مؤتمر السلام الجديد لن ينعقد تحت مظلة الأمم المتحدة ، ولن تشارك فيه الدول الخمس الكبرى إلى جانب أطراف النزاع الرئيسية (مصر وسورية والأردن ومنظمة التحرير ولبنان) . وإنما هو مؤتمر آخر معد لأغراض أخرى هي في طبيعتها «انتقالية» وليست نهائية في أي حال . يسجل هنا أن كل الدعوات التي تطلق من أجل «السلام» ليست مرتبطة بجدول زمني محدد أو بإرادة مجلس الأمن ، وهي لا تنطلق من رغبة إسرائيلية واضحة وحاسمة بالعودة إلى حدود ١٩٦٧ ، وإنما من الرغبة في التوصل إلى ترتيبات أمنية قد تمهد لترتيبات سياسية وقد لا تمهد ، في المدى المنظور على الأقل .

والأمر يبدو وكأن أريل شارون فشل في إقناع جورج بوش في إقصاء ياسر عرفات لكنه نجح في تعطيل قدرة عرفات على المبادرة وعلى التحكم بالقرار الفلسطيني ، ولا يزال يمعن في هذا التوجه . رئيس السلطة الفلسطينية اليوم مطوق بوزراء يعارضون نهجه وينتقدون قراراته (كما حدث في كنيسة المهد) وأسلوبه ، وهو باق في السلطة كرمز للحقوق الفلسطينية . والجزء العرفاتي الذي يشارك في التسوية ليس كبيراً . الأمر ذاته ينطبق إلى حد ما على أريل شارون الذي يواجه متاعب داخل «ليكود» وداخل الحكومة ، ولو أنه توصل بأكثرية هزيلة إلى ضمان تصويت الكنيست على شروطه التفاوضية . وما دام «الجدار الواقي» لا يستطيع توفير الأمن للإسرائيليين المدنيين ، فلماذا لا يكون «الحل» الممكن «السلام الواقي» من طريق المؤتمرات الإقليمية والدولية ، طالما أن هذه المؤتمرات لن تعطي الفلسطينيين أكثر مما أعطوا حتى اليوم؟

استباق

بكلام آخر إن عقيدة أريل شارون القتالية التي تستند إلى جملة

مبادئ أبرزها أن على إسرائيل أن تتعامل مع أي تهديد محتمل قبل أن يتجسد وليس بعد قيامه ، وأن توجه إليه ضربة استباقية إذا اقتضى الأمر ، لا تزال قائمة ، لكن محنة إسرائيل في الوقت الحاضر في أن عقيدتها الأمنية التي طورت على امتداد العقود الخمسة الماضية ، لم تعد مناسبة للتعامل مع المقاومة الفلسطينية الداخلية ، أي الحرب الاستشهادية المتواصلة التي خاضها الانتحاريون على امتداد أشهر «الانتفاضة» الطويلة .

من هنا فإن الهدف الأول لشارون هو إجبار الفلسطينيين على وضع حد للعنف ، ومن أجل ذلك هو مستعد لاستدعاء جنود الاحتياط تحت شعار إقامة «الجدران الواقية» أمّا إذا جرت المفاوضات في النهاية فإنه لن يكون مستعداً للبحث في أي «اتفاق نهائي» . الاتفاقات الأمنية أولاً ، وبعدها تأتي الاتفاقات السياسية . . وعلى مراحل .

وقد وفق رئيس الوزراء الإسرائيلي في نزع شرعية السلطة الفلسطينية بصورة شبه كاملة ، من دون تمكين «حماس» و«الجهاد» من السيطرة الميدانية . كما وفق في ضمان استمرار الضغوط على سورية وإيران ولبنان ، فضلاً عن العراق ، وإقناع دمشق باستئناف المفاوضات ولو بصورة غير مباشرة من خلال «مشروع السلام العربي» ، وهو لا يزال يسعى إلى المناورة بالمسار السوري ضد المسار الفلسطيني ، وتحييد الموقف السوري بصورة شبه كاملة كي يتمكن من الانفراد بالفلسطينيين من دون تدخل عربي .

إنها الحالة القصوى التي يمكن أن يصل إليها أريل شارون ، وهي الحالة القصوى التي يمكن للعرب أن يفاوضوا على أساسها . وكلتاهما حالتان لا تحققان سلاماً عادلاً ، وإنما مجرد مهادنة في حرب طويلة ، رئيس الوزراء الإسرائيلي - وهذا ليس سراً - لا يملك العلاج بقدر ما يملك القدرة على الردع ، وهو مهتم بانتصارات أمنية صغيرة أكثر من اهتمامه بالسلام كما يراه العرب وكما يراه العالم . والسؤال يبقى : أي بديل يبدو ممكناً

لشارون ، وهل في إسرائيل شريك فعلي للسلام؟

السؤال يجد مبرراته في استطلاع للرأي أجرته صحيفة «جيروزاليم بوست» في موقعها على الإنترنت . الاستطلاع توجه إلى الإسرائيليين بسؤال مقلق هو : هل تعتقد أن حكومة شارون ستسقط هذه السنة؟ ٥٦ بالمائة أجابوا بـ«نعم» و٤٤ بالمائة بـ«لا» هذا يعني أن الانتخابات الإسرائيلية المقررة في خريف ٢٠٠٣ قد تجري قريباً وليس قريباً جداً ، ولا شك في أن تحولاً أساسياً ما في موقف الإدارة الأميركية سوف يعجل في موعد هذه الانتخابات . ومنتقدو شارون في إسرائيل يعتقدون أن إطاحته ممكنة ، وأن البديل ليس بالضرورة نتنياهو ، لأن في حزب «العمل» من هو قادر على الخروج بالحزب من مأزقه السياسي ومن زعيمه الحالي ، وهناك رجال قادرون بدعم واشنطن على رد التحدي في الوقت المناسب ، وسوف يكون على الإسرائيليين أن يختاروا بين استمرار دورة العنف والجنوح في اتجاه السلام .

معسكر السلام

يساعد على تجميع «معسكر السلام» أن «الانتفاضة الفلسطينية أحدثت تداعيات واسعة داخل المجتمع الإسرائيلي» . العملية الفدائية الأخيرة في «ريشون لتسيون» أولى المستوطنات التي زرعها الصهاينة في العام ١٨٨٢ على أرض فلسطين ، برهنت مرة أخرى على أن تدجين الفلسطينيين مسألة مستحيلة ، وأن التصعيد العسكري الإسرائيلي لن يؤدي إلى حالة إحباط فلسطينية حقيقية . والتاريخ شاهد على أن كل تنكيل يمارسه جيش الاحتلال ، يقود في نهاية المطاف إلى تصعيد المقاومة وتوسيعها ، وهذا ما يحدث بالفعل على أرض فلسطين .

في هذا السياق يتوقف بعض الباحثين عند تجارب مماثلة عاشتها دول

كبرى احتلت جيوشها بلداناً أخرى وقهرتها ، ومارست الكثير من المجازر ، ولم تؤد سياساتها إلاّ إلى اشتداد المقاومة ، هذا ما حصل للجيش الفرنسي في الهند الصينية ، وما حصل للجيش إياه في الجزائر ، وما حصل للولايات المتحدة في فيتنام ، وللاتحاد السوفياتي في أفغانستان . . . وإسرائيل بالرغم من قوتها العسكرية ليست أقوى من المقاومة ، ولن تكون أقوى من الانتفاضة على المدى البعيد ، ودوامة العنف سوف تتواصل . بشكل أو بآخر ، حتى يسلم الإسرائيليون بأن الدولة الفلسطينية حق ، وإلاّ ظلت الكوابيس القاتلة تطارد كل إسرائيلي صباح مساء .

كوابيس

إن التفكك داخل المجتمع الإسرائيلي يتزايد مع تزايد ظاهرة القمع الإسرائيلي الرسمي ، داخل إسرائيل نفسها ، ضد العديد من الأفراد والجماعات التي تعارض السياسة الشارونية تجاه الشعب الفلسطيني . وهذه المواقف بدأت تتمدد إلى أوساط ونخب مدنيّة أخرى في إسرائيل . ويسجل أستاذ العلوم السياسية في جامعة تل أبيب جاد بارزيلاي فيشير إلى أن حملة القمع الإسرائيلية الداخلية بدأت في ٢٩ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ ، بعد اندلاع الانتفاضة ولا تزال تتواصل ، وأن اغتيال إسحق رابين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٥ ، كان بمثابة الإعلان عن نيات قادة المشروع الصهيوني المتطرفين القضاء جسدياً على كل من يتجرأ على القبول بفكرة التواصل مع الفلسطينيين على أساس الانسحاب من الأراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ ، والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . وما يفعله شارون اليوم من تحقيق «الانتصارات» العسكرية على الفلسطينيين ، مشروع انتحار إسرائيلي على المدنيين القريب والبعيد .

المجموعة العربية تتجه إلى الجمعية العامة

فشل مجلس الأمن في التوصل إلى صيغة اتفاق للردّ على رفض الحكومة الإسرائيلية السماح للجنة تقصي الحقائق ممارسة عملها ، وانقسم حول كيفية الرد على رسالة الأمين العام كوفي أنان الذي أبلغ المجلس رسمياً اعتزامه حل اللجنة .

واعترضت سورية على نص رسالة من مجلس الأمن إلى أنان يوافق فيها على قراره حل اللجنة ، وطالبت باسم المجموعة العربية عقد جلسة رسمية علنية لمناقشة الموضوع .

وأقرت المجموعة العربية التوجه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لإصدار القرار الذي لم يكن إصداره عن مجلس الأمن ممكناً ، بسبب تشتت أعضائه وإمكان استخدام أميركا حق النقض (الفيتو) .

وقال نائب المندوب السوري ، العضو العربي الوحيد في المجلس ،

الدكتور فيصل المقداد ، إن القرار الذي ستسعى المجموعة العربية إلى استصداره عن الجمعية العامة سيطالب بـ«التحقيق في ما حصل في كل الأراضي الفلسطينية وليس في جنين وحدها» . وزاد :« وسيكلف القرار الأمين العام بإعداد تقرير في ما حصل» . وكان مقرراً أن ينعقد مجلس الأمن في جلسة علنية مساء الجمعة ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٢ كما كان متوقعاً ، التحرك في الجمعية العامة مطلع أيار (مايو) المقبل .

وانتظر مجلس الأمن تقريراً من أنان حول محادثاته مع الوفد العراقي وما توصلت إليه «مجموعة الأربعة» التي تضم الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وروسيا ، في واشنطن من إعلان العزم على عقد مؤتمر دولي . وتوقعت أوساط المجلس أن يتطرق أنان إلى مسألة «لجنة تقصي الحقائق» ، خصوصاً أن أعضاء المجلس تلقوا رسائل متضاربة من الأمانة العامة ، أو شاؤوا أن يفهموا الرسالة كل حسب مصلحته ، فالأوروبيون فهموا أنها قرار نهائي يجب احترامه والموافقة عليه . كان موقف فرنسا وإيرلندا لافتاً للانتباه ، بسبب الإصرار على هذا الفهم ، على رغم مؤشرات من الأمانة العامة إلى أن أنان أراد من رسالته إلى المجلس الحصول على دعم كامل لإرسال اللجنة .

وأصر السفراء الغربيون في المجلس على أن التفسير العربي للرسالة يبيّن «خلافات حضارية» في إشارة إلى الفارق بين الفهم الأوروبي والفهم العربي .

وقال مندوب سورية :« نحن لا نطالب الأمين العام بالتراجع عن القرار ، ونشعر بأنه اتخذ قراره تحت ضغوط هائلة ، ومن الواجب الأخلاقي أن نساعده في مواجهة الضغوط» .

أمّا مصادر الأمانة العامة ، فأكدت أن وراء إبلاغ أنان المجلس «اعتزامه» حل اللجنة ، وضع مجلس الأمن أمام مسؤولياته . وقالت إنه لو

صدر قرار وطلب من الأمين العام الاستمرار في إيفاد اللجنة ، وطالب إسرائيل بتنفيذ القرار والتعاون بلا عرقلة ومماطلة ، لعدل أنان عن حل اللجنة ،وزادت أن أنان أراد دعم المجلس بعدما تحرك على أساس موافقة إسرائيلية بموجب القرار ١٤٠٥ .

وقالت الناطقة باسم الأمين العام ، ماري واكابي ، إنه«اتخذ قراره بتردد» وبعدما توضحت مواقف الحكومة الإسرائيلية . وأشارت إلى أن الأمانة العامة لم تتسلم حتى الآن إيضاحات رسمية للمواقف والشروط الإسرائيلية .

وحسب مصادر الأمانة العامة ، فإن أنان «لم يقفل الباب» أمام العدول عن حل اللجنة ، ولم يتخذ قراراً بمغادرتها جنيف ، في انتظار ما سيصدر عن مجلس الأمن .

وقال مسؤول أوروبي ، اشترط عدم ذكر اسمه ، «إن شبح جنين سيبقى مخيماً على إسرائيل . وكانت أمامها فرصة لتنظيف اسمها ، من خلال لجنة تقصي الحقائق ، لكنها فوتتها وارتكبت خطأ فادحاً» .

وحسب المندوب السوري ، فيصل المقداد ، فإن «المواقف الأوروبية التي استمعنا إليها في مناقشات المجلس هي التي شجعتنا أساساً على تقديم مشروع القرار ، وبلغة قوية ، حيث أدان الأوروبيون ممارسات إسرائيل وأعربوا عن استهجانهم للممارسات والمماطلات الإسرائيلية في استقبال الفريق ، وقالوا بوضوح إنهم لا يقبلون بذلك» . وتابع :«عندما أتينا إلى التصويت ، تراجعت كل هذه الحماسة» .

وحسب مسؤول فرنسي ، إن العمل ما زال مستمراً من أجل إصدار موقف من مجلس الأمن ، لربما في شكل قرار «يأخذ علماً بقرار الأمين العام ويتفهم ما أدى به إلى ذلك مع إبراز الأسباب والنظر في كيفية الاستمرار» .

لكن المندوب السوري قال :« لا نريد أي إجراء من المجلس الذي لا

يجب أن يتخذ قرارات أو توجهات تناقض ما كان أجمع عليه في القرار ١٤٠٥ ، وهو إيفاد لجنة لتقصي الحقائق» .

الجمعية العامة تطلب تقريرا من أنان

طلبت الجمعية العامة للأمم المتحدة مساء الثلاثاء ٣٠ نيسان (أبريل) على أثر تصويت بغالبية ساحقة، تقريراً من الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان، حول الأحداث التي وقعت في مخيم جنين للاجئين.

وهذه النقطة الواردة في قرار يتضمن ٢٤ فقرة، نالت موافقة ١٢٠ دولة مقابل أربع ضد وست امتنعت عن التصويت.

وقد تبنّت الجمعية العامة القرار خلال جلسة استثنائية دعيت إليها بطلب من المجموعة العربية، وتصادفت مع وقوع عملية استشهادية جديدة في إسرائيل أوقعت عشرات القتلى والجرحى.

ويتهم الفلسطينيون إسرائيل بإرتكاب «مجزرة» بحق المدنيين بين ٣ و١٢ نيسان (أبريل) الماضي، في أثناء معارك ضارية في مخيم جنين، الأمر الذي تنفيه تل أبيب بقوة.

في المقابل ، لم توافق سوى غالبية صغيرة على فقرة ترمي إلى إدانة رفض إسرائيل التعاون مع فريق الأمم المتحدة لـ«تقصي الحقائق» ، الذي كان من المفترض أن يسلط الأضواء على ما جرى في جنين ، قبل أن يقرر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان حله . وهذه النقطة حصلت على موافقة ٧٤دولة ، مقابل أربع دول ضد وامتناع ٥١عن التصويت .

وعبّر عدد من الديبلوماسيين الغربيين ، ممن امتنع عن التصويت عن استيائه بعد عملية تل أبيب والتي وقعت مباشرة قبل طرح القرار على التصويت .

وتمّ تبني فقرة أخرى في القرار بغالبية ١٢٣صوتاً ، مقابل صوت ضد وامتناع ستة ، تطالب بتطبيق فوري وكامل لقرار الأمم المتحدة الرقم ١٤٠٢ ، الداعي إلى وقف للنار بين الإسرائيليين والفلسطينيين .

وكانت الولايات المتحدة أعلنت ، مسبقاً ، إنّها لن تصوّت على القرار الذي اعتبرته «مغرضاً» . وقال سفيرها لدى الأمم المتحدة جون نيغروبونتي ، إن النص «لا يشير حتى إلى الهجمات الإرهابية الفلسطينية ضد المدنيين الإسرائيليين والتي أضرت كثيراً بجهود السلام» ، واصفاً إياه بأنه «خطاب آحادي الجانب لا يدين سوى واحد من طرفي النزاع» .

وقال المراقب الفلسطيني لدى الأمم المتحدة ناصر القدوة من جهته ، إن إسرائيل كما مجلس الأمن ، وافقا في مرحلة أولى على إرسال فريق من الأمم المتحدة إلى جنين لكن المجلس «وضع نفسه في موقع المتفرج» بينما تل أبيب «لجأت إلى الابتزاز» ليغيّر أنان تشكيلة الفريق وطرق عمله ، كما قال .

وكان السفير الجنوب إفريقي دوميساني كومالو الذي تحدث باسم حركة دول عدم الانحياز ، طالب الجمعية العامة بتبني مشروع قرار ، يدين «الهجمات الوحشية» التي شنتها إسرائيل على المدنيين الفلسطينيين ولا سيما في جنين .

وانعقدت الجمعية العامة بموجب الإجراء الاستثنائي «الاتحاد من أجل السلام» الذي يمكن اللجوء إليه عندما لا يستطيع مجلس الأمن الاضطلاع بمهمة لحفظ السلام والأمن في العالم . وسبق وانعقدت عشر مرات وفق هذا الإجراء الطارئ منذ العام ١٩٥٦ ، منها ست مرات بخصوص النزاع العربي الإسرائيلي(×) .

(×) : لا تتمتع أي دولة عضو بحق النقض (الفيتو) في الجمعية [illegible] قراراتها ليست ملزمة بعكس قرارات مجلس الأمن .



تظاهرة اسرائيلية - عربية طالبت بانسحاب الجيش الإسرائيلي من المدن الفلسطينية

مجلس الأمن يوافق على بعثة لتقصي الحقائق بناء على مبادرة الأمين العام

قرّرمجلس الأمن الدولي إرسال «فريق مكلف تقصّي الحقائق» ، في موعد لم يحدد بعد ، إلى مخيم جنين للاجئين الفلسطينين في الضفة الغربية ، بمبادرة من الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان .

وفي ختام نقاشات مطولة حول الشرق الأوسط تخللها الكثير من المفاجآت والتحولات أصدر مجلس الأمن ، فجر السبت ١٣/ ٤/ ٢٠٠٢ القرار رقم ١٤٠٥ ، الذي أعرب فيه عن القلق الذي يثيره «الوضع الإنساني المريع للمدنيين الفلسطينيين» ، وشدد على الضرورة الملحة السماح للمنظمات الإنسانية والطبية بالوصول إليهم . واقترحت الولايات المتحدة نص القرار هذا الذي اعتمده بالإجماع أعضاء مجلس الأمن الـ١٥ ، في ختام مداولات طويلة في الكواليس على هامش النقاش حول الوضع في الشرق الأوسط الذي اقترحته المجموعة العربية واستمر قرابة ٣٦ساعة .

نص القرار ١٤٠٥

في ما يلي النص الحرفي للقرار ١٤٠٥ الذي أصدره مجلس الأمن الدولي فجر السبت ١٩/ ٤/ ٢٠٠٢ في ترجمة غير رسمية أوردتها وكالة الصحافة الفرنسية :

«إن مجلس الأمن الدولي ، إذ يؤكد قراراته رقم ٢٤٢(١٩٦٧) الصادر في الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ و٣٣٨ (١٩٧٣) الصادر في ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ و١٣٩٧ (٢٠٠٢) الصادر في ١٢ آذار (مارس) ٢٠٠٢ و ١٤٠٢ (٢٠٠٢) الصادر في ٣٠ آذار (مارس) ٢٠٠٢ و١٤٠٣ (٢٠٠٢) الصادر في الرابع من نيسان (أبريل) وإعلان رئيسه في ١٠ نيسان (أبريل) ٢٠٠٢

«وإذ يعبّر عن قلقه للوضع الإنساني الرهيب للسكان المدنيين الفلسطينيين وخصوصاً الأنباء القادمة من مخيم جنين للاجئين التي تتحدث عن عدد غير محدد من القتلى وعن دمار ،

««وإذ يدعو إلى رفع القيود المفروضة ، وخصوصاً في جنين ، على عمليات المنظمات الإنسانية ومن بينها اللجنة الدولية للصليب الأحمر ووكالة الأمم المتحدة للاجئين في فلسطين والشرق الأوسط ،

«وإذ يشدّد على ضرورة أن تقوم كل الأطراف المعنية بتأمين أمن المدنيين واحترام الأعراف المقبولة دولياً للقانون الإنساني الدولي ،

«١-يؤكد أن وصول المنظمات الطبية والإنسانية إلى السكان المدنيين الفلسطينيين أمر ملح» .

«٢-يوجب بمبادرة الأمين العام جمع معلومات محددة تتعلق بالحوادث الأخيرة في مخيم جنين للاجئين بوساطة لجنة لتقصي الحقائق ويطلب منه إيقاء مجلس الأمن على اطلاع .

«٣-قرر أن يتابع هذه القضية بشكل متواصل»

الفهرس العام

العلاقات الأميركية - الإسرائيلية ١٣ - ٦٩

اسرائيل.. دولة الارهاب والعدوان الدائم ٧١ - ٧٩

شارون: سيرة وخطط ١٢١ - ٢٠٤

قطاع غزة ٤٦٩ - ٤٩٨

المبادرات والتسويات ٤٩٩

- دور أردني ٥٢٩

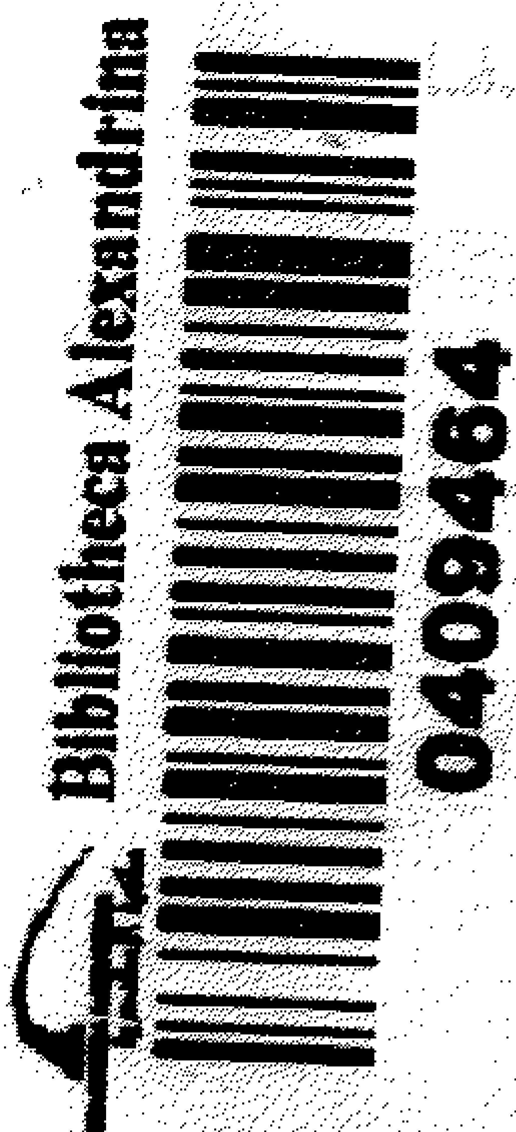
الإرهاب الصهيوني
والسلام العربي
بين الشهادة والإبادة

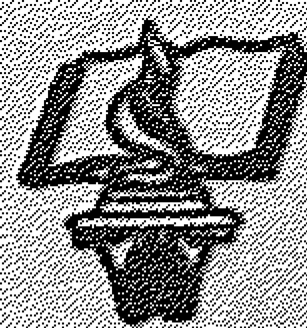
على مدى أشهر انضم آلاف الشهداء ومن جميع الأعمار إلى قائمة خسائر الانتفاضة التي توشك أن تتحوّل إلى فتيل لانفجار عام في المنطقة قد يقلب الموازين وقد يصحّح المعادلات القائمة، وقد يقود بالمقابل إلى توسيع الاحتلال والاستيطان وقوائم التحالفات التي تصبّ في غير صالح العرب، إذ لم تتوقف آلة الموت الإسرائيلية عن ممارسة أسلوب القتل بدماء باردة بالبنادق وعن قرب على الأرض، وبالصواريخ والقذائف من الدبابات والمدافع وطائرات إف ١٦ والأباتشي من السماء.

ومرة جديدة يرفع العرب راية السلام في وجه الإرهاب الإسرائيلي علماً بأنّ مثل هذا السلام العربي لن يُقابل إلاّ بالمزيد من العنف والصلف الإسرائيليين بمواجهة الشعوب العربية المغلوبة على أمرها.

لقد ولّى عصر الحروب وتصوّرت إسرائيل أنّ النخوة العربية ماتت، وأنه لم يعد في القاموس الدولي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانطفاء الحرب الباردة، مفاهيم أو مصطلحات [illegible] عالمي أو توازن قوى يسمح بثنيها أو ردعها عن المضيّ في غيّها [illegible]

فهل حقًا ماتت النخوة العربية كما تصوّرتها إ[illegible] الإرهابية؟





مؤسسة الرحاب الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب. ١١/٣٨٤٧٠ بيروت - لبنان